سلسلة المراجع

في

التربية وعلم النفس

١٠



علم النفس الاجتماعي والتعصب

تأليف

چون دكت

ترجمة

الدكتور عبد الحميد صفوت





سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس
الكتاب الثانى عشر

علم النفس الاجتماعى والتعصب

تأليف
الأستاذ الدكتور
جون دكت
أستاذ علم النفس - جامعة كيب تاون

تعريب
الأستاذ الدكتور
عبد الحميد صفوت إبراهيم
أستاذ علم النفس - جامعة قناة السويس

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٣٠٢	دكت، چون.
دك . ع ل	علم النفس الاجتماعى والتعصب / إعداد چون دكت، عبد الحميد صفوت إبراهيم. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٠.
	٤٠٥ ص: جد ؛ ٢٤ سم. (سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس؛ ١٢).
	يشتمل على ببليوجرافيات:
	تدمك: ٠ ــ ١٢٨٠ ــ ١٠ ــ ٩٧٧.
	١ ـ علم النفس الاجتماعى. ٢ ـ التعصب. أ ـ عبد الحميد صفوت إبراهيم، مؤلف مشارك. ب ـ العنوان. جـ ـ السلسلة.

أميرة للطباعة

٥ شارع محمود الخضرى - عابدين

ت: ٣٩١٥٨١٧ محمول: ٠١٠١٤٥٦٠٣٧

سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس

تصدر هذه السلسلة بغرض النهوض بمستوى المراجع والكتب فى مجال التربية وعلم النفس، بحيث تشتمل على أحدث ما صدر فى هذا المجال عالميا مع معالجته بمنظور ورؤية عربية مدعمة بخبرات الخبراء.

ويسر اللجنة الاستشارية ان يشارك أصحاب الفكر والكُتّاب وأساتذة الجامعات بنشر مؤلفاتهم المتميزة فى تلك السلسلة.

وتضم اللجنة الاستشارية التى تناقش هذه الأعمال قبل صدورها مجموعة من خيرة علماء التربية وعلم النفس فى مصر والعالم العربى، وهم:

جميع المراسلات والاتصالات على العنوان التالى:

دار الفكر العربى

سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، ٢٧٥٢٧٣٥، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

تقديم

تتنوع الكتابات والبحوث التى تتناول ظاهرة التعصب، وتهتم فئة من البحوث بفهم الأصول المعرفية للتعصب كتقسيم الناس إلى فئات، والتفكير فيهم على أساس من تداعى الأفكار وترابطها، وعلى أساس اختلافات فى تغيير الشواهد والأدلة، وفى ضوء فرط التعميم، والمستويات المختلفة من الاستدلال الخلقى والحكم.

وتهتم فئة أخرى من الدراسات بالجذور الاجتماعية والانفعالية للتعصب من وجهة نظر التعلم الاجتماعى والمنظور الإيكولوچى.

والدارس المتعمق للظاهرة ـ كما يتناولها «دكت» فى الكتاب الحالى ـ يتبين أنه تناول مشكلات تعريف التعصب والعلاقة بينها، ومدى ارتباط السلوك العدائى ضد الجماعات الخارجية بالمعتقدات التعصبية تجاهها، كما تعرض لنظريات التعصب الوصفية منها والوظيفية، ويحلل الظاهرة ويردها إلى عمليات سيكولوچية فى بنية الشخصية، وإلى ديناميات اجتماعية وجماعية، وإلى آليات التواصل التى تعبر عن هذه الديناميات، وإلى الفروق الفردية التى تحدد استعداد الفرد للتعصب.

ويبين المؤلف كيف يمكن التحقق من هذه الاتجاهات التعصبية بإحداث تغيير على مستوى البناء الاجتماعى، وعلى مستوى الضغوط الاجتماعية، وعلى مستوى الاستعداد الشخصى للتعصب.

والدارس المتعمق للظاهرة ـ كما تبدو فى هذا الكتاب الذى نقدمه ـ يتبين تعقد الظاهرة وأنه يصعب فهمها على أساس من العلية الخطية، وأنه تناولها بمداخل متعددة وبعلية شبكية قد يساعد على فهمها بدرجة أكبر.

وثمة برامج تعليمية تدخلية تسعى لإنقاص التعصب، وتضم هذه البرامج تربية خلقية وتنمية مهارات اجتماعية ومهارات اتصال، وتنمية التعاطف الوجدانى وتنمية صورة ذات موجبة، وذلك من خلال العمل والتعلم فى جماعات صغيرة، والاستعانة بأنساق موجهة معلمة، وتنظيمات مجتمعية محلية بناءة، وهذه البرامج تحدد الأهداف، وأساليب التعلم واستراتيجيات التعليم وإجراءات التقويم. وهذه البرامج تفيد من نتائج البحوث التى يحسن عرضها هذا الكتاب، وتجمع البرامج عادة فى إطارها بين الاستدلال الخلقى وتوضيح القيم والتعلم الاجتماعى والنمو المعرفى.

والكتاب مصدر قيم للبحوث وللأطر النظرية التى تناولت هذه الظاهرة، والمكتبة العربية فى أمسّ الحاجة إلى كتاب عميق يتناول هذا الموضوع. وكتاب «دكت» يضم ثروة معرفية يمكن أن تكون منطلقا لبحوث ودراسات علمية كثيرة، وأساسا لبرامج وتوجيهات تهم الأسرة والمدرسة والإعلام ودور العبارة ومؤسسات توجيه الشباب ورعايتهم ورعاية الطفل والأسرة.

وصاحب هذا العمل العلمى أستاذ قدير، ومعرّبه أستاذ متمكن من أدواته العلمية، وله باع كبير فى مجاله. وقد استطاع أن ينقل هذا العمل العلمى بأسلوب عربى مبين، يعبر عن المضمون أصدق تعبير وأدقه.

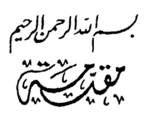
هذا فضلا عن إضافته للباب الأول الذى عرض فيه لموضوع علم النفس الاجتماعى، ودوافع السلوك الاجتماعى وأشكاله، وسيكولوچية العلاقات الثنائية والجماعات الصغيرة والحشود والجماهير، وبذلك وضع المعرّب ظاهرة التعصب فى إطار أشمل وعلى أساس خلفية عريضة تفيد تلامذة هذا العلم.

وينبغى أن يلقى هذا العمل ما يستحقه من تقدير وثناء وأن يفيد منه طلاب الدراسات العليا وطلاب الدراسة الجامعية الأولى فى مجال علم النفس، وعلم الاجتماعى، والخدمة الاجتماعية والتربية.

وهذا الكتاب كنز لمن يريد أن يتخذ منه ركيزة ومنطلقا لبحوث كثيرة تتناول هذه الظاهرة الهامة. وإذا كانت أعمدة التربية أربعة: هى أن نتعلم لنعرف، وأن نتعلم لنعمل وأن نتعلم لنتعايش مع الآخرين، وأن نتعلم لتحقيق الذات. فإن هذا الكتاب يضم زادا يصلح لأنواع التعلم هذه. وهذا هو التعلم الحق أساس التنمية البشرية.

وعلى الله قصد السبيل

د. جابر عبد الحميد جابر
جامعة القاهرة
معهد الدراسات التربوية
يناير ٢٠٠٠



تعتبر دراسة علـم النفس الاجتماعى من أكثر الدراسات ارتبـاطا بالواقع، وأهمها فى زيادة قدرة الدارس على فهم الآخرين، والتأثير فيـهم، ومعالجة ما يصيب علاقاتهم من اضطرابات أو اختلال.

إن هذا العلم باختـصار هو أكبـر فرصة لكى (نعيش مـا نتعلمه، ولأن نتـعلم ما نعيـشه)؛ ذلك لأن دراساته يمكن إجـراؤها بين الزملاء والتوصـل إلى نتائج مشـابهة لما توصل إليه الـعلماء السابقـون، كذلك لأن نتائجه قـابلة للاستخدام فـى أى علاقة بين الدارس وبين الآخريـن سواء فى حوار ثنائـى أو جماعة أصـدقاء أو ضمن جمـهور أو حشد. وقد كان التـعصب هو أهم موضوعات علم النفس الاجتـماعى فى الغرب ولم نكن فى وطننا العـربى نهتم به أو نركز عليه حـتى غرقت منطقتنا فى مـوجة عارمة من التعصب والتطرف والإرهاب؛ فتولد لدينا الشعور بضرورة التركيز على هذه المشكلة كى نتمكن من فهمها وبالتالى التأثير فيها.

لذلك فقـد أردت أن يتعرف القـارئ العربى بصورة تفـصيلية على هـذه المشكلة باعتبارها تمثل تطبيقا شاملا لكل مبادئ ونظريات ومناهج علم النفس الاجتماعى، ولهذا السبب قمت باخـتيار كتاب ذائع الصيـت فى جميع أنحـاء العالم، وحـديـث الصـدور لـترجمـتـه بالكامل كجـزء ثان تطـبيـقـى للجـزء الأول وهـو **«التعـصب لجون دكت»**، بحيث نـضمن أن تتكوّن للقـارئ فكرة متكاملة عـن هذا العلم وإن كان يشوبـها بعض الاختصار.

أ. د. عبد الحميد صفوت


المحتويات

الباب الأول

«الاتجاهات المعاصرة ومجالات التطبيق»

الفصل الأول

ما هو علم النفس الاجتماعى؟

علم النفس الاجتماعى هو أحد فروع علم النفس، ويعنى علم النفس بمفهومه الواسع «علم دراسة السلوك الإنسانى» (فرج طه ١٩٩٩: ٢٠)(١٠).

والسلوك الإنسانى هو «كل ما يصدر عن الإنسان من نشاط سواء كان داخليا فى شكل دوافع أو انفعالات ومهارات وعمليات معرفية ودينامية، أو خارجيا يشمل السلوك الظاهر تجاه الآخرين». (فرج طه ١٩٩٩ : ٢٠)(١٠).

ويضم علم النفس عددا من الفروع الأساسية والتى يتفرع عنها عدد من الفروع التطبيقية، وقد حددت الجمعية النفسية الأمريكية أهم الفروع الأساسية لعلم النفس فى: علم النفس العام، الارتقائى، الفارقي، عبر الثقافى، المرضى، الفسيولوجي، والاجتماعى، وتهتم هذه العلوم الأساسية بالأسس النظرية وبالاتجاهات العامة فى الدراسة والبحوث. (فرج طه ١٩٩٩: ٢٩)(١٠).

وعلم النفس الاجتماعى وفقا لتلك التعريفات هو «علم دراسة السلوك بين الأفراد» ويهدف إلى استنتاج قوانين نشأة وتطور وطبيعة السلوك بين الأفراد/ (كرتش وزملاؤه، ١٩٦٢)(٤٠). وهو تخصص رئيسى فى علم النفس تقوم عليه فروع تطبيقية مثل: الإعلام والرأى العام، وعلم النفس التنظيمى، والصناعى، الحرب النفسية، علم النفس الدينى، والدولى، ظواهر الانتحار، علم الإجرام، الأسرة، بعض أنواع العلاج النفسى، علم النفس المدرسى، . . . ومن جهة أخرى فعلم النفس الاجتماعى ليس مجرد فرع من علم النفس العام ولكنه يشكل أساسا لفهم الظواهر النفسية فى كافة التخصصات الرئيسية أيضا، فلا يوجد شخص يعيش بمفرده فى عزلة عن الآخرين بشكل كامل، فالواقع أن كل شخص في هذا العالم يعيش فى وسط اجتماعى يؤثر فى كل سلوك مهما كان يبدو فى الظاهر خصوصيا وبعيدا عن ذلك الوسط، كالأحلام، الخيال، الدوافع، عادات النوم والطعام، كلها سلوكيات تنبع من الواقع الاجتماعى وتهدف إلى التأثير فيه، مما يدعونا للقول بأن علم النفس لا يمكن فهمه إلا من خلال علم النفس الاجتماعى (البورت ١٩٨٥: ٣) (٢٧).

* يشير الرقم الذى بجوار القوس إلى رقم المرجع فى قائمة المراجع بنهاية الباب الأول.

تعرضنا حتى الآن للمقطع الأول من هذا العلم وهو علم النفس، ومازالت محاولاتنا فى تفسير ذلك الاسم تحتاج للتعرض للمقطع الثانى وهو الاجتماعى - فما سبب هذه التسمية؟.

لا يمكن ردّ هذه التسمية إلى علم الاجتماع وحده، بحيث نبسط الأمور بالقول بأنه علم ما بين علمين Inter deciplinary، فقد نشأ علم النفس الاجتماعى نتاجا لفكر اجتماعى وفلسفى وسياسى عميق الجذور وسابق على النشأة المنهجية لعلمى النفس والاجتماع.

فقد نظر القدماء إلى الشخص من خلال المجتمع مثلما فعل أفلاطون فى كتابه «الجمهورية»، وأرسطو فى كتابه «السياسة»، ونظر توماس هوبز فى كتابه «التنين» إلى الإنسان باعتباره باحثا عن القوة، أما آدم سميث فقد فسر السلوك الإنسانى باعتباره يهدف إلى تحقيق المصلحة وذلك فى كتابه «ثروة الأمم»، فى حين توصل بنتام إلى أن أساس السلوك الإنسانى هو البحث عن اللذة؛ وذلك فى كتابه «مدخل إلى أسس التشريع والأخلاق».

وفى معرض بدايات الدراسة المنهجية المعاصرة لعلم النفس الاجتماعى توصل أوجست كونت إلى أهمية إصدار مؤلف عن قواعد الأخلاق وهو الاسم الذى يفضله لعلم النفس الاجتماعى (كرتش وزملاؤه ١٩٦٢ : ٦) (٤٠).

اعتبر ويليام چيمس فى كتابه «مبادئ علم النفس» العادات Habits هى أهم محددات السلوك الاجتماعي، أما جابرييل تارد فقد توصل إلى أن التقليد هو أساس السلوك الاجتماعى فى كتابه «قوانين التقليد»، وتوصل لوبون إلى أن الإيحاء Suggcstion هو المحرك للسلوك الاجتماعى، مقابل الغريزة Instinct والتى قال مكدوجل أنها أساس ذلك السلوك، وتوصل زنانيكى إلى أن أساس السلوك الاجتماعى هو الاتجاهات فى كتابه «الفلاح البولندى فى أوربا وأمريكا».

ويلاحظ من تعدد هذه المصادر أن علم النفس الاجتماعى ليس علما وليدا ظهر بعد النشأة المنهجية لعلم النفس أوالاجتماع، وإنما له جذور تاريخية هى التى كانت الأساس لكلا العلمين: النفس والاجتماع، مع ذلك فما زال علم النفس الاجتماعى مثار نزاع بين علماء النفس وعلماء الاجتماع، حيث يسعى كل منهما إلى اعتبار علم النفس الاجتماعى فرعا أصيلا من فروع علمه.

ناقش هذه القضية إدوارد چونز (١٩٨٥ : ٤٧)(٣٨) وذلك بالمقارنة بين إسهامات علم النفس وعلم الاجتماع فى دراسات علم النفس الاجتماعى ومدى استفادة

ذلك العلم أو اعتماده على نظريات نفسية أو اجتماعية، ويتضح من رأى جونز (١٩٨٥ : ٤٨)(٣٨) أن علم النفس أكثر إسهاما فى ذلك الفرع بالمقارنة بعلم الاجتماع، ويستدل على ذلك من رسم بيانى يوضح إعداد مراجع علم النفس الاجتماعى التى نشرت بين عامى ١٩٠٨ إلى ١٩٨٠ فى الولايات المتحدة، يشير إلى أن الاهتمام الأكبر بإعداد المراجع الأساسية فى علم النفس الاجتماعى والتى شكلت أساسا فى تحديد ملامح ذلك العلم وأهدافه كان بين علماء النفس أكثر من علماء الاجتماع، كذلك الحال بالنسبة لعشر دوريات علمية متخصصة فى عرض دراسات علم النفس الاجتماعى كان أغلبها نفسى الطابع، وحتى بالنسبة لمجلة Sociometry والتى أسسها عالم الاجتماع مورينو وصدرت عن الجمعية الاجتماعية الأمريكية Anerican Sociological Association يرى جونز (١٩٨٥ : ٤٩)(٣٨) أن أغلب من ينشر دراساته فيها هم السيكلوچيون، غير أن الاجتماعيين يرفضون ذلك، فيرى روزنبرج - تيرنر (١٩٨١)(٤٨) أن أساس ذلك العلم هو اجتماعى الطابع، فأول كتاب صدر فى علم الاجتماع وكان من تأليف Small - Vincent عام ١٨٩٤ خصص خمسة فصول لعلم النفس الاجتماعى، وأن أوجيست كونت مؤسس علم الاجتماع ذكر ذلك الفرع ضمن تخصصات علم الاجتماع. (روزنبرج - تيرنر ١٩٨١)(٤٨).

حاول ستريكر (١٩٧٧)(٥٠) التمييز بين علمين للنفس الاجتماعى: اجتماعى ونفسى، بإبراز الفروق النظرية بين هذين النوعين لعلم النفس الاجتماعى، غير أن روزنبرج - تيرنر (١٩٨١)(٤٨) قاما بجهد بحثى فى بلورة هذه الفروق؛ وذلك باستطلاع لرأى عدد كبير من المتخصصين فى الموضوع وتوصلا إلى الفروق التالية:

من حيث النظرية: يركز النفسيون على نظريات ليفين - شاشتر - آش - كامبل - البورت، فى حين يركز الاجتماعيون على نظريات ميد، جوفمان، هومانز. وأهم النظريات التى يركز عليها الاجتماعيون هى التفاعل الرمزى والتبادل الاجتماعى لجماعات المرجعية ونظرية الدور.

من حيث المنهج: يميل السيكلوچيون إلى التجارب المعملية، ويميل الاجتماعيون إلى البحوث المسحية.

والواقع أن علم النفس الاجتماعى يضم بالفعل كل الاتجاهات المذكورة بين علم النفس وعلم الاجتماع، ويؤكد على أن علم النفس الاجتماعى سيظل دائما علما ما بين علمين Inierdeciplinary يميل أحيانا إلى أحدهما لكن لا ينقطع كلية عن العلم الثانى؛ وذلك لحقيقة أنه إذا كان علم الاجتماع يهتم بعمومية الظواهر الإنسانية

فى شكل نظم اجتماعية مجردة ومنظمات رسمية تشكل الأساس للوحدة الثقافية Cultural Uniformity، وإذا كان علم النفس يهتم بخصوصية هذه الظواهر الإنسانية كأفراد يتمايزون من خلال فروق فردية ويتحركون وفق قرارات فردية - فالشخصية الفردية Personality هى الوجه الذاتى للثقافة الاجتماعية Culture، فعلم النفس الاجتماعى هو الذى يهتم بالتفاعل بين هذين الجانبين، أى كيف يتصرف الأفراد بسماتهم الشخصية وسط الضغوط الاجتماعية، التوقعات الاجتماعية المتصارعة والقيم المتضاربة بتضارب الأدوار المنوطة بنفس الشخص.

فمجال علم النفس الاجتماعى هو المجال الذى تتقاطع فيه الظواهر الفردية مع الظواهر الاجتماعية، مثال ذلك ظواهر الانصياع Conformity؛ الطاعة، الإدراك الاجتماعى، التعصب، الشخصية التسلطية، القوالب النمطية، التسهيل الاجتماعى، الاتجاهات الاجتماعية، تغيير الاتجاهات من خلال الحملات الإعلامية والدعاية الإغرائية، التفاعل داخل الجماعات وظواهر المعايير الجماعية، ضغوط الجماعة، قرار الجماعة وظواهر الوسطية أو التطرف فى القرار الجماعى، تدخل عابرى السبيل Bystander Intervention ، ظواهر الإسناد وتكوين الانطباعات، التحيز لجماعات النحن مقابل الجماعات الأخر. هذه الموضوعات يختص بها علم النفس الاجتماعى ويتشكل على أساسها علم النفس الاجتماعى باعتباره علما مستقلا عن كل من علم النفس وعلم الاجتماع.

* * *

للتعرف على ماهية علم النفس الاجتماعى، نستعرض أهم النظريات التى وجهت البحث فى علم النفس الاجتماعي، وقبل استعراض هذه النظريات فهناك عدة اعتبارات تحيط بهذه الأسس النظرية:

أولا: أن علم النفس الاجتماعى هو امتداد للفكر الاجتماعى السائد فى كل مراحل التطور فى علم النفس عموما، فقد تأثرت البحوث والتفسيرات النظرية بنظريات فرويد فى فهم التعصب باعتباره نتاجا لديناميات نفسية داخلية كالإسقاط، الإحباط، الإزاحة، وفى فهم العدوان فى نظرية دولارد وميلر باعتباره ناتجا عن الإحباط.

كذلك تأثرت بحوث الإسناد Attribution بنظرية التعلم الاجتماعى لدولارد - ميلر، روتر، وقامت بحوث تقدير الذات Selfesteem على فلسفة القوة التى بلورها نيتشه (البورت ١٩٨٥)[٢٧]، وكانت نظرية الغرائز لمكدوجل أساسا لتفسير عدد من مظاهر السلوك الجمعى والحشود.

ثانيا: أن الظروف التاريخيـة والتطورات السياسية لعـبت دورا هاما فى تطور ذلك العلم، مثال ذلك ارتبـاط بداية الاهتمام بدراسات التعصب بظهور حـركة الحقوق المدنية فى الولايـات المتحـدة فى العشـرينيـات من هذا القـرن العشـرين (دكت ١٩٩٢)[٣٢]، والحرب العالمية الثانية كانت الدافع لدراسات تغيير الاتجاهات وسيكلوچية الدعاية والرأى العام، أمـا الحركات النازية والـفاشية التـى كانت سببـا فى الحرب العالـمية الثانيـة فقد انعكـست فى اهتمـام علم النـفس الاجتمـاعى بدراسـة الشخصـية التـسلطيـة (چونز ١٩٨٥)[٣٨].

ثالثا: أنه يمكن تـقسيم التـطورات النظرية إلى مـرحلتين، الأولى كان فـكر علم النفس الاجتـماعى صدى مباشر لـنظريات نفسية أو اجـتماعية، ويؤرخ لهـا حتى بداية الخمسينيات (إنسكو ـ سكوبلر ١٩٩٣)[١] وفيما بعد تلك المرحلة اتخذ ذلك العلم طابعه المعاصر وشخصيته المستقلة.

فى عرضنا للأسس النظرية التى قام عليها علم النفس الاجتماعى سنعرض بإيجاز عددا من موضوعات الاهتمام التى مازالـت تشكل إلى الآن أساسا للفكر والبحوث فى هذا العلم، وهى دوافع السلوك الاجتماعى، أشكال السلوك الاجتماعى، نظريات السلوك الاجتماعى، وأهم اتجاهات البحث فى السلوك الاجتماعى.

***

الفصل الثاني

دوافع السلوك الاجتماعى

تأثر الفكر فى علم النفس الاجتماعى بعدد كبير من دوافع السلوك الاجتماعى مثل: اللذة، الغريزة، الحاجة، الدوافع المعرفية؛

١ـ مذهب اللذة Hedonism هو وجهة نظر تحدد أن الأفراد فى سلوكهم يسعون إلى زياده التدعيم والمكافأة، أو زيادة الظروف السعيدة حولهم، ويقللون من التدعيم السالب أو العقاب أو الظروف غير السارة (انسكو - سكوبلر ١٩٩٣: ٥٠)[١].

وتنقسم الرغبة فى البحث عن اللذة إلى:

اللذة الماضية: وهى ميل الأفراد إلى تكرار الاستجابة التى سبق أن صحبتها مشاعر سارة أو قلّت معها المشاعر السلبية.

اللذة الحاضرة: تشير إلى الأفراد الذين يتصرفون في الموقف المباشر من أجل زيادة التعرض للظروف السارة حسب مقتضيات الموقف الحالى وليس لمجرد تكرار مواقف السرور السابقة.

اللذة المستقبلية: هى أن يتصرف الأفراد من أجل زيادة استمتاعهم باللذة أو السرور على المدى البعيد، وقد يؤدى ذلك إلى تقليل الاستمتاع باللذة الحاضرة انتظارا للذة فى المستقبل (انسكو - سكوبلر- ١٩٩٣: ٥)[١].

ينتمى مذهب اللذة إلى الفيلسوف بنتام Bentham والذى بلور فكر الفيلسوف ابيقور، والإنجليزى آدم سميت، ومؤدى ذلك المذهب هو أن السلوك كى يستمر ويتدعم، فلابد أن تكون اللذة المصاحبة له أكثر من الألم المرتبط به، ولمذهب اللذة مظاهر عديدة فى تفسير السلوك الاجتماعى، مثال ذلك دراسات تغيير الاتجاهات باستخدام التعزيز اللفظى (جرين سبون ١٩٥٥، هليدوم - براون ١٩٥٦) وفيها تم استخدام أساليب التشجيع والاستحسان عند ظهور الاستجابة المطلوبة وعدم استخدامها عند ظهور الاستجابات غير المطلوبة (أنسكو ـ سكوبلر ١٩٩٣)[١]، كذلك تم استخدامها فى غرس الاتجاهات الاجتماعية بأساليب الشرطية التقليدية بربط الاستجابة غير المرغوبة بصدمة كهربية، أما عن تغيير الاتجاهات فقد استخدم والاس أسلوب المكافأة على الدفاع عن اتجاه مخالف للاتجاه الذى يحمله الشخص Counter attitudinal advocacy مما

يؤدى إلى تغيير اتجاهه إلى الاتجاه الذى حصل منه على مكافأة، من جهة أخرى يؤدى أسلوب التخويف (الألم) أيضا إلى تغيير الاتجاهات، فقد استخدم جانس وفشباخ أسلوب التخويف من مخاطر عدم وقاية الفم والأسنان وتوصلا إلى أن تغيير الاتجاهات يرتبط بالتخويف المتوسط، ولو أن الدراسات التالية توصلت إلى أن الخوف الشديد يؤدى إلى تغيير أكبر فى الاتجاهات. (انسكو ـ سكوبلر ١٩٩٣ : ٦٥)[١].

ويعتبر مبدأ اللذة Pleasure Principle والذى ذكره فرويد صورة من صور مذهب اللذة، فقد رأى فرويد (١٩٥٣)[١١] أن هدف النشاط النفسى هو الحصول على اللذة وتجنب الألم، وربما انطبق ذلك فى علم النفس الاجتماعى على تطبيقات نظرية التحليل النفسى فى تفسير السلوك الجمعى Collective Behavior، والحشود Crowds على وجه الخصوص.

يعتبر **تخفيض التوتر** صورة أخرى من صور مذهب اللذة، حيث رأى العديد من المفكرين المعاصرين أن نقص الحاجات الاجتماعية يؤدى إلى توتر يدفع الشخص إلى تخفيفه مستهدفا استعادة الاتزان النفسى أو الحيوى.

ومن أهم تطبيقات مبدأ تخفيض التوتر نظريات الاتزان (هايدر)، الاتساق المعرفى - الوجدانى (روزنبرج)، أوزجود - تاننبوم فى الانسجام. ومؤدى هذه النظريات أن الاتجاهات وهى أساس السلوك الاجتماعى تميل إلي الاتزان أو الانسجام أو الاتساق فيما بين مكوناتها فإذا حدث ما يؤدى إلى اختلال ذلك الاتساق أو الاتزان تحدث حالة توتر تدفع صاحبها إلى بذل مجهود فى محاولة إعادة ذلك الاتزان. وهكذا فإن التوتر Tensien يعتبر حالة مؤلمة غير سارة تدفع بصاحبها إلى تجنبها. ويستخدم هذا الإطار التفسيرى فى بحوث تغيير الاتجاهات، فالاتجاه يتكون من ثلاث مكونات: معرفية، وجدانية، نزوعية، وتقوم فكرة تغيير الاتجاه من خلال تغيير أحد مكوناته بتقديم معلومات جديدة، أو بالحث على أداء سلوكيات مخالفة له، أو بتكوين مشاعر مخالفة للوجدانات ذات العلاقة بالاتجاه. هذه الجهود تؤدى إلى اختلال الاتزان فى بناء الاتجاه؛ مما يولد حالة توتر تدفع بالشخص إلى استعادة ذلك الاتزان بتغيير الاتجاه بما يتسق مع التغيير الحادث، لكن هناك طرق أخرى لاستعادة الاتزان مثل تجاهل ورفض المعلومات الجديدة، أو قسمة الاتجاه إلى قسمين.

٢- الغرائز Instinct: الغرائز هى دوافع يولد الكائن مزودا بها، وتهدف إلى المحافظة على بقائه، وفيما قبل هذا القرن العشرين كانت نظريات الغرائز هى أهم دوافع السلوك وأكثرها تكرارا فى تفسيره، وكانت نظرية مكدوجل أهم هذه النظريات وأكثرها شمولا

وقد حدد مكدوجل ١٤ غريزة إنسانية وأضاف إليها ثلاثة أخرى فى مؤلف تال، وما يهمنا أن الغريزة تؤدى إلى نزوع الشخص أو ميله لأداء السلوك الذى توجهه الغريزة، وأغلب الغرائز التى حددها مكدوجل اجتماعية الطابع؛ بمعنى أنها تحتاج إلى آخرين كى يمكن إشباعها ومنها غرائز المقاتلة، الوالدية، الاستغاثة، الخنوع، السيطرة، التملك، حب الاجتماع، والضحك، والجنس بما يجعل السلوك الاجتماعى غريزيا من وجهة نظره (البورت، ١٩٨٥ : ٣٣)(٢٧) حتى أنه سمى كتابه حول الغرائز «مقدمة فى علم النفس الاجتماعى»، هذا مع العلم أن مكدوجل أكد على أهمية التعلم فى أحد جوانب الغريزة وهو الجانب الإدراكى، فما يثير غريزة الغضب عند الطفل حديث الولادة ليس نفسه ما يثير تلك الغريزة عندما يكبر (مصطفى فهمى ١٩٦٨ : ٧)(٢٣).

- وتعتبر **القابلة للإيحاء** Suggestibility إحدى الغرائز المرتبطة بنظرية: مكدوجل. ويعرفها مكدوجل باعتبارها «عملية اتصال تؤدى إلى قبول مضمون ذلك الاتصال فى غياب الأسس المنطقية التى يمكن على أساسها قبول ذلك المضمون» (البورت ١٩٨٥ : ١٧)(٢٧). ويرى مكدوجل أنها تقوم على إحدى الغرائز التى حددها وهى غريزة الخضوع.

والإيحاء كان تفسيرا لطائفة واسعة من السلوك الاجتماعى الجماعى. والمتمثل فى الحشود Crowds حيث أسهب لوبون، سيدس، وغيرهما فى تفسير الطابع الانفعالى، اللامنطقى لسلوك مجموعة من الناس حينما يتحولون إلى حشد (كالمظاهرات وأعمال الشغب)، وذلك على ضوء ظاهرة الإيحاء؛ حيث يتبادل أعضاء الحشد صورا وخيالات وأحكام غير منطقية على بعض رموز السلطة، مما يدفعهم إلى تدمير وإحراق وعقاب كل من يصل إليها من ممثليهم، وتعتبر الشائعات أيضا من مظاهر الإيحاء الجماعى كذلك انخفاض الروح المعنوية بين الجنود أو المواطنين تحت ضغوط الحرب النفسية من جانب الأعداء، وقد حاول عدد كبير من المفكرين تفسير ظواهر الإيحاء على أساس أنها تنتج عن تنويم مغناطيسى، لكن فرويد رأى أن عملية الإيحاء تنتج عن توحد Identification حيث يحل الحشد محل الأنا الأعلى مما يتيح الفرصة للتنفيذ الفورى لأى أفكار تشيع بين الحشود دون مناقشة.

٣- الدوافع اللاشعورية: يقلل علم النفس الاجتماعى المعاصر عموما من أهمية العمليات اللاشعورية كدوافع للسلوك الاجتماعى، وذلك لتركيزه على الجوانب الشعورية المعرفية على وجه الخصوص، والدوافع اللاشعورية على عكس ذلك بعيدة عن المنطق العقلى، وتسير حسب منطق العاطفة والرغبة فى الإشباع المباشر بصرف النظر

عن الآثار الناتجة عن ذلك الإشباع من دمار للنفس والآخرين، والدوافع اللاشعورية حسب نظرية التحليل النفسى تصدر عن مؤسسات هى الهو، والأنا الأعلى وهما مؤسستان لا شعوريتان يواجهان الأنا كقوة منطقية تسعى للمواءمة بين رغبات الهو الانفعالية الذاتية، الأنانية المباشرة وقصيرة النظر، وبين رغبات الأنا الأعلى وهى تمثل الضبط الأخلاقى الصارم الذى لو استسلم له الشخص لما أشبع أى رغبة له حتى لو توقف عن متعة الحياة، وحتى الأنا له جانب لا شعورى أو قبل شعورى هو الذى يحاول التوفيق بين الاثنين، فى مواءمة مع متطلبات الواقع، غير أنه يواجه باستمرار بعقبات فى ذلك التوفيق تدفعه إلى بعض الحيل الدفاعية، والتى تعتبر محاولات غير كاملة للتوفيق بين طرفى الصراع النفس (الأنا الأعلى - الهو).

٤- ميكانزمات (حيل) الدفاع (ذات العلاقة بالسلوك الاجتماعى):

هناك عدد من ميكانزمات الدفاع التى تداولتها نظرية التحليل النفس تعتبرذات أهمية فى تفسير أنواع من السلوك الاجتماعى، فيها: - أ - **الإسقاط** Projection والذى يعتبر المفسر الرئيسى للاتجاهات التعصبية ضد الأقليات والأجانب، فالعدوانية أو الكراهية التى يشعر بها الشخص نحو الآخرين يسقطها على هؤلاء الآخرين، فيشعر أنهم هم الذين يكرهونه ويضمرون له العداء والحقد مما يجعل تحفظه عليهم وخشيته منهم أمرا ذا منطق [مصطفى زيور، ١٩٨٦][٢٢].

ب- الإعلاء Sublimation: يعتبر تفسيرا لأشكال الفنون والآداب والفكر، حيث يتحول الإحباط والعدوان إلى سلوكيات منظمة قانونية تشكل إشباعا رمزيا لهذه العدوانية مثل التفوق فى المسابقات الرياضية والانتصار فى مباريات الملاكمة والمصارعة وضرب الأرقام القياسية فى بعض الرياضات، كذلك الفنون والآداب والفكر الذى يكون التفوق والانتصار هو التعبير القانونى المقبول عن تلك الرغبات الدفينة فى العدوان.

ومن جهة أخرى يستطيع جمهور المشجعين أن يعبروا عن ألوان التعصب بصورة مقبولة اجتماعيا، حيث يتعصب لنادى رياضى ضد آخر، وتتاح له الفرصة للنكاية بالطرف الآخر، وبالإغاظة السخرية من مشجعى النادى الآخر دون أن تناله تهمة التعصب أو العدوانية.

٥- الدوافع الاجتماعية:

أ- دوافع الإنجاز والمخاطرة وتحمل الفشل: اهتم علماء النفس فيما بعد نظرية الغرائز بالبحث فى الدوافع كمفهوم أو كمصطلح سيكولوجى يشمل كلا من الشعور بالنقص الفسيولوجى (كنقص الماء، الأملاح، السكر)، والنقص السيكولوجى: نقص

الأمن، العزلة - انخفاض تقدير الذات - صعوبة تأكيد الذات، ولا يختلف كلا النوعير في قوة تأثيرهما على السلوك الإنسانى، فكلاهما ينتج عن الشعور بالنقص مما يؤدى إلى حالة دافعية تهدف إلى تعويض ذلك النقص.

أ- وقد اهتم موراى بتصنيف الحاجات الاجتماعية نفسية المنشأ (موراى ١٩٨٨ : ١٩٠)[٢٥] وهذه الحاجات، هى: الانصياع - الإنجاز، الانتماء، العدوان، الاستقلال، العمل المضاد، الدفاع، الاحترام، السيطرة، الاستعراض، تجنب الأذى، تجنب الدونية، الحنو، التنظيم، اللعب، الرفض أو النبذ، الحسية، الجنس الآخر، طلب المساعدة، الفهم، وابتكر اختبار تفهم الموضوع T. A. T لقياس هذه الحاجات.

ب- قام ماكليلاند واتكسنون بالتركيز على إحدى الحاجات التى حددها موراى وهى الحاجة إلى الإنجاز، وقد اختلف الباحثان فيما بعد فى توجهاتهما لدراسة هذا الدافع، فقد اهتم ماكيلاند بدراسة أثره فى دفع الشعوب للنمو الاقتصادى حيث وجد ارتباطا بين درجة النمو الاقتصادى للدول وبين انتشار دافع الإنجاز بين أفراد ذلك الشعب (صفاء الأعسر وآخرون، ١٩٨٣)[٦].

ج- أما اتكسنون فقد ركز على الفروق الفردية بين الناس فى الحاجة إلى الإنجاز، ولم يهتم باستخدام اختبار تفهم الموضوع وهو اختبار إسقاطى، بل لجأ إلى الأساليب السيكومترية، كما صاغ نظريته فيما أسماه بدافعية الإنجاز Achievement Motiva-tion، ويضم ذلك الدافع الحاجة إلى الإنجاز - كما سبق أن حددها موراى - بالإضافة إلى عاملين آخرين هما القيمة الحافزة للنجاح، واحتمالية النجاح، ومؤدى المكونات الثلاثة هى أن حاجة الفرد إلى الإنجاز تدفع إلى الصراع من أجل تحقيق أهداف أفضل وأحسن مما سبق له تحقيقها، وهى حاجة ذاتية ينافس الشخص فيها ذاته فى السعى نحو الأفضل، وتختلف الحاجة إلى الإنجاز عن مستوى الطموح حيث إن ذلك المستوى هو مسار محدد تسير عليه الجماعة، ويسعى الشخص إلى تحقيقه، فهو معيار خارجى يتوقف بمجرد تحقيق أقصى الطموحات بعكس حاجة الإنجاز التى تستمر لأنها تنشأ من الذات.

أضاف اتكسنون عاملى التوقع - القيمة، وأسمى عامل القيمة بالقيمة الحافزة للنجاح، وهى تختلف من هدف إلى آخر حسب الوزن النسبى لهذا الهدف، فالتغلب على بطل العالم فى الملاكمة له قيمه أكبر من النجاح بإصلاح سيارة معطلة.

أما عن عامل التوقع فأسماه باحتمالية النجاح، وقد توصلت دراسات اتكسنون إلى أن الشخص المتميز يختار أهدافا متوسطة الصعوبة، أى أن احتمالية نجاحها تقترب من ٥٠٪.

رأى اتكسنون أن السلوك الإنجازى ينتج عن صراع بين هذه العوامل الثلاث وبين الرغبة فى نقيض تلك العوامل؛ فالحاجة إلى الإنجاز تقابلها الحاجة إلى تجنب الفشل، والقيمة الحافزة للنجاح تقابلها القيمة المنفرة للفشل، واحتمالية النجاح تقابلها احتمالية الفشل. وينتج السلوك الإنجازى بقدر تغلب العوامل الثلاثة الإيجابية على العوامل السلبية المقابلة لها، فإذا حدث العكس يتوقف السلوك الإنجازى، وتظهر شخصية قلقة متوترة تخشى الفشل فلا تسعى لمحاولة إنجاز الأهداف.

أثبتت دراسات عديدة أن دافع الإنجاز يرتبط بزيادة الأداء وبالتفوق في كافة مجالات العمل والانتاج والتحصيل الدراسى، كما اتفقت دراسات عربية عديدة فى نتائجها مع الدراسات الأجنبية (صفاء الأعسر وآخرون ١٩٨٣)[٦]، محمود محمد عبد القادر ١٩٧٧)[١١].

د- اهتمت دراسات أخرى بالتركيز على أحد عاملى التوقع ـ القيمة، وهو عامل المخاطرة Risk TAking والذى يحسب باحتمالية الفشل مقابل احتمالية النجاح، وثبت أن هذا العامل مؤثر أساسى فى أشكال عديدة من السلوك الاجتماعى.

ناقشت دراسات عديدة علاقة الدافع للإنجاز بالغش فى المدرسة أو الجامعة، فلا شك أن الغش هو عملية مخاطرة قد تنجح فيصل الشخص إلى التفوق رغم عدم مذاكرته، وقد تفشل فيتعرض لإلغاء امتحانه أو إلى الفصل من الجامعة، فتوصلت زينب محمود شقير وفائقة بدر [٤] إلى أن زيادة دافع الإنجاز يرتبط سلبيا مع سلوك الغش، كذلك توصلت دراسة محمد السيد عبد الرحمن [١٧] إلى أن الطلبة الغشاشين تقل لديهم دافعية الإنجاز.

هناك طائفة أخرى من الدراسات توصلت إلى عدم وجود علاقة بين زيادة دافعية الإنجاز والغش (محمد المرى)[١٨]، بمعنى أن الغالبية العظمى من الطلاب سواء لديهم دافع عال أو منخفض للإنجاز يلجأون إلى الغش إذا أتيحت لهم الفرصة (حامد زهران)[٢] بل وحاول ناجى قاسم أن يقدم مكافآت وهدايا لمن لا يغش ولكن طلاب دراسته رغم ذلك أقدموا على الغش [٢٦]، ولكنه وجد فروقا دالة فى طريقة الغش ترجع إلى الفروق فى مستوى التحصيل لدى هؤلاء التلاميذ.

والتفسير الذى نتوصل إليه على ضوء هذه الدراسات هو أن الغش إذا ارتبط باحتمال الفشل متوسط الدرجة فسوف يقدم عليه الطالب المرتفع فى دافعية الإنجاز، أما إذا كان الغش يتضمن احتمال فشل عالى الدرجة فسيكون من نصيب منخفضى دافع الإنجاز، كما اتضح أن للمخاطرة أثرا فى زيادة حوادث السيارات (عبد الحميد صفوت

إبراهيم ١٩٩١)(٨) كما أن لها أثرا فى زيادة معدلات تدخين السجائر (عبد الحميد صفوت إبراهيم ١٩٩٢)(٩).

هـ - ركزت دراسات أخرى على عامل القيمة المنفرة للفشل، وقد رأت (Clifford, 1984)(٣١) أن الإستراتيجية المعرفية التى يتبعها الشخص لمواجهة الفشل وتحويله إلى نجاح فى المستقبل هو القدرة على تحمل الفشل Failure Ioleranco فتحمل الفشل والتعامل معه باعتباره خبرة يتعلم منها الشخص لتحسين أدائه فى المستقبل هى العامل الحاسم فى عدم الخوف من الفشل وفى الإقدام على الإنجاز واعتبار احتمال الفشل هو قيمة مضافة إلى خبرات النجاح فى المستقبل، وقد أوضحت دراسة لعبد الحميد صفوت إبراهيم صحة العلاقة بين القدرة على تحمل الفشل وبين النجاح الدراسى فى الجامعة (Ibrahim, 1992)(٣٦).

و- الإسناد كدافع للسلوك الاجتماعى:

الإسناد هو أحد الأنشطة المعرفية للإنسان والتى تعبر عن دافع قوى «لأن يفهم أسباب ما يحدث فى بيئته» (كيلى ١٩٦٧ - نقلا عن فينر ١٩٧٢)(٥٣) ويرى هايدر أن للإنسان رغبة قوية فى فهم البيئة المحيطة به، ولن يتحقق ذلك الفهم إلا بالبحث فى أسباب ما يحدث، فما يقع حوله من حوادث هى مظاهر أو نتائج لأسباب لابد أن يعرفها (فينر ١٩٧٢)(٥٣) وليست معرفة الأسباب غاية فى ذاتها، إنما يهدف من وراء ذلك إلى التنبؤ بالحدث مرة أخرى وبالتالى التحكم فيه، ويصاب الإنسان بقدر من الحيرة والخوف إذا فشل فى التعرف على سبب حادث قوى كالزلزال أو الرعد أو المطر، مما يدفعه إلى إسناده إلى مسببات قد تكون خرافية أو ميتافيزيقية.

ومعرفة أسباب حدوث الحوادث هو دافع معرفى فطرى صوره القرآن الكريم فى محاجة سيدنا إبراهيم والتى توصل من خلالها إلى أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ [البقرة] كذلك سؤال إبراهيم لربه ليطمئن قلبه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾ [البقرة]، ومن جهة أخرى ربما كان دافع الإسناد هوالسبب فى أن كافة شعوب العالم لديها ديانة أو نظام معتقدات يفسر خلق العالم وأسباب الموت وعالم ما بعد الموت.

ويلعب الإسناد السببى - تفسير الأسباب - للآخرين دورا فى تشكيل استجاباتنا نحوهم، ففى تجربه أجراها سكوبلر - ماثيوز ١٩٦٥)[٥] قام مساعدو المجرب بطلب المعاونة من المبحوثين، بحيث يبدو الطلب وكأنه ناتج عن أسباب خارجية- أى ظروف اضطرارية لطلب المساعدة، أما بالنسبة للمجموعة التجريبية الثانية فقد ظهر أن من طلب المساعدة ليس محتاجا لها، حيث يستطيع الاعتماد على نفسه فى توفيرها، ولكنه رأى أن من الأسهل أن يطلبها من المبحوث.

أوضحت النتائج أن المبحوثين فى المجموعة الأولى أدوا مساعدة أكبر، لدرجة أنهم تنازلوا عن جزء من مصلحتهم الشخصية فى معاونة المحتاج لأسباب خارجية اضطرارية بعكس المحتاج لمجرد الاستسهال.

كذلك الحال فى تقدير سلوك الآخرين، ففى تجربة أصدر ثيبو - رايكن (انسكو - سكوبلر ١٩٩٣: ٣١٨)[١] أوامرهما إلى اثنين من المساعدين، ويؤدى الاثنان ما صدرت إليهما من تعليمات بالضبط، ولكن المبحوث حين يعرف أن أحدهما شخص ذو مكانة عالية، والآخر ذو مكانة منخفضة فسيزيد تقدير المبحوث للشخص الأول باعتبار أنه كان قادرا على عدم الطاعة، بعكس الشخص منخفض المكانة، مما أدى إلى زيادة انجذاب المبحوث - الذى أصدر الأمر - إلى المساعد المرتفع المكانة أكثر من منخفض المكانة.

كان للإسناد إلى الذات - أى تفسير الأحداث التى تقع للشخص ذاته - انتشارا أكبر وأهمية أوسع فى دراسات علم النفس الاجتماعى، وقد بدأ شاشتر وزملاؤه هذه الدراسات بحقن مجموعتين من المبحوثين بمادة تؤدى إلى مؤثرات شبيهة بانفعال الخوف، وقدموا لإحدى المجموعات معلومات صحيحة عن تأثير هذه المادة، أما بالنسبة للمجموعة الثانية فلم يفسروا لهم آثارها أو فسروها بصورة مضللة. أظهرت نتائج هذه الدراسة (شاشتر - سنجر عام ١٩٩٢ انسكو - سكوبلر ١٩٩٣[١]) أن الاختلاف فى إسناد الحالة الوجدانية أدى إلى اختلاف فى السلوك وفى الاستجابات بين المجموعتين، وقد توصل شاشتر وزملاؤه إلى وجود تكوين معرفى إدراكي فى انفعالات الإنسان، وهو تسمية الانفعال Labling، فحينما تختلف تسمياتنا لحالة وجدانية معينة، فإن استجاباتنا ستختلف باختلاف هذه التسميات.

أضاف فالينز بعدا آخر لتجارب الإسناد إلى الذات، حيث اعتقد أن الاستثارة الانفعالية ليست ضرورية لتسمية الانفعال، وطالما أن شخصا يشعر بتغيير فسيولوجى فإنه يصبح مدفوعا لتفسير - إسناد - هذا التغير، وقد تركزت تجارب فالينز وزملائه على دفع مبحوثيهم للشعور بتغير فى الحالة الفسيولوجية (ضربات القلب مثلا)، ففى

تجربةأجراها فالينز - ري، دفعوا بمبحوثيهم إلى الاعتقاد أن ضربات قلبهم تظل هادئة فى مواجهة مثيرات مخيفة كالثعابين، مما أدى بهؤلاء المبحوثين إلى تقليل خوفهم من هذه المثيرات.

ز - مركز التحكم كدافع للسلوك:

قدم روتر وزملاؤه إسهامات جديدة فى دراسات الإسناد، فقد ركز على نظرية التعلم الاجتماعى، والتى يرى فيها أن أغلب أنواع السلوك يتم اكتسابها خلال المواقف الاجتماعية، وتنبع عن حاجات لا يمكن إشباعها إلا بمساعدة الآخرين» (فينر ١٩٧٢ : ٣٣٢)[٥٣]. ويتم اكتساب السلوك الاجتماعى واستمرار أدائه على ضوء إدراك الشخص لموضع التدعيم لهذا السلوك، فإذا قام الشخص بسلوك معين ونجح فيه، فإن إدراك نجاح السلوك هو الذى سيحدد هل سيستمر الشخص على أدائه أم سيتغير عنه.

والتمييز الأساسى فى دراسات روتر وزملائه هو فى إدراك موضع السببية هل هى الصدفة أم المهارة، فلو كان إدراك نجاح الشخص فى سلوك معين راجعا إلى مهارته (إسناد داخلى) فسوف يميل إلى تكرار ذلك السلوك لأنه كان سببا فى النجاح. أما إذا أدرك أن نجاحه يرجع إلى الصدفة أو إلى الحظ (إسناد خارجى) فإنه لن يحتاج إلى تكرار ذلك السلوك مرة أخرى، لأنه ليس السبب فى حصوله على النجاح أو المكافأة.

ولنأخذ مثالا بالنجاح الدراسى فلو تصور الطالب أن نجاحه فى مقرر معين يرجع إلى مهارته أو إلى مجهوده الذاتى، فسيؤدى ذلك النجاح دور التدعيم لسلوك المذاكرة والاعتماد على المهارة في المواقف الدراسية التالية، أما إذا أسند نجاحه إلى عوامل خارجية مثل الغش، الوساطة، الصدفة أو الحظ، فلن يؤدى ذلك إلى تحسين مجهوده أو مهارته بل سيؤدى به إلى مزيد من الكسل انتظارا للصدفة أو الحظ السعيد، وأوضحت الدراسات العربية ارتباط مركز التحكم الداخلى بالتفوق الدراسى، والنجاح فى الحياة (ممدوح الكنانى، ١٩٩٠)[٢٤]، وحتى بالإقلاع عن التدخين(رشاد عبد العزيز موسى، ١٩٨٩)[٣].

يصدق ذلك أيضا على الفشل الدراسى، فالفشل باعتباره خبرة منفرة إذا اسند إلى عوامل خارجية مثل: تخيل الطالب أن أوراقه استبدلت بأوراق آخر، أو أن الأستاذ هو الذى يصحح الأوراق بشكل غير عادل، فإنه لن يسعَى إلى تحسين طرقه فى التحصيل حيث إن ذلك التدعيم السلبى لم يرتبط بتلك السلوكيات مما يؤدى إلى استمرار ذلك السلوك الخاطئ انتظارا لتغيير الظروف الخارجية المزعومة.

٦- **الاتجاهات** Attitudes: الاتجاهات من أهم دوافع السلوك الاجتماعى وأكثرها وضوحا، حتى أن أحد تعريفات علم النفس الاجتماعى أنه «الدراسة العلمية للاتجاهات». (البورت ١٩٨٥: ٣٥)(٢٧).

يعرف كرتش - كرتشفلد - بالاشى الاتجاه بأنه نظام متكامل يضم ثلاثة مكونات حول موضوع معين، **معرفى** (وهو المعتقدات عن الموضوع)، **وجدانى** (يضم المشاعر المتصلة بالموضوع)، **نزوعى** ويشمل الاستعداد للقيام بسلوك حول الموضوع وهو الميل السلوكى. (كرتش وزملاؤه ١٩٦٢: ١٤٦)(٤٠).

وتتميز هذه المكونات بالانسجام أو الاتساق بين مكوناتها أولا، ثم مع السلوك الظاهر للشخص، فإذا حدث تباين أو عدم اتزان فيما بين هذه العناصر الأربعة يصاب الشخص بالتوتر الذى يدفع إلى استعادة الاتزان مرة أخرى.

وربما كانت العلاقة بين الاتجاه والسلوك الاجتماعى هى أساس البحث فى علم النفس الاجتماعى،هذا فضلا عن أن قياس وتغيير الاتجاهات هى أهم موضوعات علم النفس الاجتماعى، ولعل التعصب وهو أحد أنواع الاتجاهات نموذج على تلك الأهمية التى يوليها علماء النفس الاجتماعى لهذا الموضوع، من جهة أخرى تعكس الاتجاهات خصائص الشخصية سواء معرفية أو وجدانية أو استعدادية كما تعكس خصائص جماعات الانتماء والثقافة الشائعة، فهى نافذة على كافة جوانب المجتمع موضع الدراسة.

٧- التنافر المعرفى كدافع للسلوك:

تنتمى نظرية التنافر المعرفى Cognitive Dissonance إلى نظريات الاتزان Balance والتى اقترحها هايدر، وسار علي نهجه روزنبرج فى نظريته عن الاتساق المعرفى - الوجدانى Affective - Cognitive Consistency ، ونظرية أوزجود - تانبوم فى الانسجام Congruity Theory، وكلها نظريات تشير إلى الاتزان (الانسجام) بين المكونات المعرفية حول موضوع واحد أو موضوعات متشابهة.

والصورة العامة للاتزان أو الانسجام أو الاتساق المعرفي هى أن معتقداتنا عن شخص معين لا يمكن أن تتضارب بين أنه شرير وطيب فى نفس الوقت ولا يمكن لشخص له أخلاق أن يصادق شخصا مجرما أو قاتلا أو سكيرا.

حينما تتضارب مثل هذه المعارف فى أذهاننا تصبح في حالة عدم اتزان، مما يسبب توترا فى الجهاز المعرفي يسعى إلى حله بهدف استعادة الانسجام مرة أخرى، والتوتر فى هذه الحالة يؤدى للسعى نحو تغيير معارفنا حول ذلك الشخص بهدف تحقيق الاتزان.

فقد يستعيد الشخص الاتزان فى معلوماته برفض غير المنسجم منها، مثلما يرفض التصديق أن أبناء زعيم معين يعملون فى أعمال غير مشروعة، أو أن نرفض معلومات عن أن أصدقاءنا فاشلون أو مجرمون.

هناك طريقة ثانية لاستعادة الاتزان وهى تغيير المعارف القديمة بما يتلاءم مع المعلومات الجديدة، ويؤدى ذلك إلى تغيير رأينا فى الشخص من طيب إلى شرير أو بالعكس.

الطريقة الثالثة هى تقسيم الاتجاه نحو الشخص بما يتواءم مع المعلومات غير المتوازنة، مثال ذلك: «أن الحياة الشخصية للرؤساء والزعماء هى ملك لهم ولا علاقة لها بأدائهم السياسى أو الوطنى»، «أن علاقتى بأصدقائى لا يتدخل فيها تصرفاتهم فى مجال العمل أو فى مجال الأسرة». وهكذا... (انسكو وسكوبلر ١٩٩٣)(١).

تعتبر نظرية التنافر Dissonance إحدى نظريات الدافعية الاجتماعية، وذلك أن التنافر المعرفى ينتج في حالات الصراع المعرفى من نمط إقدام - إحجام، إقدام إحجام، بمعنى أنه عندما يكون على الشخص أن يختار بين بديلين، لكل بديل عيوب وميزات، فإن المقولة الأساسية لفستنجر صاحب النظرية تتحقق حيث يقول: «ينتج التنافر المعرفى Cogivitive Dissonance حينما يكون معكوس إحدى الرغبات ناتجا عن ظهور الأخرى» انسكو ـ سكوبلر: ١٤٦)(١).

وحينما يقوم الشخص باختيار أحد البديلين (قراءة كتاب أو الذهاب للسينما) فإنه يشعر بالندم لفقدان إيجابيات البديل المتروك ولقبوله سلبيات البديل الذى تم اختياره. هذا التنافر هو حالة دافعية توجه الشخص إلى القيام بمجهود إضافى للتقليل من إيجابيات البديل الآخر، وكذلك من سلبيات البديل الذى تم اختياره. وهذا يفسر لماذا نهتم بالسؤال عن سعر الحذاء الذى اشتريناه فى المحلات الأخرى، على أمل أن نتأكد أن اختيارنا كان الأفضل مما يقلل من التنافر المعرفى.

٨-حاجات تقدير الذات وتحقيق الذات:

حدد ماسلو (١٩٥٤)(٤٥) خمسة مستويات للحاجات الإنسانية، الفسيولوجية، حاجات الأمن، الحاجات الاجتماعية، حاجات تقدير الذات، حاجات تحقيق الذات.

ورغم ذيوع تصنيف ماسلو، إلا أن الدراسات التى حاولت اختباره بشكل واقعى خصوصا التى استخدمت التحليل العاملى لم تساند تلك التقسيمات الخمسة التى

ذكرها، بل توصلت إلى تقسيمين فقط، حاجات فسيولوجية، وحاجات سيكلوجية (مثال تانج - وست ١٩٩٧)[٤٦]، ويؤكد لاولر (١٩٧٣)[٤١] على أنه من غير الدقيق أن نفترض أكثر من مستويين للحاجات الإنسانية، حاجات البقاء والأمن، والحاجات فى المستوى الأعلى.

وتساند العديد من النتائج ماتوصلت إليه الدراسات السابقة من عدم إمكانية الفصل أو التمييز بين الحاجات السيكلوجية العليا الثلاثة، فهى تشكل سلسلة متداخلة من الحاجات التى تفضى كل واحدة إلى الأخرى بغير حواجز كالتى اقترحها ماسلو. (فرانكين ١٩٨٢)[٣٥] والمكون النفسى ذو العلاقة بالسلوك الاجتماعى يتضمن حاجة الحب والانتماء Beloningngss وتعنى الحاجة للارتباط بالآخرين وبتقبل الآخرين لهم، أما الحاجة للتقدير Esteem need فتشير إلى معنيين، **الأول** هو الحاجة إلى القوة - الإنجاز - الكفاية - التمكن، **والثانى** هو الحاجة إلى السمعة، المكانة، الشهرة، الفخر، الأهمية، الكرامة. ويؤدى إشباع هذه الحاجة إلى الشعور بالثقة، القيمة، القوة.

والحاجة إلى تحقيق الذات تعنى الحاجة إلى التفرد، إلى إرضاء ما يتصوره عن نفسه المتميزة عن الآخرين فى مهارات القدرات، وتحقيق الذات لا يتم إلا بالبحث عن الشىء الذى يتميز به الشخص عن الآخرين (فرانكين ١٩٨٢)[٣٥].

ويرى روجرز أن الميل إلى تحقيق الذات يتركز على إنماء الذات من خلال توجهها إلى الأنشطة المتصلة بالنمو والارتقاء، ومن ثم يرى أن دافع تحقيق الذات له وظيفة صائنة للفرد ومحققة لإمكاناته (محيى الدين أحمد حسين)[٢٠] وذلك في إطار البيئة الاجتماعية الإنسانية.

* * *

الفصل الثالث

أشكال السلوك الاجتماعى

الإيثار والعدوان

اتفقت مراجع عديدة على أن السلوك المحبذ اجتماعيا Prosocial Behavior يمكن تصنيفه حسب متصل واحد هو الايثار Altruism – العدوان Aggression ويؤكد كيربس – ميلر (١٩٨٥)[٣٩] أن هذين الشكلين من السلوك الاجتماعى يحملان أهم انفعالين دافعين للسلوك الاجتماعى وهما التعاطف Empathy – الغضب Anger، ورغم تباينهما فى الاتجاه، إلا أنهما يشكلان أهم نماذج السلوك الاجتماعى، كما أن العمليات البيولوجية والثقافية الدافعة لهذين السلوكين متشابهة إلى حد كبير، وأغلب الاستنتاجات التى نتوصل إليها عن أحدهما تنطبق على الآخر، كما تنطبق على غيرهما من أشكال السلوك الاجتماعى الذى قد لا يبدو واقعا على هذا المتصل، وهو متصل السلوك المرغوب – غير المرغوب اجتماعيا Desirable - Undesirable.

يؤكد على هذه الرؤية ما توصل إليه معتز سيد عبد الله فى دراسة حديثة (١٩٩٨)[٢١] من مراجعة لعدد من دراسات علم النفس الاجتماعى حيث يقول: «إن مختلف أشكال التفاعل الاجتماعى بين الأفراد تأخذ محورين أساسيين: المحور الأول تنتظم حوله بحوث التعصب والصراع، والكراهية، والنفور، والتمييز، والعدوان، وإيذاء الآخرين، والمحور الثانى ينتظم حول التجارب، المودة، المحبة، التعاون، الثقة، الإيثار المعاونة والمساندة، وحتى دراسة الاتجاهات وتغييرها كانت قاسما مشتركا بين دراسات هذين المحورين (ص١٥٧).

الإيثار Altruism:

الإيثار والمعاونة بإعطاء الآخرين وقتا أو جهدا أو إمكانيات ذاتية هى ظاهرة هامة فى تسهيل حركة المجتمع (فرانكين ١٩٨٢)[٣٥]، لكن السؤال الذى كان موضع البحث هو عن دوافع الشخص لمعاونة الآخرين، هل يعاونونهم لأنهم يهتمون بمصلحة هؤلاء الآخرين، أم لتحقيق مصالح ذاتية، هل نساعد الآخرين لأننا ننتظر منهم جزاء أو ردا للجميل مقابل ذلك، وماهى قيمة هذا المقابل – هل تساوى ما نقدمه أم أكثر أم أقل، فإذا لم يكن العائد المتوقع أكبر مما بذلناه من تضحية – فلماذا إذن نعاون الآخرين، هل نحن مدفوعون لأن نكون خدما للجميع أم نحن مدفوعون لتدمير أنفسنا بغير مقابل.

تشير نتائج الدراسات عن السلوك الإيثارى إلى ما يلى من نتائج:

١- يفترض معيار التبادلية أن كل سلوكيات الإيثار يحتملها معيار التبادل (فرانكين ١٩٨٢: ٤٣٣)[٣٥] إذ يقدم الشخص المعاونة لمن سبق أن تلقى منه هذه المعاونة قبل ذلك (فشباين - كارمنيسكى ١٩٨٥)[٣٤]، أو يقدمها لشخص ربما يردها له فى المستقبل، فإذا تأكد أنه لن يتذكر ذلك مستقبلاً فإن الدافع لتقديمها سوف يقل (سميث وآخرون ١٩٩٨)[٤٩].

٢- قد تصدر المعاونة للآخرين بهدف فرض السيطرة على هؤلاء الآخرين. وقد أشار ونتر (فى فرانكين ١٩٨٢)[٣٥] أن بعض الناس تتدخل لحماية الضعفاء كنوع من تأكيد سيطرتهم ونفوذهم، والعائد المتوقع هو المزيد من فرض السيطرة.

٣- يرتبط السلوك الإيثارى بالحالة المزاجية، وإن اختلفت الدراسات فى اتجاه هذه الحالة فقد توصل كيربس فى استعراضه لـ ١٦ تجربة فى السلوك الإيثارى إلى أن ذلك السلوك يزيد كلما زادت الحالة المزاجية الموجبة (فرانكين ١٩٨٢)[٣٥] وكذلك أكدت دراسة إيزنبرج - فابس (١٩٩٠)[٣٣] أن سمة التعاطف ترتبط إيجابيا بالسلوك المحبذ اجتماعيا - خاصة الإيثار - فى حين ارتبط بالتوتر الشخصى بصورة سالبة، لكن كيربس توصل إلى أن جزءا آخر من نتائج هذه الدراسات توصل إلى أن المعاونة تزيد بزيادة الحالة المزاجية السيئة، كذلك توصل كيالدينى وآخرون (١٩٨٧)[٣٠] إلى أن السلوك الإيثارى هو وسيلة للتخلص من الحزن الشخصى على الضحية، فالإيثار بهذا المعنى يحمل سلوكا أنانيا هو التخلص من الألم أكثر من الرغبة فى معاونة الضحية (عبد الحميد صفوت إبراهيم ١٩٩٦)[١٠].

٤ ـ ويلعب الشعور بالقوة دورا فى السلوك الإيثارى، فقد يكون أحد دوافع ذلك السلوك هو الرغبة فى ممارسة القوة لدفع الظلم عن الضحايا، ولكن المردود المنتظر ليس من إشباع قيمة الإيثار ولكن من ممارسة القوة فى ذاتها. من جهة أخرى يلاحظ كلارك- ١٩٨٠- (فى فرانكين ١٩٨٢)[٢٠] أن من يحركه دافع القوة يفقد مشاعر التعاطف والمشاركة مع الضعفاء فى مشاعرهم بالجوع والقلق، ويحوله إلى شخص قاسى القلب يسعى للحروب والعنف، ويقف ضد من يخالفونه الرأى.

٥ ـ وللتنشئة الاجتماعية دور فى تشكيل السلوك الإيثارى أو السلوك المحبذ اجتماعيا Prosocial، وفى عدد من التجارب توصل بركوفيتز وزملاؤه إلى أن المعاونة أصبحت معيارا تم استدماجه ذاتيا وصار دافعا داخليا للسلوك. (فى لوت ـ لوت ١٩٨٥)(٤٤).

٦ ـ والإيثار، كقيمة ذاتية يتم اكتسابها من خلال التنشئة التى تهدف إلى إفادة الآخرين كهدف فى ذاته، وقد اتضح أنها تستمد من القيم الدينية، وتميز الدراسات بين التدين الظاهرى والتدين الأصيل، حيث ترتبط قيمة الإيثار بالنوع الثانى (عبد الحميد صفوت إبراهيم ١٩٩٦- ٢٩)(١٠)، غير أن كينريك وزملاءه (فى لوت - لوت ١٩٨٥)(٤٤) ركزوا على قيمة الشهامة Benevolence لدى الراشدين كدافع يتم إشباعه عن طريق السلوك الإيثارى.

٧ ـ لايبدو أن معيار التبادلية ملائم لتفسير اشكال السلوك الإيثارى، وإلا فلن يجد الطفل الضعيف أو الشيخ العجوز من يقدم لهم المعونة على أساس استحالة أن يردوها فى يوم من الأيام، من هنا فإن معيار المسئولية الاجتماعية يفسر المعاونة فى مثل هذه الحالات، ففى دراسات لاتانيه – دارلى اتضح أنه كلما قل عدد الغرباء تزيد الرغبة فى التدخل لنجدة المحتاج، (انسكو – سكوبلر ١٩٩٣ : ٥١٨)(١) فحسب معيار المسئولية الاجتماعية حينما وجد المبحوثون في تجربة دارلنجتون ـ ماكر (فى لوت – لوت ١٩٨٥)(٤٤) أن تأخرهم فى التبرع بالدم أدى إلى إضرار بالمرضى زادت رغبتهم بالتبرع بالدم فى الفرصة التالية.

٨ ـ ويلعب معيار العدالة دورا آخر فى تفسير السلوك الإيثارى، فقد أكد (جونز ١٩٨٥)(٣٨) أن الرغبة فى تقديم العون للآخرين تظهر عندما يشعر المبحوث أنه أخذ أكثر من حقه، وتظهر الأنانية إذا شعر أنه لم يحصل على حقه مثل الآخرين.

هذا من جهة الضحية، ولكن الأمر يختلف من جهة الشخص الذى يشاهد ظلما أو عدوانا يقع على شخص معين. فقد يسارع بتقديم الخدمة أو التدخل لمساعدة من يطلب المعاونة فى حالة الشعور بأنه مظلوم، لكن فى ظروف معينة قد يشعر هؤلاء الملاحظون أن الضحية يستحق أن يقع فى هذا المأزق حسب مبدأ (الشعور بعدالة العالم) فكل ما يحدث للناس حسب هذا الرأى هو نتيجة محتمة لأفعالهم. (فرانكين ١٩٨٢)(٣٥).

ويعنى هـذا المبدأ أن فى التـعرض للعـقاب أو الإصابة أو وقـوعه أكثـر من مرة كضحيـة للسرقة أو للاغتصاب يدفع بـالآخرين إلى تخيل أنه يستحـق ذلك بسبب سوء تصرفاته أو رغبته الخفية فى الوقوع فى هذا الموقف، ونجد تطبيقا لهذا المبدأ فى التعصب العنصرى، حيث إن استمرار تعرض الزنوج للإهانة يدفع بالناس إلى أدانتهم باعتبار أنهم السبب فى ذلك. كذلك يميل البعض إلى أدانة الفتاة التى تتعرض للاغتصاب باعتبار أنها هى التى تتسبب فى دفع المجرم إلى جريمته.

٩ ـ استـعرض لـوت - لوت (١٩٨٥)(٤٤) عددا مـن دراسات ارتباط الـسلوك الايثارى بالـتدعيم خصـوصا عند الأطفال، وتـوصل إلى أن مقدار التـدعيم الذى يحصل عليه الطفل يرتبط بحمـاسة لإعادة القيام بالسلوك الإيثارى من جديد - وتصدق النفس التنيجة علـى التدعيم السالب، حيث لاحظ باتسون وآخـرون أن تكلفـة السلـوك الإيثارى كـلما زادت عـن الحد المعـقول يمـيل المبـحوثـون إلى تجنـب ذلك السـلوك. (عبـد الحـميـد صفـوت إبراهـيم، ١٩٩٦)(١٠)،من هنا تتضح أهمـية التدعيم فى تنشئـة الأطفال على السلوك الإيثارى، ولكن لابد ـ كما يؤكد(أورجان، ١٩٨٨)(٤٧) ـ أن يتحول الإيثار إلى قيـمة مستدمـجة ذاتيا ومستـقلة عن انتظار التـدعيم الخارجى كلمـا كبر الإنسان.

١٠ ـ وعـموما، فإن الـسلوك الإيثـارى ينشأ عن دوافع إما داخلية Intrinsic أى أن الشخص يرضى ذاته من خلالها،أو دوافع خارجية Extrinsic تتأثر أساسا بقدر المكاسب والخـسائر التى قد تلحق بالشخص بـسبب أداء ذلك السلوك، وقد أجرى عبد الحميد صفوت إبراهيم (١٩٩٦)(١٠) دراسة قام فيها بالمقارنة بين الدوافـع الداخليـة والدوافـع الخارجـية للـسلوك الإيثـارى بين ٢٢٦ من معلمى مدارس التعليم العام بمحافـظات: القاهرة، القناة، والشرقية؛ لدراسة أسباب تقـديمهم المعاونة لزملائهم، وتـوصلت الدراسة من التحليـل العاملى لعدد ٥٤ فقرة إلى تسـعة عوامل تمثل الدوافع الرئيسية للـمعاونة والإيثار بين المعـلمـين، أمـكن تصنيفـها إلى عوامل داخليـة، وعوامل خارجيـة للإيثار والمعـاونة؛ كـانت العـوامل الداخـليـة: الدوافع الأخـلاقيـة، الفخـر بالمؤسسـة، إرضاء قيمـة العمل، الشعـور بالتلقائيـة، أما العوامل الخـارجية للإيثار فكانت للمكسب المادى، بهدف تـبادل الخدمات، بهدف كسب النفوذ

الاجتماعى، بهدف كسب الشهرة والسمعة، بهدف كسب تقدير الجماعة وكانت العوامل الخارجية أكثر وزنا من العوامل الداخلية للمعاونة بين المعلمين.

العدوان AGGRESSION:

يستخدم السيكولوچيون مصطلح العدوان للإشارة إلى السلوكيات التى تهدف إلى إيذاء شخص آخر (فرانكين ١٩٨٢: ٢٦٥)[٣٥]. ويضع السيكولوچيون أهمية خاصة على النية أو الهدف من السلوك، حيث إن شخصا قد يؤذى آخر بغير قصد فلا يعتبر عدوانا أما عن أشكال العدوان فإنها تختلف حسب السن والثقافة وطبيعة الموقف، فبينما يميل الأطفال إلى العدوان الجسدى، يتجنب الراشدون ذلك ويستبدلونه بالعدوان اللفظى أو الرمزى.

أنواع العدوان: حدد (فرانكين، ١١٩٨٢)[٣٥] عددا من أنواع العدوان وهى:

١- **عدوان بين الذكور** Intermale، سلوك التهديد - الهجوم - أو الخضوع من جانب ذكر كاستجابة لذكر غريب.

٢- **عدوان الخوف:** سلوك عدوانى يظهر عند هجوم شخص آخر أو عند التمهيد للانسحاب.

٣- **عدوان الأرض:** سلوك التهديد أو الهجوم عند ظهور شخص غريب فى أملاك القائم بالسلوك.

٤- **عدوان أمومى:** تقوم به الأم عندما ترى غريبا بالقرب من أبنائها.

٥- **عدوان المضايقة:** هجوم أو سلوك تدميرى موجه ضد أى موضوع نتيجة الإحباط، الألم، الحرمان، أو أى ضغوط أخرى.

٦- **عدوان إجرائى:** سلوك عدوانى يصدر لأنه سبق أن صحبه تدعيم أو تعزيز.

٧- **عدوان الجنس:** سلوك عدوانى ينتج عند نفس المثير الذى أثار السلوك الجنسى.

العوامل المؤدية للعدوان: توجد عوامل ليست فى حد ذاتها سببا فى العدوان ولكنها تسهل أو تحبط السلوك العدوانى، مثل:

١ - الضجيج Noise والذى ثبت أنه يزيد من الإثارة الفسيولوچية والذى يؤدى إلى العدوان، وقد توصل دونور نتين - ويلسون إلى وجود علاقة قوية بين زيادة الضجيج وزيادة الغضب (فرانكين، ١٩٨٢)[٣٥].

٢ ـ ترتبط الإثارة الجنسية بالعدوان، فقد توصلت دراسات متعددة إلى أن المثيرات المؤدية إلى إثارة جنسية قوية تؤدى فى نفس الوقت إلى ظهور العدوان، وتوصلت دراسة تجريبية أجراها بارون - بيل (فرانكين، ١٩٨٢)[٣٥] إلى أن العلاقة بين الإثارة الجنسية والعدوان منحنية الشكل حيث يقل العدوان مع الدرجة المتوسطة للإثارة الجنسية.

٣ ـ يرتبط الزحام بتسهيل العدوان، حيث يؤدى إلى الإثارة التى تؤدى إلى العدوان، وقد توصل عبد الحميد صفوت فى دراسة على إحداث الشغب فى إحدى ضواحى القاهرة إلى أن الزحام يجعل من البيئة والبشر القاطنين فيها بيئة صالحة لظهور الضعف والشغب الجماعى (عبد الحميد صفوت إبراهيم ١٩٩٠)[٧].

٤ـ يؤدى ارتفاع حرارة الجو إلى زيادة الاستعداد لسلوكيات العنف؛ وذلك لما تسببه من زيادة التوتر وضيق الخلق، وقد توصلت الدراسات التجريبية فى الموضوع إلى أنه كلما تزيد درجة الحرارة يزيد السلوك العدوانى إلى حد معين، ثم يقل العدوان مع استمرار الحرارة فى الزيادة. (عبد الحميد صفوت إبراهيم ١٩٩٠)[٧].

٥ ـ للتلوث والأتربة والغبار والروائح الكريهة أثر فى الإصابة ببعض الأمراض كأمراض القلب والصداع ومشاعر الإجهاد والتعب (عسكر والانصارى ١٩٨٣: ٤٣)[١١] ويؤدى التفكير الدائم فيها وإلى البحث عن طرق الوقاية فيها إلى عبء معرفى يستنزف طاقة المتعرضين له مما يؤدى إلى الضغوط المؤدية إلى العدوان وذلك كما ظهر فى الدراسة المصرية على العنف الجماعى (عبد الحميد صفوت ١٩٩٠)[٧].

٦ ـ استعرض عبد الحميد صفوت (١٩٩٠)[٧] عددا كبيرا من الدراسات على تسلسل الحرمان - الإحباط - العدوان DFA، والتى حاولت الربط بين إحداث العدوان والعنف الجماعي وبين المناطق المحرومة من الخدمات، والتى تزيد فيها البطالة، هذا الحرمان الذى يزيد من مشاعر الإحباط، والذى يؤدى بدوره إلى العدوان، وقد أكدت دراسة فى مصر على صدق هذا التسلسل، لكن الباحثين أكدوا فى انتقاداتهم لهذه الدراسات على أهمية العمليات المعرفية فى تفسير الإحباط (إسناد الإحباط Attribution) إلى المصادر التى يتجه إليها العدوان، فإذا توجهت العمليات المعرفية إلى منحى آخر فقد يتغير

اتجاه هذه السلسلة، مثال ذلك قد يفسر الإحباط باعتبار أن سببه هو النظا الحاكم، أو الأسرة الفقيرة التى اهتمت بإنجاب الشخص دون تأمينه، أو إلى النظام العالمى، أو إلى محافظ الإقليم، أو إلى القضاء والقدر، وكل تفسير من هؤلاء يؤدى إلى نتائج مختلفة - بل قد لا يؤدى إلى العدوان نهائيا لو كان مصدره القضاء والقدر.

٧ ـ وإذا كانت هذه العوامل الموقفية تفسر العدوان كنتيجة مباشرة لملابسات الموقف، فإن للعدوان مصادر أخرى تشكل استعداد الشخص للعدوان منها العوامل العصبية والهورمونية والتى تسبب الاستثارة، ومنها عوامل الغريزة والاستعداد الموروث، كذلك فالعدوانية يتم تعلمها كأسلوب للاستجابة، من خلال وسائل التنشئة الاجتماعية، وقد ينتج العدوان عن خبرات نفسية طفلية، مشاعر نقص، أو تقليد الآخرين العدوانيين سواء المحيطين بالشخص أو أبطال مسلسلات التليفزيون والسينما.

مستويات السلوك الاجتماعى

يصدر السلوك الاجتماعى من الفرد إما فى علاقة بشخص آخر (العلاقة الثنائية) أو بمجموعة أصدقاء أو أحباء أو رفاق (الجماعات السيكولوچية غير الرسمية) أو تجاه التجمعات الرسمية كعلاقات العمل، علاقات المواطنين، أعضاء الأحزاب والمؤسسات الرسمية والدينية، العلاقة بالنظام السياسى أو الاجتماعى أو القيمى، أجهزة الإعلام والصحافة، النوادى الرياضية (السلوك الجمعى).

ونظرا لأهمية هذه التقسيمات فقد انقسم علم النفس الاجتماعى إلى تخصصات تحولت إلى فروع مستقلة لهذا العلم بما يميزها من طرق خاصة للبحث والنظريات التفسيرية والاستفادة التطبيقية، هذا مع العلم أن بعض الفروع البحثية نشأ قبل التسمية الرسمية لعلم النفس الاجتماعى مثل سيكولوچية الشعوب أو الحرب النفسية على سبيل المثال.

ونعرض باختصار لهذه المستويات من السلوك الاجتماعى مع بيان أهميتها التطبيقية.

* * *

الفصل الرابع

سيكولوجية العلاقات الثنائية

يصدر هذا السلوك فى علاقة الشخص بشخص آخر واحد، وأبرز هذه العلاقات هى العلاقة بالأم ـ الزوجة ـ زميل آخر فى تفاوض أو صراع أو مباراة أو منافسة أو حتى مجرد الصداقة.

وتدور اهتمامات البحوث والتفسيرات للعلاقات الثنائية على الموضوعات التالية:

١ ـ أسس الانتباه الاجتماعى.

٢ ـ أسس الإدراك الاجتماعى.

٣ ـ تكوين الانطباعات لدى الذات ولدى الآخرين.

٤ ـ تفسير سلوك الآخرين والذات وظاهرة الإسناد ومركز التحكم.

٥ ـ أسس التسهيل الاجتماعى.

٦ ـ أسس التجاذب الاجتماعى.

٧ ـ المعايير والطاعة.

١ ـ أسس الانتباه للموضوعات الاجتماعية:

تقع المثيرات على حواسنا بأعداد كبيرة جدا كالأصوات والأضواء والروائح ودرجات الحرارة، فضلا من المثيرات التى تقع على الجلد كالضغط والوخز، كما أن هناك مثيرات داخلية كالجوع والعطش والمرارة والألم بدرجاتها المختلفة بين القوة والضعف، ولما كان من المستحيل أن نستجيب لكل هذه المثيرات فى نفس اللحظة، بطبيعة الحال، فإن الإنسان ـ شأن غيره من الكائنات العليا ـ ينتبه إلى بعض هذه المثيرات التى يرغب أن يستجيب لها، أو التى لها معنى أو أهمية لديه.

وهناك عدة عوامل تؤثر فى انتباهنا لمثير معين دون سواه، بعضها خارجى ينتج عن خواص المثير ذاته مثل أ ـ شدة المثير: فالأصوات العالية تلفت الانتباه أكثر من الضعيفة، ب ـ تكرار المثير؛ فلو صاح أحد «النجدة» مرة واحدة فلن تلفت النظر مثلما يكررها مرات متعددة، جـ ـ التغير: فنحن لا نشعر بدقات الساعة فى الحجرة لكنها إن

توقفت عن الدق فسوف نتنبه إليها، د ـ التباين: حيث إن وجود امرأة وسط الرجال ـ أو رجلا وسط النساء يلفت الانتباه لاختلافه عنهم، هـ ـ الحركة: فالإعلان المتحرك يلفت الانتباه عن الإعلان الثابت، و ـ الموضع: فالمثير المرتفع عن مستوى العين يلفت النظر عن المثير المنخفض عن مستوى العين، والأخبار التى فى الصفحة الأولى والأخيرة تلفت الانتباه بالمقارنة بالأخبار الداخلية. (فرج طه ١٩٩٩: ١٨٥ ـ ١٨٦)[١٢] .

هناك عوامل داخلية تهيئ الفرد وتدفعه للانتباه إلى بعض المثيرات دون غيرها، وهى التهيؤ الذهنى (الحساسية الانتقائية والتشويه الإدراكى:

أ ـ فالتهيؤ الذهنى MENTAL SET يؤدى إلى توقع الشخص أو انتظاره لظهور مثير معين مما يؤدى إلى سرعة الانتباه إليه:

ـ فالناجح يكون أكثر حساسية للانتباه لكلمات النجاح بعكس الفاشل الذى يكون أكثر انتباها لفشل الآخرين (كرتش وزملاؤه ١٩٦٣)[٤٠] .

ـ وتلعب المهنة دورا فى هذا التهيؤ الذهنى المتخصص فى مادة الأحياء، إذا زار حديقة الحيوان فإنه ينتبه إلى الفروق الدقيقة بين الأنواع والفصائل، فى حين لا ينتبه إلى ذلك غير المتخصص، (فرج طه ١٩٩٩)[١٢] . أما إذا تصورنا محاضرا وضابطا بالمطافئ يدخلان سويا إلى قاعة محاضرات مزدحمة عن آخرها بالطلاب فقد ينتبه المحاضر إلى مدى اهتمام الطلاب ومتابعتهم للدرس، فى حين ينتبه الضابط إلى عدد مخارج الطوارئ واحتياطيات الحريق المتوافرة فى المكان (كرتش وزملاؤه ١٩٦٣)[٤٠] .

ويؤثر نوع التعليم فى التهيؤ الذهنى للانتباه، فقد عرض فولى ـ ماكميلان عددا من الكلمات (مثل يطبق ـ خلية ـ يشكو) على طلاب فى تخصصات الطب والحقوق، فاختلفت تفسيراتهم لنفس الكلمات حسب نوع تعليمهم، فالخلية فى الطب تعنى جزءا من نسيج الإنسان أما فى القانون فتعنى تنظيما غير مشروع. (كرتش وزملاؤه ١٩٦٣)[٤٠] .

ب ـ وقد تقوم بتشويه المثيرات حتى يتحقق ما نتوقع حدوثه، فقد تصمم الأم أن من يدق الباب هو ابنها الغائب رغم تأكد الجميع أنه ليس ذلك.

٢ ـ أسس الإدراك الاجتماعى:

يميز فرج طه بين نوعين من الإدراك: الإدراك الحسى والإدراك العقلى. **فالأول ـ** هو ما يعنينا هنا ـ هو تفسير ما سبق الانتباه إليه، أى إضفاء معنى على ما سبق أن استقبلناه من مثيرات، **أما الإدراك العقلى** فهو شيء آخر يتعلق بالاستبصار والتأمل والتفكير (فرج طه ١٩٩٩: ١٨٧)[١٢] .

والإدراك هو تفسير ما يحس به الإنسان وإضفـاء المعنى عليه، فالمثيرات قد تكون مجموعـة من النقاط الضوئيـة أو النغمات الصوتيـة، يدركها الشخص على أنـها إلقاء التحية، أو علامة على الإهانة مما يفيد من نوع الاستجابة التى يصدرها ذلك الشخص.

وهناك عوامل موضوعية وعوامل ذاتية للإدراك.

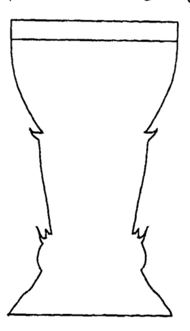
أ ـ العوامل الموضوعية للإدراك:

يتم إضفاء المعنى على المثير ـ الإدراك ـ من خلال عملية تنظيمية فى ترتيب يسمح بالفهم والاستيعاب: ويلعب **نظام المثير** دورا فى كيفية إدراكنا له، فنحن نميل إلى إدراك المثير حسب إدراكنا للمثير المجاور له (**مبدأ التجاور**) وفى المثل الشعبى يقولون: «من جاور الحداد ينكوى بناره»، وكذلك يركز الحديث الشريف على حسن اختيار الأصدقاء فيشبه من يصادق الطيبين بحامل المسك ومن يصادق الأشرار بنافخ الكير.

وإذا كانت المثيرات متنوعة يميل الشخص إلى تنظيمها حسب (**مبدأ التشابه**) فكل المثيرات المتشابهه تنتظم فى نظام له علاقة بغيرها من المجموعات الأخرى، ويوضح المثال التالى نموذجا لعملية التنظيم الإدراكى.

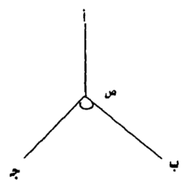
إذا نظرنا إلى الشكل ففى الغالب سنميل إلى تنظيمه إلى أعمدة حسب مبدأ التشابه، رغم أن تنظيمه إلى صفوف عرضيـة أكثر تقاربا. فى المجال الاجتماعى نقول: «إن الطيور على أشكالها تقع»، حيث يعكس ذلك مبدأ التشابه فى تنظيمنا الإدراكى للمثيرات التى ننتبه إليها.

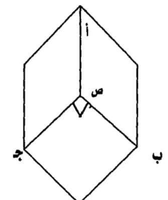
ـ من أمثلة تأثير نظـام المثير على إدراكنا له نجد ميل الإنسان إلى تـقسيم المثيرات إلى **شكل وأرضية**، ويوضح الشكل التالى ما نعنيه بالتنظيم الإدراكى.



هذا الشـكل قد تـدركه على أنـه وجهين مـتقـابلين أو على أنـه كأس وبالـطبع ستختلف استجاباتنا تبعا للطريقة التى نظمنا بها المثير.

ـ ويتأثر إدراكنا للمثير ليس فقط بتنظيمه الداخلى، ولكن **بالإطار المرجعى** الذى يوجد فيه هذا المثير، والشكل التالى يوضح ذلك.





فى الشكل الأول تـبدو زاوية ص حادة، ولكن عـندما نتصـور المنظور أو الإطار الذى توجد فـيه هذه الزاوية فسوف ندرك أنهـا زاوية قائمة فى الشكل الـتالى، وللإطار المرجعى تطبيقات اجتماعية كثيرة:

ـ فلا يمكن أن نحكم على أداء لاعب رياضى بأنه متفوق أو عادى إلا إذا عرفنا الرقم القياسى السابق عليه.

ـ وتؤثر أفكارنا عن الجماعات المحيطة بنا فى أحكامنا على أعضاء هذه الجماعات، فإذا كنا نحمل عن الزنوج فكرة نمطية Stereatype ملخصها أنهم أغبياء، وقابلنا زنجيا ذكاؤه عادى فسيكون بالنسبة لنا بالغ الذكاء، كذلك الحال إذا كانت أفكارنا النمطية عن اليهود أنهم بخلاء، وقابلنا يهوديا سلوكه عادى فسنراه بالغ الكرم.

ـ أضاف هلسون (فى كرتش وزملائه ١٩٦٣)(٤٠) . ما يسميه بالمستوى التكيفى Adavtation level فالفرد عموما يتخذ موقفا وسطيا أو متطرفا فى آرائه بالمقارنة بالآخرين، وما يحدث عندما تتغير آراء المحيطين به إلى التطرف أنه سيصبح أكثر تطرفا منهم.

٢ـ تكوين الانطباعات IMPRESSION FORMATION:

تتحدد سلوكياتنا تجاه الآخرين بانطباعنا عنهم، فإذا تكون عندى انطباع جيد عن شخص معين، يؤدى ذلك إلى سهولة التعامل وقبول التصرفات والتجاذب فيما بينى وبينه، ومن منطلق المفاهيم التى استعرضناها عن الإدراك نقول: إن الانطباع IMPRESSION هو الإطار الذى تفسر على أساسه تصرفات الأفراد، فمهما كانت تصرفاتهم خشنة أو متباعدة فإن ذلك يتم تفسيره على ضوء حسن النوايا وعدم الرغبة فى الإساءة، وذلك بعكس من نحمل عنهم انطباعا سيئا، والسؤال الآن كيف تتكون الانطباعات عن الآخرين.

أ ـ مفهوم النظرية الدارجة فى الشخصية

LAY THEORY OF PRESONALITY

يرى برونر ـ شابيرو ـ تاجيورى (فى اتسكو ـ سكويلر ١٩٩٣)(١٠). أن الناس لديهم نظرية شعبية أو دارجة فى الآخرين، فالشخص الذكى فى الغالب يكون شخصا منتجا واقتصاديا، أى أن الناس يحكمون على الشخص من خلال صفة واحدة فيشكلون حكما أو انطباعا شاملا عنه.

ب ـ تأثير الأولية Primacy effect:

يتأثر البعض بأول معلومات يعرفونها عن الآخرين ليشكلوا انطباعهم عن هؤلاء الآخرين، هؤلاء الناس نسميهم بالانطباعيين Impressionists، ولقد أجرى آش تجربة قدم فيها ست صفات عن شخص معين (ذكى ـ منتج ـ مندفع ـ ناقد ـ عنيد ـ حسود)

وقدم آش لإحدى المجموعـات هذه الصفات بالترتيب المذكور، وقدمهـا لمجموعة أخرى بترتيب معكوس، وطـلب من الجميع أن يكتبوا رأيهم فى هذا الـشخص، دلت النتائج على أن الانطباع اختلف تماما فيما بين المجـموعتين بسبب ترتيب الصفات التى قدمت لهم. وقد أكدت نتائج آش تجارب أجراها لوشـينز، أندرسون والذى فسر ما يحدث من اختلاف فى الانطباعات على أساس أن الشخص عـندما يحصل على أول معلومة، فإنه يميل إلى استبعاد المعلومات التى تتناقض مـعها، أو أنه لا ينتبه إلى المعلومات التى تأتى متأخرة بالمقارنة بالمعلومات الأولية، وقد توصل ثيبو ـ روس إلى أن الشخص كلما أعلن عن انطباعاته أمام الآخرين فإن ذلك يشكل التزاما بالتمسك بهذه الانطباعات.

جـ ـ تأثير الحداثة Recency effect:

ليس من المنطقـى أن يتمسك البعض بآرائهـم أو انطباعاتهم عن الشخـص مهما جاءت معلومات مـستحدثة مناقضة لانطـباعنا الأول، والأمثلة الشعبيـة التى تحذرنا من الاستمـرار فى الانطباع الأول عديدة، فـالمثل يقول «اللى تحـسبه موسى يطلـع فرعون» و«فى الوش مراية وفى القفا سلاَّية»، و«اللى يعيش ياما يشوف، قالوا اللى يمشى يشوف أكثر».

أما فى الممارسـة الفعلية فلا نتـصور أن المدرس الذى يحصل أحد تـلاميذه على درجة ضعـيفة فى أول العام سيـظل متمسكا بانطـباعه عنه إلى آخر العـام، وقد أجرى ويلسون ـ انسـكو دراسة تجريبية بـدأ فيها المساعـدون بسلوك تعاونى ثم تغـير ذلك إلى السلوك التنافسى، وبالعكس كان الترتيب مع المجـموعة الثانية، وقد سئل المبحوثون عن رأيهم فى سلوك هؤلاء المساعدين فكان الرأى يعتمد على المعلومات الأخيرة.

د ـ تأثير المركزية:

لاحظ آش أن هناك صفات أكثر أهمية من صفات أخرى فى تكوين الانطباعات، سواء ترتيـب معـرفتـنا بها فى البداية أو النهـاية وفى ثقافتنا العربية والإسلامية والمصرية بعض الصـفات التى ما إن نعرفـها عن الشـخص حتى يتـغيـر انطباعنا بشكل يتـفـق مع هذه الصـفة، مثـال ذلك الإيمان أو الكفـر، بر الوالدين ـ عـقوق الوالديـن، الكرم ـ البـخل، الذكاء ـ الـغباء. هـذه الصفـات مركـزية تشكل فـى واقعنا أسـاسا لتـكوين الانطبـاعات بصـرف الـنظر عن ترتيـبها، لتـأكيد فـكرة المركـزية كـرر آش تجـربة الانطـباع الأول حـيث قدم لمبحوثيه قـائمة من سبع صفات هى: (ذكـى ماهر ـ منتج ـ دافئ ـ مثابر ـ عـملى ـ حذر)، أما المجموعة الثـانية فاستبدل كلمـة دافئ بكلمة بارد. توصلت النتائج إلى اخـتلاف فى الانطباعات بين المجموعتـين على أساس اختلاف هذه

الصفة (الدفء ـ البرودة) فى حين لم يتضح له تأثير لسمات قام بتغييرها إلى العكس فى تجارب أخرى مثل: مؤدب ـ بليد الإحساس.

٤ـ عملية التسهيل الاجتماعى Social Facilitation:

كلنا يعلم أهمية وجودنا وسط حياة اجتماعية فى تشجيع أدائنا لأعمالنا الشخصية، والكثير من الطلاب يجتمعون فى مكان واحد ليذاكر كل منهم ما عليه من دروس، والكثير منا لا يتصور أنه سيسير عدة كيلو مترات فى طريقه إلى مدرسته دون رفيق فى الطريق، فوجود الآخر أو الآخرين يسهل أداءنا لأعمالنا حتى ولو لم يتدخل هذا الآخر فى المعاونة الفعلية لنا على أداء العمل.

اهتم بدراسة هذه الظاهرة عدد من الباحثين كان أولهم تريبلت (عام ١٨٩٧) حيث لاحظ أن الفرد يتأثر بوجود من يلاحظونه حتى ولو لم يتدخلوا فى عمله (مثال ذلك أن حماس الفريق الرياضى يزيد فى حالة وجود المشاهدين؛ بالمقارنة بأداء الفريق بدون مشاهدين) وتوصل فى دراسة تجريبية إلى صحة هذا الافتراض.

غير أن فلويد البورت عام ١٩٢١ قام بإعادة التجربة مرة أخرى وتوصل إلى أن وجود الآخرين يسهل من أداء العمل فى المهام البسيطة (مثل الأعمال اليدوية، بناء المكعبات) أما فى الأعمال المعقدة (مثل حل المسائل الرياضية) فكان وجود الآخرين بالعكس معيقا لأداء المهمة.

٥ـ التجاذب بين الثنائيات:

التجاذب مفهوم مستمد من علم الفيزياء (المغناطيسية) شأن عدد من المفاهيم التى حاولت نظرية المجال تطبيقها على العلاقات الإنسانية، ويعنى التجاذب Attraction ميلا من شخص نحو آخر، وتفضيلا له عن الآخرين، والتجاذب درجة أولية من المحبة Liking، والتى أقوى درجاتها الحب LOVE.

والسؤال الآن، ما هى العوامل التى تؤدى إلى حدوث تجاذب بين شخصين، هذا التجاذب الذى يكون البداية لتفاعلهما سويا وتكوين علاقات الصداقة أو تشكيل معاهدات الولاء والوفاء والتى يعتبر انتماؤهما لجماعة واحدة أو ارتباطهما بالزواج (فى حالة الرجل والمرأة) كلها ثمرات لعملية التجاذب.

عوامل تجاذب الثنائيات:

أـ الآخرون يشبعون حاجة الفرد إلى تقدير الذات: ابتكر فستنجر نظرية المقارنة الاجتماعية Social Comparison Theory والتى تركز على أن للبشر دافعا لتقدير

ذاتهم، هذا الدافع يتم من خلال القيـاس الموضوعى لجوانب هذه الذات إذا كانت هناك وسيلة لذلك، فالطـول والوزن ولون البشرة وقوة الصوت أو نعومتـه يمكن تقديرها من خلال المقاييس الموضوعـية، غير أن الغالبية العظمى من هـذه الصفات لا يمكن الوصول إلى تقـديرها إلا بالمـقارنة بالآخـرين مثـل: الخوف ـ الشـجاعة ـ الـقلق ـ الصـداقة ـ الاجتمـاعية ـ التفوق ـ الـنجاح ـ الفشل ـ الذكـاء، كلها صفات لا يمكـن تقدير الذات عليها إلا فى وجود الآخـرين، من هنا يؤدى الدافع للمقارنة الاجتمـاعية إلى التجاذب مع الآخريـن ويعتبـر أساسا لـلسلوك الاجتـماعى. مثـال على ذلك: إذا ظهـر صوت مخيف، فأول استـجابة يقوم بها الإنسان ـ وغيره من الكائنـات هى التجمع سويا؛ لأن فى مقارنة الخوف الفردى بدرجة خوف الآخرين يقل شعور الإنسان بالدونية أو الجبن ما دام ذلك شعورا طبيعيا بين الجميع.

ب ـ التشابه:

التشابه بين الناس هو من أهم عوامل التجاذب فيما بينهم، ففى أى تجمع نجد أن النساء تتقارب سويا والأطـفال كذلك والكبار يتجاذبون فيما بينـهم، ذلك يسهل عملية المقارنة الاجتماعية بين الناس، ولو تصورت أنـك سائح فى بلد أجنبى يتكلم أهلها بلغة لا تعرفها وسـمعت شخصا من بينهم يتـكلم بالعربية فسيكون هـو الشخص الذى تبذل الجـهـد حتى تـتـعـرف عـليـه وتصـادقه، وهكـذا أوضحت الدراسـات أن جمـاعات الأصدقاء كثيرا ما تتشابه فى الذكاء ـ مستوى التعليم، الطول، السن، الآراء والاتجاهات (بيرشيد ـ والستر ١٩٦٩)[٢٨] ، وإذا نظرنا فى العلاقات الإنسانية فيما بيننا فسنجد أن أغلب الناس يميلون إلى من يشبهونهم حتى أن المثل الشعبى يقول (الطيور على أشكالها تقع)، غير أن ذلك ليس السبب الوحيد فى التجاذب، بل إن الدرجة المتطرفة من التشابه قد لا تكون سببا فى هذا التجاذب، فمـاذا يحدث لو كان هناك شخص يتفق مع الآخر فى كل شىء، ولا يختلف عنـه أبدا، سيكون ذلك الشخص مثيرا للمـلل ومعيقا لأي عمـلية للتـفاعل الإنـسانى بين الاثنـين مما يدفعـنا إلى البـحـث عن أثر الاختـلاف فى التجاذب.

جـ ـ التكامل:

بينت دراسة فنش ـ كتسـانس عام ١٩٥٥ (فى انسكو ـ سكوبلر ١٩٩٣)[١] . أن التكامل فى إشـباع الحاجات هو العنصـر الأهم فى ظاهرة التجاذب، فالمـريض ينجذب للطبيب وليس لمريض مثله، والفقير ينجذب لغنى بقدر ما يحتاج الغنى لفقير حتى يزداد

شعوره بالكرم والعطاء، والرجل ينجذب للأنثى، والصغير ينجذب للكبير طلبا للحكمة بينما ينجذب الكبير للصغير لإظهار الحكمة أو العطف أو العطاء.

هنا نعود إلى السؤال الذى تطرحه نظرية المقارنة الاجتماعية وهو إلى أى مدى ننجذب للآخرين؟، هل إلى المتشابهين معنا أم المختلفين عنا؟، والإجابة هى أننا نتجاذب مع من يشبهوننا ليس إلى درجة التطابق، ومع من يختلفون عنا ليس إلى درجة التناقض.

د ـ التقدير الضمنى Implied evalution:

لاحظ باكمان ـ سيكورد أن الشخص إذا عرف أن هناك من يعجب به أو يمتدحه، يؤدى ذلك إلى انجذاب ذلك الشخص إلى الآخر. وتعنى كلمة ضمنى أن المدح لا يكون مباشرا وإنما يعرف به الشخص بالصدفة، وقد أجريت سلسلة من التجارب لتأثير التقدير الضمنى على نمو المشاعر الإيجابية ،واتضح لارونسون ـ ليندر أن التدرج فى زيادة مشاعر التقدير تزيد التجاذب ـ بمعنى أننى لو سمعت بالصدفة أن شخصا كلما قابلنى ازداد تقديره لى فسيزيد انجذابى إليه أكثر من شخص يمتدحنى لأقصى درجة منذ أول لقاء، لأن ذلك يعطينى دليلا على أن تقديره لشخصى يقوم على أساس موضوعى دقيق. بالطبع تقل الجاذبية فى حالة عندما يشعر الشخص أن الآخر يمتدحه بصفات ليست فيه.

هـ ـ التقارب المكانى:

يزداد التجاذب بين الناس بزيادة التقارب المكانى، فالجيران تزداد بينهم فرص الاتصال مما يتيح الفرصة للشعور بأوجه التشابه ونواحى التكامل، وقد كانت أول التجارب فى هذا المجال هى تجربة فستنجر ـ شاشتر ـ باك عام ١٩٥٠، على مجمع للإسكان الطلابى، ووجد الباحثون علاقة مباشرة بين التجاذب وبين المسافة بين الأفراد، فكلما تقاربت الغرف زاد احتمال قيام العلاقات الإنسانية فيما بينهم.

من جهة أخرى فقد يؤدى التقارب المكانى إلى عكس ذلك، ففى دراسة أجراها هوفر عام ١٩٦٦ بالولايات المتحدة على محاضر الشرطة توصل إلى أنه فى أغلب السرقات والجرائم كان المجرم إما قريبا للمجنى عليه أو على معرفة به نتيجة الجيرة، وهذا هو حال الجرائم التى نشاهدها ونسمع عنها فى مصر فى عقد التسعينيات الحالى وهو حدوث الجرائم بين الأقرباء أو الجيران، وربما كان التفسير الذى يجمع علاقة التقارب المكانى بكل من زيادة التجاذب أو زيادة العداء هو أن العنصر المشترك هو زيادة المعلومات عن الآخرين مما يشجع على المحبة إذا كان للشخص استعداد لذلك أو يشجع على الجريمة فى حالة الاستعداد لها.

و ـ **المظهر الجسمى**: وهو من عوامل التجاذب نحو الآخرين، فالشخص حسن المظهر المعتنى بملابسه وهندامه يكون أكثر جاذبية من شخص لا يبدو كذلك، ويرى (انسكو ـ سكوبلر ١٩٩٣) [١] أن الغالبية يرون أن المظهر يعكس الجوهر، فالمظهر الحسن والعناية بالملابس تعكس ترتيبا في التفكير وحسنا فى المشاعر.

ز ـ الاعتقاد فى عدالة العالم Belife in a just world:

يرى ليرنر (١٩٧٠)[٤٨] أن الناس يعتقدون أنهم يعيشون فى عالم عادل وأن ما يصيب الناس من خير أو شر هو جزاء لما فعلوه سواء كنا نعرفه أو لا نعرفه، وينطبق ذلك على معتقدات الكثير منا فى العالم العربى، فالفقير أو الضعيف إنما وصل إلى هذه الحالة لأنه كسول، أو لأنه يرتكب الشرور مما يستحقه من معه هذا العقاب، وكذلك يميل الكثير منا إلى اتهام الفتاة التى تتعرض للاغتصاب على أساس أنها هى التى أسهمت فى تشجيع الآخرين على ذلك بملابسها الفاضحة أو بسيرها فى أماكن غير مأمونة.

بفعل الناس ذلك ليستريحوا من عناء الشعور بوطأة المسئولية عن هؤلاء الناس، وهذا ما أكدته الدراسات التى أجريت على التعصب العنصرى، فالرجل الأبيض يحمل معتقدات أن الزنوج كسالى وأشرار ،لذلك فإن معاملتهم فى شراسة وقوة وتفرقة ترجع إلى أنهم يستحقون ذلك.

التفت بعض الباحثين لهذه العملية المعرفية، ، حيث وضع ليرنر ـ سيمون مبحوثيه فى موقف يتأكدون منه أن الشخص الذى يقع عليه الظلم أو يصاب بالألم برىء ولا يستحق ذلك، فالضحية كانت بريئة مما يقع عليها من عقاب ومن هذا الشعور تزيد المشاعر الإيجابية نحوها، ولكن كلما استمرت فترة تعرضها للعقاب أو للظلم، نقل جاذبية المشاهدين نحوها باعتبارها تستحق ذلك، أما إذا استطاع المشاهدون التدخل لوقف الظلم الواقع عليها ففى هذه الحالة تزداد جاذبية هؤلاء المشاهدين نحو الضحية. (ليرنر ـ سيمون، ١٩٦٦)[٤٢]، هكذا يتضح أن الاعتقاد فى عدالة العالم يلعب دورا وسيطا فى التأثير فى التجاذب مع الضحية.

٧ـ التفاعل وتكوين المعايير:

ينتج التفاعل بين اثنين عن التجاذب بينهما أولا، ولكن تطور ذلك إلى علاقة صداقة أو زمالة أو مشاركة من أى نوع يحتاج إلى استمرار ذلك التفاعل فيما بينهما، وتفسر نظرية التبادل الاجتماعى Social Exchang Theory كيف تنمو العلاقات الثنائية خلال عملية التفاعل.

يحدد ثيبو ـ كيلى فى نظريتهما عن التبادل الاجتماعى أن عملية التفاعل ه. هى إلا تبادل للمكافآت REWARDS، والتكاليف COSTS وحسابات للناتج OUTCOME النهائى لعملية التفاعل.

وتعنى **المكافآت:** المكاسب التى يحصل عليها الشخص فى تفاعله مع الآخر، ليس فقط مكافآت مالية، ولكن قد تكون حالة السعادة أو الرضا أو الترويح عن النفس، وكل ما يستمتع به الشخص.

التكاليف: تعنى الجهود التى يبذلها الشخص والتضحية بالوقت والجهد، ونواحى التوتر والألم والمعاناة التى تصيبه فى هذه العلاقة.

النواتج: هو تقدير الشخص الناتج النهائى للعلاقة ويتضمن دمجا لكل المكافآت والتكاليف حسب المتصل التالى:



والحكم المبدئى على إمكانية استمرار العلاقة بين اثنين بعد كل لقاء بينهما هو أن تكون المكاسب والتكاليف متعادلة على الأقل، لكن هناك عوامل أخرى تتدخل فى استمرار العلاقة رغم زيادة التكاليف على المكافآت، وبالعكس قد تنقطع العلاقة رغم زيادة المكافآت على التكاليف، وهما عاملا مستوى المقارنة، ومستوى مقارنة البدائل.

مستويات المقارنة: يقوم تقدير النواتج على مقارنتها بالنتائج المتوقع الحصول عليها، فالحكم بأن العلاقة تمثل أعلى مكافأة أو أعلى تكلفة ليس مطلقا، وإنما هو نسبى تحدده الخبرات السابقة والتوقعات الحالية للمكافأة أو التكلفة، مثال ذلك أن الشخص الذى أتفاعل معه إذا كان بخيلا فى الماضى وتصرف بصورة عادية فى الموقف الحالى فإنه يمثل بالنسبة لى مكافأة كبيرة بالمقارنة بتوقعاتنا منه، يحدث ذلك حينما نطلب من صديق نتوقع أنه أعز أصدقائنا قرضا ماليا فيعطينا ما طلبناه بالضبط ـ لكن هذا أقل مما كنا نتوقع منه فيكون تقديرنا له بشكل أقل من عدو لنا أبدى مجرد تعاطف لفظى معنا فى أزمتنا مما يجعلنا ننظر إليه باعتباره أسدى لنا معروفا كبيرا جدا.

مستوى مقارنة البدائل: قد يرى الشخص أن نواتج العلاقة بصديق معين متدنية جدا (أى أن تكاليفها أكبر كثيرا من مكاسبها) ، ولكن لو حدث أن قطعنا علاقتنا به فلن يكون أمامنا بديل أفضل من ذلك، فالمرأة قد ترى أن زوجها سيئ جدا وأن تكلفته أكبر كثيرا من مكاسبه ـ حسب تعبير ثيبو ـ كيلى ـ لكنها تبقى على علاقتها به لأن كونها متزوجة أفضل كثيرا من كونها مطلقة، فالذى أثر على القرار باستمرار العلاقة هو مقارنة الوضع الراهن بالوضع فى حالة التغيير، وبالعكس قد تكون الزوجة نموذجية ومثالية (أعلى مكسب) وليس بها أى عيوب، ولا تثير أى مشكلات (أقل خسائر) ولكن ظهرت امرأة أخرى فى حياة الزوج تقدم ـ فى رأيه ـ ما هو أفضل من الزوجة مما يهدد استمرار علاقة ثنائية رغم نجاحها.

***



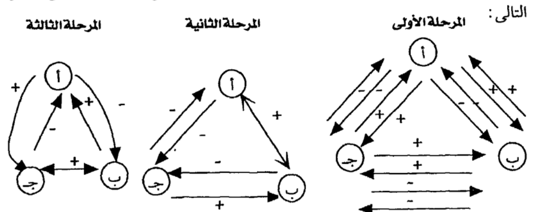
سيكولوجية الجماعات الصغيرة

«ديناميات الجماعة»

حينما يدخل طرف ثالث فـى علاقة التفاعل بين الثنائيات تتحول عـملية التفاعل بصورة حادة إلى عـلاقة دينامية لها قـوانينها وطبيعـتها وآثارها التى تختـلف عن علاقة الثنائيات، فـالموقف الجماعى Group يختلف بوضـوح عن الموقف الثنائى Dyabdc، فالجماعة تضم عدد من الأفراد الذين يتفاعل كل منهم مع الآخر فى ظروف بناء متنامى للعلاقات بين الأشخاص (انسكو وآخرون، ١٩٩٩٠: ٦٩)(٣٧) .

وإذا تصورنا اثنين يتناقشان فى موضوع تـشجيع ناد رياضى، فسيقول الأول رأيه ويرد الثانى بـوجهة نظره ويعود الأول لمحاولـة الإقناع برأيه. فيعاود الـثانى رفض هذه المحاولات وتنتهى المناقشة عند هذا الحد لأن أى محاولة لن تأتى بجديد.

لكن وجود ثالـث سوف يضاعف من معـدلات التفاعل عدة مرات عـلى النحو التالى:



يوضح الشكل المذكور أن أحداث الحوار الثنائى فـى وجود ثالث سيستغرق ثلاثة أضعـاف نظيـره فى الحالة الأولـى، ولا ينتهى إلـى هذا الحد، بل سـيؤدى إلى اتـفاق أحدهما مع الثانى (أ + ب) فى الرأى مما يدفع بالثـالـث (جـ) إلى محاولة إقناع أحدهما واستمـالته إلى رأيه، وقد ينتـج عن هذه المحاولة تلاقى (ب مع جـ) ضـد (أ) مما يدفع الأخير إلـى الرضوخ إلى رأيهمـا، وهكذا تتولد علاقـة دينامية مـتسارعة ومـتزايدة فى أحداث التفاعل نتيجة وجود شخص ثالث، وتظل فى تزايد بزيادة العدد.

تعريف الجماعة: «هى أكثر من شخصين لديهم الشعور بكونهم جماعة، وبينهم علاقات تنظم تفاعلهم سويا، من أجل تحقيق أهداف الجماعة (وظيفتها) والمحافظة على بقائها (وظيفيتها)».

ويعنى التعريف المذكور أن الجماعة قد تشمل اثنين مع ثالث متخيل وليس بالضرورة قائما بشكل عيانى، مثل الزوج والزوجة اللذين يضعان فى اعتبارهما والدة الزوجة فى كل تصرفاتهما، أو والد الزوج، أو اثنين من الإخوة يتصرفان وكأن والدهما يراهما ويوجههما.

وليس للجماعة حد أقصى فقد يتسع الشعور بكونهم جماعة إلى الوطن بأكمله أو إلى العالم بأجمع، مثال ذلك النشيد (مصر أمنا) حينما نردده عن اقتناع فيعنى أن مصر جميعها، تحولت إلى أسرة أو جماعة سيكولوچية صغيرة لها نفس الأم، والأمثلة كثيرة على أن الشعور بالنحن Weeness Feeling قد يتسع إلى أقصى الحدود البشرية (مثلما نقول إن العالم قد أصبح قرية صغيرة أو قد يضيق ليقتصر على الحد الأدنى للجماعة).

ولا تقوم الجماعة بغير علاقات تنظم تفاعل أفرادها، فكما هو الشأن فى الثنائيات لابد من تنظيم عملية التفاعل بقواعد تسمى معايير الجماعة، وأشخاص يتولون تنظيم هذا التفاعل وهم القادة ويوجهون جهود الجماعة نحو هدفين:

الأول: تحقيق أهداف الجماعة سواء كانت للترفيه والتسلية أو الإنتاج (وظيفتها).

أما الثانى: فهو دعم التماسك والترابط بين أعضائها (وظيفيتها).

والجماعة السيكولوچية ـ الدينامية ـ كالأصدقاء ـ الشلة ـ الزملاء فى الفصل ـ تختلف عن الجماعة الرسمية، فهى تنشأ بشكل تلقائى وتتخذ معاييرها حسب ما يتفق عليه من داخلها، وعملية القيادة والتنظيم تتم بالجهود الذاتية لرغبة أفرادها فى ذلك دون إجبار أو توجيه، بالعكس لدى الجماعة الرسمية، كزملاء العمل أو جماعة المصلين فى الكنيسة أو المسجد نجد أنهم يجتمعون بأوامر ونظم العمل الوظيفية أو حسب قواعد الشريعة فى أوقات الصلاة، والذى يحدد القائد ليس الانتخاب ولكن تعليمات تصدر من الجهة العليا، وقواعد التفاعل تصل إليهم مكتوبة ملزمة مصحوبة بالعقوبات التى ستقع على المخالفين، والجماعة السيكولوچية تتشكل من خلال عدة مراحل هى:

١ ـ التجاذب ٢ ـ التماسك

٣ ـ المعايير والطاعة ٤ ـ القرار الجماعى

١ـ التجاذب فى الجماعة:

جاذبية الجماعة هى محصلة القوى التى تدفع بالأفراد للانضمام إلى الجماعة وتجعلهم يستمرون فى عضويتها (لويس مليكه، ١٩٦٥)(١٥) . .

فكما سبق أن أوضحنا أن هذا المصطلح مستمد من نظرية المجال والتى هى من نظريات الفيزياء، فالجماعة هى مجال من القوى بعضها يجذب الأفراد إلى الجماعة والآخر يدفع الأفراد بعيدا عن الجماعة وبقاء الفرد فى هذا المجال مشروط بزيادة القوى التى تدفع إلى الجماعة على القوى التى تدفع إلى خارجها.

هناك عوامل شخصية دافعية وعوامل دينامية تؤثر جميعها فى عضوية الفرد للجماعة.

العوامل الشخصية فى التجاذب نحو الجماعة:

هناك عدد من الدوافع التى لا يستطيع الفرد إشباعها إلا بانضمامه إلى الجماعة وهى:

أ ـ الدافع لتحقيق منفعة شخصية:

المعروف أن الانضمام للجماعة يؤدى إلى الحصول على مساندتها للفرد فى تحقيق أهدافه، كذلك قد يؤدى الانتماء إلى إحدى الجماعات المهمة إلى اكتساب مكانة اجتماعية أو الحصول على أجر أكبر أو لتدعيم الشعور بالأمن (لويس مليكة ١٩٦٥ : ج١ ص ١٥٥)(١٥) .

ب ـ الرغبة فى الانتماء:

يرغب الشخص فى الانضمام للجماعة لتحقيق رغبات نفسية كالشعور بالقوة، والمستمد من الجماعة، أو الرغبة فى الشعور بالتقبل الاجتماعى لمغالبة الشعور بالحرمان أو العزلة الاجتماعية، وقد تزداد أطماعه لتتحول إلى الرغبة فى الشعور بالقوة من خلال قيادته لهذه الجماعة.

جـ ـ الإيثار Altruism:

وهى الرغبة فى العطاء وإسداء النصح والمعونة للآخرين، وتصبح الجماعة هى الوسيلة لإشباع هذه الرغبة.

د ـ تشابه المعتقدات والاتجاهات:

يميل المتعصبون إلى الانتماء إلى جماعات تتفق ومعتقداتهم، وكذلك يميل المتطرفون وأصحاب القضايا الإنسانية والفكرية وأصحاب المواهب والاتجاهات السياسية يميل كل منهم إلى التجمع مع من يشبهه فى هذه الصفات، وهناك دوافع أخرى للتجاذب سبق استعراضها فى تجاذب الثنائيات، أما العوامل الديناميـة للتجاذب فيمكن تلخيصها فى عامل مستقل هو تماسك الجماعة.

٢ـ تماسك الجماعة Group cohesion:

تؤدى العوامل الدافعية الشخصية إلى انجذاب الأفراد إلى عضوية الجماعة، هذا هو بداية تكوين الجماعة، وما أن يظهر بين أفرادها مشاعر التماسك والتآذر والانتماء ومشاعر الوحدة والنحن Weness Feeling حتى تكون هذه الجماعة مصدرا للمحافظة على أفرادها.

وجوهر تماسك الجماعة هو الشعور بالوحدة العضوية بين الأفراد، وبأن الجماعة هى الأصل والأفراد هم أجزاء منها، فهى كما يقول الحديث الشريف « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» (كنز العمال ٦٧٤)، وكما يقول حديث شريف آخر: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**» (كنز العمال ٧٣٧). فإذا ظهر هذا الشعور الذى يتلخص فى زيادة استخدام كلمة النحن على استخدام كلمة أنا، يصبح لهذا الشعور قوة دافعية تنعكس على المظاهر التالية لسلوك أفرادها (لويس مليكه ١٩٦٥)[١٥]، ولهذا التماسك مظاهر هى:

أ ـ مشاعر الصداقة والرضا: تزيد مشاعر الصداقة ويزيد الشعور بالرضا عن الجماعة وتبرير أى صعوبات تعترض الأفراد على نحو إيجابى.

ب ـ الانصياع لمعايير الجماعة: تزداد قوة الالتزام بالقاعدة التى تتفق عليها الجماعة وقد يتفانى الأفراد ويضحون بمصالحهم الذاتية فى سبيل تحقيق هدف الجماعة الانتصار لقيادتها.

جـ ـ عدم التفكك وقت الأزمات: كلما واجهت الجماعة أزمة تهددها تزداد الجماعة المتماسكة فى قوة تماسكها وانصهار أفرادها فى الهدف الجماعى، أما الجماعات ضعيفة التماسك فإنها تنفرط وينحو أفرادها إلى المصالح الفردية.

د ـ الاتجاه نحو الجماعة: تزداد الاتجاهات الإيجابية نحو الجماعة بزيادة تماسكها، والسؤال الذى يعكس هذا الاتجاه هو ما وجهه ليبو LIBO إلى الجماعات المختلفة وهو (هل يعود إلى الجماعة إذا انحلت وحاول أحد الأعضاء إعادة تكوينها مرة أخرى؟)،

واتضحت للباحث فروق دالة بين إجابات أعضاء الجماعات المتماسكة وغيرهم في الجماعات غير المتماسكة.

هـ - **الانتظام فى نشاط الجماعة**: وجد مان - بوم جارتل ارتباطات دالة بين تماسك الجماعات العمالية وبين نسبة الغياب وترك العمل ودفع اشتراكات النقابة.

و - **معدلات الاتصال**: يتواصل أعضاء الجماعة بشكل أكبر مما يفعله أعضاء الجماعات غير المتماسكة (شو، ١٩٨٦)[١٦].

ز - **تحقيق الأهداف**: الجماعات عالية التماسك أكثر فعالية فى تحقيق أهدافها (شو، ١٩٨٦)[١٦].

٣- معايير الجماعة وظاهرة الانصياع:

بعد اكتمال تماسك الجماعة وتبلورها فى أذهان أعضائها تواجه الجماعة حاجة ضرورية لإيجاد قواعد للتفاعل ونظم للسلوك.

معنى المعيار:

هو قاعدة سلوكية مقبولة بدرجة أو بأخرى من كل أعضاء الجماعة، بمرور فترة من الزمن يتحول المعيار norm من صورة الإجبار الخارجى إلى التمثل الذاتى (لويس مليكة ١٩٦٥)[١٥].

تطبيق المعيار: يقوم بتطبيق المعيار أفراد تعطيهم الجماعة القوة اللازمة لتطبيقه، ويمكن تصنيف خمسة مصادر لقوة هؤلاء الأشخاص فى الجماعة، وهى قوة المكافأة، الإلزام، الشرعية، قوة الخبرة، القدوة الحسنة.

طبيعة السلوك المعيارى:

لا يجب النظر إلى المعيار نظرتنا إلى القانون أو الدستور مثلا، فالمعيار هو اتفاق إجماعى أو شبه إجماعى قد يكون على مواعيد اللقاء، الذهاب إلى رحلة، أو جمع اشتراكات.

ويستجيب الأفراد لهذه المعايير حسب ثلاثة أنماط، الانصياع Conformity، الانصياع المعتاد Anticonformity والاستقلال Independence.

وسلوك الانصياع هو سلوك غالبية أفراد الجماعة، وذلك لضمان استمرارها فى الوجود، والانصياع ليس مجرد الخضوع Submition الظاهرى للأوامر، ولكن يشمل

الاقتناع بأهمية طاعة التعليمات وضرورة تقديم الترابط والدعم لمن اختارته الجماعة مسئولا عن تطبيق المعايير.

- توجد أقلية يظهر منها سلوك الانصياع المضاد - أى السخرية من الجماعة، انتقاد سلوكياتها، التقليل من شأن ما تتخذه من تصرفات، هذا السلوك ليس ضارا بالجماعة، بل إن أصحابه يلعبون دور كبش الفداء حيث تزيح الجماعة على هؤلاء الأفراد أشكال التوتر، والإحباط، وتسهم فى إعادة التماسك بين صفوف الأعضاء بعد اتهام هؤلاء الأشخاص بأنهم سبب خيبة الأمل أو الفشل.

الاستقلال:

القائد فى الغالب يشعر بالحرية فى الخضوع للمعيار أو عدم الخضوع له، فهو يسلك بعيدا عن المعيار لأن أعضاء الجماعة يتوقعون منه أن يجدد ويبادئ بالتعديل والتغيير فى المعايير.

لماذا تضغط الجماعة على أفرادها كى ينصاعوا لأوامرها:

استعرض انسكو - سكوبلر (١٩٩٣)(1) أربعة تفسيرات محتملة لضغوط الجماعة على أفرادها:

- **افتراض الإحباط - العدوان:** يرى دولارد وزملاؤه أن عدم انصياع بعض الأفراد يسبب إحباطا يتحول إلى عدوان، ويتم توجيه العدوان الجماعى إلى مصدر الإحباط وهم المخالفون للمعيار.

- **افتراض حركة الجماعة:** يرى فستنجر أن الجماعة تضغط على أفرادها بهدف تسهيل حركتها فى إنجاز أهدافها، ويزداد دافع الأعضاء للانصياع لقواعدها كلما ارتبط ذلك بتحقيق الجماعة لأهدافها.

- **نظرية المقارنة الاجتماعية:** يرى فستنجر أنه كلما ساد إجماع أفراد الجماعة على سلوك معين تزيد ثقة أفراد الجماعة فى أنفسهم وفى صحة تصرفاتهم مما يرتفع معه تقديرهم لذواتهم، ومخالفة واحد أو أكثر للمعايير تؤدى إلى فقدان أفراد الجماعة لثقتهم بأنفسهم مما يدفعهم لمحاولة تعديل سلوكه المنحرف.

- **نظرية الاتزان:** يؤدى الدافع للاتزان والاتساق فى المشاعر والسلوك إلى توجيه مشاعر إيجابية نحو المشقفين فى الرأى معنا، وبالعكس توجيه مشاعر سلبية ضد المعارضين لآرائنا.

٤ ـ البيئة الفيزيقية للجماعات:

يتأثر التفاعل الجماعى بالبيئة الفيزيقية المحيطة للأفراد، وقد استعرض (شو ١٩٨٦)[١٦] آثار الخصائص الفيزيقية للبيئة على تفاعل الجماعات:

أ ـ النظام:

أجرى منتز (فى شو ١٩٨٦)[١٦] تجربة قام فيها بتكليف مبحوثيه بإجراء مقابلات مع آخرين، بعضهم فى غرف منظمة مرتبة مضاءة جيدا، والبعض الآخر فى غرف مهملة غير منظمة أشبه بمخزن للمهملات، ظهر الاختلاف بين المبحوثين فى الشعور بالملل والصداع وعدم الرضا والضيق والعصبية فى الحجرة القبيحة، وبالعكس فى الحجرة المنظمة؛ الأمر الذى نتوقع من خلاله حرص الأفراد على تجنب أماكن اللقاء غير الملائمة مما يعرقل أى عملية للتفاعل الممكن بين المجتمعين فيها.

ب ـ المكانية:

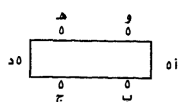
لاحظت دراسات متعددة ميل الأفراد ـ قبل عملية التفاعل الجماعى إلى تفضيل مقعد معين واحتلال مكان معين على المنضدة سواء فى الفصل أو المكتبة أو مكان العمل، وكلما احترم الآخرون هذه الخصوصية تزداد فرصة التفاعل مع صاحبها، وبالعكس لو أهمل الحاضرون تفضيلات زملائهم، يؤدى ذلك إلى عرقلة عملية التفاعل وإلى ظهور جو من العداء.

والحيز الشخصى له تأثير فى نجاح عملية التفاعل، وهو جزء من جوانب الاتصال غير اللفظى، فالاقتراب من الشخص لبدء الحوار معه إذا لم يراع المحافظة على مسافة الحيز الشخصى فقد يؤدى إلى شعوره بالانتهاك وبالهجوم مما يدفعه إلى السلوك الدفاعى الذى يعرقل علاقات التجاذب والتفاعل.

جـ ـ تنظيم الجلسة:

لاحظنا فى دراسة علاقة التنظيم المكانى للإسكان الطلابى بدرجة التجاذب بين أفراده، وتوصلنا إلى أن هذا التنظيم يؤدى إلى تسهيل عمليات الاتصال والتعارف بين الأفراد المتقاربين.

نفس الملاحظة توصل إليها باحثو ديناميات الجماعة فى دراستهم لأثر تنظيم الجلسة على عملية الاتصال والتفاعل والقيادة، ويوضح شو (١٩٨٦ : ٢٠٨)[١٦] عددا من مواضع الجلسة وآثارها على التفاعلات الناتجة:



علاقة التجاور: ب ــ ج ، و ـ هـ

علاقة الوجه للوجه: و ـ ب ، هـ ـ جـ

رأس المائدة: أ ـ د

تجاهل: ب ـ د ، و ـ د ، أ ـ هـ ، أ ـ ج

وتؤدى كل علاقة مكانية بين اثنين إلى أشكال من التعاون أو التنافس أو التفاهم.

كما يؤدى تنظيم الجلسة بحيث يكون هناك شخص معين هو مركز الاتصال فى الجماعة إلى أن يصبح قائدا للجماعة (دراسة باس ـ كلوبيك) وكان تنظيم الجلسة حسب الشكل التالى:

أ

ب هـ

و

جـ

ز

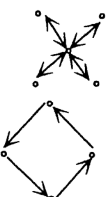
د

وتوصلا من دراستهما إلى أن الشخص (أ) كان ترشيح الأعضاء له أكثر من غيره كقائد للجماعة.

وقد قام عدد من الباحثين أمثال بافيلاس، باس، ليفت بدراسة أثر الموضع فى شبكات الاتصال على بروز القيادة من خلال جلوس الأعضاء فى كبائن مغلقة على كل منهم، والسماح بالتفاعل من خلال قنوات اتصال محددة مثل:

السلسلة: ○ ← ○ ← ○ ←

أو العجلة :



أو الدائرة :

وتوصلوا إلى أن لشبكات الاتصال تأثير على تفضيل الشخص الذى فى مركز الشبكة ليكون قائد الجماعة، كما اتضح أن شبكة الاتصال تؤثر فى سرعة التفاعل وكفاءة الوصول إلى قرار للجماعة.

بالطبع بحدث توازن بين الخصائص الفيزيقية والخصائص الشخصية لأفراد الجماعة، فإذا ظهر لأحد الأعضاء صفات قيادية وتنظيمية فإنه سوف يتحرك إلى موضع الصدارة لتسهيل القيادة والاتصال.

٦- قرار الجماعة Group Decision:

تقوم الجماعة بكافة تصرفاتها بعد الاتفاق على ما يجب عليها القيام به، مثال ذلك لو رغبت مجموعة من الأصدقاء فى الخروج إلى رحلة للقناطر الخيرية، عليهم أن يطرحوا الفكرة وأن يتفقوا على الموعد وواجبات كل شخص وعلى من سيتحمل مسئولية حجز التذاكر وتحديد أماكن الفسحة، كل ذلك يسمى بعملية اتخاذ القرار فى الجماعة والتى هى الأساس لبدء أى نشاط، ويشترط أن تتخذ الجماعة قرارها بالإجماع أو على الأقل بالأغلبية.

السؤال الآن كيف تتخذ الجماعة قرارها؟

لاحظ كل من شريف، آش، كرتشفيلد أن القرار الجماعى يميل إلى الوسطية، فتكرار سؤال أعضاء الجماعة عن تقديرهم لحركة الضوء فى غرفة مظلمة وإعلانهم المتكرر عن تقديرهم لمقدار الحركة يؤدى إلى تقاربهم التدريجى حتى يصلون إلى اتفاق على مقدار هذه الحركة، وكذلك توصلت تجارب شريف وكرتشفيلد إلى ميل الأفراد إلى الاقتراب من متوسط أحكام الجماعة.

غير أن والاش - كوجان (فى انسكو - سكوبلر ١٩٩٣)[١] توصلا إلى نتائج مختلفة، حيث وجدوا أن الجماعات تميل إلى التطرف فى قراراتها بدرجة أكبر من متوسط قرارات الأفراد.

استخدم والاش ـ كوجان لدراسة الميل نحو المخاطرة مـقياسا يسمى باستبيان أزمة الاختيار Choise Dilemma Questionaire وفيها يعرض على المستجيب عدة مواقف تكون المخـاطرة فيـها هى الدرجـة التى ينصح المـبحوث فـيها صـاحب الموقف باتـخاذ المخاطرة فى ظل احتمالات نجاح قد تكون ١٠٪ إلى ١٠٠٪.

فإذا حددنا درجة مخاطرة كل عضو فى الجماعـة على حدة واستخرجنا متوسطها قبل الدخول فى مناقشة جماعية لهذا الموقف، فقد اتضح للباحثين أن درجة المخاطرة فى القرار الجماعى تزيد دائما على متوسط درجات المخاطرة لدى الأفراد وقبل المناقشة.

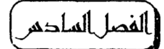
يفسر والاش ـ كوجان هذا الميل للتطرف فى المخاطرة نتيجة المناقشة الجماعية على أساس توزيع المسئولية، فما دام قرار الجماعة يتحدد بالأغلبية، فإن الأفراد يتحررون من مسئولياتهم عن اقتراحاتهم المتطرفة.

غير أن براون قال: إن الجماعة قد تتطرف إما نحو المخاطرة أو نحو الحذر بالمقارنة بمتوسط آراء أفـرادها، فالتطرف أو الاستقـطاب يحدث دائما نتيـجة المناقشة الجمـاعية، ولكن لـيس شرطـا أن يكون نحـو التطـرف .يرجع ذلك فـى رأى براون إلى القـيمـة الاجتماعـية السـائدة فى المجتمع، فإذا كـانت للمخاطرة، يميل الأعضاء إلـى التباين فى التطرف نـحوها، وبالعكس لـو كان الحذر هو القـيمة السـائدة فسوف يحـدث التطرف نحوها.

ـ أكد مسكوفيـشى ـ زافالونى نفس الآراء السابقة فى أن المناقشـة الجماعية تؤدى إلى تطرف الفرد فى اتجـاهاته، ويزداد هذا التطرف كلما تورط الشـخص فى الدفاع عن رأى معين أمـام المجموعة، وبالعـكس قد تصل الجمـاعة إلى قرار وسطى إذا لم يـشعر الأفراد بالالتزام تجاه آرائهم التى عبروا عنها فى الحوار.

ـ توصل دواس (فى انسكو ـ سكوبلر ١٩٩٣)(١) إلى عامل آخر لزيادة التطرف فى القرار الجماعى وهو وجود جماعة أخرى معادية، إذ إنه فى وجود هذه الجماعة يزداد التماسك ويزداد التحدى ويزداد تقبل أفراد الجماعة للآراء المتطرفة.

***



السلوك الجمعى

COLLECTIVE BEHAVIOR

ينتمى الشخص ويتفاعل مع جماعات وتجمعات ومؤسسات رسمية واعتبارية كثيرة فى خلال ممارسته لعمله، لعبادته، تفكيره، تسليته، مشترواته، وتعليمه. فى هذه التجمعات يتفاعل الشخص بصورة ليست شخصية فردية مثلما هو الحال فى العلاقات الثنائية أو فى الجماعات السيكولوچية، ولكن بصفته مواطنا، عضوا فى حزب أو جمعية أو نادى، موظفا، جمهورا، مشاهدا للسينما أو التليفزيون، مستمعا لمحاضرة أو دعاية، مستخدما للخدمة أو للطريق، مستفيدا من المعاش أو القروض.

أولا: ملامح العلاقة بين الشخص وهذه التجمعات هو العلاقة المؤقتة، أى التى يرتبط بها الشخص لتحقيق هدف معين.

ثانيا: هذه الملامح هو أنه لا يعرف فى الغالب كل من يتعامل معهم أو يتشابه معهم كعضو فى جمعية أو موظف فى وزارة أو مستفيد من معاش.

ثالثا: هذه الملامح هو أنه رغم الطابع الرسمى أو القانونى لهذه التجمعات، ولكنه لا يتعامل حسب هذه القوانين الرسمية، فالسلوك الجمعى هو الظواهر التلقائية غير المخططة التى تنشأ فى هذه التجمعات، كالإشاعات، المظاهرات، الاحتجاجات، الروح المعنوية العالية أو المنخفضة، تشجيع الكرة، أو حضور مؤتمر لتأييد مرشحنا فى اليونسكو.

تعريف السلوك الجمعى:

يشير مصطلح السلوك الجمعى إلى سلوك جماعى ينشأ تلقائيا وغير منظم نسبيا، كما أننا لا يمكن التنبؤ بظهوره أو تداعياته ونتائجه، حيث إنه سلوك تلقائى يعتمد فى تشكيله وتطوره على التفاعل بين المشاركين فيه (مليجرام - توش ١٩٦٨)[٤٦].

أنواع السلوك الجمعى: يمكن التمييز بين نوعين للسلوك الجمعى:

١ - السلوك الجمعى الانفعالى Collective Emotional.

٢ - السلوك الجمعى العقلانى Collective Rational.

واللذين سنعرضهما باختصار.

١ ـ السلوك الجمعى الانفعالى «سيكولوچية الحشود

Crowd Psychology:

حينما يسود الذعر بين الناس نتيجة الزلزال، أو ينتشر الغضب بين ضحايا شركات توظيف الأموال، أو نتجمع للاحتجاج على مذابح المسلمين فى كوسوفا أو البوسنة والهرسك، وحينما تنضم إلى تجمعات مشجعى النادى الأهلى أو الزمالك للتعبير عن فرحتنا بالنصر أو احتجاجنا على الهزيمة فإننا فى هذا نمارس سلوكا جمعيا انفعاليا، وبمعنى آخر نكون أعضاء فى حشود، يسود بيننا الانفعال، تتبادل الخيال والإيحاءات الجماعية والعدوى الانفعالية كانتشار الضحك أو الحزن، انتشار الشائعات، الميل للعنف ومساندة أى دعوة للانتقام أو الاحتجاج. لقد كان لسيكولوچية الحشود آثار كبيرة فى تحريك أحداث التاريخ، فالغوغاء والدهماء ورجال الشارع، كانوا وقود الثورة الفرنسية ومحركيها، وأحداث الشغب الجماعى بين الزنوج فى أمريكا هى السبب فى إنهاء التفرقة العنصرية، هذا فضلا عن الحركات الشعبية الثورية التى بدأت باستمرار بأحداث من هذا النوع كما فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا، حتى أن لوبون ـ أول من ـ وضع قوانين لهذه الحشود يتصور أن روحا شريرة تتقمص هذه الحشود لتدفعها للتدمير غير المسئول (لوبون، ١٩٥٦)[١٤]، كما تصور مكدوجل أن ما يحركهم هو غريزة القطيع. ـ ويلخص تيرنر ـ كيليان السمات العامة للحشود على النحو التالى (تيرنر ـ كيليان، ١٩٥٧)[٥٢].

أ ـ عدم معرفة الأفراد لبعضهم من قبل.

ب ـ لا يجمعهم اتفاق حول السلوكيات الواجب اتباعها.

جـ يضمهم شعور واحد هو أن شيئا ينبغى عليه الآن.

د ـ عندما يتكون الحشد يحدث تبادل للحالة المزاجية وللتخيلات للأفكار حول ما ينبغى عمله.

هـ ـ تزيد فى الحشد القابلية للإيحاء ـ أى الميل الفردى للاستجابة للآخرين بغير تفكير ناقد.

و ـ ويتسامح ـ يشجع ـ الحشد السلوكيات التى يقوم بها الأفراد تعبيرا عن اتجاهاتهم ورغباتهم التى غالبا ما تكون ممنوعة خارج هذا الحشد.

ـ وينشأ الحشد فى الغالب بسبب بعض الحوادث التى تقع بشكل مفاجئ غير متوقع، وهى التى يسميها بلومر بالحادثة المثيرة (بلومر ١٩٥١)[٢٩]، حيث يفقد أغلب البشر توازنهم النفسى، وحسب نظرية المقارنة الاجتماعية السابق عرضها يميل هؤلاء

الناس إلى التجمع والاحتشاد؛ لأنهم يودون تهدئة مشاعرهم واستعادة تقدير ذواتهم بمقارنة حالتهم بحالات الآخرين.

هناك دافع آخر ركز عليه بلومر وأيدته دراسة عبد الحميد صفوت إبراهيم (١٩٩٠)(٧) عن أثر مرحلة المراهقة كدافع للانضمام إلى الحشود أو حتى تكوينها حيث يتميز الشخص فى هذه المرحلة بالاندفاع والانفعالية وعدم التوازن بين مشاعره وقدراته مما يجعل من الحشد بيئة ملائمة لظهور مثل هذه النوازع والاندفاعات.

أشكال الحشود:

للحشود أشكال عديدة رغم اتفاقها فى السمات العامة، يلخصها (تيرنر ـ كيليان ١٩٥٧)(٥٢) فى أربعة أشكال هى:

أ ـ الحشد الفردى مقابل المشترك:

تتشابه فى الحشد الفردى سلوكيات أفراده مثال ذلك البكاء على الميت، فالكل يمارس نفس السلوك وتكون وظيفة الحشد هى السماح للأفراد بالتصرفات التى يرغبون فيها كالصراخ والعويل دون إحباط أو كبت، أما الحشد المشترك فهو الذى يتميز بتقسيم العمل مثل المظاهرات والتى يرفع البعض فيها الشعارات والبعض الآخر ينادى بالهتافات والبعض يوجه المظاهرة إلى تحقيق أهدافها.

ب ـ الحشد المتقلب مقابل الحشد المركز:

يتعلق هذا بالهدف الذى يسعى إليه الحشد، فبعض الحشود لا تعرف ماذا تفعل فتتغير أهدافها بين اتجاه وآخر، مقابل حشد مركز على هدف محدد.

جـ ـ الحشد المعبر مقابل الحشد الفعال:

هناك حشود تتوقف عن حدود التعبير عن المشاعر فقط ـ كالجنازة ـ مقابل حشود تتعدى ذلك إلى محاولة تغيير ما يضايقها مثل الهجوم على سفارة العدو، تدمير مبنى صحيفة أثارت الشائعات، تدمير سيارة أحد المسئولين عن مشكلة تموينية مثلا.

هـ ـ الحشد المتجمع ـ المتشتت:

الصورة التقليدية للحشود هى أن تكون متجمعة فى مكان واحد لتسهيل المقارنة الاجتماعية وتبادل الحالات المزاجية، لكن أغلب الحشود تكون مشتتة مثل: من ينتشر بينهم إشاعة (حشد الإشاعة) معينة نجد أنهم يتناقلونها تليفونيا وحينما تنتشر بين مجموعة معينة حالة من الغضب لاغتصاب أستاذة جامعية فى شارع الهرم، أو لقتل

المجرمين لطفلين بمدينة الإسكندرية، هذا الحشد مشتت لأنه لم يلتق ببعضه وكان أساس تبادل الحالة المزاجية هو الصحافة خصوصا باب بريد القراء أو صفحة الحوادث.

٢ـ السلوك الجمعى العقلانى «سيكولوچية الجماهير»:

PSYCHOLOGY OF PUBLIC:

العامة أو الجـمهور Public هم مجموعة من الناس تواجهـهم قضية معينة تمس مصالحهم أو حياتهم بطريقة معينة.

وينشأ تجمع العامة ـ الجمهور ـ بصورة تلقائية أى بدون تنظيم سابق، وذلك حينما يظهر موضـوع يستأثر باهتمامهـم، ولكون العامة غير منظمـين، فإن أسلوب الحوار هو الطريقة الوحـيدة للوصول إلى حل لمشكلتـهم، هذا الرأى هو ما نسميـه رأى العامة أو الرأى العام ـ حسب المصطلح الدارج فى مصر Public Opinion.

ـ وما دام أن لكل موضـوع اهتمام جمهوره، فـإنه يوجد جمهور ـ عـامة ـ بقدر عدد موضوعات الاهتمام فى المجتمع.

والرأى العام هو تعبيـر عدد كبير من الأفراد عن آرائهم فى موقف مـعين، تعبيرا مؤيدا أو مـعارضا لمسألـة أو شخص أو اقتراح ذى أهـمية واسعـة، بحيث تكون نسـبة المؤيدين لهذا الـرأى من حيث العدد ودرجة الثبـات على الرأى كافيا لممارسـة تأثير فى اتخاذ إجراء معين تجاه موضوع الرأى العام.

ـ ولذلك فإن الرأى العام له أهمية كبيرة فى حياة الشعوب، يلجأ إليه الأفراد كى يتعاونوا فى حل مشكلاتهم بتكوين رأى عام، ويلجأ إليه النظام الحاكم لأنه الوسيط بين النظام وبين الأفراد، فـأى جهاز إعلامى أو أى دعوة لحمـاية البيئة أو مقـاومة الأوبئة لا تضمن الحـكومة أن تصل إلى كل فرد فـى المجتمع، لكنهـا من خلال حملات التـوعية تستطيع أن تشـكل رأيا عاما إذا ساد فى منطقة مـعينة فإن أفراد هذه المنطقة سـينصاعون له.

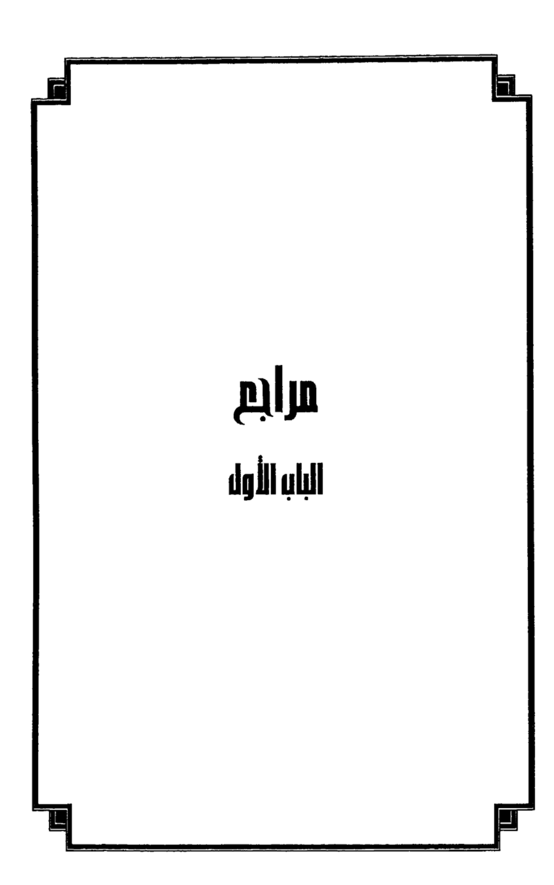
ـ ويلعب عاملا الاتصال والقيادة الـدور الأكبر فى الرأى العام، فقد خلص لازار سفيلد وزملاؤه فـى تجربة لهم على على تكوين الرأى العام إلى أن الاتـصال الشخصى يلعب دورا هامـا فى تشكيل وتوجـيه الرأى العام، لذلـك توجه عناية خاصـة إلى قادة الرأى المحليـين كأئمة المسـاجد ونظار المدارس ورؤسـاء الوحدات العلاجـية الصحـية، ورؤساء الأسر والعـشائر كلهم قادة مـحليين للرأى العام فى مـناطقهم ويسمـون أحيانا حارس البوابة Gate keeper.

لأنهم يسمحون ويمنعون ما يرونه من أخبار أو توجيهات تصدر عن أجهزة الإعلام.

- كما يلعب الرأى العام دورا فى تغيير اتجاهات الأفراد من خلال أساليب الدعاية سواء الإعلامية أو من خلال الاتصال الشخصى، فمن الصعب تغيير اتجاهات الأفراد نحو تنظيم الأسرة أو السباحة فى الترع، أو القيادة الخطرة للسيارات لكن اتضح أنه من خلال تشكيل رأى عام من خلال المحاضرات أو برامج التوعية يمكن أن يتأثر الأفراد فى تعبيرهم عن آرائهم بهذا الرأى العام؛ الأمر الذى يؤثر على بناء الاتجاهات وحدوث تنافر معرفى يودى بصاحبه إلى تغيير هذا الاتجاه.

فى ختام هذا العرض المختصر لمفهوم علم النفس الاجتماعى واهتماماته ونظرياته ومستوياته، فإننى أؤكد أن ذلك العرض لا يغنى عن الرجوع إلى المراجع الأصلية التى أشار إليها، كما أن هناك موضوعين لم يتعرض لهما هذا العرض وهما الاتجاهات، ومناهج وطرق البحث والتنشئة الاجتماعية، وكلها موضوعات يتعرض لها كتاب التعصب بالتفصيل.

***



مراجع

الباب الأول

المراجع

١ - انسكو - سكوبلر - ترجمة عبد الحميد صفوت إبراهيم (١٩٩٣) علم النفس الاجتماعى التجريبى ـ الرياض - جامعة الملك سعود.

٢ ـ حامد زهران وآخرون (١٩٧٥) ظاهرة الغش فى الامتحانات: بحث تجريبى للعلاقة بين الاتجاه اللفظى نحو الغش وبين السلوك الفعلى للغش. القاهرة: عالم الكتب.

٣ ـ رشاد عبد العزيز موسى (١٩٨٩) الضبط الداخلى ـ الخارجى لدى المدخنين والمقلعين عن التدخين: دراسة عاملية. بحوث المؤتمر العلمى الخامس لعلم النفس فى مصر ٢٢ - ٢٣ يناير ١٩٨٩. القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات النفسية ص ١٥ - ٤٢.

٤ـ زينب محمود شقير وفائقة بدر (١٩٨٨) دراسة مقارنة لبعض المتغيرات النفسية المرتبطة بسلوك الغش الدراسى لدى عينة من طالبات الجامعة. المؤتمر العلمى الثالث بكلية التربية جامعة طنطا ٢٨ - ٢٩ إبريل ١٩٩٨.

٥ ـ سكوبلر - ماثيوز (١٩٦٥) تأثير إدراك موضع السببية لاعتماد الشريك على استخدام القوة فيما بين الأشخاص فى: انسكو - سكوبلر - ترجمة عبد الحميد صفوت إبراهيم (١٩٩٣) علم النفس الاجتماعى التجريبى. الرياض: جامعة الملك سعود ص٣٣١-٣٤٠.

٦ - صفاء الأعسر وآخرون (١٩٨٣) برنامج لتنمية دافعية الإنجاز لدى التلاميذ والطلبة القطريين فى مختلف مراحل التعليم . دولة قطر - مركز البحوث التربوية.

٧ - عبد الحميد صفوت إبراهيم (١٩٩٠) بعض العوامل النفسية الاجتماعية المرتبطة بأحداث الشغب. مجلة كلية التربية . جامعة الزقازيق العدد . ١٣ . السنة الخامسة سبتمبر ١٩٩٠ ص٢٧٧-٣٤١.

٨ ـ عبد الحميد صفوت إبراهيم (١٩٩١) العلاقة بين الاتجاه نحو المخاطرة وحوادث المرور ـ مجلة دراسات نفسية. القاهرة. رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية. أكتوبر ١٩٩١ ص ص ٦٠٥ ـ ٦٣٥.

٩ ـ عبـد الحميـد صفوت إبراهيـم (١٩٩٢) العلاقة بين الاتجـاه نحو المخـاطرة وسلوك التدخين. مجلة علم النفس القاهرة، الهيئة العامة للكتاب. عدد٢٢ مارس ١٩٩٢.

١٠ ـ عبد الحميد صفوت ابراهيـم (١٩٩٦) المعاونة والإيثار بين المعلمين: دراسة لدوافع السلوك الزائد عن الدور. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ـ كلية الآداب جامعة المنيا مجلد (٢٢) الجزء الثانى ـ أكتوبر ١٩٩٦.

١١ - على عـسكر، ومـحمد الأنـصارى (١٩٨٣). علـم النفس البـيئى. الـكويت: دارالبحوث العلمية.

١٢ ـ فـرج عبـد القـادر طه (١٩٩٩). أصول عـلم النفـس الحديـث. القاهـرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

١٣ ـ فرويد، س. (١٩٥٣) ترجـمة إسحق رمزى. مـا فوق مبدأ اللـذة. القاهرة: دار المعارف.

١٤ـ لوبون ،ج (١٩٠٦): (ترجـمة أحمد فتـحى زغلول). روح الاجتمـاع. القاهرة: الناشر غير مبين.

١٥ـ لويس كامل مـليكة (١٩٦٥) سيكولوجيـة الجماعات والقيـادة. ج ١ القاهرة: دار النهضة العربية.

١٦ ـ مارفن شو (١٩٨٦) ترجمة مصرى حنورة ومحـيى الدين أحمد حسين. ديناميات الجماعة: دراسة سلوك الجماعات الصغيرة. القاهرة: دار المعارف.

١٧ ـ محمد السيد عبد الرحمن (١٩٩٠): دراسة لبعض أبعاد الشخصية المرتبطة بالغش فى الامتحانات. مجلة كلية التربية بالزقازيق مجلد ٩ (٤) ص ١٩٧ ـ ٢٢٠.

١٨ ـ محمد المرى محمد إسماعيل (١٩٨٩) الغش الدراسى وعلاقته بالدافع إلى الإنجاز لدى طـلاب الجامـعة. المؤتمـر الخامس لـعلم النـفس فى مـصر. ٢٢ - ٢٣ ينـاير ١٩٨٩. القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات النـفسية ص. ص ٤٣٧ ـ ٤٦١.

١٩ - محـمود عبـد القادر محـمد (١٩٧٧) دراسـتـان فى دوافع الانجاز وسـيكلوجـية التحديث القاهرة: الأنجلو.

٢٠ـ محيى الدين أحمد حسين (١٩٨٨). دراسـات فى الدافعية والدوافع. القاهرة: دار المعارف.

٢١ ـ معتز سيد عبد الله (١٩٩٨). الإيثار والثقة والمساندة الاجتماعية كعوامل أساسية في دافعية الأفراد للانضمام للجماعة. المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة المنيا. أبريل ١٩٩٨ ص ص ١٥٧ ـ ٢٣١.

٢٢ ـ مصطفى زيور (١٩٨٦). في النفس. بيروت: دار النهضة العربية.

٢٣ ـ مصطفى فهمي (١٩٦٨). الدوافع النفسية. القاهرة: مكتبة مصر.

٢٤ ـ ممدوح عبد المنعم الكناني (١٩٩٠): علاقة مركز التحكم (الداخلي ـ الخارجي) في التدعيم ببعض المتغيرات الدافعية ـ بحوث المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر ٢٢ ـ ٢٤ يناير ١٩٩٠، القاهرة الجمعية المصرية للدراسات النفسية ـ الجزء الثاني ص ٦١٧ ـ ٦٤٤.

٢٥ـ موراي أ.ج ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة (١٩٨٨): الدافعية الانفعال. القاهرة دار الشروق .

٢٦ ـ ناجي محمد قاسم (١٩٩٢) الثواب وعلاقته بسلوك الغش في ضوء المستوى التحصيلي لتلاميذ وتلميذات المرحلة الإعدادية. المؤتمر الخامس للطفل المصري ٢٨ – ٣٠ أبريل ١٩٩٢ ـ القاهرة: مركز دراسات الطفولة.

27 - ALLPORT, G. (1985). The Historical Background of Social Psychology. N. Y: Random. 1 - 46.

28 - BERCHEID, B& Wallster, E. (1969) Interpersonal Attraction. Reading, M A: Addison - Wesley.

29 - BLUMER, H., (1951). Collective Behavior. IN: A. M. L EE (ed). New Outline of the Principles of Sociology. N. Y: Barnes &NABLE, 1951 PP. 167 - 222.

30 - Cialdini, R. et als (1987). Empathy based helping: is it selflssely or Selffishly motivated? Journal Of Personality and Social Psychology VOL 52 (4) 749 - 766.

31 - Clifford,. M.M (1984) Thoughts On A theory of Constructive Fai- - lulre Educational Psychologist, 1984, 19 (2), 108-120.

32 - Duckett , J. (1992). The Social Psychology of Prejudice. NY : Praeger.

33 - Elenberg, N. & Fabes, A., (1990) Empathy: Conceptulization, Measurement, and Relation to Prosocial behavior. J. Motivation and Emotion, VOL 14 (2). 131 - 149.

34 - Feshbein, H. D. & Kaminiski, K. (1985). Children's Reciproccal altruism in a competitive game. British Journal Of Developmental Psychology. Vol 3 (4) 393 - 398.

35 - Franken, R.E. (1982) Human Motivation CAL: Brooks.

36 - Ibrahim, A.H. Safwat, (1992). Effects of FailureTolerance and academic risk - taking on academic achievement of arab students.

Psycholocical Studies, vol 2 (1), 155-174.

37 - I nsko, C. et als (1990). Individual - Group Discontinuity. Journal of Personality And Social Psychology 1990, 58, 68 - 79.

38 - Jones, E. (1985).,majord Development. in social Psychology during the Past Five Decades. IN: G. Lindzy & E. ARONSON (eds) the hand book of social social Psychology. N. Y: Random.

39 - Kerbes, D. L. & miller, d. t. (1985). altruism and aggression. in: g. lindzy & E. aronson (eds). the hand book of social psychology. Ny: random. pp. 1 - 46.

40 - Kretch, D., Cruchfield, R., Ballachy, E. (1962) Individual in Society. NY: 1962.

41 - Law Len, E. E. (1973). Motivation in work organization. CA: Books.

42 - Lerner, M. J. & Simmons, c. h. (1966),. Obser"s reaction to the "Innocent Victim ": Compasion Or rejection?. Journal of Personality and Social Psychology 1966, 4, 203 - 210.

43 - Lerner, ML. The Desire for justice and reactions to victim and Helping behavior. N Y: Academic Press PP 205 - 230.

44 - Lott, B & lott, A,. (1985). Learning Theory in Cpntemporary social Psychology. IN: G. Lindzy & E. Aronson (eds.). The Hand Book of social Psychology. NY: RANDOM. 109 - 136.

45 - Maslow, A.H. (1954) Motivation and Personality. New York: Hrper.

46 - Milgram, S. & Toch, H. (1968) Collective Behavior: Crowds and Social Movements. IN: Lindzy & Aronson (eds.). the Hand Book of social Psychology. NY: Addison - Wisely vol 4 PP. 507 - 610.

47- Organ, D. (1988).organizational Citizenship Behavior: The good soldier syndrome. M. A. : Lexington.

48 - Rosenberg, M. & Turner, R. (1981). Social Pychology: Asociological Perspective. NY: Basic Books.

49 -Smith, D., Keativg, P. & Stotland (1989) Altruism Reconsidered. the effect of Denying feed back on a victim's status to empathic Witness. . Journal of Personality and social Psychology. VOL 57 (4) 641 - 650.

50- Stryker, S. (1977). Development in " Two Social Psychologies" : Toward An Appreciation of Mutual Relevance , Sociometry , 40 , 145 - 160.

51 - Tang, Tl P. & West . W. B (1997) The Importance of Human Needs During Peacetime Retrospective Peacetime And the Persian Gulf War. International Journal of Stress Management. 4 (1). 47-67.

52 - Turner, R., H. & Killian, L. M. (1957) Collective Behavior. englewood Cliffs. N. J: Prentic - HALL.

53 - Weiner, B. (1972). Theories of Motivations USA: Markham.

الباب الثانى

التعصب

هذا الجزء ترجمة كاملة لكتاب:

JOHN DUCKITT, THE SOCIAL PSYCHOLOGY OF PREJUDICE.

.NEWYORK: PRAEGER, 1992

مقدمة المؤلف

تؤدى نشأة الشخص فى جنوب أفريقيا وحياته فى جو من الظلم والتعسف إلى أن يواجه نفسه بسؤال، كيف يمكن لهذه الأخطاء أن تظهر وأن تستمر لمدة طويلة على هذا النحو؟.

أدت محاولاتى لحل هذا السؤال إلى إدراك الحقيقة الكئيبة وهى أن العنصرية والتعصب ليستا ظاهرتين مقصورتين على جنوب أفريقيا، فالقسوة والسخف Absurdity المصاحبتان للتعصب وما ينتج عنهما من آثار مدمرة مأساوية هى الطريق الذى سارت فيه الإنسانية عبر تاريخها.

والآن كيف يمكننا تفسير ظاهرة منتشرة ، مدمرة فى أغلب الأحوال، وتبدو فى الوقت نفسه بعيدة تماما عن اعتبارات المنطق والعقل؟.

لقد بدأت العلوم الاجتماعية فى السبعين عاما الأخيرة فى بذل جهود محددة لفهم طبيعة التعصب وأسبابه، وحققت خلال هذه الفترة بإنجازات هامة استهدف هذا الكتاب استعراض ملامحها.

عند إعدادى لهذا الكتاب اعتمدت ـ بغير شك ـ على أمثلة ونماذج وأبحاث من جنوب أفريقيا أكثر مما كان سيحدث إذا كتب مثل هذا الكتاب مؤلف من غير هذه الدولة، غير أن هذا الكتاب ليس عن التعصب فى جنوب أفريقيا أو عن إسهامات هذه الدولة فى التاريخ الحزين للعنصرية، إنما هو كتاب شامل فى طبيعة التعصب وأسبابه، فهو يقدم:

أولا: استعراضا مختصرا ولكنه شامل لما يظهر من فكر فى هذا الموضوع، وذلك فى حد ذاته قد يكون مفيدا للشخص المهتم بالموضوع من المتخصصين أو ذوى الاهتمامات العامة. كذلك يفيد هذا الجانب القائمين على تدريس أو دراسة التعصب والعنصرية وما يرتبط بها من موضوعات.

ثانيا: يقدم الكتاب إطارا شاملا يهدف إلى الربط بين هذه المعارف فى سياق متكامل ذى معنى.

ويقوم الإطار الجديد الذى يقدمه الكتاب على أن الإطار المعرفى السائد حاليا لفهم السلوك والاتجاهات بين الجماعات، يقدم شأن الأطر السابقة عليه، فهما جزئيا للموضوع، حيث يركز على بعض الموضوعات بينما يتجاهل موضوعات أخرى.

وما نحتـاجه هو إطار يربط بين الأنسـاق النظرية المختلفـة فى تفسير الـتعصب، ويجمع بين إنجازات الماضـى والحاضر فى سياق أوسع وأكثر ترابطا لـفهم هذه المشكلة. وأملى أن تسـاعد الافتراضـات الواردة فى هذا الكتاب فـى الإسهام فى تحقـيق أهداف الكتاب.

وختاما فإننى أعـبر عن امتنانـى لـ (جراهام تايسون) علـى نصائحه النقـدية عند إعدادى للمـسودات الأولى لهذا الكتاب، كـما كانت فرصـة طيبة أن أحظى بالتـشجيع والتعليـقات المستنيرة مـن (بوب التيماير) و(دون فـوستر)، وكل ما أخشـاه هو أننى لم أستمع لنصـائحهما فى بعض الأحيان، وعـلى ذلك فإننى المسئول الوحيـد عن العيوب التى قد تكون فى الصورة الأخيرة للكتاب.

وقد بذلـت زوجتى (أينز) جـهدا كبـيرا فى قـراءة المسودات وأبدت العـديد من المقترحات القيمة.

وقامت (إيان سامسون) بإعداد الجداول والأشكال وبذلت (لايتيا دوتوا) الكثير من وقتها فى تنظيم الشكل النهائى للكتاب.

كما يسرنى أن أتقدم بالشكر إلى والدتى التى هيأت لى غرفة هادئة استطعت فيها أن أقوم بعملى بدون إزعاج وذلك لشهور عديدة حرجة.

جون دكـت



التعصب

- **تقديم المؤلف**

الفصل الأول: مقدمة واستعراض (مدخل عام) أو تمهيد مفصل

الفصل الثانى: مفهوم التعصب

الفصل الثالث: التعصب والسلوك

الفصل الرابع: نظريات التعصب: تحليل تاريخى وإطار تكاملى تركيبى

الفصل الخامس: الأسس السيكولوجية للتعصب

الفصل السادس: الديناميات الاجتماعية للتعصب

الفصل السابع: النقل الاجتماعى للتعصب إلى الأفراد. (تنشئة المجتمع لأفراده على التعصب)

الفصل الثامن: الفروق الفردية والتعصب.

الفصل التاسع: المحددات الاجتماعية أم الفردية للتعصب: دراسة لحالة التعصب فى جنوب أفريقيا.

الفصل العاشر: مستقبل التعصب.

مراجع الباب الثانى

الفصل الأول

تقديم واستعراض

يعتبر القدر الأكبر من تاريخ الإنسانية سجلا للعداء والصراع بين الجماعات، والحق أن أغلب الأفعال الوحشية atrocities المرعبة التى ارتكبها البشر لم تكن على يد مجرمين أو مجانين، وإنما كانت أفعالا مشروعة يقوم بها مواطنون عاديون لمصلحة جماعتهم ضد جماعة أخرى، وفى ذلك يشير (تاجفيل) TAJFEL (1984) «إذ اعترفت أننى فى الأسبوع الماضى قتلت شخصين من أجل مصلحتى الخاصة أو مصلحة أسرتى، فلن يختلف اثنان فى أى من المجتمعات التى نعرفها على أننى مجرم».

أما إذا اعترفت بأننى فى الأسبوع الماضى قتلت أو تسببت فى قتل ألفين من البشر لصالح «جماعتى» الدينية، أو السياسية، أو الاجتماعية، أو العنصرية، أو القبلية، أو الوطنية، فأقل ما يمكن قوله أنه فى إطار بعض المجتمعات سيكون هناك خلاف على مدى أخلاقية سلوكى، أما فى باقى المجتمعات فقد لا يكون اللوم على هذا السلوك مطروحا أصلا" (ص ٧٠٤)

ومن العجب أن التقدم التكنولوجى والعلمى خلال القرنين الأخيرين لم يقلل من حدة أو عدد حالات الكراهية والعنف بين الجماعات، فالحقيقة هى أن ازدياد القوة العسكرية والسياسية قد أدى إلى درجات من المذابح وأعمال النهب Despoliation التى تجعل من مذابح القرون التى سبقتها صورة متواضعة بالمقارنة بما جرى، وقد وجد إيزاكس Isaacs (1975) عند دراسة لعقدين فقط مرت بهما البشرية بعد منتصف القرن العشرين (١٩٤٥ -١٩٦٧):

«إنه سجل مظلم:- مذابح متبادلة بين المسلمين والهندوس فى الهند، حروب قبلية فى نيجيريا، وفى الكنغو، وفى تشاد، ويقتل الهنود الناجاس Nagas فى شمال شرق تايلاند، ويقتل الملايو الصينيين فى ماليزيا، ويقتل الإندونيسيون الصينيين فى إندونيسيا، ويقتل الصينيون أبناء التبت, ويقتل التوتسى والهوتو بعضهما البعض فى بوروندى، يتقاتل الكاثوليك والبروتستانت فى أولستر Ulster، والأتراك واليونانيون فى قبرص، والأكراد والعراقيون فى العراق، والبابوانز والإندونيسيين فى غينيا الجديدة، والإسرائيليون والعرب، والتلنفانيون والإندهراسيون وجماعات أخرى فى الهند، والفليبينيون والمسيحيون، والفليبينيون والعرب، وهلم جرا... وكانت نتيجة

إحصاء هـذه الحوادث فيما بين العامين المذكورين ٣٤ حادثة دموية بشعة، ومئات من المآسى الأقل فى الدرجة، تسببت جميعها فى مقتل ٧٤٨٠٠٠٠ قتيل (ص٣).

غير أن تلك المذابح تظل ظروفا استثنائية، ففى ظروف خاصة ومحددة ينفجر الحقد بين الجماعات فى شكل عنف وإراقة دماء غير محدود، لكن فيما بين تلك الظروف الاستثنائية توجد أشكال عديدة من الكراهية والتمييز والاستياء resentment والازدراء denigration وكلها جميعا ظروف غير استثنائية، فحقيقة أن الاتجاهات أو المعتقدات التعصبية سواء القومية أو القبلية أو العنصرية أو الاجتماعية، أو الدينية، تقوم جميعها فى الأغلب على مؤشر منطقى يمكن استخدامه فى التمييز بين البشر فى طائفتين مختلفتين، هى حقيقة شائعة فى حياة المجتمع الإنسانى.

ويمكن ملاحظة الاتجاهات والمعتقدات التعصبية ليس من حيث وجودها فقط، ولكن فى انتشار آثارها عبر الزمان والمكان، وذلك فى سهولة استثارتها، وتنوع طرق التعبير عنها، والعناد فى التمسك بها. وقد يكون الانتشار الواسع للتعصب أحد الأسباب المفسرة لماذا لم يظهر الاهتمام تاريخيا بالتعصب سوى فى العصر الحديث كظاهرة تستحق الدراسة العلمية؟، ففيما مضى كان الناس بما فيهم المهتمون بالعلوم الإنسانية يميلون للنظر إلى التعصب والتمييز بين الناس باعتباره أمرا طبيعيا وعاديا فى الأساس.

وعلى ذلك فقد ساد الاعتقاد أن "رفض الجماعات الخارجة هو شىء غريزى ذاتى مستمد من الشعور بالنوع "فى جيدنجز ١٩٠٦..، وكراهية المخالفين حسب رأى (سومر) فى ١٩٠٦.." فمن المعتقد أن الناس شأن الحيوانات لديهم خوف تحدده عوامل بيولوجية من الغرباء، وشعور فطرى بالانتماء للنوع (فوغان، ١٩٨٨، ص٣)(٦٩٠)*.

أثار اهتمام العلماء الاجتماعيين عموما وعلماء النفس خصوصا نوعان من التعصب، الأول هو التعصب ضد السامية antisemitism كما يظهر فى مذابح النازى بألمانيا، والنوع الثانى هو التعصب العنصرى إما فى شكله الاجتماعى فى الولايات المتحدة أو فى شكله العام، ولقد بلور هذان النوعان من التعصب فى مجتمعات القرن العشرين القوة المدمرة للتعصب فى شئون الإنسان، بالإضافة إلى بلورتها للصورة المأساوية للتفكير اللامنطقى.

---

* اختصارا للإشارات المكثفة إلى المراجع بالإنجليزية، مما يجعل ظهور النص العربى محدودا فى أغلب الصفحات ، فقد أشرت إلى المراجع باختصار وبالعربية، مع وضع رقم المرجع فى قائمة المراجع لسهولة الرجوع إلى البيانات التفصيلية له (المترجم).

ظهر مفهوم التعصب كمشكلة فى علم النفس الاجتماعى فى العشرينيات من هذ القرن (العشرين) (samelson, 1978, vauchan, 1988) وفى حين تدرج تيار البحوث ببطء خلال الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، فلم يشهد تاريخ البحث فى هذا الموضوع تصاعدا فجائيا فى إعداد البحوث حوله إلا بعد الحرب العالمية الثانية (Fairchild & Gurin, 1978) ، حتى أنه عندما نشر جوردون ألبورت دراسته الهامة بعنوان طبيعة التعصب عام ١٩٥٤ كان عدد البحوث التى استعرضها كبيرا بدرجة ملحوظة، وأشارت هذه الدراسات إلى مدى تعقد هذه الظاهرة وشموليتها.

كان من المعتقد أن أسباب التعصب تشمل ما يلى من عوامل:

صراعات نفسية عميقة فى الشخصية، عجز سيكولوجى وسوء توافق، إحباطات مزمنة، جهل، ضعف الذكاء، أنماط فى التفكير، تعلم اجتماعى وتأثيرات ثقافية، انصياع للمعايير الاجتماعية وللتقاليد، خبرات الاتصال بأعضاء الجماعات الخارجية، السمات الفعلية لأعضاء الجماعات الخارجية، صراع المصالح بين الجماعات الاجتماعية، تبرير الاستغلال، الحاجة إلى كبش فداء، عدم الأمن الاقتصادى، إسقاط الشخص لدفعاته غير المقبولة، الخوف من الغرباء، كراهية عدم التشابه، المغالاة الدينية religiosity، القلق، العدوان، الجنس، مشاعر الذنب.

كان ذلك مجرد عينة من الموضوعات التى ناقشها(ألبورت Allport)، واليوم وبعد مرور قرابة الأربعين عاما، ورغم توافر أعداد كبيرة من الأبحاث السيكولوجية ومن التطورات النظرية الهامة، ظلت دراسات التعصب والتفرقة والعلاقات بين الجماعات تمثل " واحدة من أكثر المشاكل التى تواجهها حاليا من حيث الصعوبة والتعقيد (Tajfel,1982 b, P.1) .

من ناحية أخرى يشكل التعصب غموضا من حيث كونه بناء نظريا علميا، وذلك لتوافر أعداد كبيرة من التعريفات التى أثارت قضايا عديدة ومتنوعة فى التعقيد والصعوبة.

وقد تضمن الفصل الثانى مناقشة لمشكلات تعريف التعصب، مع محاولة لتوضيح العلاقة بين هذه التعريفات.

ويناقش الفصل الثالث مشكلة لا تقل شأنا عن غموض التعريفات، وهى العلاقة بين الاتجاهات التعصبية والسلوك الفعلى، فإلى أى مدى يرتبط السلوك العدائى والتميزى ضد الجماعات الخارجية والأقليات بالمشاعر والمعتقدات التعصبية تجاه هذه

الجماعات؟ رغم تكرار الإشارة إلى هذه المشكلة، إلا أنه يندر مناقشتها بالتفصيل، حتى بات لها تعقيدات أساسية ذات طبيعة اجتماعية وعملية عند دراسة التعصب.

إزاء العدد المذهل لنظريات التعصب، بذلت محاولات لتصنيف هذه النظريات فى إطار متناسق، إلا أن هذه التصنيفات كانت وصفية أكثر منها وظيفية، وأدى ذلك إلى ضعف إسهامها فى فهم التعصب.

ويناقش الفصل الرابع هذه المشكلة من منظور مختلف وذلك بتقديم تحليل تاريخى لتطور نظريات كانت تظهر نتيجة فترة تاريخية محددة، كما توصل هذا التحليل أيضا إلى أن هذه النظريات كانت محاولات للإجابة على أسئلة مختلفة جدا بخصوص طبيعة التعصب وأسبابه.

نتج عن هذا التحليل أربع قضايا، يفترض أنها مختلفة كيفيا، ولكنها تشير إلى أربع عمليات متكاملة كأسباب للتعصب، وأساسية فى تفسيره. **القضية الأولى** كانت عن العمليات السيكولوجية الشائعة فى بنية الشخصية المحتمل أن تتجه إلى التعصب. **القضية الثانية** هى الديناميات الاجتماعية والجماعية التى تصف شروط وظروف الاتصال والتفاعل بين الجماعات، والتى تشكل هذا الاستعداد فى صورة أنماط للتعصب بين الجماعات ذات طبيعة إجماعية واجتماعية. **القضية الثالثة** هى ميكانزمات (آليات) التواصل التى تفسر كيف تنتقل الديناميات بين الجماعات والأنماط المشتركة للتعصب اجتماعيا إلى أفراد هذه الجماعات. **القضية الرابعة والأخيرة** هى الفروق الفردية التى تحدد استعداد الفرد للتعصب، هذا الاستعداد الذى يسهل عملية النقل الاجتماعى لميكانزمات التعصب إلى الأفراد.

تصف الفصول من الخامس إلى الثامن على الترتيب هذه العمليات الوظيفية الأربعة والنظريات المتعلقة بها. وهناك اثنتان من العمليات المذكورة ترتبطان مباشرة بتفسير الاتجاهات التعصبية التى يحملها الأفراد، وهما عمليتا النقل الاجتماعى للتعصب، والفروق الفردية المقابلة للتعصب، وهما موضع اهتمام علماء النفس. ترتبط هاتان العمليتان بصورة عامة بتمييز التراث السيكولوجى بين المحددات الاجتماعية للتعصب من جهة والمحددات النفسية أو محددات الشخصية من جهة أخرى.

ويشيع اليوم افتراض أن هاتين المجموعتين من المحددات تتفاعل فى خلق التعصب، على ذلك فستصبح المحددات النفسية هامة عندما تكون العوامل الاجتماعية ضعيفة نوعا أو يمكن التسامح بشأنها. بالعكس يكون الأمر فى المجتمعات الشديدة التعصب حيث تكون العوامل الاجتماعية بالغة القوة، فى مثل هذه الجماعات يصبح التعصب معيارا اجتماعيا تدعمه ضغوط قوية على الأفراد للانصياع له.

نتيجة لذلك تتحدد الاتجاهات التعصبية التى يحملها الأفراد على ضوء الانصياع الاجتماعى، وتصبح العوامل النفسية للتعصب أقل شأنا.

يؤدى التعصب العنصرى الشديد من جانب البيض فى جنوب أفريقيا إلى اعتبارهم مجتمعا فريدا فى انطباق هذين الافتراضين المتفاعلين عليه، على ذلك كانت دراسة التعصب من الموضوعات الهامة لباحثى جنوب أفريقيا، منذ بدأ (بيتى جرو) دراساته الكلاسيكية (بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩١]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]).

الآن هل يمكن للمعرفة العلمية المتوافرة عن هذه الدراسات أن تعاون فى تخفيف هذا الخطر؟

رغم أنه من غير المحتمل تغيير العمليات النفسية الكامنة خلف الاستعداد الشخصى للتعصب، فقد يمكن تخفيف درجة التعبير عن هذه الاتجاهات. وقد يحتاج ذلك إلى جهود على ثلاثة مستويات، ترتبط كل منها بثلاثة أسباب تعرضت لها الفصول السادس والسابع والثامن، وهكذا سيكون التغيير مطلوبا أولا على مستوى البناء الاجتماعى التى يتعرض إليها الأفراد، وثانيا على مستوى الضغوط الاجتماعية التى يتعرض إليها الأفراد، وثالثا على الاستعداد الشخصى للتعصب.

ناقشنا الإستراتيجيات الممكنة القائمة على معلوماتنا الراهنة عن كل من المستويات الثلاثة واستنتجنا خلال التقييم أن العالم الخالى من التعصب هو أمل لا يمكن تحقيقه فى المستقبل القريب، أو حتى البعيد. إلا أن وجود مجتمع لا يكون فيه التعصب مشكلة هامة، يحقق درجة ملحوظة من التسامح هو أمر غير مستحيل.

***

الفصل الثاني

مفهوم التعصب

استخدم باحثو العلوم الاجتماعية عددا من المفاهيم فى وصف وتفسير العلاقات والصراع بين الجماعات، تشمل هذه المفاهيم التمركز العرقى Ethnocentrism، التسامح، القوالب الجامدة، المسافة الاجتماعية S . Distance ، العنصرية Racism ، التمييز Discrimination والتعصب Prejudice. ورغم ما أدى إليه المنظور المعرفى فى علم النفس من تركيز على القوالب الجامدة فى السنوات الأخيرة (Hamilton, 1981a, Messick & Mackie,1989, Miller, 1982.)، فقد ظل باحثو علم النفس الاجتماعى فضلا عن باحثى علم الاجتماع يؤكدون أولوية مفهوم التعصب. من أمثلتهم (Lever,1978, Simpson & Ynger,1985) . ويفترض مفهوم التعصب على الأقل فى رأى باحثى علم النفس الاجتماعى - أن المشاعر والاتجاهات التى ينطوى عليها العداء والصراع بين الجماعات، تشكل محورا أساسيا فى فهمنا لهذا المفهوم. ونظرا لأن التعصب بناء معقد، ويشمل تعريفه مشكلات متنوعة، فقد ظهر نتيجة لذلك عدد كبير من التعريفات المتباينة ستكون موضع نقاشنا فى الجزء التالى من هذا الفصل، أما الآن فسيكون من المفيد أن نحدد عددا من المفاهيم ذات العلاقة بالتعصب.

التمركز العرقى ETHNOCENTRISM :

وصف (سمنر) (Sumner 1906) التمركز العرقى فى بحثه الكلاسيكى المتعلق بهذا الموضوع بأنه: "النظر إلى الأمور من زاوية أن الجماعة التى ينتمى إليها المرء هى مركز كل شيء، والحكم على الآخرين على أساس أن جماعته هى مرجع هذا الحكم... فكل جماعة تغذى غرورها وفخرها بذاتها بالتباهى بأنها هى الأرقى، وتمجيد مقدساتها، وبالنظر باحتقار إلى من هم دونها" ص١٢ . على ذلك يضم التمركز العنصرى معتقدات فى القيمة الفريدة والصواب التام للجماعة التى ينتمى إليها المرء، وفى الترفع عن الجماعات الأخرى إلى حد اعتباره من نوع غير نوع جماعته. (Brewer,1981, Lanternari,1980, Levine & Cambell,1972) .

التسامح TOLERANCE :

يعبر مصطلح التسامح فى أدبيات العلوم السياسية والنظريات الديمقراطية عن احترام مبادئ ديمقراطية معينة (Jackman, 1977)، أما فى أدبيات العلاقات بين الجماعات فيستخدم المصطلح على نحو مختلف لكى يدل على "عدم التعصب للجماعة، والاستعداد للحكم على الأفراد كأفراد" (Martin,1964, P.11).

بهذا المعنى يشير التسامح إلى ميل الشخص لتجنب التعصب، ولعدم الاهتمام بالتمييز بين جماعته والجماعات الأخرى، أو بين موقفه ومواقف غيره من الناس. من جهة أخرى يشير عدم التسامح Intolerance إلى ميل عام لاتخاذ مواقف سلبية من الجماعات الخارجية، وخلافا للتمركز العنصرى، فإن مصطلح عدم التسامح ليس له آثار على نظرة صاحبه إلى جماعته.

القوالب الجامدة STEREOTYPE :

عرف آشمور وديلبوكا (1981) Ashmore & Delboca مفهوم القوالب الجامدة باعتباره "مجموعة من المعتقدات عن السمات الشخصية لجماعة من الناس (ص١٦). " ويقدم هذا التعريف اختلافين هامين عن غيره من تعاريف القوالب الجامدة Brewer &) ، Kramer,1985, Messick & Mackie,1989, L, Stephan & Rosenfield 1987) الاختلاف الأول: هو أن القوالب الجامدة لم تعد تعنى بالضرورة أنها معتقدات خاطئة، جامدة، غير منطقية، أو غير أخلاقية، بل صارت تعنى أنها نتيجة عمليات معرفية توافقية ومعيارية.

الاختلاف الثانى : هو أن القوالب الجامدة ليست قاصرة على أوصاف لسمات الشخصية (مثل أن "الألمان ذوى ضمير وإخلاص فى العمل"). بل إن القوالب الجامدة يمكن أن تضم أى صفة شخصية، جسمية، أو انفعالية، أو ظاهرية، أو سلوكية، كأن نقول "إن الألمان عادلون وطوال القامة".

المسافة الاجتماعية SOCIAL DISTANCE :

يمكن تعريف المسافة الاجتماعية باعتبارها مظهرا لدرجة "الفهم التعاطفى Sympathetic Understanding والتقارب Intimacy بين الجماعات أو الأفراد" (Bogardus,1925, Park,1924)، ويسأل مقياس المسافة الاجتماعية الذى صممه بوجاردس المستجيبين عن استعدادهم لقبول أعضاء الجماعات الأخرى فى فئات مثل «علاقة حميمة بالزواج أو المصاهرة»، «المعيشة فى الشارع كجيران»، «الزمالة فى المهنة

أو العمل»، «كمـواطنين فى بلادى». وقد اعترض البـعض على عدم منطقيـة استنتاج الفهم التعاطفى والـتقارب من الاستجابة على فقرات هذا المقـياس، وأن تعريف المسافة الاجتماعـية يجب أن يعكس طريقة إجرائـه وقياسه. (e.g. Lever,1978)، على هذا يمكن تعريف المسافة الاجتـماعية باعتبارها تعكس درجة التقارب الـتى يفضلها الشخص فى اتصاله وعلاقاته مع أعضاء الجماعات الأخرى.

(Harding, Proshansky, Kutner & Chein,1969) (Lever; 1978, Simpson & Yinger, 1985).

العنصريـــــة RACISM :

يستخدم النفسيون مفهوم العنصرية كمرادف لمفهوم التعصب العنصرى مثال ذلك: (Bagley, Verma, Mallick & Young,1979; Milner, 1988).

أما الاجتماعيون فـقد أعطوه معنى خاصا، فيقدم (ويلسون) مثلا(Wilson 1973) تعريفا يمثل ذلك الاتجاه باعتباره (أيديولوجية تؤكد على سيادة عنصر أو استغلاله لعناصر أخرى، تشمل هذه الأيديولوجية:

١) إطار للاعتقادات فى التدنى البيولوجى و/أو الثقافى لعنصر معين.

٢) استخدام مثل هذه المعتقدات فى تبرير المـعاملة غير العادلة لأفراد هذه الجماعة (ص٣٢).

تضمنت أغلب تعريفات العنصرية Racism هاتين الفكرتين، وهما الاعتقاد فى تدنى مجموعة بشرية معينـة، وتأييد المعاملة التمييزية Discriminatory Treatment ، (مثال Bowser, 1985)، غير أنـه فى السنوات الأخيرة ظـهر نوع آخر من العـنصرية يسمى بالعنصرية الرمزية Symbolic Racism أو العنصرية الحديثة Modern Racism، التى قـد تظهر بـغير المـكونات المذكورة لـلعنصـرية المعروفـة، أو على الأقل لا تظـهر بالأشكال السابق تحديدها (Kinder,1986; Kinder & Sears,1981; McConahay, Hardee & Batts, 1981; McConahay & Haugh,1976) وسنناقش هذا الموضوع فى فقرة أخرى من هذا الفصل.

التمييـــز DISCRIMINATION :

يصف (سيمبسون - وينجر) Simpson & Yinger 1985 التمييز بأنه "التمييز الظالم أو الجارح للمشاعر" ص٢٣. يقوم هذا التمييز فقط على عضوية جماعة خاصة،

فوائدها الإيجابية لصالح أعضاء الجماعة، و/أو أضرارها على أعضاء الجماعة الخارجية (مثال Feagin & Eckberg).

وقد ناقش السيكولوجيون موضوع التمييز باعتباره فعلا إراديا إذ يصف (ستيفان - وروزنفيلد) (Stephan & Rosenfield,1982) على سبيل المثال التمييز باعتباره "التعبير السلوكى عن الاتجاهات العنصرية والعرقية" ص ٩٣، غير أن الاجتماعيين Sociologists افترضوا بالإضافة إلى ذلك وجود عنصرية وتمييز مؤسسية Institutional Discrimination. . (Carmichael & Hamilton,1967)، يشير هذا المصطلح الى الممارسات الاجتماعية والمؤسسية التى تؤثر سلبا ضد أعضاء الجماعات الخارجية، ولكنها لا تتضمن بالضرورة أى نية شعورية للتمييز من جانب المستفيدين من هذه المعاملة تجاه الآخرين.

تعريف التعصب PREJUDICE :

ظهر عدد كبير من التعريفات للتعصب، والحقيقة فقد افترض ميلنر Milner (1981) أن "توجد تعريفات للتعصب بعدد كل من استخدم هذا الاصطلاح" (ص١١٢).

يقدم الجدول (٢-١) عينة كافية تمثل هذه التعريفات والتى أسهم بها كل من السيكولوجيون والاجتماعيين. وتشير النظرة السريعة لهذه التعريفات إلى فروق ملحوظة فيما بينها، وقد حدد آشمور Ashmore (1970) أربعة عناصر أساسية تتفق عليها أكثر أو أغلب هذه التعريفات، كما تسهم هذه العناصر أيضا فى إيضاح العلاقة بين هذه التعريفات :

١ - التعصب هو ظاهرة تنشأ فيما بين الجماعات Inter group .

٢ - التعصب هو توجه سلبى Negative Orientation.

٣ - التعصب سيئ BAD .

٤ - التعصب هو اتجاه An Attitude .

يرى (آشمور) أنه يمكن الجمع بين هذه العناصر الأربعة فى تعريف مقبول للجميع، على هذا الأساس يمكن تعريف التعصب باعتباره اتجاها سلبيا بين الجماعات، وهو اتجاه مرفوض وغير عادل وغير منطقى بطريقة أو بأخرى.

جدول ٢ - ١

بعض تعريفات التعصب

١ - الاتجاه التعصبى هو استعداد للاستجابة للجماعات الأخرى يتميز بعدم المنطقية، عدم العدالة وعدم التسامح، ويصاحب الاتجاه التعصبى أفكارا جامدة، وهى إسناد سمات مفترضة عن جماعة كاملة إلى كل فرد فيها (ميلنر ١٩٧٥: ٩)(٤٣٥).

٢ - يبدو من المفيد لنا أن نعرف التعصب كعجز عن المنطقية أو عجز عن العدالة أو عجز فى المشاعر الإنسانية يكمن فى اتجاه الفرد نحو أعضاء جماعة عرقية أخرى (هاردنج وآخرون ١٩٦٩ : ٦)(٢٥٩).

٣ - هو اتجاه عاطفى، جامد (هو استعداد للاستجابة نحو مثير معين بطريقة معينة) نحو جماعة من الناس (سيمبثون - ينجر ١٩٨٥: ٢١)(٤٠٦).

٤ - أحكام مسبقة غير قائمة على دليل على شخص أو جماعة محبوبة أو مكروهة، مع الميل إلى القيام بسلوك يتفق مع هذه الأحكام (كلاينبرج ١٩٦٨ : ٤٣٩)(٣٣٨).

٥ - نمط من العداء فى العلاقات بين الأفراد وهو موجه ضد جماعة ككل أو إلى أفرادها، وهو يشبع وظيفة غير منطقية معينة فى صاحب هذا الاتجاه (آكرمان - جاهودا، ١٩٥٠: ٢ - ٣)(٥).

٦ - الخاصية الأساسية فى التعصب هى طبيعتها الانفعالية، وهى تؤدى وظيفة نفسية لأصحابها، وهى ذات طبيعة جامدة، بمعنى أنه إذا حاول أحدهم أن يبين خطأ رأى معين قال به شخص متعصب، فإن الأخير يرفض تعديل رأيه الخاطئ (بانتون ١٩٦٧: ٨)(٣٣).

٧ - التعصب هو العداء أو العدوان تجاه الأشخاص على أساس عضويتهم فى الجماعة (باس ١٩٦١: ٢٤٥)(١٠١).

٨ - التعصب الجماعى يتكون من عنصرين: العداء، وأخطاء المعلومات (كيلمان - بيتى جرو ١٩٥٩: ٤٣٦)(٣٢٤).

٩ - التعصب هو مجموعة من الاتجاهات التى تسبب، أو تساند، أو تؤيد التمييز العنصرى (روز ١٩٥١: ٥)(٥٥٣).

١٠ - اتجاه غير مؤيد نحو موضوع، يتميز الاتجاه بالنمطية، الانفعالية، وصعوبة التغيير فى مواجهة المعلومات المتناقضة (كرتش - كرتشفيلد - بالاشى ١٩٦٢)(٣٤٤).

من الواضح أن العناصر الثلاثة الأولى فى هذا التعريف ليس فيها إشكالية بعكس العنصر الأخير. يفترض (آشمور) أن التعصب سيئ وغير منطقى، وذلك باعتباره اتجاها معمما Over generalized لا يفرق صاحبه بين الفروق فى القدرات، والمعتقدات والسمات الشخصية بين أعضاء الجماعة التى يتجه ضدها التعصب، لكن ذلك الاستنتاج ليس موضع اتفاق عام بين الباحثين. فالجدول المذكور يوضح أسبابا أخرى تفسر لماذا يكون التعصب سيئا؟، هذه الأسباب هى المصدر الرئيسى للاختلاف بين التعريفات، هذا الاختلاف الذى زادت حدته فى السنوات الأخيرة بظهور التعصب باعتباره مفهوما تحقيريا (ازدرائيا). ولقد أدى ذلك إلى التشكك فى ضرورة الربط بين التعصب والجانب السيئ من السلوك.

ثمة مشكلتان إضافيتان ترتبطان بمحاولة تعريف التعصب، المشكلة الأولى أنه يوجد قدر كبير من الاختلاف فى مفهوم الاتجاه، أما المشكلة الثانية فهى هل توجد أنواع مختلفة كيفيا من التعصب؟ سنناقش هذه المشكلات الثلاثة فيما تبقى من هذا الفصل.

التعصب كاتجاه ATTITUDE:

رغم الاتفاق الواسع النطاق فى أن التعصب هو اتجاه، يتفق القليلون فيما يعنيه مصطلح الاتجاه فى ذاته. فالسيكولوجيون على سبيل المثال يستخدمون نموذجين مختلفين تماما لهذا المفهوم، النموذج الأحادىUnidimentional Model والنموذج ثلاثى المكونات Three-Component Model ولكلا النموذجين نتائج مختلفة لدى استخدام أيهما، وذلك فى العلاقة بين التعصب ومفاهيم مثل القوالب الجامدة أو المسافة الاجتماعية، وكذلك فى تصور كيف يؤثر التعصب فى السلوك.

عند بداية ظهور مصطلح الاتجاه، كانت النظرة الشائعة إليه باعتباره توجها وجدانيا Affective أو انفعاليا Emotional نحو موضوع معين يتراوح على بعد واحد هو التفضيل - عدم التفضيل .Favorability - Unfavarability ، وعلى سبيل المثال كان تعريف (ترستون وشيف) Thurstone & Chave, 1979 للاتجاه باعتباره تقييما عاما أو شعورا بالتفضيل أو عدم التفضيل نحو موضوع معين ص ١٢ . وقامت كل طرق إعداد مقاييس الاتجاه على التصور الوجدانى أحادى البعد للاتجاه ,Guttman,1941 .(Likert,1931, Thurstone & Chave,1929)

شهدت الأربعينيات والخمسينيات تحولا فيما بعد فى هذا المفهوم ليصبح أكثر شمولا وتعقيدا وذلك فيما يمثله النموذج ثلاثى المكونات ,Katz & Stotland,1959) Krech & Crutchfield,1948; Lambert & Lambert,1964, Newcomb,Turner & Converse,1965; Secord & Backman,1964)

يتكون الاتجاه حسب هذا النموذج من ثلاثة أبعاد مترابطة: هى الاعتقاد حول موضوع الاتجاه (المكون المعرفى)؛ المشاعر نحو هذا الموضوع (المكون العاطفى)، الميول للعمل أو الاستعدادات السلوكية تجاه ذلك الموضوع (المكون النزوعىConative أو السلوكى).

ويعتبر النموذج الثلاثى موضع اتفاق واسع بين الباحثين (Allport,1951, Ehr-lich,1973; Gergen & Gergen,1981; Harding et al.,1965 Rajecki,1987; Ro-senfield & Stephan,1981. ويبدو أن سبب الاتفاق عليه هو أنه يربط بين عدة مفاهيم نفس - اجتماعية هامة فى مفهوم واحد واسع للتعصب. على ذلك تعتبر القوالب الجامدة جزءا من المكون المعرفى للاتجاه، والكراهية بين الجماعات والتقدير السلبى من جماعة لأخرى هو المكون الوجدانى، والمسافة الاجتماعية هى جزء من المكون السلوكى.

غير أن ذلك النموذج الثلاثى لا يخلو من مشاكل، فالعلاقة المتبادلة بين المكونات الثلاث من جهة، وبينها وبين السلوك من جهة أخرى لم تتضح بصورة محددة (Ajzen & Fishbein,1980) . فإذا شكلت المكونات الثلاث بعدا أوسع نطاقا، فمن المنطقى أن نتوقع انسجاما بين هذه المكونات ، إلا أن ذلك الانسجام لم يتضح فى أحيان كثيرة، مما دفع (جرينوالد) على سبيل المثال (Greenwald,1968) إلى افتراض أن كلا من هذه المكونات يتم تعلمه بصورة مختلفة عن تعلم المكونات الأخرى، مما يسبب درجة كبيرة من الاستقلال بين هذه المكونات.

يتضمن هذا النموذج أيضا فكرة أن السلوك ينتج عن التأثير المشترك لمكونات الاتجاهات الثلاث، مع أهمية المكون السلوكى بصفة خاصة فى هذا التأثير. ومن النتائج المترتبة على ذلك، وبناء على أن مكونات الاتجاه غير متسقة فيما بينها، فقد لا يمكننا التنبؤ الواضح بالسلوك التعصبى من الدرجة التى يحصل عليها الشخص فى مقياس الاتجاهات مثل (ليكرت - ثرستون) والتى تقيس المكون الوجدانى فقط.

وعلى هذا النحو لم تجد الدراسات المبكرة أى علاقة بين الاتجاه والسلوك مثل دراسة (لابيير) وغيره Lapiere,1934, Minard,1952, Saenger & Gilbert (1950)، و لقد تم تفسير هذه النتائج على أساس أن الاتجاهات التعصبية قد لا يكون لها أى علاقة بالسلوك التعصبى مثال ذلك (Bagley & Verman,1979; Kate & Stolland1959; Krech & Crutchfield,1948)

كان للنموذج الثلاثى تأثيره الضئيل فى مقاييس الاتجاهات، حيث استمرت أغلب هذه المقاييس فى التركيز على المكون الأحادى للاتجاه. وفى الحقيقة أن الاتجاه الثلاثى الأبعاد أثار عددا قليلا من الأبحاث مما أدى إلى تضاؤل الاهتمام به خلال العقدين الأخيرين والى إحياء الاهتمام بالمكون الأحادى البعد .(Ajzen & Fishbein,1980; Feshbein & Ajzen,1975; Jaspers,1978).

ينظر أصحاب النظرة الأحادية إلى الاتجاه كبناء وجدانى فقط، يختلف تماما من حيث المفهوم والدلائل الواقعية عن المكونات المعرفية والسلوكية كما وردت فى النموذج الثلاثى. يرى (آجزين - فشباين) (١٩٨٠) مثلا أن اتجاه الشخص نحو موضوع معين يتبلور بعيدا عن النتائج التقييمية لمعتقداته عن هذا الموضوع (كالقوالب الجامدة مثلا). أما عن المكون السلوكى فى هذا النموذج الثلاثى فهو منفصل تماما عن مفهوم الاتجاه، ويعتبر بناء مستقلا تماما يسمى النية السلوكية Behavioral Intention ، ويفسر ذلك ما يتكون لدى الشخص من نوايا شعورية لأداء سلوك معين تجاه موضوع الاتجاه، وقد أشار إليه تريانديس (Triandis,1967) فى سياق العلاقات بين الجماعات باعتباره يضم مفهوم المسافة الاجتماعية.

لا يعتقد (آجزين ـ فشباين) (١٩٨٠) أن الاتجاهات تؤثر مباشرة فى السلوك وبدلا من ذلك فإن تأثيرها على السلوك يتم من خلال النيّة السلوكية.

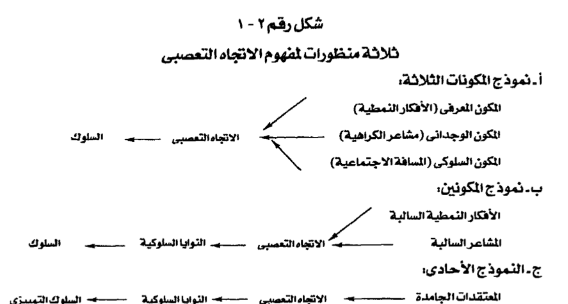
لا يتوقع الاتجاه الأحادى البعد فى الاتجاهات علاقة بين الاتجاه نحو موضوع معين، وبين سلوك خاص تجاه هذا الموضوع، فلكى نتوقع سلوكا معينا فيجب أن نراعى بالإضافة إلى الاتجاه نحو الموضوع، المعايير الاجتماعية المنظمة لهذا السلوك. من جهة أخرى يجب أن يتنبأ الاتجاه المعمم نحو موضوع معين بالميل العام لأداء سلوك بطريقة مؤيدة أو معارضة لموضوع الاتجاه. وباعتباره تجمعا لأنواع مختلفة من المواقف والأفعال، فسوف تعكس الأفعال الصادرة التأثيرات الموقفية والمعيارية معا. ولذلك نتائج هامة فى التنبؤ بالسلوك التمييزى على ضوء ما يحمله الشخص بين اتجاه تعصبى، وذلك سوف نناقشه فى الفصل التالى.

أخيرا من الواضح أنه يمكن افتراض نموذج ثنائى التكوين يضم الجانب الوجدانى والمعرفى، والحقيقة أن عددا من الباحثين فى التعصب سبق وأن افترضوا ذلك، مثال ذلك أن (ليفين - ليفين) Levin & Levin,1982 عرّفا التعصب باعتباره "استعدادا متعلما يتكون من الأبعاد التالية:

١ - معتقدات سلبية أو قوالب جامدة (مكون معرفى).

٢ - مشاعر سلبية أو انفعالات (مكون وجدانى) ص ٦٦.

يمكن القول إجمالا أنه يوجد ثلاثة اتجاهات فى تعريف مفهوم التعصب باعتباره اتجاها، هذه النماذج هى الأحادى، الثلاثى، والثنائى، كما عرضنا العلاقات المتبادلة الخاصة بكل نموذج والتى يوضحها الشكل رقم ٢ - ١.



يمكن استنتاج بعض النتائج العامة من الأدبيات والتى تستنتج منها أى النماذج الثلاثة هى الأفضل، فالنموذج الثنائى مثلا هو نموذج واعد، لكن حتى الآن لم يجتذب إلا قليلا من الاهتمام، كذلك ليس له إلى الآن إطار نظرى يعتمد عليه، ولم يتم اختباره أمبيريقيا.

أما النموذج الثلاثى المكونات فله ميزة الاتساع والتكامل، من ناحية أخرى لديه عيوب خطيرة من حيث غموضه وعدم التحديد فى العلاقات المتبادلة بين مكوناته وبين السلوك، كما ينقصه أساس نظرى واضح، وكانت الدلائل الأمبيريقية قليلة عموما، أما الدراسات التى حاولت تطبيقه فى مجال التعصب، فلم تؤيد نتائجها صحة هذا التكوين الثلاثى.

(Gray & Revelle,11972,Mann,1959, Woodmanseen & Cook, 1967).

أخيرا، فقد استمر قياس الاتجاهات عموما باستخدام طرق البحث المستمدة من النموذج الأحادى البعد، بينما لم تبذل أى محاولات لتطوير واستخدام المقاييس التى تعتمد على النموذج الثلاثى سواء فى مجال الاتجاهات التعصبية أم فى غيرها من الاتجاهات الأخرى. بالعكس من ذلك يحدد النموذج الأحادى البعد العلاقات المتبادلة بين المفاهيم، وبينها وبين السلوك، وذلك بصورة واضحة وقابلة للقياس، نتيجة لذلك ظهرت أعداد كبيرة من الأبحاث حسب هذا الاتجاه، بما فيها (أبحاث آجزين - فشباين) (١٩٨٠) وساندت أكثر الأبحاث صحة الإطار العام لهذا الاتجاه. (J_Ajzen & Fish-bein,1980; Manstead, Proffit & Smart,1983; Pagel &Davidson,1984, Schwartz & Tessler,1972; Zukerman & Reis,1978).

وذلك رغم بعض الاختلافات فى التفاصيل.

(Bentler & Speckart,1981; Fredricks & Dossett,1983; Gorsuch & Ortberg,1983).

أخيرا، فهناك كمٌ وفير من الأدلة التى تشير إلى أن قياس العواطف داخل الجماعات، القوالب الجامدة، والمسافة الاجتماعية أو النّية السلوكية ليست دائما مترابطة، كما أنها بالضرورة لا تترابط بالدرجة التى تكفى لتبرير تكاملها فى مفهوم واحد عريض عن التعصب.

(Abelson, Kinder, Peters & Fiske,1982; Brewer, Campbell & Levine,1971; Brigham,1971b,1971; Ewens & Ehrlich,1972; Gardner,1973; Jackman,1977).

ويبدو على وجه العموم أن أفضل طرق الفهم للاتجاهات التعصبية تتحقق عن طريق البعد الوجدانى فقط، أما القوالب الجامدة، المسافة الاجتماعية والنوايا السلوكية بين الجماعات، فينظر إليها باعتبارها مرتبطة أمبيريقيا ولكنها منفصلة من حيث المفهوم، كان ذلك الاستنتاج هو ما توصلت إليه استعراضات متعددة للتراث (Babad, Brin-baum, Benne,1983; Brewer & Kramer,1985; Stephan,1983; Stephan & Rosenfield,1982). فقد استنتج Brewer & Kramer,1985 فى مناقشتهما لعلاقة القوالب الجامدة بالتعصب أنه فى حين يمكن منطقيا أن يكون للتعصب مضمون معرفى يتمثل فى الإدراك المتبادل بين الجماعات، إلا أنه يستخدم بصفة دائمة للإشارة إلى المكون الوجدانى أو الانفعالى فى العلاقات بين الجماعات ((P.231) .

التعصب كصفة سيئة : "Prejudice as "BAD

سبق أن تعرضنا فى مناسبة سابقة فى هذا الفصل إلى أن التعصب يعرف عادة باعتباره اتجاها خاطئا أو غير عادل، وقد سبق أن تعرضنا لعدد من الأسباب المؤدية إلى ذلك الحكم، واختلفت تعريفات التعصب فى نقاط التركيز على سبب أو أكثر من هذه الأسباب، وفيما يلى أكثر الأسباب شيوعا فى هذه التعريفات:

١ - يقوم التعصب على تعميمات خاطئة أو غير صحيحة. (Allport,1954, Jones,1972, Kelman, & Pettig Rew;1959, Peterson,1958.)

٢ - التعصب هو اتجاه جامد وغير مرن. (Allport,1954, Krech et al., Simpson & Yinger,1985)

٣ - التعصب هو اتجاه بالغ التعميم Over generalized

(Ashmore & Delboca,1076; Marden & Meyer,1962.)

٤ - التعصب هو اتجاه غير منطقى (Ackerman & Jahoda 1950; Mil-ner,1983).

٥ - التعصب هو تبرير للتمييز العنصرى Rose,19510

٦ - التعصب هو اتجاه لا يقوم على خبرة واقعية أو دليل موضوعى (Cooper & Mcgaugh,1963; Klienberg,1968).

٧ - التعصب اتجاه غير عادل (Milner, 1972).

كانت أفضل التفسيرات للسبب فى أن الاتجاه هو موقف سيئ (خاطئ) هى ما قاله (هاردنج) وزملاؤه (Harding et al 1969) إذ حاول أن يربط بين أغلب النقاط التى ذكرناها.

تصور (هاردنج) وزملاؤه أن التعصب سيئ؛ لأنه ينتهك معايير نموذجية معينة أو "معايير للسلوك يشعر كل شخص أن من الضرورى اتباعها، لكن ذلك لا يحدث فعليا من جانب الجميع" ص ٥.

ويعتبر التعصب انتهاكا لثلاثة من هذه المعايير النموذجية، فالتعصب ينتهك معيار المنطقية من واقع تعميمه الزائد وجموده واعتماده على دلائل غير كافية. والتعصب ينتهك معيار العدالة لمناداته بالتمييز فى معاملة المواطنين بنفس مجتمعه. والتعصب ينتهك معيار العواطف الإنسانية بإنكار إنسانية الآخرين.

نشـأ التصور عـن الاتجاه باعتـباره خاطـئا (سيـئا) فيـما أسمـاه (روز) وآخرون (Rose,1964) باتجاه المشكلات الاجتـماعية فى تفسير العلاقات بـين الجماعات، ويعنى ذلك فيما يشير إليه هاردنج وآخرون (Harding et al,1969) ، بالقيم التى يحملها عالم النفس الاجتـماعى والتى لا يمكن تجاوزهـا فى أساس مفهومـه عن التعصب، والتمـييز باعتبارها مصطلحات تشير إلى الازدراء فيـما لو قورنت بمصطلحات كالتنافس والصراع (ص ٢).

رغم أن اتجاه المشكلات الاجتماعية كان السائد فى دراسة العلاقات بين الجماعات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، إلا أن هناك دلائل حديثة على تغير هذا الوضع. يوضح التغير فى مفهوم القوالب الجامدة كيف تم الابتعاد عن اتجاه المشكلات الاجتماعية، ففى السابق كان الحكم هل "القوالب الجامدة" بـاعتبارها سمة سيئة BAD على أساس ما ينطبق على مفهوم التعصب، على ذلك كان تعريـف القوالب الجامدةباعتبارها تعميمات اكتسبها الشخص بطريقة خاطئة، هذه التعـميمات جامدة ومخالفة للحقيقة (Ashmore & Delboca,1981; Brighams,1971a) . خلال العقـد الأخير انتشـر الرفض لهذا التعريف على أساس غـير تقييمى Nonevaluative . (مثـال Ashmore & Delboca,1981; Brewer & Kramer,1985; Hamilton,1981c; Mccauley, Sitt & Sgal,1980; Messick & Mackie,1989)

يلخص (آشـمور - ديلبـوكا) (١٩٨١) ثلاثة اعـتراضات رئيـسية فى الـنظر إلى القوالب الجامدة باعتـبارها سيئة bad ، تبدو جـميع هذه الاعتـراضات مشابهـة تماما للاعتراضات الموجهة لمفهوم التعصب باعتباره سيئا كذلك.

الاعتراض الأول: هو أن إضـافة أحكام القـيمة إلـى التعـريف المحدد للقـوالب الجامدة هو زيادة غير ضرورية.

الاعتراض الثانى: هو أن تعريف القوالب الجامدة باعتبارها سيئة bad يعنى بأنها: منحرفة Deviant ، أو شـاذة Bizarre أو مرضـية Pathological ، أى أنها لـيست نتاج عمليات دافعية أو معرفية عادية.

الاعتراض الثالث: هو أن افتراض أن الـقوالب الجامدة أمرا سـيئا bad لا تدعمه دلائل إمبيريقية.

على ذلك فلا دلـيل يشير إلى أن القـوالب الجامدة Stereotypes أكثر جمودا أو تعميـما أو خطأ من أى تعميم يـقوم على أساس التصنيـف إلى فئات (تعميم عـلى فئة معينة). رغم ما يبدو أن هذه الاعتبارات تنطبق على مفهوم التعصب بقدر انطباقها على

مفهوم القوالب النمطية، إلا أن التعصب باعتباره مفهوما ازدرائيا كان أكثر انتشارا، وأكثر ثباتا عن القوالب النمطية، وحيثما نعثر على الكثير من هذا المفهوم الازدرائى للتعصب فمن النادر أن نعثر عليه فى القوالب النمطية. مثال (Milner,1983; Simpson & Yinger,1985) ،

قد يكون أحد أسباب ذلك هو أن مفهوم التعصب يشكل تمييزا أيديولوجيا غريبا عن العلم، هذا التمييز بين الاتجاهات السلبية بين الجماعات، والتى تبدو منطقية وصحيحة لمن يلاحظها، فى حين لا يبدو الأمر كذلك بالنسبة لغيره من المصطلحات. مثال ذلك المشاعر العدائية لليهود ضد الألمان المعاصرين لفترة الحكم النازى، بالمقارنة بمشاعر الألمان ضد اليهود، فإذا كان التعصب مشكلة اجتماعية، فالمؤكد أنه ينطبق على الحالة الثانية (تعصب الألمان ضد اليهود) فى حين لا ينطبق على الحالة الأولى (تعصب اليهود ضد الألمان النازيين).

وبنفس النظرة يرى (سمبسون - ينجر ١٩٨٥) Simpson & Yinger أنه "بالنسبة للشخص الديمقراطى يعتبر تعصبه ضد الشيوعيين والفاشيين مختلفا عن تعصبه ضد اليابانيين - فى حين أنهما لا يختلفان نهائيا، ولإيضاح ذلك علينا أن نميز بين الاصطلاحين فنقول (تعصب رقم ١، وتعصب رقم ٢) ص ٢٢، فالذى يجعل من هذه التصنيفات مشكلة علمية هو أنها لا تقوم على أساس من نتائج موضوعية أو إمبيريقية تؤيدها، ويترتب على ذلك أن التمييز يصبح حكم قيمة ذاتيا خالصا يتأثر غالبا بالمعتقدات، عضوية الجماعة، والتميزات التى يقع فيها الشخص، هذا بالإضافة إلى الظروف التاريخية والاجتماعية. ولإيضاح ذلك فقد يكون رأى (سيمبسون - ينجر) فى أن كراهية الديمقراطى للشيوعى يمكن تبريرها، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لكراهية اليابانى، قد يكون ذلك الرأى منطقيا ومعقولا بالنسبة لباحثى العلوم الاجتماعية الأمريكية حاليا. ومثل هذا التمييز بين أنواع التعصب لم يكن ممكنا خلال الحرب العالمية الثانية حينما تحالفت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ضد اليابان.

نظرا لأن فكرة التعصب كشىء - سيئ واتجاه غير منطقى كانت دائما أحكام قيمة ذاتية، فلم يحدث مطلقا أن ظهر تعريف إجرائى أو قياس موضوعى للاتجاه التعصبى بالمفهوم الذى أوردناه. وبدلا من ذلك كان قياس التعصب يتم باعتباره اتجاها سلبيا بين الجماعات. نتيجة لذلك فإن المعارف العلمية الناشئة حول التعصب تلونت بهذا التصور، وليس باعتباره نوعا خاصا من الاتجاهات الجماعية السيئة .

نتجت هذه المشكلات الأساسية عن التحول من اتجاه المشكلات الاجتماعية فى دراسة التعصب باعتباره سيئا وغير منطقى. وكان أحد مظاهر ذلك هو عدم التركيز على مصطلح التعصب فى دراسة العلاقات بين الجماعات، وذلك لأنه يحمل نزعة ازدرائية. بدلا من ذلك فضّل الباحثون مصطلحات غير تقييميه Non Evaluative وأكثر حيادا مثل الاتجاهات العنصرية أو بين الجماعية (مثال -Messick & Mack) ie,1989;Tajfel,1982b: ، وقد ارتبط ذلك عالميا- على الأقل بالنسبة للمصطلحين الأخيرين بتزايد الاهتمام بالاتجاه المعرفى فى التعصب، وتحول التركيز عموما عن دور الوجدان فى فهم العلاقات بين الجماعات. (Hamilton,1981,C).

تضمن التعبير الثانى عن التحول عن اتجاه المشكلات الاجتماعية الإبقاء على مصطلح "تعصب" ولكن مع تغيير معناه بحيث يصبح محايدا من الناحية التقييمية. ويوضح الجدول ٢ - ٢ بعض الأمثلة على ذلك الاتجاه، فهذه التعريفات تتضمن فى الأساس اتجاها سلبيا فيما بين الجماعات، وعلى عكس الاتجاه نحو تجنب استخدام المصطلح نهائيا، يميل ذلك إلى أن يتضمن تركيزا واضحا على الدور الرئيسى للبعد الوجدانى فى العلاقات بين الجماعات، ولهذا التعريف ميزة أخرى هامة، إذ يتسق مع الكيفية التى يجرى بها تعريف التعصب إجرائيا وقياسه موضوعيا، ويبدو على هذه الكيفية أنه يعكس هذه الظاهرة بصورة أكثر ملاءمة لما تتم به دراستها فى الواقع على يد باحثى العلوم الاجتماعية.

هل هناك أنواع مختلفة للتعصب؟ كثيرا ما يثير البعض قضية إمكان التمييز بين أنواع متباينة من التعصب وخصوصا عند مناقشة التعصب العنصرى، فقد افترض (Schermerhorn,1970) تمييزا بين العنصرية القصوى والعنصرية الدنيا، تتضمن الأولى اعتقادا فى التدنى البيولوجى الموروث للسود أو الزنوج، أما العنصرية الدنيا فترى أن هذا التدنى يرجع إلى محددات ثقافية.

من جهة أخرى يرى (كوفيل) (Kovel 1970) أن هناك تمييزا بين العنصرية السيادية Dominative فى جنوب الولايات المتحدة، والعنصرية المنفّرة Aversive فى الولايات الشمالية.

ويفترض (كوفيل) أن هذين النوعين من العنصرية يتضمنان ديناميات سيكولوجية مختلفة تماما - حيث يرتبط النوع الأول بالمرحلة الأوديبية، والنوع الثانى بالمرحلة الشرجية.

جدول ٢-٢

بعض التعريفات غير الازدرائية للتعصب
- من منظور سيكولوجى يمكن النظر إلى التعصب على أنه اتجاه سلبى نحو أفراد جماعة أقلية (Levin & Leuin, 1982. P. 66).
- اتجاه نحو أعضاء جماعة معينة يؤدى إلى تقييم سلبى لهم بسبب هذه العضوية (Vaughan, 1988, P. 2).
- استعداد للاستجابة نحو شخص بسلوك غير ملائم بسبب الطبقة أو الفئة التى ينتمى إليها (Gergen & Gergen, 1981, p. 121).
- اتجاه سالب نحو جماعة محددة اجتماعيا (Stephan, 1983, p. 417).
- استعداد محبذ أو غير محبذ تجاه أى عضو فى فئة اجتماعية موضع تساؤل (Tajfel, 1982, p. 3).
- مشاعر مشتركة بالتقبل - الرفض، الثقة عدم الثقة، الحب - الكره تميز الاتجاه نحو جماعة معينة فى النظام الاجتماعى (Brewer & Kramer, 1985, p. 230).

حسب ذلك التفسير تسمح العنصرية السيادية فى الجنوب بوجود علاقات حميمة بين عنصرى البيض والزنوج، فى حدود استخدام المرأة الزنجية كموضوع جنس، أما الرجال الزنوج فهم مصدر الخوف، والحسد، والخوف من الخصاء. من جهة أخرى تسمح العنصرية المنفرة فى الشمال للزنوج ببعض الحقوق الشكلية، بينما لا تسمح بأى اتصال بين العنصرين.

والنموذج الثالث لهذا الموقف لـ (فاندنبرج) والذى أقام تصنيفه على أساس اجتماعى تاريخى، إذ يصنف (فاندنبرج) بين العنصرية الأبوية والتى يرى أنها تميز المجتمعات التى تكون فيها سيادة البيض وتفوقهم غير موضع منافسة، كما أنها مقبولة من الجميع، أما النوع الثانى فهو العنصرية التنافسية، والتى تكون فيها مشروعية سيادة الأبيض وسيطرته موضع التحدى، مما يؤدى إلى العداء الصريح بين الجماعات.

ورغم أن العـديد من هذه التصنـيفات يبـدو بديهيا إلا أن الـقليل منها قـام على أساس من الدليل الواقعى، فعلى سبيل المثال لـم يقم أى من التصنيفات التى أشرنا إليها على تعريف إجرائى أو مقاييس كافيـة لصدار مثل هذه الأحكام، الأمر الذى يجعل من الصعـوبة بمكان أن تحدد درجة صدقـها أو إمكانية الاسـتفادة منها. أخـذ (وودمانسى - كوك) (Woodmansee & Cook,1967) منحى مختلفا فى مواجهة هذه المشكلة وذلك بإعداد مقياس الاتجاهات العنصرية متعدد العوامل (MA_RI)، حيث استخدما التحليل العاملى والتحليل العنقودى Cluster analysis فى وضع مقياس للاتجـاهات العنصرية يتكون مـن مائة فقـرة تنقسم إلى عـشرة مقايـيس فرعيـة تم التمييـز بينها عـلى أساس إمبيريقى. يفتـرض فى هذه المقاييس الفرعية أن تعكس أبعادا مخـتلفة لاتجاهات البيض نحو السـود، وتشمل أبعادا مثـل الاعتقاد فى انحطـاط الجنس الأسود Derogatory ، الاعتقاد فى سهـولة الاتصال بين الأجناس، سياسة التكامل - الفـصل العنصرى، قبول العلاقة بالزنوج على أساس سيادة الجنس الأبيض على الأسود، وما إلى ذلك. ولقد تم تكرار إجراء التحليـل العنقودى لنفس هذه الأبعاد العشرة ونتج عـن ذلك إضافة بعدين جديدين (Brigham, Woodmansee, & Cook,1976). و سواء كانت هـذه المقاييس الفرعية تمثل تـنوعا مفيدا أو غير مفيـد بين درجاتها الفرعية، فإنهـا تظل مع ذلك قابلة للنقاش، وذلك:

أولا : لأن معاملات الارتباط فيما بينها عالية، فقد كان متوسط معاملات الارتباط بين المقاييس العشرة الأصلية ٥٤.٠، ومن المفـترض أن تكون أعلى من ذلك إذا استبعدنا حساب ارتباط إحدى المقـاييس الفرعية بباقى هذه المقاييس، وهو مـقياس (سيادة الجنس الأسود) والذى اتضح أن ارتباطه بباقى المقاييس الفرعية منخفض جدا.

وكمـا يشير (هـاردنج) وآخرون (١٩٦٩)[٢٥٩] حينمـا أجرى التحليل الـعاملى للمقياس كان شأنه شـأن غيره من مقاييس الاتجاهات التعصبيـة، حيث أبرز عاملا عاما قويا هو "التفضيل مقابل عدم التفضـيل"، مع ارتباطه بباقى مقاييس العوامل الأخرى، لا يقل عن معاملات ثبات المقاييس.

ثانيا: ثمة دليل أقل اتسـاقا على أن هذه الأبعاد ترتبط بدرجات متـفاوتة مع أبنية نظرية أو متغيرات سلوكية شائعـة. والحق أنه رغم أن الأبعاد التى ظهر تميزها من خلال نتائج التحليل العاملى والذى يمكن إجراؤه على فقرات مقياس مثل Mrai ، فقد اتضح أن هذه الأبعاد تـشكل نمطا متشـابها فى ارتبـاطها بالمتغـيرات الأخرى. (Brigham et al.,1976; Woodmansee & Cook 1967)، مما يعنى أن هذه الأبعـاد قد لا تشكل بناء نظريا متناسقا.

كانت أكثر الاتجاهات المعاصرة أهمية فى التمييز بين الأنواع المختلفة للتعصب هى نظرية العنصرية الرمزية Symbolic Racism . تفترض هذه النظرية أن العنصرية القديمة أو التقليدية فى الولايات المتحدة قد استبدلت بنوع أكثر حداثة من العنصرية، يسمى هذا النوع إما العنصرية الرمزية أو العنصرية الحديثة (McConahay,1983; McConahay et al.,1981). الحجة الأساسية التى تقوم عليها هذه النظرية هى أن التعصب العنصرى فى صورته التقليدية يظهر فى شكل تعاطف مع سيادة الجنس الأبيض، تدنى الجنس الأسود، وفى التفرقة العنصرية، وكل هذه المظاهر أصبحت غير مقبولة فى المجتمع الأمريكى. ونتيجة لذلك تم استبدالها بالعنصرية الرمزية والتى لا تعبر عن العواطف العنصرية بأى صورة واضحة أو معلنة ولا يمكن التعرف عليها. وبدلا من ذلك تظهر المشاعر فى الصورة التالية:

"خليط من المشاعر المضادة للسود، ونوع من القيم التقليدية يتجسد فى الأخلاق البروتستانتية". وتمثل العنصرية الرمزية شكلا من أشكال المقاومة لتغيير الوضع العنصرى الراهن، يقوم على مشاعر أخلاقية هى أن السود ينتهكون القيم الأمريكية التقليدية، كالفردية والاعتماد على الذات وأخلاقيات العمل والطاعة والنظام (Kinder & Sears,1981,P.416).

ينظر إلى العنصرية الرمزية كصفة يختص بها الرجل الأبيض فى مدن شمال أمريكا، فى حين يختص البيض غير المتعلمين من الطبقة الدنيا فى جنوب أمريكا بالعنصرية التقليدية أو العنصرية الشركسية Reed Neck ، (McConahay & Hough,1976).

أشار عدد كبير من الأبحاث إلى أهمية هذا الاتجاه الرمزى وفوائده، فقد بينت مقاييس الرمزية العنصرية أنها أقوى من مقاييس العنصرية التقليدية فى التنبؤ بتفضيل البيض للسياسات العنصرية (Kinder & Sears,1981) ، وتفضيل انتخاب الرئيس ريجان (Weigel & Howes,1985) ، وبمعارضته مشاركة الزنوج فى وسائل النقل Busing (McConahay,1985)، ورفض الحركات المؤيدة لحقوق السود Affirmative Actions (Jacobson,1985) . ومن أمثلة الفقرات التى تقيس العنصرية الرمزية «الزنوج تجاوزوا حدودهم فى المطالبة بالمساواة معنا»، وقد اتضح أن الرجل الأبيض فى المدن يميل إلى الفقرات التى تعكس العنصرية الرمزية أكثر من العنصرية التقليدية. (McConahay et al.,1981; McConahay & Hough,1976) ، كذلك يميل الطلاب إلى اعتبار فقرات العنصرية التقليدية كريهة ومرفوضة بأكثر من فقرات العنصرية الرمزية، (McConahay et al.,1981; McConahay &Hough,1976)

غيـر أن نظرية العـنصرية الـرمزية أدت إلى خـلافات فى وجـهات النظـر، كان الموضوع الخلافـى الأول هو ما إذا كانت العنصـرية الرمزية هى مجـرد تعبير مسـتحدث لنفس الاتجاهات التعصبية التقليدية، أم أنها بناء مختلف يمثل نوعا جديدا من العنصرية.

يتخـذ المؤيدون للعنصريـة الرمزية وجهة النـظر الثانية، فـفيما يرى (مـاكوناهاى وهيوز) (١٩٧٦) "العنصرية الرمـزية هى تعبير عن بعض المشاعر السلـبية الكامنة خلف العنصريـة التقليدية الشركـسية Red - Neck ، لكنـها تخـتلف عنـها فى جـذورها السيكولوجية، وفى العديد من أشكال التعبير الخاصة بها. (ص٣٤)

والجذور السيكولوجـية التى يشيرون إليها هـنا هى خليط من التنشئة الاجتـماعية على : المحافظة، والتمسك بالتقاليد، ومعـاداة السود. يفترض أيضا أن العنصرية الرمزية لا ترتبط بالعوامل التى ارتبـطت بها العنصرية التقليدية، مثل الـتهديد المدرك من جانب السود، الاغتراب، عدم الرضا، والعجز (Kinder & Sears,1981; McConahay & Hough,1976).

ساندت نتائج دراسة (ماكوناهاى وهيوز) (١٩٧٦)[٤١٧] المبكرة فكرة أن العنصرية الرمزية والتقليدية بناءان مستقلان نسبيـا، فقد طبقت مقاييس لكلا النوعين من العنصرية على عيـنة من طلاب السيـمنار، واتضح أن كلا النـوعين لا يرتبط بالآخر بـصورة دالة إحصـائيا، إلا أن هذه الدراسـة كانت موضـعا لنقد حـاد، فقد أشـار (ويجل - هاوز) (١٩٨٥)[٧٠٠] على سبيل المثـال إلى أن مقياس الاتجاهات العنصرية التـقليدية تكون من ثمانى فقرات مـباشرة إلى درجة مثيرة للضيـق، مستمدة من مقياسين فـقط من مقاييس Mari (القوالـب النمطية السـالبة، التـمييز الـعنصرى)، أكثـر من ذلك كانت العـينة متجانسة وغيـر عادية، وذلك لأن طلاب السيمنار يميلون إلى الليبـرالية وحساسون ضد التعبيرات التى تؤيد التفرقة والدونية العنصرية، والحقيقة أن ما يقرب من ٤٠٪ من العينة رفضـت الإجابة على فـقرات مـقياس الـعنصرية الـتقليـدية، ولذلك كـان التبـاين فى استجابات من أجاب علـى الاستبيان محددا جدا بالمقارنة بالإجـابات على باقى المقاييس التى استخدمت فى هذه الدراسة.

قد يكون التباين الضيق للاستجـابات فى هذه الدراسة هو المسئول عن الفشل فى ظهـور الارتباط بـين مقـاييس العنـصرية الـرمزية والـتقليـدية. أعـاد (فيـجل وهاوز) (١٩٨٥)[٧٠٠] دراسة هذا الموضوع مستخدمين مقاييس أكثر ملاءمة للعنصرية التقليدية، وذلك باستخدام صورة مختصرة من مقياس Mari والتى اقترحها مصممو هذا الاختبار، أما العينة فكانت مخـتارة بطريقة عشوائية من المدن الأمريكية متـوسطة الحجم فى منطقة نورث هيست.

كان الارتباط بين مقاييس العنصرية الرمـزية والتقليدية قويا جدا (ر = ٦٧، ٠)كما لم يكن الارتباط أقل من معاملات الثبـات لكلا المقياسين، هناك دراسات أخرى عديدة أكدت الارتباط بين كلا النوعين من العنصريـة، فقد وجد (ماكوناهاى) (١٩٨٢) ارتباطا قدره ٥٨، ، ووجد (مـاكليندون) (١٩٨٥) ارتباطا قدره ٦٥، ، (جـاكوبسون) (١٩٨٥) ٤٩، ، وهذه الارتبـاطات عالية، وترتـفع فى حالات كثـيرة بعد استـبعاد الاختـبارات المنخفضة الـثبات. فمثلا فى دراسة (جاكـوبسون) تم قياس العنصرية الرمـزية باستخدام مقياس بسيط مكون من فقرتين فـقط، ومن الواضح أن هذه النتائج لا تساند فكرة - أن العنصرية الرمزية تختلف بوضوح فى بنائها عن العنصرية التقليدية.

من ناحـية أخـرى، أشـار (كيـندر) (١٩٨٦)[٣٣٠] إلى أن الـتحليل العـاملى أوصـلـنـا إلى عــوامل مستـقلة للـعنصريـة الرمزية والـتقليـدية، فى دراسات عـديدة (Bobo,1983; Conahay, 1982;1986) ، غير أنـها غير متـسقة بشكل كامـل، فقد وجد (جاكوبسون) مثلا (١٩٨٥) أن فقرات الرمزية والتقليدية متشبعة بعامل واحد، كما أن التحليل العاملى هو وسيلة تكنيكية بحـتة، وعدد العوامل الناتجة يعتمد على قرارات غير دقيقة فى أساسها، بالإضافة إلى أن درجـة التشابه أو الاختلاف السيمانتى (الدلالى اللغوى) بين مجموعـات الفقرات قد نتج عن العوامل التى تظهر قـد لا يكون لها معنى نظرى أو إمبيريقى.

هناك اعتبارات أخـرى هى التى تحدد ما إذا كانت هذه العوامل تشكـل بناء مفيدا فى تميزه، الاعتبار الأول هو درجة الارتباط بين العوامل - أو المقاييس - وبين قدرة هذه المقاييس على التنبؤ المستقل بمحكـات نظرية أو عملية. فى الحالة الأولى سبق أن لاحظنا أن الارتباط بين العنصرية الرمـزية والتقليدية كان قويا جدا، وفى الحالة الـثانية لم تظهر دلائل على اختلاف أى من العنصرية الرمزية والتقليدية فى نمط ارتباطاتها بالأبنية النظرية أو العملية الأخرى.

والحقيقة أن أغلب الارتباطات ذات الدلالـة مع العنصرية الرمزية كانـت بمتغيرات مثـل التعلـيم، المحافـظة السيـاسيـة، الوطنيـة، والتمـسك بالتـقاليـد الاجتـماعـية. (McConahay & Haugh,1976)، وكان ارتباط هذه المتغيرات بالعنصرية التقليدية قويا جدا وبغير استثناء. استنتج (جاكوبسون) (١٩٨٥)[٣٠٥] على أساس النتائج التى توصل إليها أن "ما هو جديد ليس عنصرية جديدة، لكـنها نوع من الاستبعاد لقليل من عناصر التعميم حول التـكامل العنصرى (العنصرية القديمة الطراز) من المنظـومة العادية لعناصر

التمييز العنصرى. فالعنصرية الجديدة قد تكون رمزية، لكن من دراسة (هاريس Harris) يبدو أنها قديمة جدا". (ص٣٢٨).

توصلت استعراضات عديدة للأبحاث فى الموضوع إلى استنتاجات مماثلة ، وكما أشرنا إلى إحدى النتائج السابقة، فالدرس الذى نتوصل إليه من خلال الحوار الذى استعرضناه هو : "أن الناس يبررون سلوكهم التمييزى تجاه الأقليات بطرق تتغير عبر الزمن وتحت ضغط ما يعتبره المجتمع شيئا محترما. فالتغيرات الاجتماعية الجديدة تسبب طرقا جديدة فى التعبير عن الاتجاهات السلبية بين الجماعات وعن الرغبة المستمرة فى مقاييس جديدة لهذه الاتجاهات". ولقد كان لذلك نتائج هامة وواضحة على محاولات التنبؤ بالسلوك من مقاييس التعصب، والتى سوف نناقشها فى الفصل القادم.

خلاصة:

التعصب مفهوم سيكولوجى هام فى فهم الظواهر التى تحدث بين الجماعات، إلا أن تعريفه ومفهومه شمل عديدا من المشكلات المتداخلة والمتنوعة، كما تضمن قدرا كبيرا من عدم الاتفاق.

ناقشنا ثلاثة من الموضوعات ذات الأهمية فى هذا السياق، كان **الموضوع الأول** ما إذا كان التعصب يمكن تعريفه ببساطة كاتجاه سلبى تحمله جماعة ضد أخرى، أو كاتجاه سيئ بمعنى ما - كان ذلك أكثر الموضوعات إثارة للإشكاليات فى استعراض التراث. ويبدو أن السبب الكامن خلف هذه المشكلة هو الرغبة فى التمييز بين الكراهية فيما بين الجماعات والتى تبدو منطقية ولها مبرراتها، وبين الأنواع الأخرى التى تبدو كذلك. على ذلك يبدو أن هناك فرقا بين مسببات العدائية التى يشعر بها الضحايا، ومسببات العدائية التى يشعر بها المتسببون فى هذا الظلم. إلا أنه رغم بذل عدد من المحاولات لتحديد متى تكون الاتجاهات السلبية فيما بين الجماعات غير منطقية، سيئة، غير مبررة، لم يظهر حتى الآن محك متميز أو صادق للحكم، ونتيجة لذلك بدأت الاتجاهات المعاصرة فى الانتقال إلى التعريفات غير القائمة على أحكام القيمة، وكان لهذا الاتجاه ميزة هامة من حيث اتساقه مع الطريقة التى يتم بها قياس ودراسة التعصب.

المشكلة الثانية: هى فى المقصود بمصطلح اتجاه، فمن المتفق عليه عموما أن التعصب هو اتجاه، لكن الاتفاق أقل حول معنى الاتجاه. استخدم السيكولوجيون مثلا نموذجين مختلفين تماما للاتجاهات، نموذج العناصر الثلاثة وهو المفضل لدى الأغلبية، وخصوصا لدى باحثى الاتجاهات العنصرية، وتبدو ميزته الأساسية فى اتساع معناه،

وفى اشتماله على مفاهيم هامة مثل القوالب الجامدة، البعد الوجدانى للتفضيل - عدم التفضيل، والاستعدادات السلوكية التمييزية التى يتم التعبير عنها فى صورة المسافة الاجتماعية، يصاغ ذلك فى مفهوم واحد متكامل. إلا أن هذا الاتجاه كانت له مشكلاته الخطيرة، أهمها غموضه، نقص الأدلة الإمبيريقية على صحته، فالحقيقة أن التعصب تم قياسه نادرا - إن كان قد تم أصلا - وفق هذا التصور.

كانت الاتجاهات أحادية البعد والتى ترى التعصب على أساس البعد الوجدانى فقط تعالج المفهوم باعتبار أن القوالب الجامدة والمسافة الاجتماعية مفهومان مستقلان. ويبدو أن لهذا الاتجاه ميزاته الهامة، مثل الوضوح والدقة والاعتماد على أرضية نظرية كافية والاتساق مع الطريقة التى تم بها قياس التعصب.

المشكلة الثالثة : وهى هل فى إمكاننا التمييز بين الأنواع المختلفة للتعصب؟ فى هذا الصدد نجد عددا من التصنيفات للعنصرية لكن الأسانيد الإمبيريقية لأغلبها ضعيفة إن وجدت هذه الأسانيد أصلا. كان الاتجاه الذى استحوذ على الانتباه نظرية العنصرية الرمزية، ويشير إلى نوع جديد من العنصرية ظهر فى أمريكا يختلف كيفيًا عن العنصرية التقليدية، إلا أن الدراسات التى استخدمت التحليل العاملى أشارت إلى أن مقاييس العنصرية الرمزية والتقليدية تنشأ غالبا عن عوامل مستقلة، وأن الارتباط فيما بينهما قوى جدا، وأعلى من معاملات الثبات. كذلك أظهر كلا النوعين من العنصرية نمطين متشابهين جدا من الارتباط بغيرهما من المتغيرات- هذا رغم ما اتضح من أن العنصرية الرمزية كانت متنبئا أقوى بالسلوك وبالأشكال الأخرى للعنصرية.

يؤدى ذلك بنا إلى القول بأن العنصرية الرمزية قد لا تكون نوعا جديدا مختلفا من العنصرية، لكنها تعبير أكثر معاصرة ومنطقية من التعصب العنصرى، ويبدو عموما أن فائدة الاتجاهات التى حاولت التنميط أو التى حاولت أن تكون أحادية البعد فى فهم العنصرية والتعصب لم تصل إلى البلورة الكاملة لوجهة نظرها.

أخيرا ينشأ سؤال هام، هو: إلى أى مدى يرتبط التعصب كاتجاه سلبى بين الجماعات بالسلوك فيما بين هذه الجماعات؟.

يفترض النفسيون الاجتماعيون غالبا أن التعصب يرتبط بالسلوك التمييزى، ويستخدمون ذلك فى تبرير تركيزهم على دراسة التعصب، ولكن هذا الاعتقاد تعرض إلى انتقادات خطيرة، منها أن معظم الدلائل المتاحة أشارت إلى أن التعصب قد لا يرتبط بالسلوك التمييزى نهائيا، وهذا ما سنناقشه فى الفصل القادم.

***

الفصل الثالث

التعصب والسلوك

درج السيكولوجيون على افتراض أن هناك علاقة وثيقة ومباشرة بين الاتجاهات التعصبية فيما بين الجماعات وبين السلوك العدائى والتمييزى بين أفراد الجماعة، افترض (ألبورت) (١٩٥٤)(١٢) على سبيل المثال أنه رغم أن الأفراد المتعصبين قد لا يظهرون تعصبهم فى جميع الأحوال، إلا أن هناك ميلا قويا إلى ذلك السلوك: "من الحقيقى أن أى اتجاه سلبى يميل بطريقة ما وفى مكان ما إلى التعبير عن نفسه فى صورة سلوك، والقليل من الناس يمكنهم إخفاء ذلك بصورة كاملة، وكلما تزيد حدة الاتجاه، يزيد احتمال ظهوره فى صورة فعل عدائى" (ص ١٤).

افترض (ألبورت) خمس درجات للسلوك تتزايد فى شدة تعبيرها سلوكيا عن التعصب :

١ - أسلوب كلامى معارضAntilocution أو التعبير اللفظى المضاد Antipathy.

٢ - التجنب

٣ - التمييز عن طريق استثناء أعضاء الجماعة المقصودة من بعض الحقوق الاجتماعية أو بعض المكافآت التى يستحقونها.

٤ - العدوان الفعلى Physical Attack .

٥ - القتل Extermination .

وقد اتضح من الدراسات الإمبيريقية أن مستوى أدنى يمكن إضافته إلى المستوى الأعلى منه فى درجة العنف كتنويع لأشكال التعبير السلوكى غير المباشر عن العداء فيما بين الجماعات.

تشمل الأشكال غير المباشرة نبرة الصوت Voice Tone (Weitz,1979) ، عدم احترام الحيز الشخصى للآخر (Brown,1981)، عدم التفاهم بإشارات العين (Bielby,1987) ، والتمييز الإسنادى Attributional Bias مثل تفسير السلوك السلبى الصادر من أعضاء الجماعة الأخرى باعتباره أصيلا ونابعا عن طبيعتهم، أكثر من تفسير ذلك باعتباره ناتجا عن ملابسات الموقف الذى كانوا فيه، ويحدث العكس بالنسبة للسلوك الإيجابى (Pettigrew,1979) .

والاعتقاد أن الاتجاهات التعصبية ترتبط بصورة وثيقة بالسلوك السلبي بين الجماعات يستخدم غالبا في تبرير اهتمام علماء الاجتماع بدراسة التعصب، (فليفن وليفن) (١٩٨٢)[٣٧١] على سبيل المثال يقولان: "نهتم بالتعصب فقط إلى المدى الذى يؤثر فى التمييز الاجتماعى" (ص٨١).

يعتبر أغلب علماء الاجتماع ذلك نوعا من المبالغة، حيث يرون فى التعصب موضوعا يستحق الاهتمام فى ذاته، إلا أن السؤال عن طبيعة ومدى العلاقة بينه وبين السلوك تظل موضوعا بالغ الأهمية.

تعرّض الاعتقاد أن التعصب والسلوك مرتبطان بصورة وثيقة إلى دراسة جادة قامت على أساس إمبيريقى، حيث أشار أرليخ (١٩٧٣)[١٧٩] إلى أن "دراسة العلاقة بين التعصب والسلوك توصلنا باستمرار إلى عبارة تلخيصية تأخذ شكلا مؤداه أن التعصب هو مصدر ضعيف للتمييز" (ص٨).

حظى هذا الاستنتاج بتأييد واسع النطاق « (باورز ١٩٨٥[٧١]، بريجهام ١٩٧١ ب[٨٦]، فيجن وايكبرج ١٩٨٠[١٩٢]، جرين ١٩٧٢[٢٣٨]، شوارتزوالدوينون ١٩٧٨[٥٧٦]). وتم التركيز على أن العلاقة تبدو معقدة وغير مستقيمة (باورز ١٩٨٥، بريجهام ١٩٧١ب، آرليخ ١٩٧٣، فيجن وايكبرج ١٩٨٠، جرين ١٩٧٢).

ومن الأمثلة التى توضح هذا التعقيد اهتمام عدد من الدراسات بتصنيف (ميرتون، ١٩٧٠)[٤٢٦] لفئات أربعة تجمع بين التعصب والتصنيف وهى (غير متعصب غير مميز، غير متعصب مميز، متعصب غير مميز، متعصب مميز Discriminator) (فيجن وايكبرج ١٩٨٠، ليفن - ليفن ١٩٨٢، سيمبسون - بينجر ١٩٨٥).

غير أن بعض التطورات النظرية والإمبيريقية توصلت إلى أن ذلك قد يكون استنتاجا متشائما، وسوف نخصص ما تبقى من الفصل لاستعراض هذا الموضوع.

التعصب والسلوك: دراسات سسيولوجية.

أجرى علماء الاجتماع ـ الاجتماعيون ـ دراسات ميدانية مبكرة، هذه الدراسات أوضحت إمكانية الانفصال التام بين الاتجاه التعصبى والسلوك.

هناك أربع دراسات كانت ذات تأثير خاص وتشيع الإشارة إليهم فى استعراض التراث، وهى دراسات لابيير (١٩٣٤)[٣٥٥]، كوتنر-ويلكنز ويارو (١٩٥٢)[٣٤٦]، ساينجر - جيلبرت (١٩٥٠)[٥٦٣]، مينارد (١٩٥٢[٤٣٨]).

قام (لابيير) بجولة فى الولايات المتحدة بصحبة اثنين من الصين، وتوقف فى العديد من الفنادق والمطاعم، ورغم شيوع الاتجاهات المضادة للصينيين فى هذا الوقت، إلا أن من رفض تقديم الخدمة لهم من هذه الأماكن كان حالة واحدة.

وفيما بعد ستة أشهر أرسل الباحث استبيانات للأماكن التى زارها، سألهم فيها عن مدى استعداد أصحابها لقبول الصينيين كضيوف، قال ٩٠ ٪ من المستجيبين أنهم سوف يرفضون تقديم الخدمة لهم، كذلك أجرى (كوتيز) وآخرون (١٩٥٢) دراسة مشابهة لذلك، حيث دخلت اثنتان من البيض وواحدة من السود إحدى عشر مطعما فى أماكن شبه حضرية فى الشمال الشرقى للولايات المتحدة وتم تقديم الخدمة لهن بطريقة عادية، وقد سبق ذلك إرسال خطابات لهذه الأماكن لضمان عدم الحجز فى مطاعم يعمل بها خليط من الزنوج والبيض، كذلك تم الاتصال تليفونيا ببعض الأماكن واستبعدت الأماكن التى رفضت استقبال هذه المجموعة من النساء، أو التى ترددت فى قبول حجزهم بها.

قام (ساينجر - جيلبرت) (١٩٥٠) بدراسة نتائج عمل الزنوج فى وظيفة مسئول مبيعات فى السوبرماركت، وقد وجد أن الزبائن المتعصبين لم يتجنبوا الموظفين الزنوج أو المحلات التجارية التى يعمل فيها الزنوج.

درس (ميتراد) (١٩٥٢) العلاقات العنصرية فى كثير من مجتمعات تعدين الفحم فى الولايات المتحدة. وجد ميزاد تكاملا عنصريا ومساواة فى مواقف العمل، وفى نقابة العمل، لكن وجد تمييزا عنصريا حازما خارج هذه الأماكن، ولقد قبلت الغالبية من عمال المناجم البيض هذا التناقض الواضح باعتباره شيئا طبيعيا - أن ينتقلوا من حالة المساواة إلى حالة السيادة العنصرية إذا انتقلوا من موقف إلى آخر.

وعلى وجه العموم يبدو أن هذه المواقف توصل إلى أن الطريقة التى يتصرف بها الناس تصرفا فعليا قد تكون مختلفة تماما عن الاتجاهات التى يعبرون بها أو النوايا التى يظهرونها. والحقيقة أن سلوك الفرد يبدو أنه يتحدد من خلال أدوار أصحابه والمواقف التى يوجدون فيها أكثر مما يتحدد باتجاهاتهم، وعلى أساس مثل هذه النتائج يقول (روز) (١٩٥٦) ،هو أحد العلماء السسيولوجيين البارزين:

«يبدو من المقبول افتراض أن أنماط العلاقات بين الجماعات (والتى تشمل أساس التمييز والفصل) منفصلة تماما عن الاتجاهات التعصبية من حيث إن كلا منها له تاريخ منفصل فى أسبابه، وفى عملية تغييره، بعبارة أخرى. . .فأنماط العلاقات فيما بين الجماعات من ناحية، واتجاهات التعصب والقوالب النمطية من ناحية أخرى هما ظاهرتان غير مترابطتين بشكل قاطع». (ص١٧٣).

غير أن هـذه النتائج كانـت موضع عدد من الانتـقادات، ففى دراسات (لابـيير، كوتنر) وآخرون على سبيل المثال، قد تتأثر استجابات أصحاب المطاعم بحقيقة أن الزبائن الصينيين أو الزنوج كانوا بصحبة شخص أبيض موضع للاحترام (لين ١٩٦٥)(٣٧٩) وقد لا يكون لدى أصحاب المطاعم اعتراض على خدمـة الزنوج أو الصينيين المحترمى المظهر والذين يبدون من الطبقة المتوسطة، وقد يكون رفضـهم للحجز لهم بالتليفون راجعا إلى استثارة الصورة النـمطية للزنوج والصينيين باعتبارهم عـمالا جهلاء وأجلاف. (لورد - ليبر - ماكاى ١٩٨٤)(٣٨٤).

الحقيقة أن أصحاب المحلات قد لا يـعبروا فى هذه الحالة عن اتجاهاتهم الحـقيقية على الإطلاق حين رفضوا الحجز لهم فى مطاعمهم، وربما فعلوا ذلك فى محاولة لتقليل إمكانية حـدوث حوادث قد تؤدى إلى دمار لمنشآتهـم. أخيرا فقد ركزت دراستـا (لابيير وكوتنر) وآخرون علـى النوايا أكثر من الاتجاهات وافتـرضتا أن الأخيرة يمكن استـنتاجها ببساطة من الأولى.

عموما فإن نتائج هذه الدراسات المبكرة كـانت موجهة للأبحاث رغم قصورها فى الدقة والضبط الضروريين للتقدير الضـرورى لدرجة الترابط بين الاتجاهات بين الجماعات والسلوك. (جرين١٩٧٢(٢٣٨)، لـين ١٩٦٥(٣٧٩)). مع ذلـك فقـد أثارت سـلسلـة من الدراسات الأكثر منهجية وشبه التجريبية التى صممت لتقدير العلاقة بين التعصب المضاد للزنوج وبـين الأفعال المصـاحبة وذلك بصـورة أكثر دقـة ووضوحا. وقد أجـريت هذه الدراسـات (والتى يلخـصهـا الجدول رقم ٣ - ١) فـى الستـينيـات أساسا وفـى بداية السبعينيات - فى هـذا الوقت الذى جعلت فيه حركة الحقوق المدنية وحركـة منع التمييز من العلاقة بين الاتجاهات التعصبية والسلوك قضية عامة فى الولايات المتحدة آنذاك.

استخدمت كل الدراسات الواردة بالجدول نفس التـصميم المنهجى الأساسى، فقد تشابهت هـذه الدراسات فى أن يكون مبحـوثوها من الطلاب الأمريكـيين البيض، وتم قياس الاتجاه باستخدام استبيان مثل MRAI الذى يقيس المشاعـر المضادة للزنوج - أو فى بعض الحالات الخاصة تم استخدام أسئلة نوعيـة جدا عن كيف سيتصرف المستجيب فى مواقف افتراضية مع العناصر الزنجية والصينية.

يتم قياس السـلوك فى مثل هذه الدراسات بعد قيـاس الاتجاه وفى بعض الحالات يتم ذلك القـياس بعد أسابـيع أو شهور من قيـاس هذا الاتجاه، وهذه السلوكـيات التى تؤخذ كمحك للتمـييز تضم فى العادة بعض أنواع من الإيجابية الاجتـماعية والتى ينظر إليها كمؤشر لـعدم العنصرية، على ذلك يتـطلب من المبحوثـين أن يلزموا أنفسهم (فى

جدول ٣ - ١

الدراسات التى فحصت العلاقة بين الاتجاهات التعصبية والسلوك

الدراسة	العينة	مقياس الاتجاه	مقياس السلوك	علاقة السلوك بالاتجاهات
دى فير ـ وستى (١٤٦) ١٩٥٨	٢٣ زائد متعصب، ٢٣ قليل التعصب من طلاب الجامعة	مقياس ليكرت للتعصب ضد الزنوج	الموافقة الكتابية على الظهور فى صورة مع أحد الزنوج لأغراض الدعاية.	دالة (أقل من ٠,٠١) لكن ٣٠٪ من المبحوثين كانوا غير متسقين.
لين، ١٩٦٥ (٣٧٩)	٣٤ طالبه بيضاء	تقدير ذاتى لمدى الاستعداد للظهور مع ذكور زنوج فى صورة فوتوغرافية	الموافقة الكتابية على التصوير مع ذكور زنوج واستخدام الصور لأغراض الدعاية.	غير داله، ٥٨٪ كانوا غير متسقين
فندرتش (١٩٤) ١٩٦٧	١٨٩ طالب جامعى	مقياس ليكرت للتعصب ضد الزنوج	التوقيع بالموافقة على حضور مؤتمر NAACP	داله، جاما = ٠,٧١
دى فريز ـ فورد (١٤٧) ١٩٦٩	٢٦٢ ربة بيت فى إحدى مدن الولايات المتحدة	مقياس ترستون للتعصب ضد الزنوج	التوقيع على إعلان عام لتأييد أو معارضة الإقامة المشتركة مع الزنوج	تاو - ب = ٠,٠٩٥ لجميع الاستجابات = ٠,٤٠ بعد استبعاد غير المستجيبين
وارنر ـ دى فلير (٦٩٥) ١٩٦٩	١٢١ من الطلاب البيض	مقياس ليكرت للتعصب ضد الزنوج	التوقيع على إقرار بالمشاركة فى أنشطة مشتركة مع الزنوج	ارتباط دال (أقل من ٠,٠١)
وارنر ـ دينس (٦٩٦) ١٩٧٠	٥٣٧ من الطلاب البيض	تقدير ذاتى عن مدى الاستعداد للمشاركة فى أنشطة مع الزنوج	التوقيع بعد فترة من الاستبيان على إقرار بالمشاركة فى أنشطة	جاما الكلية = ٠,٢٧ لكن ٣٧٪ كانوا غير مستقلين
جرين ١٩٧٢ (٢٣٨)	٢٢ مرتفع و٢٢ منخفض فى درجة التعصب بين البيض	MARI	التوقيع على اتفاق بالظهور فى صور مشتركة مع الزنوج لإيضاح عدم العنصرية فى إحدى الكتب.	مانوفا أشارت إلى أثر دال مرتفع
أوينز ـ أرليخ (١٨٦) ١٩٧٢	٨٣ من طلاب الجامعة البيض	التعصب ضد الزنوج معرفى ـ وجدانى ـ نزوعى	التوقيع على رقرار للمشاركة فى ١٢ من أنشطة دعم الحقوق المدنية	تاو ـ ب تراوح بين ٠,٠٩ - ٠,٥٢، ٨ من ١٢ علاقة كانت دالة.

العادة من خلال التوقيع على إقرار بذلك) بأنواع من السلوكيات مثل المشاركة فى أنشطة مضادة للعنصريــة أو مؤيدة للحقوق المدنية، أو أن يطلب منهم التـوقيع على إقرار بأنهم غير عنصريين، أو قبول أن يظهروا فى صورة فـوتوغرافية مع الزنوج فى مواقف تعاونية ويعرفون أن هذه الصور سوف تنشر فى الصحف المحلية.

كانت أهم الدراسات تأثيرا هى دراسة (لين ١٩٦٥)[٣٧٩] قامت فيها مبحوثات من البيض بالإجابة على أسئـلة متضمنة فى استبيان يتطرق إلى موضـوعات عديدة مضمون هذه الأسئلة هل يمكنهن المشاركة مع ذكـور زنوج فى تصوير بعض اللقطات التى سوف تنشر بدرجات متفاوتة من النشر تتراوح بين النشـر فى مجلة علمية متخصصة، أو النشر فى حملة قومية لمناهضة التفرقة العنصرية.

بعد شهر من توجـيه هذه الأسئلة تعرضت المبحوثات لاختـبار سلوكى به خدعة محكمة، ففى أثناء إجراء مقابلة حول موضوع بعيد تماما عن العنصرية، صممت بحيث يحضر هـذه المقابلة ثلاثة ممثلـين عن (مؤسسة القـياس النفسى) أحدهـم أبيض والاثنان الآخران من الزنوج - وهم فى الحقـيقة مساعدون للمجرب - تعـرض المبحوثون لنفس الطلب السابق، بحيث يصبح الطلب فى هذه الحالة واقعيا وغير افتراضى.

وجدت العـديد من المبحـوثات أن الموقف غيـر مريح تمامـا، وأنه موقف مـفعم بالضغوط، ونتج عن ذلك أن ٥٨٪ منهن أجابت بطريقة مختلفة فى الموقف الواقعى عن الموقف الافـتراضى السـابق لهن الإجابة عـليه. وظهـر فى أغلب الحالات تـناقض فى سلوكيات المبحـوثات اللاتى وافقن على التصوير واستخدام الصـور فى حملات مضادة للعـنصرية، ولكـنهم فى الموقف الـفعلى رفـضن ذلك، وعمـوما فالـعلاقة بين الـنوايا والسلوك الفعلى أثبتت الدراسات أنها غير دالة إحصائيا.

كان استنتاج لين من هذه النتائج أن "التنبـؤ بالسلوك العنصرى على أساس قياس الاتجاهات العنصرية لا يتمتع بالثبات إلا إذا تـأكدنا من الصدق الواقعى لدرجات مقياس الاتجاهات. (ص٣٥٣)

لاحظت الـعديد من الـدراسات المذكورة فـى الجدول ٣ ـ ١ تناقـضات واضـحة فباستخـدام تصميم منهجى مشابه لما فـعله لين، وجد وارنر - دينيس (١٩٧٠)أن ٣٧٪ من مبـحوثيهم كـانوا متناقضـين، فى حين أشار (دى فليـر - وستى) (١٩٥٨) إلى أن التنـاقض بلغ ٣٠٪ من مـبحوثـيهم، ورغم أن هاتـين الدراستين ركـزتا على التـناقض الملحوظ بين الـسلوك والاتجاهات إلا أنه فى كلتـا الدراستين كانت العلاقـة بين السلوك والاتجاه دالة فى اتجاه الاتساق، وفى الحقيقة أنه فيما عدا دراسة لين انطبق هذا الاستنتاج على كل من الدراسات المذكورة فى الجدول.

غير أن استعراض هذه الدراسات يوصلنا إلى أنها تميل إلى التركيز على عدم الاتساق الذى تلاحظه (باوزر ١٩٨٥[٧١]، برجهام ١٩٧١ب[٨٦]، إرليخ ١٩٧٣[١٧٩]، فيجن - إيكبرج ١٩٨٠[٩٢]، جرين ١٩٧٢[٢٣٨]، وارنر - دينيس ١٩٧٠[٦٩٦]) ويبدو أن هناك أسبابا عديدة لذلك:

أولا : رغم أن المعالجات الإحصائية المستخدمة فى هذه الدراسات لا تقدم فى عمومها تقديرات مباشرة لقوة التأثير، فالروابط بين الاتجاهات والسلوك رغم أنها دالة إحصائيا، فإنها لا تبدو قوية جدا.

ثانيا : فى أغلب هذه الدراسات لا يبدو أن المقاييس السلوكية قد حققت درجة محكمة من الواقعية والمباشرة كما كان عليه الحال فى دراسة (لين).

هكذا فقد تكون دراسة لين أكثر من غيرها فى التقدير الصادق للسلوك الفعلى. من جهة أخرى وقعت كافة هذه الدراسات فى مشكلة عامة وهى تقليل قدر الاتساق بين الاتجاه والسلوك، ففى أغلب حالات تطبيق الاستبيان لا تكون الأسماء مجهولة، وذلك لأن قياس الاتجاهات والسلوك يتم إجراؤه على نفس الشخص فى أزمنة مختلفة، بالتالى يتطلب من المبحوثين أن يكتبوا أسماءهم على الاستبيانات، ويعنى ذلك أن استجاباتهم ستكون معروفة على الأقل بالنسبة لفريق البحث.

ذلك فى الوقت الذى كانت حركة الحقوق المدنية ومنع التمييز موضوعا سائدا فى المدن الأمريكية، وأن العديد من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس كانوا يرفعون الشعارات الليبرالية بصورة متحمسة، يعنى ذلك أن هذه الشعارات كانت من متطلبات الشخصية التى يجب أن يتحلى بها طلاب علم النفس - أى تقديم صورة ليبرالية عن أنفسهم - وقد لا تعكس هذه الصورة اتجاهاتهم الحقيقية.

وفى الحقيقة عند مناقشة لين لنتائجه كان تعليقه أن العديد من مبحوثيه كانوا يحاولون أن يلعبوا "الدور الاجتماعى للجامعى باعتبار أصحابه ليبراليين غير عنصريين". (ص٣٦٣). من الواضح أنه من السهل تقديم مثل هذه الصورة عن الإجابة على الاستبيان أكثر من المواقف السلوكية الفعلية والتى تتضمن عددا من النتائج والتكاليف. إن ملخص الدراسات المبكرة الاثنوجرافية والميدانية والتى كانت دراسة (لابيير) نموذجا كلاسيكيا لها، زادت هذه الدراسات من إمكانية أن يتحدد السلوك فيما بين الجماعات أساسا من خلال الأدوار والمواقف، وعلى ذلك تصبح علاقتها ضعيفة باتجاهات الأفراد.

أثار ذلك سلسلة من الدراسات المضبوطة من النوع شبه التجريبي والتى أجراها باحثو علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى والتى أشارت إلى درجة من الاتساق الدال إحصائيا ولكن غير المرتفع - بين الاتجاهات والسلوك.

لوحظت تناقضات بارزة فى بعض الدراسات، فرغم ما سبق ذكره من دلائل على وجود درجة معتدلة من الاتساق بين الجانبين، ورغم ظهور مشكلات منهجية تستبعد إمكانية التوصل إلى استنتاج محدد لهذه العلاقة، لكن البحوث التى استعرضناها ركزت على جانب التناقض أكثر مما ركزت على الاتساق.

التعصب والسلوك :- الدراسات النفسية :

حيث إن أكثر الدراسات الاجتماعية الواردة فى جدول ٣ ـ ١ نظرت إلى الأفعال الاجتماعية من ناحية ما يبدو أنها تشير إلى التعصب أو عدم التعصب، ركزت الدراسات النفسية بشكل خاص على الاستجابات السلوكية التمييزية ضد أعضاء الجماعة الخارجية، كانت هذه الدراسات تعتقد أن المتعصب يستجيب بطريقة مميزة وسلبية ضد الجماعات الخارجة عن موضوع التعصب، وأشار عدد من هذه الدراسات إلى استجابات تمييزية متنوعة. لم تكن نتائج هذه الدراسات متناسقة، فرغم أن أغلبها وجد علاقات دالة بين المعاملة التمييزية والتعصب، لكن البعض الآخر لم يجد ذلك.

أوضحت الدراسات الحديثة أن التعصب والتمييز لا يرتبطان (مثال باوزر ١٩٨٥، بريجهام ١٩٧١ب، إرليخ ١٩٧٣، فيجن - ايكبرج ١٩٨٠)، غير أن هذا الاستنتاج لا يمكن التأكد منه، فهناك عدد كبير من الأدلة التى توصلنا إلى أن الجماعات التى تتعرض للمعاملة التمييزية لم تواجه ذلك فى كل المواقف، أوضح ذلك استعراض هام للدراسات عن التمييز ضد الزنوج على يد البيض الأمريكيين فى موضوعات مثل سلوك المعاونة، العدوان، والاتصال غير اللفظى (كروسبى - بروملى - ساكس ١٩٨٠)[١٤٣] وبينما ظهر التمييز ضد الزنوج فى أغلب الدراسات، فلم يكن بطريقة مباشرة ، ففى حالة الدراسات التى استخدمت سلوك المعاونة مثلا، مال البيض ليس إلى التمييز ضد السود فى المواقف التى تتضمن اتصال الوجه بالوجه. من جهة أخرى كان التمييز أكثر ظهورا فى المواقف التى لا يوجد فيها اتصال مباشر بالشخص المطلوب معاونته. وعموما فالتمييز يميل إلى الاختفاء حينما تكون الرقابة كبيرة والتمييز مكلفا. وبالعكس يظهر التمييز حينما تقل الرقابة ويكون التمييز قليل التكلفة بالنسبة للشخص المميز.

كان لذلك أثره على النتائج التى فحصت العلاقة بين التعصب والتمييز، فإذا كان السلوك تجاه أعضاء الجماعة الخارجة فى عمومه غير تمييزى فى موقف معين، فلن نتوقع

أى علاقة بين التعصب والسلوك . ويعرض الجدولان ٣ - ٢، ٣ -٣ قائمة بالدراسات التى توصلت إلى علاقة بين الاتجاه والسلوك والأخرى التى لم تجد مثل هذه العلاقة. فى الجدول الثالث ٣ - ٣، أشارت النتائج إلى أن التمييز لم يظهر فى سبع دراسات، ولم تكن البيانات كافية للتأكد إذا كان التمييز قد ظهر أم لم يظهر فى الدراستين الباقيتين.

من جهة أخرى ففى الجدول ٣ - ٢ ظهر التمييز فى كل الدراسات التى توافرت بها بيانات عن ذلك، هكذا يبدو أن عدم التوصل إلى أى علاقة بين التعصب والسلوك التمييزى يمكن إسنادها إلى أن السلوك التمييزى لم يظهر فى هذه الدراسات، وحينما يظهر التمييز، تظهر العلاقة بينه وبين التعصب.

تظهر الآن نقطة هامة من المقارنة بين الجدولين (٣-٢، ٣-٣) فالدراسات التى لا يظهر فيها التمييز وبالتالى لا تظهر العلاقة بينه وبين التعصب تتضمن فى العادة مهاما منظمة مصحوبة بأهداف وإجراءات بالغة الوضوح : مثال ذلك توجيه العقاب فى مواقف التعلم والمنافسة، تقييم المتقدمين إلى وظيفة، الحكم على موضع نقطة ضوء أو طول خط بالمشاركة مع شخص آخر. فى مثل هذه المواقف، قد تتحكم عوامل أخرى تختلف عن الحب أو عدم الحب، مثل معايير المساواة، الموضوعية، العدالة، التحكم فى التمييزات الشخصية، وربما يكون ذلك أكثر فاعلية بين طلاب الجامعة الأمريكية فى سياق غير عنصرى. نتيجة لذلك يمكن لهذه المواقف أن تقلل درجة التمييز، كما يمكنها تخفيض حدة التعبير عن التعصب خصوصا إذا كان التحكم كبيرا، أو حينما تتوافر دلائل على قوة هذه المعايير. من ناحية أخرى فالدراسات التى وجدت علاقة بين التمييز والتعصب (جدول ٣-٣) تضمنت تفاعلا غير رسمى على وجه العموم.

كان السلوك المعيارى عموما هو الصداقة، أو الأصدقاء المختارين، أو السلوكيات التى تظهر خارج الوعى الشعورى مثل الشرطية واللفظ أو توجيه مثيرات ذات تأثيرات متضاربة. فى هذه المواقف تصبح أنواع المحبة أو الكراهية أكثر فاعلية حيث تسمح بها المعايير السائدة ويؤدى ذلك إلى دعم ظهور كل من التعصب والتمييز.

فى الحالات القليلة التى توجد فيها علاقة بين التمييز والتعصب فى مواقف أكثر تنظيما، كانت الدلائل واضحة جدا لدرجة قللت من أهمية الأهداف الرسمية للمهام المطلوبة والتى جعلت من الميل الشخصى للمبحوث أكثر أهمية (بويانوفسكى- الن ١٩٧٣[٧٢]، ماك كوناهاى ١٩٨٣[٤١٤]). فمثلا قام المبحوثون فى دراسة (ماك كوناهاى) بتقدير المتقدمين للوظيفة من خلال السيرة الذاتية، إلا أن

التعليمات إلى المبحوث ركزت على أن هدف الدراسة ليس تقييم كفاءة المتقدم فى حد ذاته، ولكن لتقدير الانطباع الشخصى للمبحوث تجاه المظهر المادى للسيرة الذاتية مثل الخط، لون الورق الذى كتبت عليه.

فى دراسة (بويانوفسكى - ألن)[٧٢] (١٩٧٣) استخدم الباحثان مواقف الضغط الجماعى، ولم يجدا تميزا بين قبول المساندة من الزنوج أو من البيض حينما تضمنت المهمة إصدار أحكام على مثير مادى (طول خط - شكل هندسى) لكن ظهر ذلك التمييز حينما كانت المهمة إصدار أحكام على معتقدات أو آراء شخصية.

عموما ففى المواقف الرسمية والمنظمة تكون أهداف المهمة أقل قابلية لإظهار السلوك التمييزى، فى حين أنه فى مواقف التفاعل الاجتماعى الأقل رسمية والأقل تنظيما يكون للتمييزات الشخصية دور هام، وتؤدى فى النهاية إلى التمييز الاجتماعى. هذه الفروق تتقاطع وتتكامل فيما بينها، وذلك حسب ما افترضه (كروسبى) وآخرون (١٩٨٠)[١٤٣]، ففيما بين المواقف عالية الضبط حينما يكون التمييز مكلفا والمواقف التى يكون الضبط فيها قليلا والتى يكون التمييز أقل تكلفة. فليس من المدهش حينما لا يظهر التمييز ألا توجد علاقة بين التعصب والسلوك، من جهة أخرى فحينما يظهر التمييز، تظهر العلاقة بين التعصب والتمييز بصورة متناسقة، ويثير ذلك سؤالا حول مدى قوة هذه العلاقة.

تختلف الدراسات فيما بينها من حيث قوة العلاقة، ففى بعض الدراسات كانت العلاقة ضعيفة (مثال: برجهام ١٩٧١ب[٨٦]، باتشن ١٩٨٣[٤٨٧]) فى حين كانت العلاقة قوية بصورة ملحوظة (ميب - ويليام ١٩٧٥[٣٩٠]، برس وآخرون ١٩٧٩[٥٠٥]). غالبا ما يشار الى النتائج بطريقة لا تسمح بتقدير ثابت لحجم التأثير، ويبدو أن أفضل استنتاج يمكن التوصل إليه هو أن العلاقة التى نتوصل إليها بين المتغيرين إما ضعيفة أو متوسطة.

يتشابه هذا الاستنتاج مع ما افترضته الدراسات ذات الطابع السسيولوجى والتى أوردناها فى الجدول ٣-١، ورغم أن العلاقة بين التعصب والسلوك كانت متسقة، إلا أنها كانت دائما غير قوية وقد تكون ضعيفة، كما أنها تتشابه مع الاستنتاج الذى توصلت إليه الدراسات عن العلاقة بين الاتجاهات عموما - والسلوك، مثال ذلك ما توصلت إليه الدراسات الاستعراضية Review studies والتى أجريت فى السبعينيات (دويتشر ١٩٨٣[١٥٧]، ماكجواير ١٩٦٦[٤٢٠]، ويكر ١٩٦٩[٧٠٦]). استنتجت هذه الدراسات الاستعراضية أن العلاقة بين الاتجاه والسلوك ضعيفة فى العادة وأحيانا يمكن إهمالها، وهذا الاستنتاج موضع قبول عام فيما يتعلق بالاتجاهات عموما، وينطبق على

الاتجاهات التعصبية أيضا (باوزر ١٩٨٥[٧١]، بريجهام ١٩٧١ب[٨٦]، فيجن - ايكبرج ١٩٨٠[١٩٢]، جرين ١٩٧٢[٢٣٨]، شوارتزوالد - ينون ١٩٧٨[٥٧٦]).

ظهر فيما بعد ذلك عدد من التطورات النظرية والإمبيريقية افترضت أن هذه الاستنتاجات قد لا تكون مقبولة، ويبدو أنها تشير الى أن علاقة الاتجاهات بالسلوك عموما، والاتجاه التعصبى على وجه الخصوص قد تكون أكثر قوة مما تتصوره الأغلبية أو مما يوضحه التراث الأمبيريقى،

أولا : تتصور نظرية(آجزين - فشباين) (١٩٧٧)[٨] أن الاتجاهات يمكنها التنبؤ بالسلوك بصورة أقوى إذا كان تقييم المحك السلوكى أساس مستوى معين من العمومية.

ثانيا : تفترض نظرية العنصرية الرمزية أن العلاقات التى تم التوصل إليها إمبيريقيا قد ترجع إلى الاتجاهات العتيقة والقاسية وغير الملائمة لقياس التعصب، وسنناقش هذين الاعتبارين فيما تبقى من هذا الفصل.

التعصب ومحك عمومية السلوك :

نشر (آجزين - فشباين) (١٩٧٧)[٨] دراسة هامة لاعادة اختبار استنتاجات (ويكر) (١٩٦٩)[٧٠٦]، وكان افتراضها الأساسى هو أن مقاييس الاتجاهات ومحكات السلوك يجب أن تترابط بدرجة كافية؛ وذلك للكشف عن درجة العلاقة فيما بينهما. وقد ركزا خصوصا على موضوع الترابط على أساس درجة العمومية - الخصوصية، فلقد استخدمت أغلب دراسات العلاقة بين الاتجاه والسلوك مقاييس عامة للاتجاه نحو موضوع معين، وذلك للتنبؤ بأفعال محددة جدا تجاه هذا الموضوع، ناقش (آجزين - فشباين) ذلك باعتباره غير دقيق، فالفعل المنفرد المحدد تجاه موضوع سيكون عرضة لعدد من التأثيرات الأخرى ذات العلاقة بهذا الفعل بالذات وبمحتويات الموقف الذى ظهر فيه، بالإضافة إلى الاتجاه المعمم نحوه، على ذلك فالاتجاه العام نحو الموضوع لن يكون وسيلة للتنبؤ بفعل منفرد محدد بشكل دقيق. ولكى نتنبأ بمثل هذا الفعل بمستوى معقول من الدقة افترض الباحثان "الاتجاه الخاص نحو أداء الفعل بطريقة محددة - الاتجاه نحو الفعل. بالإضافة إلى التوقعات المعيارية من جانب الآخرين فيما يتعلق بأداء هذا الفعل.

من جهة أخرى سوف يكون الاتجاه العام نحو الموضوع للتنبؤ بالنمط السلوكى العام نحو الموضوع عبر عدد من الأفعال والمواقف. فى هذه الحالة، ستتعادل تأثيرات الموقف والفعل الخاص، وبالرغم من أن الاتجاهات العامة نحو الموضوع لن تكون مصدرا للتنبؤ بالأفعال الخاصة المحددة بصورة جيدة، لكنها ستكون كذلك إذا جمعنا عددا من

المواقف للحصول على مؤشر عام لتفضيل السلوك نحو الموضوع. عندما تعرض ايبشتين (١٩٨٣) لموضوع التنبؤ بالسلوك من خلال سمات الشخصية قدم حججا مشابهة، فالعنصر المنفرد من الفعل يحظى بمكونات واسعة من أخطاء القياس وبمدى ضيق من العمومية، ويجعل ذلك من الصعب التنبؤ به بدقة. ويقلل التعميم من أخطاء القياس كما يوسع من مدى العمومية الذى يمكّن من التوصل إلى متوسط للسلوك فى عينة من المواقف أو المناسبات، كما يمكنا ذلك من التنبؤ به بفاعلية أكبر من الدرجة على الاتجاه العام أو مقياس الشخصية.

أشار (آجزين - فشباين) (١٩٧٧)[٨] إلى أن العديد من الدراسات التى استعرضها ويكر (١٩٦٩)[٧٠٦] استخدمت مقاييس عامة للاتجاه للتنبؤ بأفعال سلوكية منفردة بالغة التحديد، وقد أعادا فحص هذه البحوث لإيضاح أن الدراسات التى استعرضاها كانت الاتجاهات فيها مصادر ضعيفة للتنبؤ بالسلوك. من جهة أخرى فحينما تترابط الاتجاهات والسلوك لدرجة كافية فى ظل مقاييس محددة للاتجاهات نحو أفعال منفردة، أو مقاييس عامة للاتجاهات تتنبأ بمحكات للسلوك أوسع وأشمل، تصبح الاتجاهات مصادر قوية للتنبؤ بالسلوك.

ساندت دراسات عديدة هذا الاستنتاج، فمثلا اتضح أن درجات مقاييس الاتجاه العام ترتبط بدرجة عالية من المحكات السلوكية المتعددة الأفعال بمعاملات ارتباط تتراوح بين ٥٠و إلى ٦٠و (مثال ذلك شيك ١٩٨٢[١١٥]، أولسن - زانا ١٩٨٣[٤٦٩]، ويجل - نيومان ١٩٧٦[٧٠٠])، فى نفس الوقت فالارتباطات بين درجات هذه الاتجاهات مع أفعال الأفراد التى تضم محكات متعددة الأفعال تميل إلى الضعف النسبى حيث تراوحت حسبما توصل ويكر (١٩٦٩) إلى أقل من ٣٠ر.

تنبأت أبحاث التعصب والسلوك مثل التى استعرضها ويكر (١٩٦٩)[٧٠٦] عموما بأفعال سلوكية محددة من الاتجاهات العامة نحو جماعات معينة، وينطبق هذا الحكم على أغلب الدراسات التى لخصتها جداول (٣-١، ٣-٢، ٣-٣)، وحسب رأى (آجزين - فشباين) يمكّننا ذلك من تفسير لماذا لم ترتفع إمكانية التنبؤ بالسلوك من خلال الاتجاهات عن مستوى متوسط، إذ لم تستخدم أى دراسة منها محكا يضم عددا من الأفعال يتم تجميعها من أفعال سلوكية متنوعة ومواقف مختلفة.

نستنتج عموما من أطروحات (آجزين - فشباين) أن العلاقة بين التعصب والسلوك لم يتم اختبارها بصورة ملائمة حتى الآن، وفى رأيهما أن الاتجاه فيما بين الجماعات يشير إلى التوجه العاطفى نحو هذه الجماعة، ويؤثر فى الميل العام للتصرف

بطريقة محببة أو غير محببة تجاه أعضاء هذه الجماعة، ومثل هذه الدراسات لا يمكنها التنبؤ بفعل منفرد بدقة بسبب المؤثرات الخاصة على هذا الفعل بالذات، إلا أن هذه الدراسات يجب أن تتنبأ بالسلوك المتجمع من أفعال متنوعة وفى مواقف متباينة.

العنصرية الرمزية وقياس التعصب:

استخدمت الدراسات التى اهتمت بالعلاقة بين التعصب والسلوك مقاييس التقرير الذاتى أو الاستبيانات التى تسأل عن المشاعر تجاه الجماعات الخارجية، مثل جماعات الزنوج وذلك بطريقة مباشرة وواضحة. من أمثلة هذه المقاييس نجد MRAI (وودمانسى - كوك ١٩٦٧)[٧١٩]، مقياس كاليفورنيا، أو مقياس الاتجاهات ضد الزنوج (أدورنو - فرنكل برنزفيك - ليفنسون سانفورد ١٩٥٠)[٧]، ومقياس هولزمان D (كيلى - فيرسون - هولتزمان ١٩٥٨)[٣٢٠] وربما يرجع إلى المضمون الواضح لهذه المقاييس أن صدقها كان مسلما به فى هذه الدراسات.

لكن هذه المقاييس واجهت تحدى الصدق خلال العقد السابق، فلقد افترضت أبحاث العنصرية الرمزية أن التعبير المباشر والواضح عن التعصب العنصرى هو أمر غير مقبول اجتماعيا فى بيئات كثيرة بالولايات المتحدة. على ذلك فمثل هذه المقاييس لم تعد مؤثرات صادقة أو فعالة لقياس التعصب ضد الزنوج، وربما كان للمقاييس الأقل مباشرة أو الغير مباشرة مثل مقياس العنصرية الرمزية أهمية أكبر فى قياس التعصب بصورة ملائمة.

لتأييد هذا الموقف أوضحت العديد من الدراسات أن عينات البيض من المناطق شبه الحضرية ومن الطلاب كانت أكثر ميلا للتعبير عن العنصرية بطريقة رمزية أكثر من العنصرية بمقاييس التقليدية، ولقد نظروا إلى فقرات هذه المقاييس باعتبارها تعبيرا غير مقبول اجتماعيا عن الوحشية العنصرية (ماكوناهاى وآخرين ١٩٨١[٤١٦]، ماكوناهاى - هيوز ١٩٧٦)[٤١٧]. وأوضحت العديد من الدراسات التى كانت أكثر ارتباطا بموضوع العلاقة بين التعصب والسلوك، أوضحت أن مقياس العنصرية الرمزية أكثر قدرة على التنبؤ بالسلوك المؤسس على الاتجاهات التعصبية، مثل التصويت لصالح المرشح الأبيض (كيندر - سيرز ١٩٨١)[٣٣٢] معارضة المشاركة مع الزنوج فى وسائل النقل (ماكوناهاى ١٩٨٢)[٤١٣]، سيرز وآخرون ١٩٧٩)[٥٧٩] ومعارضة الحركات المؤيدة لحقوق السود (Affirmative Actions) (جاكوبسو، ١٩٨٥)[٣٠٥].

افترضت هذه الدراسات أن الأبحاث التى استخدمت المقاييس العتيقة أو التقليدية لقياس التعصب العنصرى ربما قللت بشكل منهجى من تقدير قوة العلاقة بين التعصب والسلوك، فالمفترض أنه باستخدام المقاييس غير المباشرة سنصل إلى علاقة أقوى عما نجده فى الدراسات السابق ذكرها.

لكن هناك اعتراضا محتملا على مثل هذا المنطق، فمكونات نظرية العنصرية الرمزية تعنى غالبا أن ظهورها فى الولايات المتحدة كان حديثا نسبيا - ربما فى حدود السبعينيات (ماكوناهاى وآخرون ١٩٨١)(٤١٦) بينما أجريت العديد من الدراسات قبل هذه الحقبة، وخصوصا فى الستينيات حينما كانت المقاييس القديمة مازالت صالحة. وربما لا يكون لهذا الاعتراض وجاهته، فمعظم دراسات العلاقة بين التعصب والسلوك استخدمت طلاب الجامعات الأمريكية، ويبدو من المحتمل أن يثير الجو الليبرالى فى معظم الجامعات ضغوطا كبيرة على الطلاب كى لا يتركوا انطباعا عند الآخرين بأنهم عنصريون. هذا على الأقل ابتداء من بداية الستينيات عندما كانت حركتا الحقوق المدنية وعدم الفصل العنصرى سائدتين آنذاك.

أوضح (لن) (١٩٦٥)(٣٧٩) ذلك فى تعليق له حين قال: إن طلاب الجامعة يبدو أنهم يلعبون (دورا جامعيا اجتماعيا باعتبارهم متجررين عنصريا) ص٣٦٣. أشارت نتائج لن أيضا أن أغلب مبحوثيه الذين حصلوا على درجات عالية فى التعصب كان نمطهم السلوكى تمييزيا (٨٣٪) لكن التناقض فى دراسته ظهر عند ذوى الدرجات المنخفضة فى التعصب والذين تصرفت نسبة ضئيلة منهم بطريقة غير تمييزية (٤١٪).

توصل فيندرتش (١٩٦٧)(١٩٤) إلى نتائج مشابهة، فقد تميز سلوك ٩٤٪ من المتعصبين بالتمييز العنصرى، بينما تميز ٢٩٪ من غير المتعصبين بسلوك عدم التمييز. هذا النمط يلائم التفسير النظرى للعنصرية الرمزية، والذى يقرر أن الأفراد المثقفين منخفضى الدرجة على مقياس العنصرية التقليدية قد تكون لهم اتجاهات خفية مضادة للزنوج. ولا يعنى عدم تصرف هؤلاء المبحوثون بطريقة غير تمييزية تناقضا بين الاتجاه والسلوك، بقدر ما يشير إلى الفشل فى استخدام مقاييس غير صالحة لقياس الاتجاهات.

ويبدو عموما أن استخدام المقاييس المباشرة تسبب فى تقليل الارتباط بين كلا المتغيرين بصورة واضحة، أما الدراسة التى استخدمت مقياسا للعنصرية الرمزية فهى التى توصلت إلى ارتباط قوى (٠,٥٠) ماكوناهاى (١٩٨٣)(٤١٤).

خلاصة

كان السائد افتراض أن هناك علاقة وثيقة مباشرة بين الاتجاهات التعصبية بين الجماعات، وبين السلوك العدائى التمييزى فيما بين هذه الجماعات، إلا أن الأبحاث الإمبيريقية لم تتوصل إلى تحقيق هذا الافتراض، ولقد توصلت الدراسات الاثنوجرافية الإمبيريقية مثل دراسة (لابيير) (١٩٣٤)[٣٥٥] والتى افترضت أن السلوك بين الأجناس قد يكون ذا علاقة قليلة- إن كانت هناك علاقة على الإطلاق - بالاتجاهات أو النوايا التى يعبر عنها الأفراد وتتحدد أساسا بالعوامل الموقفية. أثارت هذه النتائج مجموعة من الدراسات أجراها سيولوجيون أشارت فى عموم نتائجها إلى علاقة متسقة رغم أنها ضعيفة بين الأفعال العنصرية والتعصب.

ركز النفسيون على العلاقة بين التعصب والسلوك التمييزى تجاه أعضاء الجماعة الخارجية، ولم تجد عدد من الدراسات علاقة بين التعصب والسلوك، لكن يبدو أن التمييز السلوكى لم يظهر فى هذه الدراسات. حينما يظهر التمييز، يبدو أنه يرتبط بالتعصب بصورة متسقة، لكن العلاقة بينهما لم تكن بالغة القوة.

أخيرا، فقد وجدت الدراسات على العلاقة بين السلوك والاتجاه عموما أن هذه العلاقة اما ضعيفة أو يمكن اهمالها مثل دراسة (ويكر) (١٩٦٩)[٧٠٦] وقد استنتجت هذه الدراسات أن التعصب والسلوك ليسا فى علاقة قوية ببعضهما البعض. (باورز ١٩٨٥)[٧١] بريجهام ١٩٧١ب[٨٦]، أرليخ ١٩٧٣[١٧٩]، جرين ١٩٧٢[٢٣٨]، شوارتزوالد - ينون ١٩٧٨[٥٧٦]).

ثمة تطوران حديثان افترضا أن هذه النتيجة قد تحتاج إلى إعادة تقييم، **أولا**: أن العنصرية الرمزية تعنى أن المقاييس غير المباشرة للتعصب مثل مقياس العنصرية الرمزية هى متنبئات أفضل بالسلوك العنصرى بالمقارنة - بالمقاييس التقليدية (جاكوبسون ١٩٨٥[٣٠٥]، كيندر - سيرز ١٩٨١[٣٣٢]، ماكوناهاى ١٩٨٢[٤١٣]، سيرز وآخرون ١٩٧٩[٥٧٩]). ونظرا لأن المقاييس التقليدية تم استخدامها بطريقة عامة فى دراسة العلاقة بين المتغيرين، فمن الممكن أن يؤدى ذلك إلى انخفاض تقدير وقوة العلاقة بينهما.

ثانيا : ناقش (آجزين - فشباين ١٩٧٧[٨]، ١٩٨٠[٩])، أن الاتجاه العام نحو موضوع معين سوف يحدد الميل العام للسلوك المفضل أو غير المفضل للموضوع، لكنه لا يتنبأ بفعل خاص بدرجة عالية من الدقة بسبب آثار محددات الموقف على الفعل الذى

يحدث خلاله. لكنه قد يتوصل إلى علاقة قوية بمحك سلوكى يجمع بين عدد من الأفعال والمواقف.

نستنتج من ذلك حقيقة أن أبحاث التعصب والسلوك قد استخدمت محكا سلوكيا منفردا، ومعنى ذلك أن العلاقة لم تختبر على الوجه الصحيح. ولا يعنى ذلك بالطبع أن العلاقة بين المتغيرين هى علاقة سببية ذات اتجاه تأثيرى واحد، فهناك عدد من الشواهد التى توصل إلى أن السلوك يمكن أن يؤثر فى المعتقدات وفى الاتجاهات (بيم ١٩٧٠)[٤٠] والعكس بالعكس (سنيدر ١٩٨١)[٦١٤]. على ذلك يبدو أن أفضل طريقة للنظر إلى العلاقة بين المتغيرين هى باعتبارهما متبادلى التأثير ويدعم كل منهما الآخر (ليفن - ليفن ١٩٨٢[٣٧١]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]) وأكثر من ذلك فرغم العلاقة الوثيقة فيما بينهما فالمتغيران مستقلان من حيث المفهوم النظرى لهما.

وفى الأساس يمكن مناقشة أن الاتجاهات العدائية والسلوك العدائى هما ظاهرتان مهمتان يحتاجان إلى تفسير، وقد كان السيكولوجيون أكثر اهتماما بالتعصب وطرحوا عددا كبيرا من النظريات المفسرة له، والتى سنناقشها فى الفصل التالى من منطلق التحليل التاريخى لنمو نظريات التعصب.

جدول ٣ - ٢

الدراسات عن علاقة الاتجاهات التعصبية بالسلوك التمييزى:

الدراسات التى توصلت إلى ارتباط التعصب بالسلوك التمييزى

الدراسة	العينة	مقياس الاتجاه	مقياس السلوك	علاقة السلوك بالاتجاهات
د ايفيرسون & شواب (٢٩٨) ١٩٦٧ (؟)	٢٣ مرتفعين، ٣٢ منخفضين فى الدوجماطية التعصبية (العنصرية)	كاليفورنيا E ومقياس الدوجماطية	إدماج صورته مع صورة زنجى فى شفافيات للعرض	منخفضو التمركز العنصرى كان قبولهم لذلك أكثر من مرتفعى التعصب $P. < 0.01$
سميث & ديكسون (٦١٠) ١٩٦٨ (؟)	١٣٦ من ذوى الدرجة المرتفعة والمنخفضة فى التعصب من الطلاب	مقياس كاليفورنيا E	الاستجابات الشرطية اللفظية نحو الزنوج والبيض فى مواقف تجريبية يقوم بها زنوج وبيض	المتعصبون استجابوا للمجرب الأبيض ولم يتجاوبوا مع المجرب الزنجى $P. < 0.01$
بيلوف & كوبار (٣٩) ١٩٦٩ (D)	٤٢ من الطلاب الإسكتلنديين	التعصب ضد الزنوج	تقدير المسافة التى بينه وبين الزنوج أو البيض فى حالة إسقاط صورهم على جهاز تاكتوسكوب	الأكثر تعصبا تصوروا وجوه الزنوج أكثر بعدا عنهم. $P. < 0.05$
ميلامد (٤٢٣) ١٩٧٠(؟)	٢١ من الطلاب البيض بجنوب أفريقيا	الرغبة فى التعامل مع الزنوج	الموافقة على مرافقة باحث زنجى فى إجراء بحث.	معامل الارتباط الثنائى = ٤٨ر٠ $(P. <0.1)$
برجهام (٨٦) ١٩٧١ (ب)	٢٠٠ طالبا جامعى أبيض	MARI	لعب دور قاضى يحكم على زنوج وبيض	الارتباط ٢٩ر٠، ٢٨ر٠، ١٦ر٠ مع تقديره للزنوج وأحكامه عليهم.
ريتشارد &جافى (٥٣٨) ١٩٧٢ (D)	٣٦٥ طالب جامعى أبيض	MARI	تقدير أداء الرؤساء الزنوج أو البيض لجماعة عمل، مع الاستجابة لهم	المرؤوس المتعصب يميل إلى إعطاء تقديرات ضعيفة للرئيس الزنجى $P. < 0.01$
بويانوفسكى & آلن (٧٢) ١٩٧٣ (؟)	١٧٠ طالب جامعى أبيض	مقياس ليكرت للتعصب ضد الزنوج	استخدام مواقف آش للانصياع للجماعة فى وجود زنوج أو بيض	المتعصبون البيض كانوا أكثر تأثرا بالبيض من السود $(P < 0.01)$ فى الرأى الشخصى ولكن ليس فى طول الخط
مونتجمرى &انزى (٤٤٤) ١٩٧٣(D)	٤٠ مرتفع، ٤٠ منخفض التعصب. طلاب بيض	مقياس كاليفورنيا E	مقدار الاتفاق على الحركة الذاتية (تجارب شريف) مع زملاء بيض وسود	ذوى التعصب المرتفع تأثروا أكثر بالبيض بالمقارنة بتأثرهم بالسود. $(P < 0.01)$

تابع جدول ٢ - ٢

الدراسة	العينة	مقياس الاتجاه	مقياس السلوك	علاقة السلوك بالاتجاهات
بورتر ١٩٧٤ (٥٠٣) (D)	٢١٨ طالبا جامعى أبيض	مقياس ليكرت للتعصب ضد الزنوج	التعرض لدعاية إغرائية للانضمام إلى برنامج لمجابهة التشرد من جانب مسئول زنجى أو مسئول أبيض	الأكثر تعصبا كانوا أقل رغبة للاستجابة لدعاية المسئول الزنجى (٠,٦١)
سابنجتون ١٩٧٤ (٥٦٧) (?)	٢٢ طالبه جامعية	المحافظة، التحررية فى مجال الحقوق المدنية	المشاركة فى جماعة لمناقشة العلاقات بين البيض والسود	مقدار توجيه الحديث إلى زنجى، المشاعر السلبية ضد الزنجى، واختيار شريك زنجى ($P < 0.05$)
ميب & ويليامز ١٩٧٥ (٣٩٠) (D)	٣٢ طفلا أبيض، ٢٠ طفلا زنجيا فى السنة الثانية الابتدائية	مقياس التعصب العنصرى لأطفال ما قبل المدرسة (PRAMII)	أختيار شريك زنجى أو أبيض فى اللعبة	الارتباط = ٠,٥٢ بين التميز اللونى، واختيار شريك زنجى أو أبيض
فيلدمان & دونوهو ١٩٧٨ (١٩٣) (D)	٣٦ عالى ومنخفض التعصب من الطلاب البيض	MARI	لعب دور «مدرس» يمتدح طالبا متميزا أبيض أو أسود	«المدرس» المتعصب كان أكثر تمييزا بين الزنجى الأبيض فى السلوك غير اللفظى ($P < 0.01$)
باجلى & فيرما ١٩٧٩ (٣١) (?)	٢٨ طالب ثانوى	مقياس التعصب ضد مواطنى جزر الهند الغربية West INDIANS	تقدير التفاعل مع الطلاب الزنوج أثناء النشاط المدرسى	الارتباط دال $P < 0.01$ بين تجنب التفاعل والتعصب ضد الطلاب الزنوج
برس، برت، بارلنج ١٩٧٩ (٥٠٥) (D)	٢٠ زنجى، ٢٠ أبيض فى جنوب أفريقيا من الأطفال قبل سن المدرسة	استبيان تقدير مدى التفضيل للعناصر المختلفة	تقديم حلوى إلى صورة طفل زنجى أو صورة أبيض	الارتباط ٠,٦٢ بين التفضيل العنصرى وتقديم الحلوى.
ماكوناهاى ١٩٨٢ (٤١٤) (?)	٨١ طالبا جامعيا أبيض	مقياس التعصب العنصرى الحديث	تقدير الرأى فى متقدمين زنوج ومتقدمين بيض لأحدى الوظائف	الأكثر تعصبا كان تقديرهم للزنوج أقل من نظرائهم غير المتعصبين
باتشن ١٩٨٢ (٤٨٧) (?)	١٢٠٠ زنجى، ١٥٠٠ أبيض من طلاب الثانوى	مقياس ليكرت للاتجاه العام نحو البيض / السود	التقدير الذاتى لمدى الرغبة فى الاتصال الودى، غير الودى مع العنصر الآخر	إيتا ٠,٢٢، ٠,٢٠، ٠,٢٧، ٠

(?) لا تشير النتائج بوضوح إلى وجود سلوك تمييز

(D) النتائج تشير بوضوح إلى وجود سلوك تمييزى

جدول ٣ - ٣

الدراسات التى فحصت العلاقة بين الاتجاهات التعصبية والسلوك التمييزى: السلوكيات التى لا يرتبط عندها التعصب بالسلوك التمييزى

الدراسة	العينة	مقياس الاتجاه	مقياس السلوك	علاقة السلوك بالاتجاهات
براى ١٩٥٠ (٧٥) (ND)	١٥٠ طالب جامعى أبيض	مقاييس ليكرت للتعصب ضد الزنوج والسامية	مقدار الاتفاق على تقدير الحركة الذاتية مع أفراد (مساعدين) زنوج، يهود، بيض	الاتجاه التعصبى ضد الزنوج والساميين لم يؤثر على درجة الاتفاق مع الأفراد (المساعدين)
مالوف ـ لوت ١٩٦٢ (٤٣٩) (ND)	٣٠ طالبا متعصبا و ٣٠ غير متعصب	مقياس كاليفورنيا	قلة الانصياع لضغوط الجماعة فى مواقف آش التجريبية إذا كان الشخص الآخر المخالف المساند له زنجى أو أبيض	مرتفعو التعصب لم يتأثروا بدرجة أكبر بالمساندين البيض بالمقارنة بالمساندين السود
برج ١٩٦٦ (٤٤) (?)	٦٠ من الذكور البيض طلاب جامعة	مقياس التباعد الاجتماعى ومقياس E, F	مقدار الاتفاق على تقدير الحركة الذاتية مع أفراد (مساعدين) بيض أو زنوج	لا ترتبط درجة التعصب بدرجة الاتفاق مع المساعدين الزنوج
بويانوفسكى آلن ١٩٧٣ (٧٢) (?)	١٧٠ طالب جامعى أبيض	مقياس ليكرت للتعصب ضد الزنوج	تخفيض الانصياع فى جماعات تجارب آش فى حالة مساندة زنجى أو أبيض.	لم يتأثر المتعصبون بمساندة البيض أكثر من السود فى أحكامهم على طول الخط فى تجارب آش.
جنتنر ـ تايلور ١٩٧٣ (٢٢٦) (?)	١٨ طالب جامعى متعصب و ١٨ غير متعصب	مقياس هاملتون د.	توجيه صدمة كهربية إلى منافس أبيض أو منافس أسود فى عمل تنافس	المتعصبون كانوا أكثر ميلا لعقاب الآخرين ولكن دون تمييز بين البيض أو السود
لارسون ـ كولن فون فلو ـ زمرمان (٣٥٦) ND	٤٠ طالب جامعى أبيض	مقياس التعصب ضد الزنوج	توجيه صدمة كهربية إلى شخص زنجى أو شخص أبيض كعقاب فى موقف تعليمى	لم يظهر ميل عند المتعصبين البيض لزيادة عقاب الزنوج
وكسلى ـ يتمروف ١٩٧٤ (٧٠٤) ND	١٢٠ طالب جامعى أبيض	MARI	تقييم طلبات عمل مقدمة من زنوج أو بيض	الأكثر تعصبا لم يظهروا تقديرا أقل للمتقدمين السود للعمل.
راند ـ وكسلى ١٩٧٥ (٥١٦) ND	١٦٠ طالب جامعى أبيض	مقياس هولزمان د.	تقييم زنوج وبيض عن مدى صلاحيتهم للعمل من خلال شرائط فيديو مسجل عليها مقابلاتهم للحصول على عمل	البيض الأكثر تعصبا لم يظهروا تقديرا أقل للمتقدمين السود
شوارتزوالد ـ يتون ١٩٧٨ (٥٧٦) ND	٦٩ طالب ثانوى من إسرائيل ذوى أصل أوربى	مقياس تقديرى للسمات التى يحملها اليهود الشرقيون	توجيه صدمة كهربية عقابية لإسرائيلى غربى أو أسرائيلى شرقى فى عمل تنافس	لم يظهر الأعلى تعصبا ميلا لعقاب اليهود الشرقيين أكثر من الغربيين

(?) لا تشير النتائج إلى أن الاتجاه التعصبى يؤدى حتما إلى السلوك التمييزى

(D) لا يوجد سلوك تمييزى بين ذوى الدرجات المتباينة للاتجاهات التعصبية

الفصل الرابع

نظريات التعصب: تحليل تاريخى وإطار تكاملى

ظهرت نظريات عـديدة لتفسير أسبـاب التعصب، استعـرض الفصل الأول عددا منها خـصوصا تلك الـتى ناقشهـا (ألبورت ١٩٥٤)[١٢]، ومنذ ذلـك التاريخ حـدثت تطـورات نظرية جـديدة وهامـة، فظهـرت نظريـات جديـدة مثل (نـاجفـيل - تيـرنر ١٩٧٩)[٦٥٠] وتعدلت نظريات قديمة (التيمير ١٩٨١)[١٦] لكن لسوء الحظ لم تأت هذه التطورات بتفسير لـلسؤال العام عن أسباب التعصب، ويبدو أن قائمـة الأسباب المحتملة ومدى تعقيـد المشكلة، تتزايد أكثر ممـا تتناقص. ترتب على ذلك أن أكثر الاسـتنتاجات قبـولا وانتشارا فى تراث المـوضوع أن "التعصـب هو ظاهرة معقـدة تتحدد بعـديد من العوامل (آشـمور ١٩٧٠[٢٦]، كـونـدور - بـراون ١٩٨٨[١٢٧]، هـاردنج وآخـرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]، تاجفيل ١٩٨٢ب[٦٤٧]).

ركزت أغلب النظريات على مظهر من مظاهر التعصب، فقد أشار (ألبورت) على سبيل المثال أنه "كقاعدة عامة قام المؤلفـون بوضع نظرياتهم للفت النظر إلى عامل سببى واحد، وذلك بغيـر الإشارة إلى أن ثمة عوامل أخـرى تؤثر فى ذلك. (ص٢٠٧). على ذلك تميل كل نظرية إلى التركيز على مجموعـة محددة من العمليات السببية ومن النادر أن تحاول تقـديم تفسـير متكـامل للموضـوع. لقد كـانت إحدى اسـتجابات أصـحاب الدراسات الاستـعراضية لهذا الـنقد هو تقديم قائمـة طويلة من الأسباب ومـعاملة هذه القائمة جميعها بطريقة غير ناقدة، مفترضين أن كل نظرية صادقة فى ظروف محددة، أو فى سياق محدد. (آشمور ١٩٧٠ ص٢٥٦)[٢٦]، ولقد اقترح (آشمور) موقفا أفضل من ذلك، وهو محاولة تصنيف التفسيرات بطـريقة يمكن أن تتواءم بها معا (٢٥٦) فافترض أصحاب الاستعراضات reviewers تصنيـفات تحاول تبـسيط وترتيب المجـالات بهذه الطريقة. وتجرى هذه التصـنيفات حسب مستوى التحليل فى الـعادة، فقد حدد البورت (١٩٥٤)[١٢] ستة مسـتويات مختلفة من التفـسير: التاريخى، والثقافـى، الاجتماعى، الموقفى، الشخصـية، الظاهرياتى، ومستويات موضوعـات المثير. ورغم أن هذه واحدة من أكثر التصنيفات اتساعا، فإنها تحظى باهتمام قليل من جانب غيره من الباحثين، وربما يرجع ذلك الى أنها كانت تبدو متوسعة جدا، ومعوقة نوعا.

استخدم أغلب مؤلـفى الدراسات الاستعراضية فئات أقل عددا، واقـتصر أغلبهم على نوعين فقط من النظريات أو مستويين من مسـتويات التحليل : المستوى الاجتماعى أو النظريات الاجتـماعية من ناحية، والمستـوى الفردى أو النظريات النفسيـة من الناحية الأخرى (آشمور ١٩٧٠[٢٦]ـ، باباد وآخرون ١٩٨٣[٣٠]، أرليخ ١٩٧٣)[١٧٩]. كما قدم (سيمبسون - ينجر١٩٨٥) [٦٠٣] تصنيفا ثلاثيا على أساس الـعوامل الفردية، الجماعية، والثقافية، هذا التصنيف يستخدم غالبا فى العديد من الدراسات (مثال دراسات نيودت - نيل ١٩٧٥)[٤٦٠١].

تشمل العوامل والنظريات الثقافية التعصب باعتباره تقليدا أو معيارا ثقافيا، ويركز على عـمليات مـثل الانصياع والـتنشئة. تـهتم ضغـوط الجماعـة بالوظيفـة السياسـية والاقتصادية الـتى يحققها التعـصب للجماعات الاجتـماعية الأكبر خصـوصا فى سياق صراع القوة، المكانة أو الثروة.

أخيرا، تشمل المصادر الفردية للتعصب نظريات واتجاهات على أساس الإحباط - الإسقاط، حاجات المكانة، الشـخصية التسلطية وغيرها. يفتـرض التصنيف على أساس مستويات التحليل أن النظريات والاتجاهات فى مسـتوياتها المختلفة متكاملة فى الأساس، إلا أن هذه التصنيفات كـانت وصفية المنشأ، حيث كانت مجرد تـوزيع على مجموعات حسب مستوى التـحليل الذى تهتم به النظرية، ولم توضح هذه التصـنيفات كيف يمكن لهذه النـظريات والاتجاهات فى المستـويات المختلفة أن تـتكامل لتقدم تـفسيرا متـماسكا ومتكاملا للتعصب.

اتخذ (آشمور - ديلبوكا ١٩٨١)[٢٧] منطلقا مختلفا ، فقد ركزا على وجود عدد من المناظـير Perspectives المتـبـاينـة، والتى يـضم عـدد من الـنظـريات Theories والمنطلقات Approaches النظريـة. ورغم أنهما ركـزا فى مناقشـاتهما على الـقوالب الجامدة Stereotypes ، فقد كـان تقسيمهـما ملائما تمامـا لموضوع التعصـب. افترض الباحثان أنه يمكن تحديد ثلاثة مناظير متمايزة: الثقافى - الاجتماعى، الدينامى النفسى، والمعرفى، وهما فى ذلك يتفقان مع مفهوم (كوهن ١٩٦٢)[٣٤٥] عن منظومة العلوم أو المخططات Disciplinary Matrices or Paradigms. فى ضوء ذلك التقـسيم، يقدم كل منظور من الثلاثة، إطارا مرجعيا متميزا يوجه إجراء البحوث، ويضم كل منها نماذج وافتراضات مـتباينة تماما عن طبيـعة الإنسان وعن ظاهرة القوالب الجامـدة (وبالتالى عن التعصب).

يرتبط منطلقان منهما بما توصل إليه (سيمبسون - ينجر) من تقسيم النظريات إلى فئات ثقافية، وفئة فردية. يقوم المنطلق الثـقافى - الاجتماعى فى تصور أشمور وديلبوكا على فهم التعـصب باعتباره معيارا ثقافيا اجتماعيا، فمن المفتـرض أن الناس مدفوعون للبحث عن الـتقبل Approval ولهذا يـنصاعون للتـقاليد والمعـايير. من جهـة أخرى فالاتجـاه السـيكودينامـى يركز علـى الدوافع اللاشـعورية الـتى تتصـارع مع الضـوابط الاجتماعية، والتعصب فى رأيهم هو تعبير عن صراع داخلى.

وأخيرا، فإن الاتجاه المعرفى يرى البشر باعتبـارهم متعاملين بالمعلومات ذوى قدرة محدودة، يناضلون لفهـم ما يحيط بهم من بيئة معقدة، وذلك مـن خلال عمليات مثل التصنيـف إلى فئات Categorization ، وحينـما تظهر عـملية الـتصنيف فى سـياق اجتـماعى مـعين يؤدى ذلك إلـى القوالب الجـامدة، التـحيزات إلـى داخل الجمـاعة، التعصب، بذلك فالقوالب الجامدة والتعصب يؤديان وظيفة معرفية بتخفيض مكونات العالم المعقد وجعله أكثر قابلية للتعامل معه.

يرى من يصنف النظريات على أساس مستـويات التحليل أن نظريات كل مستوى تتكامل مع نظريات المستويات الأخرى، ومن جـهة أخرى ركز (آشمور، وديلبوكا) على الفروق بين المناظير الثلاثة التى قالا بها، مع التركـيز على عدم التكامل فيما بينها. فلقد افترضا أن هذه الثـلاثة تتصارع فيما بينها أكـثر مما تتكامل فى تفسير التعـصب، لكنهما أكدا أنه لا يوجد واحد منهم قادر على تقديم تفسير متكامل للتعصب، على ذلك تقبلوا الحقـيقة أن "من الضـرورى أن نبحث عن الـترابط بين هذه المنـاظير Perspectives ، ونـحـاول أن نربـط بين وجـهات الـنظر الاجتماعية والثقافية، والنفـسية والديـنامـية، والمـعرفـة فى صـورة أكـثـر تكامـلا من الـقـوالب الجـامـدة ومن العـلاقـات بين الجماعات" (ص ٣١ - ٣٢)[٢٧].

غالبا ما نلاحظ أن منـاظير ومنطلقات دراسة التعصب سادت فى مـراحل مختلفة تاريـخيـة (كونـدور - براون ١٩٨٨[١٢٧]، فـيرشـيلد - جـورين ١٩٧٨[١٨٨]، ميلنر ١٩٧٥[٤٣٥] - ١٩٨٣[٤٣٦]). فقد كانت المنطلقات المعرفـية والمنطلقات التى تقوم على أساس معرفى مثل نظرية الهوية الاجتماعية Social Identity Theory على سبيل المثال سائدة خلال عقد إلى عقدين مضيا، ويوضح ذلك بجلاء ثلاثة فصول عن العلاقات بين الجماعات نشرت فى مجلة المراجعة السنوية فى علم النفس Annual Review of Psychology خـلال الثـمـانينـيـات (بروير - كـرامـر ١٩٨٥[٨١]، مـيسـك - ماكـاى ١٩٨٩[٤٢٧]، تاجفيل ١٩٨٢ب[٦٤٧]).

ركزت كل هذه الفصول على موضوعات وقضايا مستمدة من المنطلق المعرفى، فى حين كان من النادر فى هذه المراجعات الإشارة إلى منطلقات سابقة على ذلك مثل: التنشئة، الانصياع، نظرية الصراع الواقعى، التسلطية، وغيرها من العوامل الدينامية أو عوامل الفروق الفردية. ويشير (مسك - ماكاى ١٩٨٩)(٤٢٧) إلى أصحاب أحدث فصل من الفصول المذكورة أن "دراسة العلاقات بين الجماعات مثل غيرها من مجالات البحث فى علم النفس الاجتماعى اكتسبت نغمة معرفية واضحة (ص٤٥).

من جهة أخرى سادت نظرية الشخصية التسلطية مجال البحوث التفكير خلال الخمسينيات (كوندور - براون ١٩٨٨)(١٢٧)، ميلنر ١٩٨٣)(٤٣٧) إلا أنه خلال منتصف الستينيات استبعدت من التيار الرئيسى للفكر السيكولوجى حول أسباب التعصب، وحل محلها آنذاك العمليات الثقافية - الاجتماعية مثل الضغوط المعيارية، التنشئة والانصياع (فيرشيلد - جورين ١٩٧٨)(١٨٨). لماذا ظهرت هذه التغيرات، أحد الإجابات المحتملة هى أنها قد تعكس ببساطة تطور التفكير فى موضوع، حيث تم استبدال النظريات والمنطلقات غير السليمة أو غير الكافية بأخرى أفضل منها أو أكثر فائدة وأكثر قوة.

يحمل هذا التفسير بعض الصدق، فنظرية الشخصية التسلطية على سبيل المثال تضمنت مشكلات نظرية ومنهجية معينة (التيمير ١٩٨١)(١٦). وكان الفشل فى حل بعض القضايا مثل مشكلة التهيؤ للاستجابة. Response set مسئولا عن جانب كبير من انصراف الاهتمام بهذا المنطلق النظرى. وتظهر المنطلقات الجديدة إمكانية تفسير ظواهر لم تستطع المنطلقات السابقة أن تتعامل معها بصورة كافية، مثلا نظرية العوامل الثقافية - الاجتماعية يمكن أن تفسر الفروق الجماعية فى التعصب فى حين لا تستطيع نظرية الشخصية التسلطية أو أى نظريات قائمة على الشخصية أن تفسرها، وقد استطاع الاتجاه المعرفى أن يشرح التميز بين الجماعات، القوالب النمطية والتنافس فى مواقف الحد الجماعى الأدنى Minimal Group Situations فى حين يبدو أن ما سبقها من نظريات غير قادر على ذلك.

غير أن التركيز لا يبدو أنه يتأثر فقط بتراكم المعرفة وظهور نظريات أحدث وأفضل، حيث لم يثبت خطأ النظريات القديمة أو قصورها الفادح فى معالجة ظواهر التعصب، فرغم استبعادها من تيار الاهتمام الرئيسى، فإنها مازالت تستخدم، وفى الحقيقة أنها مازالت فعالة بل إنها حتى مازالت هامة فى معالجة التعصب. وبدلا من أن تعتبر المناظير والمنطلقات الجديدة بديلة عن سابقتها تبدو أنها تثير قضايا مختلفة - عما أثارته سابقاتها وما يبدو أنه حدث فعلا أن الفكر السيكولوجى أصابه التغير فى الاهتمام

بعض الموضوعات كأسباب للتعصب وظهر لديه اهتمام بموضوعات جديدة استلزمت ظهور نظريات جديدة.

عند استعراضهما لتاريخ التحليل النفسى الاجتماعى للعلاقات العنصرية، أشار (فيرشيلد - جورين ١٩٧٨)[١٨٨] إلى أن "السيكولوجيين يختارون موضوعات الدراسة على أساس الاهتمامات القومية أو المحلية السائدة (ص٧٥٧). لكن الأحداث التاريخية والظروف قد يكون لها آثار عميقة على الفكر الخاص بالتعصب أكثر من مجرد تغيير الاهتمام إلى موضوعات بحثية جديدة، هذه الأحداث والظروف يمكن أن تؤدى إلى تساؤلات جديدة حول طبيعة التعصب، وتتجاهل غيرها من التساؤلات.

قد يؤدى ذلك إلى تغير فى الإدراك أو فى التصور عن التعصب ، وقد يؤدى إلى أنواع أخرى من النظريات والتوجهات. وهكذا نجد أن المنطلقات النظرية فى فترات تاريخية مختلفة قد تعكس أهدافا تفسيرية مختلفة - إلى الحد الذى تعتبر فيه أهداف كل فترة متكاملة مع غيرها من أهداف الفترات الأخرى فى فهم التعصب.

يمكن للتحليل التاريخى لتطور النظرية فى التعصب أن يوضح التساؤلات والأهداف التفسيرية التى تعكس منطلقات مختلفة فى دراسة التعصب، ويمكن أن تشير إلى كيفية التكامل بين المنطلقات المتباينة مع بعضها البعض، وقد يكون لهذا التحليل الذى سنورده فى الفقرة التالية نتائج هامة فى إيجاد إطار تكاملى لتفسير التعصب.

تحليل تاريخى:

من منظور تاريخى يمكن تمييز سبعة فترات واضحة من حيث طريقة فهم السيكولوجيين للتعصب. سنناقش كل واحدة من هذه الفترات باختصار، وسوف يتضح كيف تؤثر الظروف والأحداث التاريخية فى تفاعلها مع تطور المعرفة فى تغيير الاهتمام بالموضوعات والتساؤلات حول الموضوع فى كل فترة. ولقد تم ربط كل سؤال بصورة خاصة من صور التعصب وأدى كل منها الى توجه نظرى متميز وكذلك إلى موضوعات بحثية خاصة، ويلخص الجدول ٤-١ كل النقاط التى سترد فى هذا التحليل. و قبل النظر فى هذه المراحل تجدر الإشارة إلى نقطتين:

الأولى: أن تحديد فترات زمنية واضحة يشمل بالضرورة بعض التبسيط الزائد، فكل فترة تمثل الاهتمام الرئيسى النظرى والبحثى، وليست النية أن نعرض كل ما ظهر فى هذه الفترة من نظريات وبحوث، لهذا فقد نستبعد من استعراضنا بعض الأبحاث والموضوعات التى نراها خارج التيار الرئيسى للبحث والتنظير، وبالتالى لا تتواءم مع

جدول ٤ - ١

التطور التاريخى للفهم السيكولوجى للتعصب

المشكلة الاجتماعية والتاريخية	السؤال العلمى الاجتماعى	صورة التعصبش	التوجه النظرى	التوجه البحثى
حتى العشرينيات فى هذا القرن كان السائد هو الاستعمار الأبيض والحكم الاستعمارى «للمتخلفين»	تشخيص أوجه القصور فى الناس المتخلفين	استجابة طبيعية نحو «أناس متخلفين»	نظريات العناصر	دراسات مقارنة للقدرات فى العناصر المختلفة
العشرينيات والثلاثينيات: المواجهة وتحدى مشروعية السيطرة البيضاء	تفسير التمييز ضد الأقليات	التعصب باعتباره موقفا غير منطقى وغير مبرر	التعصب باعتباره مشكلة اجتماعية	دراسات وصفية، باستخدام المقاييس
الثلاثينيات والأربعينيات انتشار العنصرية البيضاء فى الولايات المتحدة	تحديد العمليات (الشائعة) المؤثرة فى التعصب	التعصب كدفاع لاشعورى	نظرية التحليل النفسى عمليات الدفاع	التجريبى
الخمسينيات العنصرية النازية ومذابح اليهود	تحديد الشخصية ذات الاستعداد للتعصب	التعصب كتعبير عن حاجات مرضية	فروق فردية	ارتباطية
الستينيات مشكلة التعصب فى الجنوب الأمريكى	كيف تؤثر الضغوط الاجتماعية والمعايير الاجتماعية فى تشكيل التعصب؟	التعصب كمعيار اجتماعى	توجه ثقافى اجتماعى: النقل الاجتماعى للتعصب	الملاحظة والارتباطية
السبعينيات: ظهور التعصب والتمييز فى أمريكا	كيف يكمن التعصب فى الجذور الاجتماعية وفى العلاقات بين الجماعات.	التعصب كتعبير عن مصالح الجماعات	التوجه الثقافى الاجتماعى: دينامبات العلاقات بين الجماعات وعلاقتها بالتعصب	أبحاث سيسولوجية وتاريخية
الثمانينات والتسعينيات عمومية واستمرار التعصب وعلاقتها بالصراع بين الجماعات	ما هى العمليات الشائعة نفسيا خلف الصراع بين الجماعات والتعصب	التعصب كنتيجة واضحة لعملية التصنيف الاجتماعى	توجه نفس ـ اجتماعى	تجريبى

المراحل المقترحة. والعثور على أمثلة ليس بالشيء الصعب، فمثلا ظهرت نظرية روكيش فى الاتساق المعرفى (روكيش - سميث - إيفانز ١٩٦٠)(٥٤٧) فى وقت كانت الاهتمامات البحثية تنتقل من التركيز على الديناميات النفسية إلى العوامل الاجتماعية الثقافية، لذلك ذكرناها فى الفترة المعرفية.

الثانية : أن تاريخ علم النفس الاجتماعى عموما، ودراسة التعصب خصوصا كانت شأنا أمريكيا فى أغلب الأحوال، لذلك فتنوع الظروف التاريخية التى أثرت فى التطورات الرئيسية لهذا العلم هى نفسها التى أثرت على قاطنى شمال أمريكا، ولم يظهر أثر أوروبى واضح إلا خلال العقود القليلة الأخيرة - يعنى ذلك أن الظروف التاريخية المحددة هنا قد لا ترتبط بالضرورة بمجتمعات أخرى بخلاف هذا البلد.

سيكولوجية الفروق بين العناصر :- حتى بداية العشرينيات

حازت فكرة التعصب كمكون اجتماعى على اهتمام جاد من جانب السيكولوجيين فى العشرينيات فقط من هذا القرن. من هذه الحقيقة كان النظر إلى أغلب الفروق بين الجماعات باعتبارها فروقا عنصرية Racial Differences ، على ذلك ظهر مفهوم التعصب إلى الفكر العلمى فى سياق فهم الفروق العنصرية والكراهية الفطرية فيما بينها (ليفن ـ ليفن ١٩٨٢(٣٧١) ، ميلنر ١٩٨٣ (٤٣٧) ، ساملسون ١٩٧٨ (٥٦٥)، فوجان ١٩٨٨ (٦٩٠)).

إبان القرن التاسع عشر أشار (هولر ١٩٧١)(٢٤٧) الى أن "أغلب الفكر العلمى فى كل من أمريكا وأوروبا كان يتقبل تدنى بعض الأجناس Race Inferiority (ص ٧٧)، فقد انتشرت آنذاك فكرة سيادة العنصر الأبيض على الأسود، أما مفهوم التعصب أو الاتجاهات العنصرية للبيض فلم تكن موضوعا علميا ذا أهمية، كما كانت الاتجاهات التى لدى البيض نحو السيادة والتفوق الموروث من جانبهم، أو الكراهية الطبيعية للزنوج مقبولة ومسلما بها باعتبارها شيئا طبيعيا تجاه الزنوج وغيرهم من أبناء المستعمرات بسبب ما يظهر منهم من بدائية وتدنى واضح.

دائما ما يكون الربط بين هذه الاتجاهات النفسية وبين السيطرة السياسية للبيض على السود فى شكل الاستعمار الأوروبى والعبودية الأمريكية. لذلك فالإشارة إلى سيادة الجنس الأبيض كانت ذات فائدة فى تبرير استعباد الناس بسبب لونهم (فيرشيلد - جوين ١٩٧٨(١٨٨) ص٧٥٨، ليفين - ليفين ١٩٨٢(٣٧١)، ساملسون ١٩٧٨ (٥٦٥)).

أدت هذه الظروف التاريخية إلى اهتمام بين العلماء ببلورة وتفسير الفروق العنصرية وخصوصا بالتركيز على الأجناس البدائية، على ذلك سيطرت نظريات الأجناس على التفكير العلمى الاجتماعى وتفسير نظريات الأجناس Race Theories تدنى الزنوج على الأساس عوامل مثل الارتداد التطورى Evolutionary Backwardness، قدرة عقلية محدودة، وحتى الإفراط فى الغريزة الجنسية (هولر ١٩٧١)(٢٤٧).

وقد كان أكبر الاهتمام فى أبحاث الطب والأنثروبولوجيا هو بإيضاح أشكال القصور أو التخلف، وحينما ظهر مقياس الذكاء فى بدايات القرن العشرين انضم النفسيون إلى هذه الطائفة من الأبحاث، ويشير (ساملسون ١٩٧٨)(٥٦٥) الى ذلك حيث يقول: كان الهدف الأساسى للقياس هو قياس الفروق الفردية، لكن ما لبث أن بدأ الباحثون من جمع البيانات عن الأجناس ووجدوا فروقا، أو - حينما لا يجدون مثل هذه الفروق يصممون على التوجيه بضرورة إجراء أبحاث فى المستقبل لإثبات ما لم يستطيعوا إثباته فى بحوثهم الحالية.

كان الاهتمام الأساسى لهذه الدراسات هو المقارنة بين السود والبيض، وقد نشر عدد من المؤلفين دلائل إمبيريقية على تفوق العنصر الأبيض وعلى تدنى العنصر الأسود (والهنود) كذلك على زيادة ذكاء مثل هذه العناصر حينما تختلط بدماء العنصر الأبيض (ص٢٦٦).

استعرض (توماس جارث عام ١٩٢٥) ثلاث وسبعين دراسة على موضوع : العنصر والذكاء فى بحث مهم نشره فى النشرة السيكولوجية Psychological Bulletin واستنتج أن هذه الدراسات "إذا تناولناها معا تبدو أنها تشير إلى التفوق العقلى للجنس الأبيض (مذكورة فى ساملسون ١٩٧٨ ص٦٦)(٥٦٥). وفى الإجمال ارتبط الطرف التاريخى الذى يحمل سيادة العنصر الأبيض والسيطرة على المستعمرات بصورة التعصب كاستجابة منطقية لأجناس أدنى وأكثر بدائية بالنسبة للجنس الأبيض، وتميز الفكر الاجتماعى العلمى لهذه الفترة فيما يتمثل بنظريات العنصر Race Theories حيث ركزت البحوث على تحديد الفروق وتفسير أسبابها، وخاصة تلك القائمة على افتراض بدائية العناصر الدنيا.

التعصب العنصرى Race Prejudice فى العشرينيات والثلاثينيات :

بدأ الفكر فى هذه المرحلة فى التغير بصورة كاملة، ولقد وصف (ساملسون ١٩٧٨)(٥٦٥) هذا التفسير باعتباره انقلابا جذريا عميقا، "فبعد أن كان أغلب النفسيين فى العشرينيات يعتقدون فى وجود فروق فى الذكاء بين العناصر، أصبحوا يبحثون فى

الأربعينيات عن مصادر التعصب غير المنطقى Irrational Prejudice ، وفى خلال عقود قليلة حدث تغير جذرى آخر وهو دراسة الجماعات والعلاقات الجماعية. (ص٢٦٥). أشار (ساملسون) إلى أنها محاولة النظر إلى ذلك التغير باعتباره نموذجا للتقدم فى البحوث الإمبيريقية، وأن النصر كان للبيانات الموضوعة على حسب النظرة التعصبية، غير الفاهمة والتأملية. إلا أن ذلك يبدو أنه خدعة، " فالبيانات الإمبيريقية بالتأكيد لا تحسم موضوعا بطريقة أو بأخرى بدليل ما يعكسه الحوار الحالى عن قابلية الذكاء للوراثة بين علماء نفسيين محترمين فى جامعتى هارفارد - بيركلى وجامعة برنستون. (ساملسون ١٩٧٨ ص٢٧٠)[٥٦٥].

يبدو من المقبول تفسير هذا التغير فى التفكير باعتباره استجابة لأحداث وظروف اجتماعية هامة، فقد رصد (ميلنر ١٩٨٣)[٤٣٧] تطورين تاريخيين هامين بعد الحرب العالمية الأولى، الأول ظهور حركة الحقوق المدنية للزنوج فى الولايات المتحدة خلال العشرينيات، الثانى ظهور الحركات المناهضة بشرعية الحكم الأوروبى للمستعمرات، ولسيادة الجنس الأبيض على أبناء المستعمرات.

حققت كلتا الحركتين تعاطفا كبيرا فى الولايات المتحدة، هذا بالإضافة إلى عدد آخر من العوامل التى أسهمت فى تغيير هذا الفكر، **العامل الأول:** هو إيقاف الهجرة إلى الولايات المتحدة فى بداية العشرينيات، أدى ذلك إلى تغيير الاهتمام إلى حل مشكلات الصراع داخل الوطن بدلا من تبرير التسلط على بعض الشعوب الخارجية.

العامل الثانى: تدفق أعضاء الجماعات العنصرية إلى مهنة علم النفس، خصوصا اليهود.

العامل الثالث: تغير اتجاهات السيكولوجية إلى اليسار خلال فترة الكساد.

العامل الرابع: الرغبة فى توحيد الأمة ضد الأعداء المتربصين بها والذين يدعون إلى العنصرية. (ص٢٥٦)

وعموما، يبدو أن هذه التغيرات التاريخية أدت إلى تغيرات سريعة على الأقل بين المثقفين والعلماء الاجتماعيين فى عدم الاعتقاد فى سيادة الجنس الأبيض على غيره من الأجناس. غير أن ذلك أدى إلى سؤال حرج، إذا لم تكن الأجناس الأخرى متدنية حقيقة، فكيف نفسر ما هم فيه من فقر وحرمان، وكيف نفسر إذلالهم من جانب الجنس الأبيض.

يرى (ميلنر) أن (فلويد ألبورت عام ١٩٢٤) كان أول علماء النفس الاجتماعى الذى أوضح هذا الموضوع بقوله: «إن التناقض فى القدرة العقلية ليس كافيا بالدرجة التى تفسر بها مشكلة بؤس الزنوج الأمريكيين أو لـلتفسير الكافى لما يتعرض هؤلاء من النبذ» (مذكورة فى ميلنر ١٩٧٥(٤٣٥) ص٢١ والخط فى النص الأصلى).

للإجابة على هذا السؤال ولتفسير القهر والنبذ الذى تعرض له الزنوج، غَيّر النفسيون انتباههم نحو الاتجاهات العنصرية للرجل الأبيض، فمع الاعتقاد فى المساواة بين الأجناس جاءت فكرة أن الاتجاهات العنصرية السلبية والازدرائية من جانب الرجل الأبيض لم تكن فى جوهرها قابلة للتبرير، وكانت ظالمة، وأدى ذلك إلى ظهور مفهوم التعصب باعتباره اتجاها جماعيا غير عادل، غير منطقى وخاطئ. لذلك أعيد تعريف مشكلة العلاقات العنصرية باعتبارها مشكلة تعصب الرجل الأبيض بدلا من أن تكون مشكلة تدنى الرجل الأسود.

اهتمت أغلب الأبحاث فى التعصب خلال هذه الفترة بقياسه ووصفه فى الجماعات المختلفة، ففى ١٩٢٥ على سبيل المثال نشر (يوجاردس) دراسته الهامة، فاستخدم مقياس المسافة الاجتماعية فى تقدير قبول أو رفض الأفراد الخارجين فى مواقف متباينة فى درجة الانتماء. وفى العقود القليلة التالية على ذلك ظهرت مئات الدراسات التى تصف أنماط المسافة الاجتماعية بين الجماعات والجماعات الفرعية. ولقد كان لقائمة كاتز - بارلى ١٩٣٣(٣١٤) لقياس القوالب الجامدة نفس التأثير الذى أحدثه استخدام (ثرستون) ومن بعده (ليكرت) لمقاييس الاتجاهات العنصرية مثال: جيلفورد ١٩٣١(٢٤٢). إلا أن هذا الاتجاه أثار مشكلة جديدة وهى كيف يمكن تفسير التعصب نفسه، ولقد التفت السيكولوجيون خلال الثلاثينيات إلى هذا الموضوع.

العمليات الدينامية النفسية: الثلاثينيات والأربعينيات:

ظهرت أولى محاولات تفسير التعصب فى إطار اجتماعى من العنصرية البيضاء والعلاقات بين البيض - الزنوج فى الولايات المتحدة - فقد تضمنت افتتاحية كتاب (بوجاردس) الذى نشر ١٩٢٨ - على سبيل المثال - تأكيدا على أن موضوعا وحيدا كبيرا يواجه الولايات المتحدة وهو العلاقات العنصرية (ذكر ذلك ساملسون ١٩٧٨ ص ٢٧١)(٥٦٥)، فإذا كان التعصب غير منطقى واستجابة غير عادلة، كما أصبح أغلب السيكولوجيين والمثقفين يعتقدون. فكيف يمكن إذن أن نفسر انتشار العنصرية البيضاء فى الولايات المتحدة !! يبدو أن ذلك كان السؤال الاجتماعى العلمى الحرج والذى ظهر بسبب الظروف التاريخية والاجتماعية المحيطة.

تقدم نظرية الديناميات النفسية إطارا ملائما للإجابة على هذا السؤال، من هذا المنطلق يمكن النظر إلى التعصب باعتباره ينتج عن عمليات سيكولوجية شائعة مثل ميكانزمات الدفاع. تعمل هذه العمليات بطريقة لا شعورية على تحويل القلق والمشاكل التى تنشأ إما عن ضغوط داخلية، أو بيئية، والتهديد، والإحباط إلى تعصب ضد الأقليات. على ذلك فشيوع هذه العمليات يفسر انتشار التعصب، وأن لا شعورية دفاعاتها تفسر عدم منطقيتها.

يتضمن التعصب أنواعا متباينة من العمليات الدينامية، يشمل ذلك الإسقاط Projection (أكرمان - جاهودا ١٩٥٠[٥]، ماكلين ١٩٤٦[٤٠٩]) الإحباط Frustration (ماكورنى ١٩٣٧)[٣٩١] كبش الفداء Scope Goating والإزاحة للعدوان (دولارد ـ دوب - ماورر - سيرز ١٩٣٩[١٥٧]). ويمكن لعدد من هذه العمليات أن تتكامل فى تفسير مترابط للتعصب على أساس من العدوان الناشئ عن الإحباط الاجتماعى المزمن والذى يزاح على الأقليات باعتبارهم كبش الفداء (دولارد وآخرون ١٩٣٩[١٥٧]، ماكورنى ١٩٣٧[٣٩١]).

يبدو أن مثل هذه المنطلقات تقدم تفسيرا منطقيا مقبولا ظاهريا، لانتشار العنصرية فى الولايات المتحدة، كذلك لتفسير تعبيرات أكثر شذوذا مثل الإعدام بدون محاكمة Lynching (هوفلاند - سيرز، ١٩٤٠[٢٨٩] راير ١٩٣٣[٥١٧]). كما استخدمت أيضا فى تفسير أحداث تاريخية هامة وشاذة مثل صعود النازية وانتشار معاداة السامية فى ألمانيا، وينسب ذلك إلى إزاحة العداء الناتج عن الازدراء السياسى والإحباط الاقتصادى للمواطنين الألمان بعد الحرب العالمية الأولى (دولارد وآخرون ١٩٣٩)[١٥٧].

أثار هذا النسق التفسيرى أبحاثا استخدمت إستراتيجيات متنوعة مثل أبحاث دراسة الحالة Case Study بالإضافة للأبحاث التاريخية والارتباطية (البورت - كرامر، ١٩٤٦[١٤]، مورس - البورت ١٩٥٢[٤٤٧]). غير أن المنهج التجريبى كان هو المنهج الأكثر ملاءمة لبحث العلاقات السببية من هذا النوع، حيث يقوم بقياس العلاقة المباشرة بين السبب والنتيجة، وأجريت بالفعل عدد من مثل هذه الدراسات خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات (مثل ميلر - بوجلسكى ١٩٤٨)[٤٣٤] وتوصلت إلى نتائج شاملة إلى حد ما. (انظر الفصل الخامس).

ورغم فشل البحوث التى استعرضناها فى الفصل الخامس فى التوصل إلى نتائج محددة تساند الفروض، فلم يؤد ذلك الى رفض الاتجاه التحليلى النفسى، فمازال تعبير إزاحة الإحباط شائع الاستخدام فى استعراضات التراث لعدة عقود تالية (آشمور

١٩٧٠[٢٦]، آشمور - ويلبولكا ١٩٧٦[٢٧]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]، ويستى ١٩٦٤[٧٠٣]). قد يكون فشل النتائج الإمبيريقية سببا فى الانصراف عن استخدام هذا التفسير، إلا أن أحداثا محددة تاريخية تبدو المسئولة المباشرة عن هذا الأمر.

الشخصية المتعصبة فى الخمسينيات:

ظهر تغير هام فى التفسيرات المقبولة للتعصب فيما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الأربعينيات، فرغم وجود صياغات جديدة مبنية أساسا على التحليل النفسى، لكن الفرق كان شاسعا، فلم يعد التركيز على العملية Process، بل على البنية Structure ، وبدلا من تفسير التعصب على أساس العمليات الداخلية النفسية الشائعة، نظر التفسير الجديد للتعصب باعتباره نتاجا لبناء الشخصية منظما على أساس الاستعداد لتقبل الاتجاهات التعصبية.

يبدو أن حدثا تاريخيا بالغ الحدة قد لعب دورا فى إحداث هذا التغير إذ كانت الصدمة التى نتجت عن ظهور الأيديولوجية النازية العنصرية وحركة العداء للسامية والتى أدت إلى إبادة جماعية لجنس معين، هذه الظاهرة لا يبدو أنها قابلة للتفسير على أساس عمليات سيكولوجية عادية لدى الجميع، وكما أشار (ميلنر ١٩٨١)[٤٣٦]. إن فظاعة المذابح تشير إلى نوع من المرض الجماعى، إنه جنون جمعى، وقد تركزت التفسيرات حينئذ على الشخصية المضطربة؛ وذلك لأن من الصعب تصور أن ذلك تصرف شخصى سوى. (ص١٠٦)

أسهم النازيون وقادتهم أو على الأقل صورة قادتهم فى المشاركة فى نوع معين من بناء الشخصية المضطربة، وكانوا نموذجا أصيلا فى التعصب Prototypal . على ذلك يمثل التعصب تعبيرا عن حاجة داخلية تنتج عن بناء مرضى للشخصية، ويميل ذوو الشخصيات من هذا النوع إلى الاستعداد والقابلية للتعصب، ويتفق ذلك مع النتائج الأمبيريقية التى توصلت إلى أن التعصب يميل إلى أن يكون سمة مصممة للشخصية. على ذلك فالأشخاص المعادون للسامية يميلون إلى أن يعادوا الزنوج وإلى قلة تفضيل للأقليات أو الجماعات الخارجية. (انظر الفصل ٨). أصبح السؤال الهام هو كيف نحدد ونصف أبنية الشخصية وخصائصها التى تدفع بالأشخاص إلى الميل للتعصب وإلى التركيز العرقى؟

كانت أكثر الإجابات على هذا السؤال أهمية هى نظرية الشخصية التسلطية Authoritarian Personality (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٧] وصفت هذه الشخصية

بعدا أساسيا للشخصية يحدد الدرجة التى يميل الشخص عندها إلى التعصب. تمت صياغة أجزاء من هذه النظرية بالاعتماد على مفاهيم ومصطلحات التحليل النفسى، فى حين لم تعتمد منطلقات أخرى على التحليل النفسى كالدوجماطية لروكيش (روكيش وآخرون ١٩٦٠)[٥٤٧] الانفتاح على العالم لـ (سميث - روزين ١٩٥٨)[٦١١]، الشخصية المتسامحة Tolerant personality (مارتن · ويستى ١٩٥٩)[٤٠١]. لم يكن الخط السائد خلال هذه الفترة ينتمى إلى التحليل النفسى فى ذاته، وبدلا منه بدا من الأنسب وصفه كاتجاه للفروق الفردية فى تفسير التعصب، ويعنى ذلك تركيزا على الأبحاث الارتباطية Correlational .

نتج عن هذا المنحى عدد هائل من الأبحاث للعلاقة بين النواحى المعرفية والاتجاهية Attitudinal للتعصب فى الشخصية، وغيره من الأبنية ذات العلاقة به كالتسلطية. لوحظ أن المنحى الفارقى فى تفسير التعصب يلائم روح ذلك العصر، ويرى (فيرشلد - جورين ١٩٧٨)[١٨٨]: " ساند استبعاد الاهتمام بالأسباب الذاتية للتمييز الحالة المزاجية العامة فى أمريكا بعد الحرب، فقد كسبت الحرب وكان الالتزام بالعقيدة الديمقراطية أهم كثيرا عما كان عليه أثناء الحرب أو بعدها بقليل، ولم يكن ذلك العصر ملائما للسؤال عن التفسيرات المؤسسية للتعصب والتمييز ".(ص٧٦٠)

وإجمالا نقول: إن فى نهاية الأربعينيات والخمسينيات كانت مشكلة السيكولوجيين هى كيف نحدد الشخصية المستهدفة للتعصب أو التعصب الأعمى، وكانت الصورة السائدة للتعصب آنذاك هى أنه تعبير عن حاجة داخلية يثيرها اضطراب مرضى فى الشخصية، وكان ذلك الحكم مبنيا على المذابح النازية وعلى الشعور بأن مثل هذه الأفعال لا يمكن أن تصدر عن شخص سوى.

ربما يكون اتجاه الفروق الفردية فى دراسة التعصب قد حظى بمساندة من الاستقرار الاجتماعى والتفاؤل الذى ساد أمريكا بعد الحرب، غير أن ثمة محددات معينة شابت هذا المنحنى وصارت بارزة مؤخرا حينما أصبحت مشكلة التعصب فى الجنوب الأمريكى هى موضوع الساعة.

الثقافة والمجتمع: الستينيات والسبعينيات:

بنهاية الخمسينيات تغير الاهتمام السائد عن ذى قبل، حيث صار إلى الآثار الاجتماعية والثقافية على التعصب، ساد هذا الاتجاه بوضوح خلال الستينيات وامتد أثره إلى السبعينات، مع تضاؤل ملحوظ فى الاهتمامات السيكولوجية بأسباب التعصب. كان

هذا التضاؤل ملحوظا جدا فى نهاية الستينيات وفى السبعينيات، حيث أصبحت النظرة إلى أسباب التعصب آنذاك باعتبارها اجتماعية الطابع، ولم يعد الاهتمام السيكولوجى بالتعصب إلى الظهور مرة أخرى إلا فى نهاية السبعينيات بظهور منظور جديد بارز هو المنظور المعرفى.

يمكن تمييز مرحلتين بارزتين فى هذه الحقبة من التركيز على العوامل الاجتماعية الثقافية، تشكل هاتان المرحلتان استجابات مختلفة لظروف تاريخية مختلفة أدت إليها العلاقات العنصرية فى أمريكا، الأولى فى بداية الستينيات والثانية فى السبعينيات، وعلى ضوء النقص فى الاهتمامات السيكولوجية وعلى حقيقة أن تلك المرحلتين متشابهتان فى فروضهما الاجتماعية - الثقافية لم يكن من السهل الفصل التام بينهما.

غير أن ثمة سؤالين عن أسباب التعصب يمكن التمييز بينهما، فتفيد دراستهما فى التوصل إلى دلالات تحليلية كبيرة فى تطوير إطار تكاملى لتفسير التعصب، لهذا السبب فالفروق بين هاتين المرحلتين سوف تركز عليها أكثر من وجه للتشابه، وستعامل المرحلتان باعتبارهما منفصلتين.

إن تمييزنا هنا يتشابه مع تمييز (آشمور - ديلبوكا ١٩٨١)(٢٧) بين صورتى الإجماع والصراع فى المنطلق الثقافى - الاجتماعى، فالتمييز الأساسى هنا بين المرحلتين يعتبر تركيزا على الآثار المعيارية خلال الستينيات فى مقابل الانشغال بديناميات العلاقة بين الجماعات وصراع المصالح خلال السبعينيات.

فى العادة يفسر الابتعاد عن اتجاه الفروق الفردية فى دراسة التعصب سبب محدودية هذا الاتجاه، خصوصا عجزه عن التعامل مع الدرجات المتطرفة فى التعصب فى سياق اجتماعى كجنوب الولايات المتحدة أو جنوب أفريقيا (بيتى جرو ١٩٥٨(٤٩٢) - ١٩٥٩(٤٩٣))، هذه المحدودية - سبق اكتشافها فى أبحاث إمبيريقية لفترة طويلة قبل حدوث هذا التغير (مثال ذلك بروثرو ١٩٥٢(٥٠٨)، بروثرو - جنسن ١٩٥٠(٥٠٩)، مينارد ١٩٥٩(٤٣٨)). و يبدو أن ما حدث هو أن حملة الحقوق المدنية فى الولايات المتحدة والتى فجرت وعيا عاما فى نهاية الخمسينيات هذه جعلت المشكلة الاجتماعية للعنصرية المؤسسية والتمييز فى الجنوب هى الموضوع السائد (بلاكويل ١٩٨٢)(٥٧).

لا يمكن تفسير التعصب فى جنوب الولايات المتحدة كتعبير عن بناء مرضى فى الشخصية أو بأنه مجرد فروق فردية، هذه الحقيقة أكدتها بحوث إمبيريقية متعددة أجراها (بيتى جرو ٥٨(٤٩٢)، ٥٩(٤٩٣)، ١٩٦٠(٤٩٤)) أوضح الباحث أن المستويات العالية من التعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا وجنوب الولايات المتحدة لا ترجع إلى أن الشخص

فى هذه المجتمعات يتـميز بزيادة درجة التسلطية، ففى هذه الأمـاكن نجد أن المجتمع كله عنصرى، وهكذا يـكون المواطن الصالح أيضا (آشمـور - ديلبوكا ١٩٨١[٢٧] ص٢٣)، ويؤدى ذلك إلى تركـيز الاهتمام علـى الطبيعة المعـيارية Normative للتعـصب فى المجتمـعات العاليـة التعصب، وخـاصة بانتشـار ذلك التعصـب فى كافة أنشطـة الحياة الاجتماعية فى هذه الأماكن. ولقد أصبح من المقبول أن "التعصب يفسر باعتباره معيارا اجتـماعيا أو ثقـافيا، وحيـنما لا يكون كـذلك، فإنه يصبـح عديم الأهمية" (تـيرنر - جيليس ١٩٨١ [٦٧٤] ص١٢).

الصـورة السائدة للـتعصـب آنذاك هى أن التـعصب معـيار مـتضمـن فى البيـئة الاجتماعية، وهنا يصبح السؤال السيـكولوجى هو كيف تؤثر مثل هذه المعايير فى خلق الاتجاهات الـتعصبـية لدى الأفـراد، ما هى الآليات الـسلبية المـؤثرة فى نقل الضـغوط المعيارية أو الاجتماعية على الأفراد؟.

تـضــمن الــتراث الـسيكولـوجى تـركـيزا على نوعـين من الآليات، الـتنشئة Socialization والانصـياع Conformity (بيتـى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، بروشانسكى ١٩٦٦[٥٠٧]، وستى ١٩٦٤)[٧٠٣]، وقد مال البحث من هذا المنطلق إلى الاعتماد على الملاحظة Observational Research فى تنشئـة الأطفال (مثال علـى ذلك الدراسات التى اسـتعرضـها بروشانسكى ١٩٦٦)[٥٠٧]، وكذلك الدراسات الارتـباطية Correla-tional للانصياع أو للضغوط الاجتماعية المدركة فى علاقتهما بالتعصب (مثال دى فريز - فورد ١٩٦٩[١٤٧]، ايونز - ارلـيخ ١٩٧٢[١٨٦]، فندريتش ١٩٦٧[١٩٤]، هامبلين ١٩٦٢[٢٤٨]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]).

تضمن المنحى المـعيارى فى التعصب تظرة تفـاؤلية لمستقبل العلاقـات العنصرية، فمادام التعصب هو نوع من المعايير التقليدية أو الانصياع الاجتماعى أو الأنماط المؤسسية فى السلوك بين العناصر والتمييز العنصرى، فيمكن تغيير تلك الصورة من خلال سياسة منع التمييز العنصرى، ويتحول بذلك الجنوب المسبب للمشاكل إلى شمال ليبرالى، فعلى سبيل المثال افتـرض (فيرشيلد - جورين ١٩٧٨)[١٨٨] أنه حتى منتصف الستينيات تقبل السيكولوجيين نموذج الإجماع فى العلاقات العنصرية، ويفترض هذا النموذج أنه "يمكن توقع أن تنسـجم العلاقات بين البـيض والسود، فالسـبب الأساسى لعدم الانسـجام هو نقص تقـبل البيـض للسود، ويمكن تحـقيق هذا الانـسجام إذا غـير البيض مـعتقـداتهم التعصبية (عن تدنى السود) وتقبلوا السود فى مدارسهم، وظائفهم - جيرانهم، فتساوى المكانة عند التواصل بـين العنصرين هو المسئول الأول عن إيجاد هذا التـغير فى اتجاهات

البيض، فالتكامل العنصرى كان الهدف، ولم يحاول أحدهم أن يتساءل عما إذا كان ذلك ممكنا، وقد تجاهلوا فى هذه الفترة علاقات الصراع، القوة والسيطرة فى دراساتهم النفس - اجتماعية للعلاقات بين الجماعات". (ص٧٦٧).

بدأت هذه الفروض التفاؤلية فى الاضمحلال السريع فى نهاية الستينيات عندما ثار أهل المدن فى منتصف الستينيات وتصاعدت حدة مقاومتهم للحقوق المدنية، وتغيرت أهدافها من الرغبة فى تحقيق القبول الجماهيرى إلى حقوق الانتخاب والعمل والظلم فى توزيع الدخول (فيرشيلد - جورين ١٩٧٨(١٨٨)ص٧٦٧)، وقد صار من الواضح أن مشكلة العلاقات العنصرية فى الولايات المتحدة لم تكن مجرد مشكلة تعصب جنوبى أو تمييز "فالمقابل الضرورى للعنصرية فى الشمال الصناعى المدنى لم تتناوله حركة الحقوق المدنية وأحداث ١٩٦٤ : "وفى الحقيقة أن التمييز المشروط Conditional Segreation بدأ يأخذ تدريجيا مكانة النظام الطبقى العلنى فى الجنوب والذى يسبب معارضة عالمية، ولم تتناول حركة الحقوق المدنية هذا التمييز المشروط؛ وذلك لأنه كان ينفذ بطريقة غير شخصية وغير رسمية، كما أنه كان يسمح أحيانا بالحراك الطبقى" (باوزر ١٩٨٥(٧١) ص٣١١).

ويبدو أن للعنصرية والتمييز العنصرى جذورا عميقة فى المجتمع الأمريكى عما كان مفترضا قبل ذلك، فالأنماط المعيارية والاجتماعية المشتركة للتعصب لم يعد يمكن النظر إليها باعتبارها تقاليد ثقافية أو نظم مؤسسية، بدلا من ذلك بدا أنها مستمرة أساسا من خلال الصراعات بين الجماعات ومن خلال الظروف الاجتماعية البنائية.

كان السؤال السائد خلال السبعينيات - المرحلة الثانية من فترة التركيز الثقافى - الاجتماعى هو كيف نحدد ونفسر الصراعات بين الجماعات فى المصالح، وكيف نفسر الظروف البنائية الكامنة خلف الأنساق العنصرية التمييزية؟.

تقوم الإجابة على هذا السؤال على أساس عوامل مثل الاستعمار العالمى (بلونر ١٩٧٢)(٦١) تقسيم سوق العمل (بوناسيس ١٩٧٢)(٦٨) العنصرية المؤسسية (كارميشيل - هاميلتون ١٩٦٧)(١١٣) والمميزات والقدرة الاجتماعية - الاقتصادية للبيض فى المحافظة على استمرار تدنى طبقة السود (ثورو ١٩٦٩)(٦٥٩)، فالصورة السائدة للتعصب كانت تعبيرا عن صراع المصالح بين الجماعات، على سبيل المثال كان تعصب الأمريكى الأبيض يوصف بأنه (نتيجة لمصالح جماعات الصفوة ورغبتها فى استمرار تحقيق التميز على باقى الجماعات) (باورز ١٩٨٥(٧١) ص٣١٨).

كانت البحوث والنظريات التى ترتبت على هذا الاتجاه النظرى ذات طابع اجتماعى - تاريخى مما قلل من اهتمام السيكولوجيين بموضوع التعصب فى هذه الفترة، ويبدو نقص اهتمام السيكولوجيين بديناميات العلاقة بين الجماعات وبالظروف الاجتماعية المؤثرة على النمط المعيارى للتعصب، يبدو ذلك النقص محيرا، فقبل ذلك بعقدين أجرى شريف وشريف (١٩٥٣)(٥٩٤) سلسلة من الدراسات النفس اجتماعية وصاغا منطقا نظريا أسمياه نظرية الصراع الواقعى والتى كان لها ارتباط مباشر بالموضوع.

ثمة عاملان مهمان كانا سببا فى نقص اهتمام السيكولوجيين بديناميات الجماعات الاجتماعية وعلاقتها بالتعصب فى هذه الفترة .العامل الأول : كان النقص العام فى الاهتمام بالظواهر الجماعية والتركيز على الفرد باعتباره وحدة التحليل الملائمة فى علم النفس الاجتماعى الأمريكى فى هذه الفترة (شتاينر ١٩٧٤)(٦٢٤).العامل الثانى : حسب ما يرى ويكر أن الاتجاهات والسلوك كانا مرتبطين بشكل ضعيف، ومن الشائع الاعتقاد أن الاتجاهات التعصبية لها علاقة ضعيفة بتفسير السلوك التمييزى أو التمييز العنصرى (انظر مثلا باورز ١٩٨٥)(٧١).

ويبدو أن ما يدعم ذلك هو البحوث التى أوضحت انخفاضا كبيرا فى التعصب العنصرى كاتجاه، ولكن قليلا من الانخفاض فى التمييز العنصرى (كامبل ١٩٧١(١٠٧)، بيتى جرو ١٩٧٥)(٤٩٧). نتيجة لذلك حدث تغير فى الاهتمام بعيد عن مفهوم التعصب السيكولوجى، وتركيز على تفسير التمييز خصوصا فى أنماطه المؤسسية، مما يدخل فى اختصاص الاجتماعيين ،ولم تظهر اهتمامات سيكولوجية بالعوامل السببية الكامنة وراء العلاقات الجماعية إلا فى نهاية السبعينيات.

وفى الجملة نقول: إنه خلال الستينيات والسبعينيات كان النظر إلى الآثار الثقافية باعتبارها عمليات سببية هامة تكمن خلف وتحدد التعصب. ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين واضحتين، خلال المرحلة الأولى أدت الظروف الاجتماعية إلى زيادة الاهتمام بمشكلة العنصرية والتمييز المؤسسى فى جنوب الولايات المتحدة، ولم يكن من السهل تفسير التعصب على أساس الفروق الفردية أو اضطراب الشخصية فى ظروف اجتماعية مثل ذلك، حيث كان المجتمع كله عنصريا، وبدلا من ذلك ظهر التعصب بصفته تعبيرا عن معيار اقتصادى - اجتماعى، وكان السؤال العلمى هو كيف تؤدى هذه المعايير إلى تحديد الاتجاهات التعصبية للأفراد.

فى حوالى السبعينيات أصبح من الواضح أن العنصرية فى أمريكا لم تكن مجرد مشكلة الجنوب، حيث ظهر أن العنصرية كانت متعمقة فى المجتمع الأمريكى ككل، وذلك رغم البحوث التى أكدت انخفاضا ملحوظا فى قبول المعتقدات التعصبية. ولم

تعد النظرة إلـى التعصب على أساس الانصيـاع الاجتماعى للمعـايير التقليدية والتـمييز المؤسسى بنفس القوة التى كانت عليها فـى الفترة السابقة، والسؤال الحرج الذى أثير فى هذه الفترة هو كيف نفـسر تعمق العنصرية والتمييز فى البنـاء الاجتماعى الأمريكى وفى صراع المـصالح بين الجـماعـات، كان ذلك الموضـوع يبدو من اخـتصـاص التاريخـيين والاجتماعيين أكثر من السيكولوجيين وبالتالى كانت منطلقات البحث ونظرياته كاستجابة للنظرة إلى التعصب على أنه تعبير عن المصالح الجماعية.

الأسس السيكولوجية : الثمانينيات والتسعينيات

: Psychological Fundamentals

توحى نتائج الدراسات الأمبيريقية خلال السبعينيات أن ظهور التعصب وانتشاره قد لا يكـون بسبب صراع المصـالح والبناء الاجتـماعى، فقـد اتضح أن هناك عمـليات سيكولوجية ربما أكثر أساسية لهـا دور أيضا فى ذلك. كانت نتائج الدراسات التى قامت على موضوع العنـصرية الرمزية هى إحدى المؤثرات على الموقف الجـديد (ماكوناهاى - هيوز ١٩٧٦)(٤٠٧) وكمـا لاحظنا فى الفـصل السابـق أن هذا البحث هـو نموذج على أبحاث العنصرية الرمزية، فعلى عكس ما أشـارت إليه الدراسات الاجتماعية لم يحدث تناقص فعـلى فى العنصرية بالولايـات المتحدة لكنها تـغيرت ببساطة إلـى نمط عنصرى متعصب لكنه يأخذ شكلا ماكرا ولطيفا (فرى - جايرتنر ١٩٨٦(٢١٤) ص١٠٨٣).

أشار هذا البحث أيضا إلى أن الأفعال العنصرية مثل التصويت ضد عمدة زنجى، معارضة الحركات المؤيدة للزنوج، معارضة مشاركة الزنوج فى وسائل النقل. كان ارتباطها مرتفعـا بالعنصرية الرمزية، ولكن ليس بدرجة إدراك البيـض للزنوج باعتبارهم تهـديدا لمصـالحهم (كـيندر - سـيرز ١٩٨١(٣٣٢)، كلـوجل - سـمـيث ١٩٨٣(٣٣٧)، ماكـوناهاى ١٩٨٢(٤١٣)، مـاكـوناهـاى - هـيـوز ١٩٧٦(٤١٧)، سـيرز وآخـرون ١٩٧٩(٥٧٩)). ورغم أن الاستنتاجـات خاصة تلك التى تتعلق بدور إدراك الـتهديد قد واجـهت اعتـراضات (بـوبو ١٩٨٣(٦٤)، سـنايـدر مـان - تـيـتلـوك ١٩٨٦أ(٦١٢)، ١٩٨٦ب(٦١٣)) لكنهـا ساعدت علـى إيضاح العلاقـة الدائمة للـبناء السيكـولوجى فى تشكيل السلوك العنصرى وبالتالى فى فهم العنصرية بأمريكا.

هنـاك مجـموعـة أخرى من الـنتائـج ربما كـانت أكثـر تأثيـرا فى هذا المـوقف السيكولوجى من التعصب، وهى التى توصلت إليها الأبحاث التى استخدمت مخططات الحد الجمـاعى الأدنى Minimal Inter group Paradigm (تاجفـيل ١٩٧٠(٦٤٤)،

تاجـفيل - فلامـنت - بلينـج - باوندى ١٩٧١ (٦٤٩)). فى هذه البـحوث يتم تقـسيم المبحوثين إلى جماعات على أساس عـشوائى تماما، لا يكون هناك اتصال أو تفاعل بين الجماعات، وليس هناك أى صراع للمصالح أو أساس اجـتماعى واقعى للعداء فيما بين هذه الجمـاعات، إلا أن الأفراد حين تقسـيمهم إلى هذه الجمـاعات الدنيا استـمرت فى إظهار التحيز والتمـييز والمواقف التنافسية لصالح جماعـتهم وضد الجماعات الأخرى. لهذه النتائـج تطبيقات أساسيـة، إذ أشارت إلى "أن مجرد إدراك الانتماء إلى جـماعتين واضحتين، وهو ما يعنى التصنيف الاجتماعى Social Categorization هو سبب كاف لإثارة التميز بين الجماعات لصالح الجماعة الداخلية، بمعنى آخر إن مجرد الوعى بوجود جمـاعة أخـرى (خارجيـة) كاف لإثارة اسـتجابـات تنافسـية وتميـيزية لصـالح الجماعة الداخلية". (تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩ (٦٥٠) ص٣٨). على ذلك أصبح النظر إلى التحيز والتمييز لصـالح الجماعة الداخلية باعتباره نتـاجا واضحا لعمليات معرفية سـوية، طبيعية وعمومـية تؤدى إلى تبسيط الـعالم الاجتماعى المحـيط لجعله أكثر قـابلية للتعـامل معه (آشمور -د يلبوكا ١٩٨١ (٢٧)، هاملتون ١٩٨١ (٢٥١)ج)، ويفسر ذلك لماذا كان كل من التعصب والتمييز ظواهر اجتماعية منتشرة وعالمية وصعبة المراس.

قدمت هذه النتائج منظورا سيكولوجيا واضـحا وقويا لفهم المشكلات الاجتماعية الهامة مثل استمرار العنصرية فى أمريكا وإحياء الفاشية الجديدة ومعاداة السامية والمشاعر العدائية المضـادة للمهاجرين فى أوروبا الغـربية إبان السبعينـيات (بلاكويل ١٩٨٢ (٥٧)، شونبـاخ - جولويتـزر ستانـيل - واجنر ١٩٨١ (٥٧٠)). وثمة منـطلقات متنـوعة فى الموضوع حول كيف تؤثر هذه العمليات المعرفـية الأساسية مثل التصنيف Categoriza-tion - فى التعصب والتـمييز، ركزت المنطلقات المـعرفية الخالصة على مفـهوم القوالب الجامدة باعتباره بناء معرفيا يتحدد مـباشرة بالتصنيف، وهو بدوره ينظم ويقدم المعلومات عن الفئات الاجتماعية Social Categories (مثال بارتال جرومـان - كروجلانسكى - ستروبب ١٩٨٩ (٣٤)، هاملـتون ١٩٨١أ (٢٤٩)، ستيـفان ١٩٨٥ (٦٢٧)، ١٩٨٩ (٦٢٩)، تاجفيل ١٩٦٩ (٦٤٣)).

أدى المنظور المعرفـى الاجتماعى إلى عدد كبـير من الأبحاث التجريبـية، فحص العديد منـها دور الأبنية المعرفـية مثل القوالب الجـامدة فى تميز المعلومـات وفى السلوك الاجتماعى خصوصا السلوك التمـييزى (مثال: هاملتون - ترولير ١٩٨٦ (٢٥٣)، ليلى - رهم ١٩٨٨ (٣٧٧)). وكان من المقبول بين الغـالبية أن الكثير من التعصب والـتمييز يمكن تفسيـره على أساس هذه المنطلقات، وهناك مـنطلق يرتبط بما سبق يفـترض أن العوامل الدافعية يمكن أن تشارك فى ذلك، يرى هذا المنطلق الـدافعى المعرفى أن عملية التصنيف

الاجتماعى تفجر عـمليات دافعية أساسية، وخاصة الحاجة إلى تقـدير الشخص لجماعته بصورة أكثر إيجابية من الجماعات الأخرى (هوج - ابرامز ١٩٨٨[٢٨٥]، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩[٦٥٠]، تيرنر ١٩٧٥[٦٤٣]).

كان طـابع البـحث السـائد فى هـذه الدراسـات تجريبيـا، ركزت أغلبهـا على اختبار التنبـؤات المستمدة من نظرية الهوية الاجـتماعية Social Identity Theory من حيث آثارها على التحيز للجماعة الداخلية التـفضيل، التميز فى المواقف الجماعية الدنيا Minimal Inter group Situations (بروير ١٩٧٩[٧٧]، بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]، ميسك - ماكاى ١٩٨٩[٤٢٧]، تاجفيل ١٩٨٢أ[٦٤٦]).

مـازال المنظوران المـعرفـى الاجتـماعـى، والمعـرفى الدافـعى يشـكلان المنطـلق السيكولوجى السائد فى تـفسير وفهم التعصب، وكذلك العلاقات الجـماعية (ميسك - ماكاى ١٩٨٩)[٤٢٧]. ورغم سيادته فإن له عيوبا خطيـرة، فإحدى مشكلاته هى تجاهله للعوامل الدافعية، وفى ذلك يشير (هاملتون ١٩٨١ج)[٢٥١] "إذا ظهرت فـى أى مجال للتفاعل الإنسانى عوامل المرونة مع القوة، والمشاعر، والتعاطف، يدلنا تاريخ البشرية أنه لابد أن يكون مجال العلاقات بين الجماعات، ويؤكـد لنا ذلك حقيقة أن المنطلق المعرفى رغم ثـرائه وتنوع إنجـازاته فـى السنوات الأخـيرة، إلا أنـه مع ذلك نـاقص التكـوين. (ص٣٤٧).

المشكلة الثانية : وثيقة الصلة بالمنظور المعرفى الدافعى، فليس من الواضح أن نوع التميز والتفضيل الملاحظ فى مواقف الحد الأدنى للجماعات هى نفسها ما نلاحظه من التميز والعداء الجماعى الملاحظ فى المواقف الاجتمـاعية العادية، مثلا التميز فى مواقف الحد الأدنى للجـماعات يبدو أنها تعـكس التفضيل لجمـاعة الانتماء أكثـر من الكراهية للجماعات الأخرى أو الخارجية (بروير ١٩٧٩[٧٧]، بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]، كوندور - براون ١٩٨٨[١٢٧]، دايون ١٩٧٩[١٥٥]، ميسـك - ماكاى ١٩٨٩[٤٢٧]). ويفترض ذلك أن التحيز إلى داخل الجماعة والذى قد يكون مؤشرا على الاستعداد للتعصب ،قد يتحول إلى تعصب فعلى فى ظروف اجتماعية محددة (انظر فصل ٥).

أخيرا، فإن المخطط المعرفى فى عمومه والذى سيطر على العقود القليلة السابقة، يقدم منطلقا ناقصـا بصورة خطيرة فى تفسير ظاهرة التعصـب من عدة نواح، فمثلا قدم تفسـيرا ضئيلا - إن كـان قد قدم أصلا - للفـروق الفردية فى الاتجاهـات والسلوك بين الجماعات (كوندور - براون ١٩٨٨[١٢٧]، بيتى جرو ١٩٨١[٤٩٩]) كما أنه لم يوضح أى اهتمام بتفسير كيف تتم تنشئة الأفراد على اتجاهات ومعتقدات جماعتهم وثقافتهم

(كوندور - براون ١٩٨٨)[١٢٧]. ذلك على عكس المنظور الاجتماعى - المعرفى، حيث بينت نظرية الهوية الاجتماعية اهتماما بتفسير بعض الديناميات على المستوى الاجتماعى الأكبر Macro Social وعلى مستوى ما بين الجماعات والتى تؤثر فى التعصب، وفى العلاقات بين الجماعات باعتبارهما ظاهرتين جماعيتين (هوج - ابرامز ١٩٨٨[٢٨٥]، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩[١٢٧]). إلا أنه على هذا المستوى توجد فجوات هامة، فلم يوجه الاهتمام إلى صراع المصالح بين الجماعات إلا بصورة هامشية، وكمجرد عامل من العوامل المؤثرة على انتشار عملية التصنيف الاجتماعى وليس كمكون للاتجاهات بين الجماعات، وللإدراك المتبادل فيما بينها على أساس المصالح الذاتية.

وبعد، فقد اتضح إمبيريقيا أنه فى ظروف معينة على الأقل، يمكن للمصالح الجماعية أن تتحكم تماما فى الظواهر بين الجماعات والتى تتنبأ بها نظرية الهوية الاجتماعية (فان كينبنبرج ١٩٧٨)[٦٨٥]. على ذلك ركز (تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩)[١٢٧] على أن الهوية الاجتماعية قد «قصد بها ليس أن تكون بديلا عن نظرية الصراع الجماعى الواقعى ولكن لتكون مكملة لها».(ص ٣٤)

من الواضح إذن أن المخطط المعرفى فى العقود القليلة الماضية كان منطلقا جزئيا ولم يقدم تفسيرا متكاملا للتعصب وللعلاقات بين الجماعات، لذلك فمن الضرورى إيجاد صيغة للتكامل بينه وبين المنطلقات الأخرى. ورغم إشارة البعض إلى ضرورة التكامل (مثال آشمور - ديلبوكا ١٩٨١[٢٨]، كوندور - براون ١٩٨٨[٢٥١]، هاملتون ١٩٨١ج، سترويب - انسكو ١٩٨٩[٦٣٧]) إلا أن القليل من المحاولات الفعلية قد بذلت لصياغة إطار شامل وعام يضم كافة المنطلقات المذكورة، ويقدم تفسيرا شاملا للظواهر الجماعية كالتعصب، يقدم الجزء التالى من هذا الفصل هذا الإطار التكاملى المقترح.

إجمالا: أصبح من الواضح إبان السبعينيات أن استمرار العنصرية والصراع بين الجماعات قد يشمل عوامل تختلف عن صراع المصالح والبناء الاجتماعى، وقد صيغت التفسيرات على أساس أنها عمليات معرفية عادية (سوية) أساسية شائعة. ومن هذا المنظور يمكن اعتبار التعصب نتاجا ضروريا لعمليات معرفية مثل التصنيف الاجتماعى، وأصبح السؤال الأساسى المترتب على ذلك هو كيف يمكن لمثل هذه العمليات المعرفية العادية (السوية) أن تؤدى إلى ظواهر جماعية كالصراع والتمييز - الفصل - القوالب الجامدة والتعصب. غير أن هذا المخطط رغم انتشاره حاليا يواجه نقائص هامة ولا يقدم تفسيرا متكاملا للتعصب.

إطار تكامـــــلى

وصف التحليل التاريخى سبع مراحل هامة، لطريقة السيكولوجيين فى فهم التعصب، تميزت كل مرحلة بتوجه Orientation نظرى وتركيز على مشكلات بحثية معينة، ويبدا أن هذه المراحل كانت استجابة لظروف تاريخية معينة، وبدت هذه الظروف وكأنها تثير تساؤلات خاصة عن طبيعة وأسباب التعصب السائد التى سيطرت على أذهان العلماء الاجتماعيين آنذاك، بالتالى فان التوجهات النظرية المختلفة تحاول الإجابة عن نفس الأسئلة. اهتمت أول مرحلتين أساسا بطبيعة وتفهم التعصب، أما المراحل الخمسة التالية فقد اهتمت ببحث أسبابه. شملت المراحل الخمسة أربعة أسئلة تختلف فى أساسياتها رغم أنها ضرورية عن أسباب التعصب، منها سؤال عن عمليات نفسية شائعة تكمن خلف التعصب ظهر فى حقبتين، ويبدو أن هذه الأسئلة الأربعة ترتبط بأربعة عمليات سببية مختلفة نوعا فى تحديد وتشكيل التعصب.

أولا : إن بعضا من العمليات النفسية الشائعة تشكل الاستعداد والإمكانية للانخراط فى التعصب.

ثانيا : إن الديناميات الاجتماعية وديناميات التفاعل بين الجماعات تصف الشروط أو الظروف التى يحدث فيها التفاعل والاتصال بين الجماعات وهى ذاتها التى تشكل الإمكانية والاستعداد السابق ذكرهما؛ تشكلهما فى أنماط معيارية واجتماعية مشتركة للتعصب.

ثالثا : تفسر آليات الانتقال Transmission كيف تنتقل ديناميات التفاعل بين الجماعات، والأنماط المشتركة للتعصب إلى الأفراد الآخرين فى هذه الجماعات.

رابعا وأخيرا: تحدد أبعاد الفروق الفردية مدى قابلية الفرد للتعصب، وبالتالى تعمل على توصيل آثار هذه الميكانزمات الاجتماعية للانتشار وإلى أفراد الجماعات بدرجات مختلفة.

تقدم لنا كل من هذه العمليات السببية إسهامات جزئية ولكن أساسية لتفسير التعصب، وهى تزودنا معا بإطار تكاملى يشمل أربع عمليات متكاملة تقدم تفسيرا منطقيا شاملا للتعصب باعتباره ظاهرة فردية وجماعية على السواء، يلخص الجدول ٤ - ٢ هذا الإطار ويوضح أن نظريات ومنطلقات فهم التعصب يمكن أن تتكامل منطقيا داخل هذا الإطار المقترح. على ذلك يمكن اعتبار أن النظريات الحالية للتعصب تقترح ميكانزمات معينة لتفسير واحد أو أكثر من العمليات السببية الأربعة المذكورة. فمثلا تشمل العمليات النفسية الأساسية الشائعة خلف الاستعداد للتعصب الميكانزمات

النفسية مثل الإسقاط - إزاحة العدوان، كذلك تشمل العمليات المعرفية مثل التصنيف الاجتماعى وما يثيره من عمليات دافعية أساسية لتقدير جماعة الانتماء بصورة أكثر إيجابية عن الجماعات الخارجية.

وثمة منطلق مختلف لفهم هذا الموضوع يقوم على أساس الميل الشائع لكراهية الجماعات الخارجية والتى لديها معتقدات أو قيم تختلف عما لدى جماعته (روكيش وآخرون ١٩٦٠)[٥٤٧]. وخصوصا فى حالة العنصرية باعتبارها تحيزا أساسيا ضد اللون الأسود (ويليامز - مورلاند ١٩٧٦)[٧١٣]. وتضع كل من هذه النظريات بعض جذور التعصب كوظيفة لعمليات سيكولوجية داخلية أساسية، وبذلك فهى تصف الميكانزمات الإدراكية أو المعرفية أو الدافعية الشائعة لدى كل الأفراد والمسئولة عن انتشار التعصب وعن شيوع مظاهره كإحدى ملامح السلوك الإنسانى الاجتماعى.

بينما تحدد العمليات النفسية الأساسية الاستعداد الإنسانى الداخلى أو إمكانية الانخراط فى التمركز العنصرى Ethnocentrism والتعصب، لا يبدو أنها تقوم بذلك بصورة آلية ومحتومة لدى جميع البشر، فليس كل الناس متعصبين ضد الجماعات الخارجية، فبعض الجماعات الخارجية قد تكون محبوبة، أو لا فرق بينها وبين الجماعة الداخلية، ولكن البعض مازال غير محبوب أو مكروها. أكثر من ذلك فالاتجاهات فيما بين الجماعات ليست مجرد مظاهر للتعصب الفردى، لكنها أنماط مشتركة اجتماعيا تختلف باختلاف طبيعة عضوية الجماعة. على ذلك فإن بعض ديناميات الجماعات والمجتمع تبدو ضرورية لإظهار وتشكيل وتوجيه الاستعدادات الفردية النفسية للتعصب فى صورة أنماط معيارية واجتماعية من العداء بين الجماعات.

تشمل هذه العمليات صراع المصالح بين الجماعات مثل التنافس الصريح (شريف - شريف ١٩٥٣)[٥٩٤] أو علاقات الاستغلال والسيطرة (بلونير ١٩٧٢[٦١]، بوناسيس ١٩٧٢[٦٨]، كوكس ١٩٤٨[١٣٨]، فاند نيرج١٩٦٧[٦٨١]).

هناك ظروف أخرى للاتصال والتفاعل بين هذه الجماعات قد يكون لها نفس التأثير حددتها نظرية الهوية الاجتماعية وغيرها من المنطلقات النظرية كالتنافس الاجتماعى، الحدود الاجتماعية المتغيرة Convergent Group Boundaries ، التمييز فى المعاملة بين الجماعات، التمييز بين الجماعات فى المكانة (بروير - ميلنر ١٩٨٤)[٨٢] والتمييز بين الجماعات فى الأدوار الاجتماعية (لى فاين - كامبل ١٩٧٢[٣٧٢]). وبينما يمكن تفسير التعصب كظاهرة جماعية على أساس الديناميات الجماعية والاجتماعية فى الاتصال والتفاعل بين الجماعات، فالتعصب هو اتجاه يعايشه الأفراد ويحسّون به، ويثير

ذلك سؤالا عن كيف تكتسب الأنماط المعيارية الجماعية للتعصب أو كيف تنتشر بين أفراد الجماعات؟

تمت الإجابة عن هذا السؤال على أساس الانصياع Conformity (بيتى جرو ١٩٥٩)[٢٩٣] أو التنشئة (بروشانسكى ١٩٦٦)[٥٠٧]، وهناك ميكانزمات أخرى مثل التنميط الاجتماعى للاتصال الفردى مع أعضاء الجماعة الخارجية، واستجاباتهم، الإسنادية Attributional للفروق بين الجماعات على أساس القيمة الاجتماعية Socially Valued Dimension.

أخيرا، لا يبدو أن التعصب لدى الأفراد هو الوظيفة الوحيدة للضغوط الاجتماعية، فالأفراد الذين يتعصبون كاستجابة لنفس الضغوط الاجتماعية قد يختلفون فى درجة تمسكهم بالاتجاهات التعصبية، ويبدو أن ذلك يرجع إلى الفروق الفردية والتى تشكل استعداد الأفراد للاستجابة للضغوط الاجتماعية، ويمكن النظر إلى هذه الفروق الفردية باعتبارها تحدد درجة امتصاص الأفراد للتعصب من البيئة المحيطة، وبالتالى أشكال الاستعداد أو التهيؤ للتعصب.

ركزت عدد من النظريات على الفروق الفردية من هذا النوع، مثل التسلطية Authoritarianism (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٧] ،تقدير الذات والتوافق السيكولوجى Psychological Adjustment (إرليخ ١٩٧٣)[١٧٩]، الإحباط (دولارد وآخرون ١٩٣٩)[١٥٧] ، العوامل المعرفية (فرانكل - برونزفيك ١٩٤٩)[٢١١]،نسق المعتقدات السياسية Belief System Political (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٧].

وإجمالا: حدد التحليل التاريخى عددا من التغيرات المنظمة Systematic والتى ظهرت فى محاولات فهم التعصب، افترضت أن هناك عددا من العمليات الأساسية المتكاملة والتى شكلت أسباب التعصب الضرورية لتفسيره، ويبدو أن هذه العمليات الأربعة تقدم إطارا متكاملا ومنطقيا يربط هذا التباين المحير بين النظريات والمنطلقات التى تحاول التوصل إلى أسباب التعصب. وسنستخدم هذا الإطار فى الفصول الأربعة التالية والتى ركز كل منها على العمليات الأربعة السببية واحدا بعد الآخر، حيث تصنف وتقيم النظريات الرئيسية المقترحة فى كل حالة ، وذلك فى الفصول الأربعة (الخامس - الثامن) فقد تناولت أسس التعصب (فصل ٥) الديناميات الاجتماعية والجماعية (فصل ٦)، ميكانزمات انتشار التعصب من الجماعة إلى أفرادها (الفصل ٧)، والفروق الفردية فى التعصب (فصل ٨).

جدول ٤ ـ ٢

إطار تكاملى لفهم أسباب التعصب

مستوى التحليل	العملية النفسية	الجماعات الاجتماعية	العلاقات بين الأشخاص	العمليات الفردية
العملية السببية	الأسس النفسية للتعصب	الديناميات الجماعية الاجتماعية	النقل الاجتماعى للتعصب	الفروق الفردية
طبيعة العملية	عمليات نفسية عالمية الشيوع تشير إلى استعداد موروث للتعصب	شروط الاتصال والتفاعل بين الجماعات والتى تبرز هذا الاستعداد الموروث فى شكل أنماط معيارية للتعصب	نقل الضغوط المعيارية إلى الأفراد فى شكل اتجاهات تعصبية	تحول الضغوط الاجتماعية على الأفراد استعداد للتعصب حسب الفروق الفردية فيما بينهم.
النظريات	الإسقاط الإزاحة التحيز العالمى للون تشابه القيم التصنيف إلى فئات التوحد الاجتماعى	الصراع الواقعى التنافس الاجتماعى السيطرة الفروق بين الجماعات فى المكان ـ القوة ـ الدور نفاذية الحدود بين الجماعات	التنشئة الضغوط المعيارية الاتصال الشخصى الإدراك الاجتماعى والإسناد	الإحباط التكيف تقدير الذات الأيديولوجية السياسية العوامل المعرفية التسلطية

الفصل الخامس

الأسس النفسية للتعصب

ركزت نظريات عديدة على الأسس النفسية للتعصب، بحثت هذه النظريات عن العمليات النفسية الشائعة التى تكوّن الاستعداد للتعصب، وهى بذلك تنظر للتعصب أو على الأقل الاستعداد للتعصب باعتباره ظاهرة إنسانية عامة ومنتشرة. كان مفهوم التمركز العرقى من أهم الأفكار الممثلة لهذا الاتجاه، والذى صاغه (سمنر عام ١٩٠٦)[٦٤٠]، نظر (سمنر) إلى التمركز العرقى باعتباره مجموعة من القيم والاتجاهات والسلوكيات المتضمنة فى كل من التوحد للجماعة الداخلية والعداء للجماعة الخارجية.

اعتقد سمنر أن هناك عنصرا متلازما ومحتوما فى تقييم العالم الاجتماعى إلى جماعات متباينة، ويعنى ذلك الانتماء إلى الجماعة، التضحية من أجلها، كراهية وازدراء الخارجين عليها، التآخى داخلها، الحرب على من هم خارجها، الكل ينمو معا، والفائدة تعود على الجميع (سمنر ١٩٠٦ ص١٣)[٦٤٠]، غير أن عمومية الأعراض العرقية والتى تضم قبول كل من هو بالجماعة الداخلية ورفض كل من هو خارج هذه الجماعة صارت موضع تساؤل، إذ يمكننا حصر ثلاثة انتقادات هامة ضدها:

أولا : أشار (لى فاين - كامبل ١٩٧٢)[٣٧٢] إلى أن حالة المجتمعات قبل الصناعية، كانت على العكس من الفروض القومية التى افترضها أنثربولوجيو القرن التاسع عشر، حيث كانت الفروق بين الجماعات واضحة وسهلة الاكتشاف، وقدما دلائل تشير إلى أن الحدود بين الجماعات فى هذه المجتمعات قبل الصناعية كانت غامضة، مشتتة ومتغيرة، لذلك يقدمون الحجة على أن التمركز العنصرى، كما تصوره سمنر هو سمة أكثر قربا من المجتمعات المتقدمة، وخصوصا لدى الدول الحديثة القومية ذات الحدود الواضحة والمستقرة.

ثانيا: أن الجماعات العضوية وجماعات التوحد ليست دائما متماثلة، فقد لاحظ(لى فاين - كامبل ١٩٧٢)[٣٧٢] حالات لأشخاص مستقلين اقتصاديا وسياسيا وجغرافيا ولكنهم أخذوا آخرين كجماعة تفضيل إيجابى (ص٦٣). يتضح ذلك بجلاء فى ظاهرة الهوية الاجتماعية السلبية (تاجفيل ١٩٨١)[٦٤٥] والتى يحدث فيها أن يكون تقدير الأفراد - أو حتى الجماعات الاجتماعية لعضويتهم فى الجماعة سلبيا بينما يتوحدون بالجماعات الأخرى.

ثالثا: عند مناقشة (بروير ١٩٨١)[٧٨] لنتائج الدراسات الأثنوجرافية للتمركز العنصرى، ذكر عدة نتائج تناقض فروض سمنر، مثال ذلك ظهور دلائل على التمايز داخل الجماعة بديلا عن النظرة الموحدة لأفراد الجماعة والتى لم يجدها منتشرة فى العادة، كما أن الاتجاهات داخل وخارج الجماعة بدلا من أن تكون متبادلة بشكل مترابط، قد تكون مستقلة عن بعضها، كما أنه التمايز بين جماعة الانتماء والجماعات الخارجية لم يكن فى العادة مستقرا ومال إلى أن يكون مائعا ومعتمدا على الموقف بدرجة كبيرة

بعبارة أخرى، يتأثر التمييز بين الجماعة الداخلية - الخارجية بمحددات الموقف والتى تؤدى إلى أن يصبح تصنيفا جماعيا معينا هو السائد أكثر من غيره. تفترض هذه النتائج أن مفهوم التمركز العنصرى على الأقل فى صيغته السمنرية من الصعب الدفاع عنه، لكن (بروير ١٩٨١)[٧٨] لاحظ أنه بينما قد لا يكون العداء للجماعة الخارجية شائعا، فإن التفضيل الوجدانى لجماعة الانتماء التى يتوحد بها الشخص، والتحيز فى تفضيلها مقابل المشاعر المتناقضة نحو الجماعات الخارجية يظهر بصورة شائعة فى الأبحاث التى استعرضها. تفترض النقطة السابقة أن الصيغة المخففة من افتراض التمركز العنصرى قد تكون واقعية، تشمل هذه الصيغة ميلا معمما لتفضيل الجماعة المسيطرة فى موقف معين، والتحيز لها أكثر من الانتماء الثابت إلى جماعة معينة وما يرتبط بها من عداء ثابت ضد الجماعات الخارجة عنها.

بالإضافة إلى ما ذكره (بروير ١٩٨١)[٧٨] من دلائل أثنوجرافية ، ظهرت دلائل تجريبية حديثة نسبيا وكثيرة العدد تؤيد هذا الافتراض، اتخذت هذه الدلائل اتجاهين تجريبيين مختلفين تماما وهما:

أ - الاتجاه الذى يتضمن تقدير إنتاجية الجماعة أو أداءها.

ب - اتجاه الحد الجماعى الأدنى والذى ابتكره تاجفيل وزملاؤه (تاجفيل ١٩٧٠[٦٤٤]، تاجفيل وآخرون ١٩٧١[٦٤٩]).

فى الاتجاه الأول: تؤدى جماعات تجريبية يتم تكوينها بصورة عشوائية مهاما تتضمن إنتاجا جماعيا، وحتى لو لم تكن هذه الجماعة فى موقف تنافس، وجدت الدراسات ميلا متسقا بين أعضاء الجماعة لزيادة تقدير إنتاج جماعتهم بالمقارنة بإنتاج الجماعات الأخرى (هنكل - سكوبلر ١٩٧٩)[٢٨٠].

فى الاتجاه الثانى: اتجاه الحد الجماعى الأدنى، يتم تقسيم المبحوثين إلى جماعات عشوائية كاملة، وكانت هذه الجماعات فى حدها الأدنى تماما، حيث لم تتعاون فى أى

نشاط تفاعلى جماعى من أى نوع، لكن حينما طلب من المبحوثين توزيع الجوائز (أو العقوبات) بين أعضاء جماعة الانتماء والجماعات الخارجية، فعلوا ذلك بطريقة تزيد من الفروق بين الجماعات الداخلية والخارجية حتى لو أدى ذلك إلى تقليل إجمالى الفوائد للمبحوثين أو حتى للجماعة (بروير ١٩٧٩[٧٧]، تاجفيل ١٩٨١[٦٤٥]).

بالإضافة إلى ذلك فكلما زاد التصنيف إلى داخل الجماعة، يزيد الميل إلى التحيز أو التمييز لصالح الجماعة الداخلية.

ظهر نمط مماثل فى مقاييس الاستجابات الأخرى، فمثلا كان تقدير أعضاء الجماعة الداخلية باعتبارها أكثر تفضيلا عن أعضاء الجماعة الخارجية؛ وذلك على أساس تقدير تقييمى للسمات. أوضحت هذه الدراسات أن مجرد تكوين الناس فى جماعات يحمل بالتأكيد بذور التحيز لصالح الجماعة الداخلية بالمقارنة بالجماعة الخارجية.

بربط ذلك بنتائج الدراسات عبر الحضارية السابق الإشارة إليها يتضح أن النتائج تؤيد شكلا أضعف من فرض التمركز العنصرى، مقابل الصورة السمنرية الأكثر قوة، هذا المفهوم لا يرى التعصب والعداء للجماعات الخارجية محتوما، فتفضيل الجماعة الداخلية والتحيز لها لا يتضمن بالضرورة كراهية الجماعة الخارجية، وهناك دلائل واضحة على ذلك.

أشار (بروير ١٩٨١)[٧٨] إلى نتائج الدراسات عبر الحضارية القائلة أن الاتجاهات نحو الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية مستقلة غالبا عن بعضها البعض، أشار كذلك إلى الشواهد المستمدة من الدرلسات التجريبية التى استخدمت المواقف الجماعية الدنيا، ودراسات تقدير إنتاجية الجماعة، ففى الحالة الأولى- أشارت أغلب الدراسات إلى أن التحيز إلى داخل الجماعة يظهر فى شكل تقدير للجماعة الداخلية أكثر من الميل إلى الانتقاص من الجماعة الخارجية (بروير ١٩٧٩)[٧٧]. فى الحالة الأخيرة وجدت الدراسات أن التقديرات المتحيزة لأداء الجماعة أو إنتاجيتها تنبع من زيادة تقدير إنتاجية الجماعة الداخلية وليس من تخفيض تقدير الجماعة الخارجية (هنكل - سكوبلر ١٩٧٩)[٢٨٠].

تفترض كل هذه الدلائل أن التمركز العنصرى بمعنى الميل العام للتحيز وتمييز الجماعة الداخلية، لا تعنى بالضرورة التعصب ضد الجماعة الخارجية فى ذاتها، ففى ظروف معينة، مثل التنافس بين الجماعات يبدو أن التعصب للجماعة الداخلية يتحول إلى تعصب نشط أو عداء للجماعة الخارجية، وهكذا يمكن النظر إلى التحيز للجماعة

باعتباره تكوينا لاستعداد إنسانى أساسى للتعصب، وثمة قدر كبير من الدلائل عن سهولة ظهور التعصب فى ظروف اجتماعية معينة، فقد تعامل شريف (١٩٦٧)[٥٩٣] على سبيل المثال مع أطفال أمريكيين يحضرون معسكرا صيفيا وكانوا من الطبقة المتوسطة ومن الشخصيات المتوافقة اجتماعيا، كوّن منهم جماعات عشوائية انخرطت فى مسابقات للألعاب، أدى ذلك إلى زيادة سريعة فى شدة العداء بين الجماعات. وقد تكررت نتائج هذه التجربة على عينات مختلفة وفى مواقف متنوعة (بلاك - موتون ١٩٧٩)[٥٨].

إجمالا: فإنه لا يمكن قبول افتراض (سمنر) أن العداء والتعصب للجماعة الخارجية شىء طبيعى ومحتوم يرتبط بوجود الجماعات الإنسانية، لكن حين يسود التوحد بالجماعة، يظهر الميل إلى التفضيل والتحيز للجماعة الداخلية، فتفضيل الجماعة الداخلية هو سمة شائعة بشيوع الوجود الإنسانى ، دون أن تعنى بالضرورة احتقارا للجماعات الخارجية، إلا أنه فى ظروف اجتماعية معينة، يمكن للتحيز العرقى أن يتحول إلى تعصب نشط بين الجماعات، وهكذا تبدو الإمكانية والاستعداد للتعصب سمة أصيلة وشائعة ترتبط بالحياة الإنسانية الاجتماعية.

ركزت عدد من نظريات التعصب على العمليات الأساسية الشائعة والتى لدى كل الأفراد والتى تشكل الأساس أو البناء التحتى للاستعداد للتعصب، يمكن افتراض أن هذه النظريات تعاملت مع الأسس النفسية للتعصب، ويستعرض هذا الفصل هذه النظريات ويفترض بعض الاستنتاجات العامة.

الإسقاط : Projection

يشير مصطلح الإسقاط إلى ميكانزم دفاعى يهدف إلى حل صراع داخلى عن طريق نسبة أو إسناد الدفعات أو السمات غير المقبولة والمكبوتة إلى آخرين (فرويد ١٩٤٦)[٣١٢]، ويمكن الاستفادة بهذه العملية فى تفسير كيف تتلون صورة الشخص حينما يصنف ضمن جماعة خارجية، فمادام أمكن القول أن الصراع الداخلى والكبت للدفعات غير المقبولة يعتبر مظهرا شائعا للحياة الاجتماعية الإنسانية (كما تفترض نظرية التحليل النفسى) فيمكن اعتبار الإسقاط ميكانزما شائعا يكمن خلف الميل الإنسانى لتكوين صورة نمطية جامدة سلبية للجماعة الخارجية، وبذلك يكرههم، ويفسر هذا المنطلق ميل القوالب النمطية إلى أن تكون صورا مشتركة أو إجماعية بين جماعة معينة من الناس وذلك ليس على أساس السمات الفعلية للجماعة الخارجية، لكن على أساس الحاجات أو الصفات غير المرغوبة التى تشعر بها الجماعة المذكورة والتى تسقطها على تلك الجماعة الخارجية.

افترض (لى فاين - كامبل ١٩٧٢)(٣٧٢) مثلا أن الجماعات التى لا توافق على التعبير الصريح عن العدوان يمكنها من خلال الإسقاط أن ترى الجماعات الخارجية فى صورة عدوانية، وأن الجماعات التى تركز على ضرورة التسامح العنصرى والسخاء أو الكرم تنظر إلى الجماعة الخارجية باعتبارها بخيلة وشحيحة. أشار (آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦) إلى أن نظرية الإسقاط دائما ما تستخدم فى تفسير التعصب ضد الزنوج، وقد افترض أن المظاهر الرئيسية فى التعصب العنصرى مثل الاعتقاد أن السود نهمين جنسيا، قد ينشأ هذا الاعتقاد من كبت المجتمع الأبيض وإسقاط الدوافع الجنسية الطبيعية ولكن المحرمة على السود (آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦ ص٧٨)(٢٧).

لاحظ (بتلهايم - جانوفيتز ١٩٦٤) أيضا أن الحاجة للإسقاط ليست مستقلة عن السمات الفعلية للجماعة الخارجية، وعلى ذلك فالجماعة ذات المكانة الاجتماعية المنخفضة - مثل الزنوج الأمريكيين يمكن إسقاط رغبات الأنا عليهم، وبالتالى يمثلون الرغبات الجنسية المكبوتة عند البيض، ومن ناحية أخرى يمكن اختيار الجماعات عالية الإنجاز مثل اليهود لإسقاط الأنا الأعلى، فى هذه الحالة قد تعبر معاداة السامية عن الاستياء بسبب الفشل فى تحقيق رغبات الأنا الأعلى لديهم فى النجاح والإنجاز. ورغم أن(لى فاين - كامبل ١٩٧٢) ذكرا عددا من الفروض الهامة والقابلة للبحث والمستمدة من نظرية الإسقاط، فإن ما أجرى بالفعل من أبحاث إمبيريقية كان قليلا جدا، هذا بالإضافة إلى أن الدراسات القليلة التى أجريت لم تساند هذه النظرية بصورة واضحة أو متسقة.

رغم أن (بتلهايم - جانوفيتز ١٩٦٤)(٥١) فسرا بعض النتائج فى أبحاثهما على التعصب بين الجنود الأمريكيين المحاربين، فقد درس (آكرمان - جاهودا ١٩٥٠)(٥) ملفات المرضى العصابيين الذين عولجوا بالتحليل النفسى ووجدا أنهم يسقطون دفعاتهم المرضية على اليهود، غير أن (آشمور ١٩٧٠)(٢٦) أشار إلى أن ذلك قد يرجع إلى ميل العصابيين لاستخدام ميكانزم الإسقاط بصورة مبالغ فيها. أجرى (بومبيلو) عام ١٠٧٥ دراسة تبدو منهجية جدا للإسقاط (مذكورة فى آشمور ١٩٧٠) واختبر افتراض أن الأشخاص الذين لديهم سمات غير مرغوبة ولكنهم ينكرونها، يميلون لوصف جماعات الأقلية بهذه السمات. ، فقد طلب من مبحوثين تقدير زملائهم وتقدير أنفسهم على أساس خمس سمات غير مرغوبة أطلقت دائما على السود واليهود :- عدم المسئولية، عدم ضبط الغرائز، التشكك، العدائية، والتمركز حول الذات.

بالنسبة للمبحوثين الذين وصفهم زملاؤهم بمثل هذه الصفات لكنهم أنكروا وجودها فى أنفسهم - لم توضح إجاباتهم ميلا لإسقاطها على زملائهم، بل مالوا لإسقاطها على الأقليات اليهودية والزنجية.

نستنتج من العرض السابق أن الدراسات الإمبيريقية على الإسقاط والتعصب كانت نادرة، وأن البحوث التى أجريت كانت ضعيفة منهجيا، ولا توصل إلى نتائج قاطعة وعتيقة الطراز. وقد توصل (آشمور ١٩٧٠)[٦٠] من استعراضه للأدبيات إلى "أننا مجبرون على استنتاج أنه رغم أن الإسقاط يلعب دورا فى ظهور التعصب على المستوى الفردى، فمن المحتمل أن يكون هذا الدور غير أساسى". (ص٢٧٢)

يبدو أن هذا التقدير على محمله التفاؤلى يبدو أنه يعكس إجماعا بين الخبراء فى هذا الرأى (آشور - ديلبوكا ١٩٧٦[٢٧]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥)[٦٠٤].

نظرية إزاحة الإحباط - العدوان:

Frustration - Aggression-Displacement Theory :

تفترض نظرية إزاحة الإحباط - العدوان فى التعصب أن العدوان الذى لا يمكن التعبير عنه مباشرة ضد مصدر الإحباط يتم كفه أو منعه، وإزاحته على بديل ملائم أو كبش للفداء. (دولارد وآخرون ١٩٣٩[١٥٧]، لى فاين - كامبل ١٩٧٢[٣٧٢]، ماكورنى ١٩٣٧[٣٩١]) فإذا افترضنا أن الحياة الاجتماعية المنظمة تضم بالطبع بعض الإحباط للحاجات الأساسية يترتب على ذلك بالضرورة إمكان إزاحة الإحباطات المتراكمة وما يرتبط بها من رصيد من العدائية Hostility الهائمة أو غير المحددة Free floating إلى الأقليات والجماعات الخارجية.

ويوضح ماكورنى (١٩٣٧)[٣٧٢] ذلك بطريقة محكمة حيث قال: "رغم أن الأفراد قد يتعرضون للقيود التى تضعها أمامهم قوانين الجماعة، التقاليد، العادات وما شابه ذلك، ويشعر الفرد بأن هذه القيود مستمرة وعليه تحملها بغير ثورة أو عداء ظاهر أو مستتر. هذه القيود الحياتية اليومية هى التى تؤدى إلى ظهور عدم الرضا عن التحضر، وتشكل استعدادا كافيا للبحث عن وسيلة للتعبير عن مشاعره العدائية تجاه جماعة خارجية وإلا فإن هذا العداء قد يعبر عن نفسه فى الجماعة الداخلية (ص٢٥٠).

هذه ليست نظرية كاملة فى التعصب، فقد أشار (زاواديكى ١٩٤٨)[٧٢٥] إلى أنها لا تحدد لماذا يتم اختيار جماعة خارجية معينة ككبش فداء وليس أى جماعة أخرى، فكما لاحظ (بركوفيتز ١٩٦٢)[٤٦] فى إعادة صياغة نظرية الإحباط - العدوان أن العوامل الاجتماعية تحتاج لإعادة الاهتمام بها من أجل تفسير ظاهرة كبش الفداء. غير أن النظرية تقدم منطلقا عاما فى التعصب قادرا على تفسير انتشاره كسمة شائعة فى الحياة

الاجتماعية الإنســانية. كما تقدم شيئا عن الفروق الفردية فـى التعصب، هكذا فالأفراد الأكثر إحباطا يجب أن يكونوا أكثر تعصبا.

تعتبر هذه النظـرية مؤثرة جدا وواسعة الانتشار ويشار إليهـا فى المراجع الأساسية عن التعصب بكـثير من الاهتمام، وبالإضافة إلى قـوتها وعموميتهـا، فإن أحد أسباب جاذبيتها هو قابليتها للتطبيق على الظواهـر الاجتماعية الهامة، فمثلا طبقت هذه النظرية بطريقة تأملية فى تفسير ظهور العداء للسامية فى ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى (دولارد وآخرون ١٩٣٩) وعلى الارتـباط التاريخى بين فـترات الأزمات الاقتصـادية وبين تزايد الإعدام بالجملة للزنوج فى الجنوب الأمريكى (هونلاند -سيرز ١٩٤٠)[٢٨٩].

فى الآونة الأخيرة واجهت الـنظرية انتقادا حادا باعتبارها فـردية جدا لدرجة أنها تعجز عن التـعامل بكفاءة مع الظواهر الجماعـية (بيليج - ١٩٧٦[٥٤]، براون - تيـرنر ١٩٨١[٩٧]، تاجفيل ١٩٨١[٦٤٥]). تؤكد هذه الحجج أن النظرية غير شاملة لأنها تعنى أن العدوان الجمـعى ضد جماعـة خارجية يمثل أشكـالا من التراكم والتحـول للحالات الدافعية لأفراد هــذا الجمع. (براون - تيرنر ١٩٨١)[٩٧]. إلا أن هذا النقد يفـتقد نقطة هامة، فالنظرية تحدد نشأة التعصب ليس كـحالة دافعية قابلة للانتشار بين الأفراد، وبدلا من ذلك تفتـرض أن الحياة الإنسانية المنـظمة هى مصدر خفى لـلإحباط باعتباره عـملية مستـمرة، وأن ذلك يخلق تراكـمات للعداء الـهائم الطليق داخل الأفـراد، وعلى ذلك وحسب هذه النظرية فالـنشوء الفعلى للتعصب هو اجتـماعى وليس فردى الطابع، وأن الإحباطـات الاجتماعـية القائمـة فى البنية الاجـتماعيـة تظهر على السـطح عن طريق ميكانزمات الدوافع الفردية.

توصلت العديد من الاستعراضات للبحوث الأمـبيريقية التى حاولت اختبار نظرية الإحبـاط فى التعـصب، إلى أن النتـائج تؤيد النظـرية عمومـا (مثال هـاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٦٩]، ليفن - لـيفن ١٩٨٢[٣٧١]، سيمبـسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]). غير أن الفحص الأدق لهذه البحوث يشير إلى أنها تعـانى من كارثة بسبب المشكلات المنهجية، وأن نتائجها غامضـة لدرجة أنها توصل إلى استنتاجات بالغة التـشاؤم. كان العدد الأكبر من هذه الأبـحاث من الـنوع الارتبـاطى Crrelational والذى يهـدف إلى إثبـات أن الأشخاص الذين يعانون من مستويات عالية من الإحباط هم الأكثر تعصبا.

لا يؤدى مثل هذا النوع من البحوث إلى الوصول إلى استنتاجات سببية واضحة، كذلك يبدو أنه أكثر قربا إلى موضوع الفروق الفردية فى التعصب وليس لدراسة الإحباط

كسبب عـام للتعصب، نتـيجة لذلك سوف نـستعرض هذه البـحوث بتفصيـل أكبر فى الفصل الثامن الذى يعرض لقضية الفروق الفردية فى التعصب.

وقد نلاحـظ هنا أن نتائج هـذه البحوث الارتبـاطية تميل إلى الـتضارب الكبـير، فبعض الدراسـات تشير إلى أن الأشخاص الأكثـر تعصبا هم الأكثر إحـباطا (ألبورت - كرامر ١٩٤٦[١٤]، بتلهايم - جانوفيتش ١٩٦٤[٥١]، كامبل ١٩٤٧)[١١٠] فى حين لم تتوصـل نتائج أخرى إلـى مثل هذا الارتبـاط (هودج - تريمان ١٩٦٦[٢٨٢]، باتشن - ديفيدسون - هوفمان - براون ١٩٧٧[٤٨٨]، سيمان ١٩٧٧[٥٨٤]).

هناك عدد من الدراسات التجريبية ترتبط نتائجها مباشرة بموضوع الإحباط كسبب عام للتعصب، حاولت هذه الدراسات الـتوصل إلى أن الأشخاص المحبطين يزيدون من تعصبهم ضـد الجماعات الخارجية والأقليات، ورغم أن مـعظم هذه الدراسات توصلت إلى آثار واضـحة لـلإحبـاط على التـعصب (كـاون - لانديز - شـايت ١٩٥٩[١٣٧]، فشباخ- سنجر ١٩٥٧[١٩٦]، ميلر - بـوجلسكى ١٩٤٨[٤٣٤]، ستريكر ١٠٦٣[٦٣٤]) فهـناك بعض الدراسـات التى لم تجـد ذلك (ليـفر ١٩٧٦[٣٦٧]، ستاجنـر - كونجدون ١٩٥٥)[٦٢٠]. حتى الدراسـات التى توصلت إلى نتائج إيجـابية، لم تخل نتائـجها من الغمـوض، قد تتوصل إلى نـتائج دالة بالنسـبة لبعض المقـاييس، ولكن ليس لـلبعض الآخر، ففى الدراسـة الكلاسيكية التى أجراها (مـيلر - بوجلسكى ١٩٤٨)[٤٣٤] أدى الإحباط التجريبى إلى ميل دال للمبحوثـين لاستخدام مصطلحات إيجابية أقل عددا فى وصف الجمـاعات الخارجية، غـير أنهم لم يسـتخدموا مـصطلحات سلبـية فى وصف الجماعات الخارجية، هذه النتائج لا يبدو أنها متسقة مع نظرية الإحباط - التعصب.

تتضمن الدراسات التى توصلت إلى زيادة التعصب نتيجة الإحباط مشكلة منهجية خطيرة، أثارتها دراسة يندر الإشارة إليهـا أجراها سيلفر مان - كلاينمان (١٩٦٧)[٦٠٢] ووجدا أنه بينمـا كانت درجات المبحوثين المحبطـين عالية فى مقاييس التـعصب، كانت عاليـة أيضا فى مقاييـس الميل إلى الاستجـابة بطريقة منـحرفة اجتمـاعية، فمـثلا كان المبحوثون أكثر ميلا للموافقة على الغش فى الامـتحان، وإلى تقليل قيمة التعليم، لتأييد المخالطة الجنسية غير المشروعة، وإلى شـجب أو انتقاد الحاكم الديمقراطى، أكثر من ذلك ارتبط التعصب والاستـجابة المنحرفة الاجتماعية بمعامـل ٨٦ر لدى المجموعات المحبطة، أما للمجموعات غير المحبطة فقد كان الارتباط ١,٠ فقط.

نستنتج من هذه النتائج أن الدرجات العاليـة فى التعصب لدى المبحوثين المحبطين تجريبـيا قد لا تعكس زيـادة التعصب فى ذاتـها، بقدر ما تـعكس الميل إلى الاستـجابة

الاجتماعية المنحرفة للإحباط، وربما كان ذلك تعبيرا عن العدوان نحو المجرب. ورغم أن هذا الاستنتاج لم يتوصل إليه سيلفرمان - كلاينمان (١٩٦٧)[٦٠٢] فيبدو من المحتمل جدا أن ضبط آثار الاستجابة المنحرفة يؤدى إلى استبعاد أى رابطة بين الإحباط والتعصب.

حاولت عدد من الدراسات التجريبية إثبات أن الإحباط يزيد من الميل لإظهار التعصب ضد الجماعات المكروهة، لكن النتائج فشلت فى مساندة هذه النظرية، مثال ذلك دراسة لندزى (١٩٥٠)[٣٧٨] والتى وجد فيها أنه بعد خبرة الإحباط، لم توجد فروق بين المتعصبين وغير المتعصبين فى مقدار العدوان المزاح كما ظهر فى الاختبارات الإسقاطية وشبه الإسقاطية. ورغم أن العديد من الدراسات التى استخدمت مقاييس مباشرة للسلوك العدوانى توصلت إلى أن المبحوثين المرتفعين فى درجة التعصب يتصرفون بعدوانية أكبر فى ظروف الإحباط، كما أن المبحوثين المذكورين يفعلون ذلك بغير تمييز أو تفرقة نحو الأهداف المحتملة للعدوان، ولا يقتصر عدوانهم على الجماعة التى يتعصبون ضدها بالذات (بركوفيتز ١٩٥٩[٤٥]، جنثر - تايلور ١٩٧٣[٢٢٦]). فقد أوضحت دراسة ويثرلى (١٩٦١)[٦٩٨] أن الأفراد المعادين للسامية عندما يواجهون إحباطا، يصبحون أكثر سلبية تجاه اليهود بالمقارنة بغير المتعصبين، لكن الفرق بين المبحوثين المرتفعين والمنخفضين فى درجة التعصب كان راجعا إلى المجموعة قليلة التعصب، التى حينما تواجه الإحباط تقل عدائيتها، وليس إلى المجموعة عالية التعصب والتى تزيد عدائيتها بزيادة إحباطها. وهذه النتائج لا تتسق مع نظرية الإحباط - التعصب. وعلى وجه العموم فكما أشار كونسنى (١٩٧٩)[٣٤١] تميل أغلب الأبحاث القائمة على أن نظرية الإحباط فى التعصب تميل إلى التخلف عن العصر وإلى الضعف المنهجى، يجعل ذلك من الصعب التوصل إلى نتائج محددة، ويبدو من الواضح أنه لا توجد دراسة تجريبية تساند فى وضوح فكرة أن الإحباط وإزاحة العداء قد يكون سببا عاما للتعصب، بالإضافة إلى أن الإحباط ليس له علاقة بالتحيز والتمييز داخل - خارج الجماعة والذى كشف عنه تاجفيل (١٩٨١)[٦٤٥] وآخرون فى اتجاه الحد الأدنى للجماعة وذلك فى الدراسات المهتمة بتقدير إنتاجية الجماعة، (هنكل - سكوبلر ١٩٧٩)[٢٨٠]. يوضح كلا الاتجاهين أن التمركز العرقى الذى نلاحظه ينشأ من زيادة التقدير للجماعة الداخلية (بروير ١٩٧٩[٧٧]، هنكل - سكوبلر ١٩٧٩[٢٨٠]) وليس من تخفيض تقدير الجماعة الخارجية كما تتنبأ بذلك نظرية الإحباط. غير أن استعراض الدراسات الارتباطية والذى نعرضه فى الفصل الثامن تفصيلا، يفترض أن الإحباط يرتبط بالتعصب على الأقل فى ظروف معينة. ومن الممكن على ذلك أن يسهم الإحباط فى تفسير الفروق الفردية فى التعصب مما سوف نراعيه تفصيلا فى الفصل المذكور.

UNIVERSAL COLOR BIAS: التحيز العالمى للون

افترضت بعض الدراسات أن التوجه الأساسى والعالمى لتقييم اللون الأبيض والأسود هو أساس ظهور التعصب العنصرى من خلال التعميم على الفئات الاجتماعية القائمة على نفس أسماء الألوان (ويليامز - مورلاند ١٩٧٦)[٧١٣]. لتأييد ذلك وجدت عدد من الدراسات أن الراشدين والأطفال يبدون تفضيلات لتقدير اللون الأبيض على اللون الأسود (ويليامز ١٩٦٤[٧١٠]، ويليامز - بوزويل - بست ١٩٧٥[٧١٢]، ويليامز - مورلاند ١٩٧٦[٧١٣])، وقد تكرر ظهور هذا التأثير فى ثقافات متعددة توضح أنه ليس مقصورا على شمال أمريكا أو الغرب عموما، ولكنه عالمى الثقافة (آدمز - أوزجود ١٩٧٣[٦]، أيواواكى - سنو - ويليامز - بست ١٩٧٨[٢٩٩]، ويليامز - مورلاند ١٩٧٦[٧١٣]).

تأتى الأدلة على العلاقة المباشرة بين تفضيل اللون والاتجاهات العنصرية من مصدرين، الأول وجود ارتباطات دالة بين درجة التحيز للون وبين الاتجاهات العنصرية لكل من الراشدين (ويليامز ١٩٦٩)[٧١١] والأطفال (بست - تايلور - ويليامز ١٩٧٥[٤٩]، بوزويل - ويليامز ١٩٧٥[٦٩]). هكذا كلما يزيد التقدير السلبى للون الأسود، يقل تقديرهم للزنوج، المصدر الثانى هو الطابع الوظيفى لهذه العلاقة والذى أكدته دراسات توضح أن تفضيلات الألوان يمكن تعديلها عند الطفل باستخدام طرق الشرطية الإجرائية، وأن هذه التفضيلات ستشمل الاتجاهات العنصرية (اليوت - تايسون ١٩٨٣[١٨٢]، سبنسر - هورويتز ١٩٧٣[٦١٨]، تراينهام - ويت ١٩٧٦[٦٦٢]، ويليامز - بوزويك - بست ١٩٧٥)[٧١٢]. هكذا يبدو أن تفضيل اللون الأبيض على اللون الأسود شائع ثقافيا ومؤثر فى التعصب العنصرى. فما هو الأساس المحتمل لتفضيل الألوان؟

أحد الاحتمالات هو أنه يمكن أن يكتسب من خلال التعلم عن طريق الثقافات التى يستخدم فيها اللون الأبيض كرمز للطيبة والأسود كرمز للسوء. غير أن افتراض التنشئة الثقافية ليس موضع أهمية لعدة أسباب:

أولا: ناقش ويليامز - مورلاند (١٩٧٦)[٧١٣] هذا الافتراض باعتباره ليس سببا للعمومية عبر الثقافية لتفضيل لون معين ولوجوده بين أطفال المدارس الصغار.

ثانيا: رغم أن أغلب المفاهيم المستمدة من الثقافة تنمو مع زيادة السن خلال سنوات ما قبل المدرسة وأن الأطفال الأكثر ذكاء يكتسبون المؤثرات الثقافية أسرع من غيرهم، لا

يبدو التحيز للون مرتبطا سواء بالعمر الزمنى أو بنسبة الذكاء IQ عند الصغار (ويليامز وآخرون ١٩٧٥)[٧١٢].

افترض ويليامز-مورلاند (١٩٧٦)[٧١٣] على ذلك تفسيرا آخر، يردان فيه التحيز للون الأبيض - الأسود إلى الطبيعة النهارية للكائنات الإنسانية، ولأن إشباع الحاجات والأداء الفعال يتم خلال ساعات النهار، «فالخبرة المبكرة للصغار مع ضوء النهار وظلام الليل تؤدى بهم إلى تفضيل الضوء على الظلام، هذا التفضيل الممكن تعميمه على اللونين الأبيض والأسود» (ويليامز وآخرون ١٩٧٥ ص٥٠٦)[٧١٢]. كان تأملهم أن التفضيل الأساسى للألوان ينشأ بهذه الطريقة سيتدعم عن طريق «النفور الطبيعى من الظلام، ربما الذى ينشأ عن التاريخ التطورى حين كان الفرار من الظلام سمة تكيفية» (ويليامز - مورلاند ص٢٦٢)[٧١٣].

وفى رأيهم أن تفضيل اللون هو الأساس السيكولوجى والسبب فى الرمزية اللونية الثقافية وليس نتيجة لها، ويقدم ذلك أساسا تقييميا للتفضيل العنصرى والتعصب خلال الرابطة المنظمة لمصطلحات الألوان مع فئات الناس المصممة على أساس نفس أسماء الألوان.

واجه افتراض أن جذور التعصب العنصرى قد تكمن فى الخبرات الأساسية وربما يدعمها استعدادات بيولوجية فطرية، واجه بعض الانزعاج (ملنر ١٩٨١ص ١٣٠-١٣١)[٤٣٦]، لكن بسبب القوة الواضحة للنظرية واتساقها مع الأبحاث الأمبيريقية لم تواجه النظرية تحديات خطيرة، مع ذلك فثمة دراستان هامتان بدت نتائجهما وكأنهما فى تحد للنظرية (ماى - ماى ١٩٧٩[٤٠٥]، ١٩٨١[٤٠٦]) هاتان الدراستان هما الوحيدتان المضبوطتان من حيث اجرائهما على أطفال صغار جدا ورضّع كمبحوثين، ومن حيث استخدام اختبارات تفضيل الألوان غير اللفظية. أجريت الدراستان على الأطفال فى عمر يتراوح بين ٦ أشهر إلى ٤ سنوات حيث قدمت لهم مجموعة من أزواج اللعب، كان كل زوج متطابقا تماما فيما عدا اللون، كانت واحدة بيضاء والثانية سوداء، لم توضح النتائج ميلا لاختيار أو تفضيل اللعبة البيضاء، وفى الحقيقة أن أطفال سن ٦ أشهر أظهروا تحيزا دالا للون الأسود، قلت درجته بزيادة العمر حتى صار التحيز للون الأبيض دالا بدرجة بسيطة لدى الأطفال الأكبر عمرا.

يبدو أن هذه النتائج تتناقض مع افتراض أن التحيز للون الأبيض يرجع إلى الخبرات المبكرة بالنور والظلام، أو لاستعدادات وراثية، وبالعكس يبدو أنه يساند التفسير على أساس التنشئة الاجتماعية، على هذا الأساس من الممكن تصور أن رمزية اللون

وهى نشاط لغوى قد تكتسب خلال تعلم اللغة. وأن العمومية عبر الثقافية لهذه الظاهرة قد تعكس ببساطة التوزيع العالمى للثروة، والمكانة والقوة والذى ارتبط بالعنصر واللون بذلك فالتحيز للون الأبيض - الأسود قد يكون ظاهرة تاريخية أكثر منها ظاهرة عالمية حقة، وأنها نتيجة أكثر من سبب للتعصب. وعلى مستوى الأفراد، تميل الرمزية اللونية - المتعلمة - والاتجاهات العنصرية إلى تبادل التأثير فيما بينهما.

يبدو من فكرة أن التحيز للون الأبيض - الأسود تكتسب من خلال التنشئة وتعلم اللغة تتسق مع السهولة النسبية فى تعديل تفضيل الألوان لدى الأطفال من خلال تدخل تجريبى محدود للغاية ومن خلال سهولة تعميمها على الاتجاهات العنصرية، فمادامت رمزية اللون قد نتجت عن خبرات مبكرة جدا وأساسية وربما قد تكون استعدادات بيولوجية ولادية، فيجب - كما يناقش ويليامز - مورلاند (١٩٧٦)[٧١٣] أن تكون أكثر مقاومة للتغيير.

يؤكد الاستعراض السابق أن التعصب لا يرتبط بالضرورة باللون أو العنصر، فالعداء القائم على أساس غير اللون مثل الدين - الوطن - اللغة أثبت تاريخيا أنه ليس أقل حدة أو حتمية من لون الجلد، ويعنى ذلك أن التحيز للون لا يمكن أن ننسب له أى دور سببى فى التعصب العنصرى، غير أنه قد يلعب دور المدعم الثانوى خلال عملية التنشئة العنصرية مثلما لاحظ(ميلنر ١٩٧٥)[٤٣٥]، فيمكن أيضا «أن يقدم محتوى تقييمى للتعصب يتواءم مع لون أفراد الجماعة موضع التعصب، كما يقدم لهم دليل صدق اضافيا: ص٦٧ والخط فى النص الأصلى». على ذلك يساعد التعصب اللونى فى تفسير النتائج التى توصلت إلى أن الوعى العنصرى والتعصب يبدو أنهما يظهران قبل أى نوع آخر من التعصب أو التمييز بين الجماعات (أبود - سكيرى ١٩٨٤)[٣].

الاتساق والتشابه العقائدى

Belief congruence and similarity:

لوحظت علاقة اتساق إيجابية بين التشابه فى الاتجاهات والجاذبية بين الأفراد (بيرن ١٩٧١[١٠٤]، نيوكمب ١٩٦١[٤٥٨]) بذلك يبحث الأفراد وينجذبون نحو من يشبهونهم ويميلون إلى كراهية من لا يشبهونهم، وليس من المدهش افتراض أن هذه المبادئ يمكن تعميمها على الجماعات من حيث تجاذبها وتنافرها. كانت نظرية روكيش عن اتساق المعتقدات (١٩٦٠)[٤٥٨] أفضل تطبيقات هذا المبدأ وأكثرها شهرة. تفترض هذه النظرية أن إدراك عدم التشابه فى الاتجاهات - القيم - المعتقدات الجماعية يعتبر آلية نفسية

أساسية بالنسبة للتعصب، بذلك تميل الجماعات الخارجية لأن تكون أقل تفضيلا بقدر ما يكون إدراك الجماعة الداخلية لمدى الاختلاف بينها وبين هذه الجماعة الخارجية فى المعتقدات. تنبأ روكيش على هذا الأساس (روكيش وآخرون ١٩٦٠)(٥٤٧) أنه «**طالما كانت العمليات النفسية مؤثرة فالمعتقدات أكثر أهمية عن عضوية الجماعة العنصرية أو العرقية كمحدد للتمييز الاجتماعى (ص١٣٥ والتأكيد فى النص الأصلى**»، تم اختبار ذلك بأن طلبوا من المبحوثين تحديد ما إذا كانوا يستطيعون أو لا يستطيعون أن يصادقوا أشخاصا متشابهين أو مختلفين فى العنصر أو المعتقد، مثال ذلك "زنجى مؤمن"، أو "أبيض ملحد". بينت النتائج أن المبحوثين ميزوا على أساس كل من العنصر والمعتقد ولكن تأثير الأخير كان أكبر.

أعيدت هذه الدراسة فى عدد آخر من الدراسات الأكثر حداثه، وأوضحت نتائجها أن الفروق فى المعتقدات أقوى من الفروق العنصرية فى تحديد علاقة المحبة والتقبل بين الأشخاص، فى المواقف التى تتضمن ضغوطا اجتماعية ضئيلة ولا تتضمن تنافسا جماعيا (بيرن - ونج ١٩٦٢(١٠٦)، انسكو - ناكوستى - ماو ١٩٨٣(٢٩٦)، روكيش - ميزى ١٩٦٦(٤٥٦)، سميث - ويليامز - ويليس ١٩٦٧(٦٠٩)، شتاين١٩٦٦(٦٢٢)).

أدت نظرية الاتساق العقائدى إلى قدر كبير من التضارب، ورغم تأييد النتائج الأمبيريقية لها، فقد استبعدها البعض، حيث شعر بعض المعلقين أن مبدأ عدم التشابه العقائدى ربما كان منطقيا جدا، مبسطا جدا، وسطحيا جدا لدرجة العجز عن التفسير الدقيق للتطرف الوجدانى، اللامنطقية والحتمية التى يتصف بها التعصب العنصرى. فمثلا استنتج (هاردنج وآخرون) من مناقشتهم لنظرية الاتساق العقائدى بالإشارة إلى أنه "ربما نطلق على من يهاجم الاتجاهات العنصرية صفة الرجل الطيب. . . . .، سديد الرأى. . . . . .، وكنتيجة أساسية لافتراض عدم التشابه العقائدى، يبدو من الصعب تأكيد صحة هذا الاحتمال" ص ٣٦. انتقد آخرون هذه النظرية باعتبارها محاولة لإغفال تفسير العنصرية بمناداتها بالتعصب العقائدى (فيرشيلد - جورين ١٩٧٨)(١٨٨) وثمة اعتراض أكثر قوة على هذه النظرية قدمه (تريانديس ١٩٦١)(٦٤٤)، فقد افترض أن فروق المعتقدات قد تعادل الفروق العنصرية فى تأثيرها ولكن فى حالات أو مواقف تافهة سطحية الانفعالات فيما بين أفراد الجماعات العنصرية، والتى تشمل مسافة اجتماعية مثل التفضيل أو الصداقة العارضة. قام عدد كبير من الأبحاث بفحص ذلك الافتراض، وذلك من خلال قياس القوة النسبية لتأثير العنصر مقابل تأثير المعتقد وذلك حسب

محكات سلوكية مختلفة وفى مواقف متنوعة، وقد بينت هذه الدراسات أنه فى الحقيقة أن الاختلاف العنصرى أقوى من الاختلاف العقائدى فى تحديد السلوكيات العنصرية فى المواقف الحميمة كالزواج، الصداقة بين الجنسين وقبوله كصهر (نسب). (أنسكو وآخرين ١٩٨٣[٢٩٦]، ميزى ١٩٧١[٤٢٨]، شتاين - هارديك - سميث ١٩٦٥[٦٢٣]، ترياندیس - ديفير ١٩٦٥)[٦٦٦]. وهذه النتائج يبدو أنها تؤكد صحة آراء ترياندريس (١٩٦١)[٦٦٤]، وعلى ذلك يفترض أنها تقدم صياغة تركيبية هامة لنظرية المعتقدات فى التعصب (آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦ ص٩٣)[٢٧].

غير أنه يمكن مناقشة نتائج (ترياندس) وما اتفق معها من نتائج باعتبار أنها ليست بالضرورة فى تناقض مع نظرية روكيش وآخرون (انسكو وآخرون ١٩٨٣)[٢٩٦]. ففى صياغتهم الأولى للنظرية يقرر (روكيش) وزملاؤه أنه: لأن الاتساق العقائدى حدد العملية النفسية الكامنة خلف التعصب، فقد يحدث تعادل بين تأثيره وتأثير العمليات الاجتماعية الخارجية، مثل المعايير المؤسسية القوية، وهكذا يشير (أنسكو) وآخرون (١٩٨٣)[٩٦] أن النتائج المؤكده لأثر العنصر كانت أقوى من آثار المعتقد بالنسبة للسلوكيات الحميمة بين الجماعات العنصرية، وقد يرجع ذلك إلى أن أثر المعيار الاجتماعى يفوق أثر المعتقدات.

أكدت نتائج الدراسات صحة افتراض (أنسكو) وآخرون (جولدشتاين - ديفير ١٩٧٢، ميزى ١٩٧١[٤٢٨]، ماو - ناكوستى - انسكو ١٩٨١[٤٤١]، سيلفرمان ١٩٧٤[٦٠٠]، سيلفرمان - كوشران ١٩٧٢[٦٠١]). أشارت هذه الدراسات إلى أن الأهمية النسبية لآثار العنصر أو المعتقد ترتبط مباشرة بقوة المعيار المنظم لهذه السلوكيات بين العناصر، لذلك فحيثما تكون الضغوط المعيارية الحاكمة للسلوك بين العناصر قوية، يصبح أثر العنصر قويا، وحينما تكون الضغوط المعيارية ضعيفة تكون آثار المعتقدات قوية، ويعنى ذلك كما ركز (انسكو وآخرون ١٩٨٣)[٢٩٦] أن النتائج التى توصلت للأثر الأقوى للعنصر على المعتقد فى بعض المواقف الحميمة جدا بين الجماعات العنصرية لا تتناقض فعليا مع نظرية روكيش.

ثمة مشكلة إضافية تواجهها نظرية الاتساق العقائدى، وهى أنها لم تحدد بوضوح ما إذا كان عدم التشابه فى المعتقدات يؤدى فقط للتعصب، وهل الأنواع الأخرى من عدم التشابه تؤدى إلى نفس الآثار؟، افترض كيدر - ستيوارت (١٩٧٥)[٣٢٨] أن أى نوع من عدم التشابه يؤدى إلى الكراهية المتبادلة، غير أن من الصعب التأكد من صحة آرائهم، ذلك لأن إدراك عدم التشابه فى موضوعات بعيدة عن المعتقدات يؤدى إلى

استنتاج السبب فى ذلك وهو اختلافهم فى المعتقدات أساسا، من جهة أخرى توصلت بعض نتائج تاجفيل وزملائه باستخدام نموذج الحد الجماعى الأدنى إلى أن أى فارق مدرك يمكن أن يؤدى إلى تحيز بين الجماعات، وأشارت نتائجهم إلى أن أى محك للتقسيم أو للتوزيع الفئوى للأشخاص إلى جماعات داخلية وخارجية سيؤدى إلى التحيز والتمييز لصالح الجماعة الداخلية وضد الخارجية (بروير ١٩٧٩(٧٧)، تاجفيل ١٩٨١)(٦٤٥).

ليس من الممكن استبعاد فكرة أن هذه التقسيمات تؤثر فى التحيز فقط من خلال افتراض أن مثل هذه الجماعات الدنيا تختلف فى المعتقدات، غير أن ذلك لا يبدو مقنعا فى بعض الحالات التى يقسم فيها الناس بطريقة عشوائية تماما وباستخدام طريقة إلقاء الزهر. بناء على هذه النتائج أثير موضوع أن تشابه المعتقدات فى ذاته ليس بالضرورة شرطا سيكولوجيا للتعصب، بل ربما كان حاله خاصة من حالات التصنيف الاجتماعى، ولكونه كذلك يظهر تأثيره الأولى فى صورة التعصب كمؤشر على التصنيف. أكد براون - تيرنر (١٩٨١)(٦٧١) مثلا على أن "عدم الانسجام العقائدى قد يكون مهمًا فقط إذا أدى وظيفته كمؤشر على عضوية الجماعة وليس لأى شىء آخر". (ص٥١).

ساندت نتائج الدراسة التى قام بها آلن - ويلدر (١٩٧٥)(١١) المقولة المذكورة حيث أكدت أن درجة السلوك التمييزى التى أظهرها المبحوثون التجريبيون كانت على أساس درجة التشابه - عدم التشابه بين الجماعتين الداخلية - الخارجية. أشارت نتائجهما أيضا إلى أن إدراك درجة التشابه مع الجماعة الخارجية لا يغير درجة السلوك التمييزى ضد هذه الجماعة الخارجية. غير أن دراسات أحدث استخدمت مخطط الجماعة الدنيا لم تتمكن من التوصل لنتائج فيمثل هذا الوضوح، فيؤدى التشابه مع الجماعة الخارجية أحيانا إلى تقليل التحيز ضدها، (براون ١٩٨٤أ(٩٢)، براون - ابرامز ١٩٨٦(٩٤)، ديهل ١٩٨٨(١٥٤)). وذلك كما توقعت نظرية الاتساق العقائدى، فى حالات أخرى ظهرت نتائج مناقضة تماما، فكلما كانت الجماعة الخارجية أكثر تشابها، ظهر التمييز ضدها (ديهل ١٩٨٨(١٥٤)، موجهادام - سترنجر ١٩٨٨)(٤٤٢).

ثمة محاولات متعددة لتفسير هذه النتائج المتضاربة، فقد افترض براون (١٩٨٤ب) أن تشابه الجماعة الخارجية قد يقلل من التحيز وذلك فى ظروف التعاون الجماعى، لكنه يزيد من التحيز فى ظروف التنافس فيما بينهما، إلا أن هذا الافتراض لم تؤيده دراستان تجريبيتان (براون ١٩٨٤أ (٩٢)، براون - ابرامز ١٩٨٦)(٩٤). افترض ديهل (١٩٨٨)(١٥٤) تفسيرا آخر، فقد تصور أن نظرية الاتساق العقائدى قد تصح حينما تكون

استجابة الأفراد تجاه عضو معين فى الجماعة الداخلية أو الخارجية، والذى تتوافر عنه شخصيا معلومات عن التشابه أو عدم التشابه، من جهة أخرى فحينما يستجيب المبحوث إلى شخص على أساس تشابه أو اختلاف الجماعة التى ينتمى إليها، فقد تحدث نتائج معاكسة. ويفترض أن هؤلاء المبحوثين سيميزون بطريقة أكبر ضد الشخص من جماعة تتشابه معهم من الجماعة التى لا تتشابه معهم. أشار ديهل (١٩٨٨)[١٥٤] إلى نتائج تؤيد هذا الافتراض، إلا أن أبحاثه استخدمت مقياسا واحدا للنتائج فى تجربة للسلوك التمييزى، ولم تتضمن مقياسا للمحبة.

يعتبر هذا استبعادا لعنصر هام، فكما لاحظ (براون ١٩٨٤ب)[٩٣] أن بعض الدلائل تشير إلى أن التشابه مع الجماعة الخارجية يؤدى إلى نتائج مختلفة إذا استخدمنا مقاييس مختلفة لنتائج هذا التشابه. أحد تطبيقات ذلك أن نظرية الاتساق المعرفى قد تصدق حينما يستخدم مقياس للنتائج يقيس الجاذبية أو المحبة، بذلك قد تزيد المحبة للجماعات الخارجية المتشابهة عن غير المتشابهة، من جهة أخرى حينما يكون مقياس النتائج هو التمييز السلوكى (الوعد بمكافأة بين أعضاء الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية) فقد يؤدى التشابه إلى مزيد من التمييز (مثال: براون ١٩٨٤أ[٩٢]، براون – ابرامز ١٩٨٦[٩٤]، ديهل ١٩٨٨[١٥٤]، موجادام – سترنجر ١٩٨٨[٤٤٢]). ويبدو من فحص الدراسات التى استخدمت واحدا أو أكثر من المقاييس، أن النتائج تبدو متسقة فى ذلك (براون ١٩٨٤أ[٩٢]، براون – ابرامز ١٩٨٦[٩٤]، ديهل ١٩٨٨[١٥٤]، موجادان – سترنجر ١٩٨٨[٤٤٢]) إلا أن التأكد الدقيق من هذه النتيجة لم يتحقق بعد.

عموما تشكل نظرية الاتساق العقائدى مبدأ عاما وأساسيا، قادرا على تفسير انتشار التعصب كظاهرة إنسانية واضحة التأثير، ورغم النقد الذى وجه إلى هذه النظرية، فقد ساندتها نتائج دراسات أمبيريقية كثيرة، بالإضافة إلى الدلائل التى سبق أن أوضحتها عدد من الدراسات الاثنوجرافية وعبر الحضارية من ارتباط عام بين عدم التشابه والرفض للجماعات الخارجية = بروير ١٩٦٨[٧٦]، (لى فاين – كامبل ١٩٧٢[٣٧٢] ص١٧٧–١٨٨). وهناك عدد من القضايا حول نظرية الاتساق العقائدى لم يتبين بوضوح، فليس من الواضح مثلا كيف يرتبط عدم التشابه فى المعتقدات مقابل عدم التشابه عموما – بالتعصب، والأكثر من ذلك يبدو من المؤكد أن عدم التشابه يؤدى إلى نتيجة هامة من التحيز بين الجماعات والمحبة باعتبارها دليلا على تصنيف الأشخاص إلى جماعات خارجية – داخلية، كما يبدو أن عدم التشابه يؤثر على التصنيف الجماعى، هكذا فمجرد حدوث التصنيف الجماعى، تؤثر درجة تشابه أو عدم تشابه الجماعة

الخارجية على التمييز والمحبة للجماعة الداخلية، لكن تبدو هذه الآثار أكثر تعقيدا مما تنبأت به نظرية الاتساق العقائدى وهى آثار لم تستوعب جيدا للآن.

التصنيف المعرفى : Cognitive categorization

يسود الاتفاق منذ مدة طويلة على أن العمليات المعرفية الأساسية يستخدمها الناس لتبسيط، تنظيم، وإسباغ المعنى على بيئتهم الاجتماعية، وقد تدخل هذه العمليات فى التعصب، والقوالب النمطية.

فقد ناقش (ألبورت ١٩٥٤)[١٢]، و(ليبمان ١٩٢٢)[٣٨٠] على سبيل المثال دور العمليات المعرفية فى تشكيل القوالب النمطية، غير أن الصياغة الكاملة لهذه الافتراضات ظهرت حديثا جدا عندما نشر (هنرى تاجفيل) دراسته الرائدة عام ١٩٦٩ بعنوان "المظاهر المعرفية للتعصب" ركز فيها على عملية التصنيف الاجتماعى باعتباره الآلية المعرفية الأساسية للتعصب، ويعنى ذلك التصنيف الإدراكى للأفراد إلى فئات أو جماعات، وقد كان التركيز على أوجه التشابه والاختلاف بين هذه الفئات من مظاهر التصنيف التى من السهل إثباتها بأدلة ملموسة. (تاجفيل - ويلكنز ١٩٦٣)[٦٥١] فى دراسة عام ١٩٦٩ رأى تاجفيل أنه فى حالة التصنيف الاجتماعى يمكن لهذه الآثار أن تكون مسئولة عن ظاهرة القوالب الاجتماعية النمطية.

أكد عدد كبير من الدراسات أن تصنيف الناس إلى فئات متباعدة يتسبب فى هذا التركيز. فالأفراد المصنفون فى جماعات سيبالغون فى التركيز على مظاهر تشابههم مع زملاء جماعتهم الداخلية وفى التركيز على مظاهر اختلافهم مع الجماعات الخارجية، وسيظهر ذلك فى أبعاد أخرى بالإضافة إلى عملية التصنيف (آلن - ويلدر ١٩٧٥[١١]، ليلى - رهم ١٩٨٨[٣٧٧]، ويلدر ١٩٨٦)[٧٠٧]. يميل الأفراد أيضا إلى اعتبار الجماعة الخارجية أقل تعقيدا، أقل تباينا وأقل سماحا بالتفرد بين أعضائها بالمقارنة بجماعتهم الداخلية (هاملتون - ترويلر ١٩٨٦[٢٥٣]، جود - بارك ١٩٨٨[٣١١]، ويلدر ١٩٨٦)[٧٠٧].

أصبح رأى تاجفيل أن نتائج عملية التصنيف هى المسئولة عن القوالب النمطية كظاهرة اجتماعية موضع قبول عام، فقد أكد هوج ـ ابرامز (١٩٨٨)[٢٨٥] مثلا على أن "بالضبط كما يتسبب التصنيف فى التركيز على إدراك الجوانب المادية، يتسبب أيضا فى الإدراك الاجتماعى، حيث يؤثر الجانبان بنفس الدرجة فى تشكيل القوالب النمطية، هكذا يعتبر التصنيف هو العملية الكامنة والمسئولة عن القوالب النمطية. (ص٣٧) كانت

تلك الفكرة هى عن القوالب النمطية باعتبارها عملية معرفية خالصة، ومفهوم القالب النمطى باعتباره بناء معرفيا ينظم ويقدم المعلومات عن الفئات الاجتماعية، كان أساسا لعدد كبير من البحوث والنظريات خلال العقد الماضى (بارتال وآخرون ١٩٨٩[٣٤]، بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]، هاملتون ١٩٨١أ[٢٢٩]، هاملتون . ترويلر ١٩٨٦[٢٥٣]، ميسك - ماكاى ١٩٨٨[٤٢٧]، ستيفان ١٩٨٥[٦٢٧]، ١٩٨٩[٦٢٩]).ركز هذا التوجه المعرفى الاجتماعى فى دراسة العمليات الجماعية على عدد من القضايا مثل:

أ) طبيعة التحيزات المعرفية التى تتحدد مباشرة عن طريق التصنيف الاجتماعى مثل التركيز (الإبراز) وأثر تجانس الجماعة الخارجية، والذى يبدو أنه يسهم فى تكوين القوالب النمطية (ويلدر ١٩٨٦)[٧٠٧].

ب) كيف يتم تنظيم المعلومات النمطية عن الفئات الاجتماعية. (ميسك - ماكاى ١٩٨٩)[٤٢٧].

ج) كيف تؤثر الارتباطات الوهمية فى ظروف خاصة جدا، كيف تؤثر على محتوى القوالب النمطية وخصوصا فيما يتعلق بأعضاء جماعات الأقلية المتميزة جدا (هاملتون ١٩٨١ب [٢٥٠]، هاملتون - شيرمان ١٩٨٩[٢٥٢]).

د) الطريقة التى تؤثر بها القوالب النمطية فى تنظيم المعلومات وفى السلوك بين الأفراد (ستيفان ١٩٨٩)[٦٢١].

كان أكثر الاستنتاجات أهمية فى هذا البحث هى أن القوالب النمطية تبدو أنها تلوى عملية تنظيم المعلومات بعدة طرق، وأن أغلب هذه التحيزات يؤدى إلى نفس التأثير وهو :- المحافظة والإبقاء على القوالب النمطية ،أدى التوجه الاجتماعى المعرفى فى تفسير العمليات الجماعية إلى عدد كبير من الأبحاث فى فترة قصيرة نسبيا، غير أن السؤال الحرج هنا هو هل يمكن للقالب النمطى كعملية معرفية خالصة تفسير الاستعداد الإنسانى الأساسى للتعصب؟ كان من المتفق عليه أن القالب النمطى بالمعنى الذى حددناه هنا يعتبر عملية إنسانية عامة، كما أن من المتفق عليه أيضا أن القالب النمطى السلبى هو المحدد للاتجاهات التعصبية، غير أن هناك أسبابا هامة تدعونا، إلى الحكم عن سبب عجز القوالب النمطية كعملية معرفية خالصة عن حل هذه القضية بكفاءة.

أحد الأسباب هو أن القوالب النمطية باعتبارها تشويها إدراكيا تحدده العمليات المعرفية، يجب أن تكون محايدة بالمعنى التقويمى، فالقولبة النمطية كعملية معرفية لا يجب أن تحدد أو تؤثر فى مضمون القالب النمطى. العامل الوحيد المؤدى إلى هذه

الارتباطات المتوهمة التى تشكل القوالب النمطية هو ظروف خاصة جدا وغير عادية تشكل هذه الارتباطات وتؤدى القولبة النمطية كعملية معرفية وإدراكية خالصة إلى تجسيد وإبراز الفروق الفعلية بين الفئات الاجتماعية - هذا بصرف النظر عن الناحية التقويمية لهذه الفروق كأن تكون إيجابية - سلبية - أو محايدة. هذه الفروق الفعلية تحددها الظروف الاجتماعية، وحينما تؤدى مثل هذه العمليات المعرفية إلى قوالب نمطية سالبة عن فئات اجتماعية معينة، فسوف يسهم ذلك فى تشكيل الاتجاهات التعصبية ضد أصحاب هذه الفئات.

من المناسب بناء على ما سبق القول أن السبب الفعلى للتعصب هو الظروف الاجتماعية التى تشكل الفروق الفعلية وعدم المساواة بين الناس، والقوالب النمطية فى هذه الحالة هى الآلية المسئولة عن ترجمة المظالم الاجتماعية إلى تعصب - وسنناقش دور القوالب النمطية فى تشكيل الاتجاهات التعصبية بالتفصيل فى الفصل السابع. واقع الأمر أن القوالب النمطية ليست محايدة، فالقولبة النمطية تميل إلى التركيز العرقى، وبالتالى فالقوالب النمطية للجماعة الداخلية ستكون إيجابية التقدير مقابل القوالب الخاصة بالجماعة الخارجية والتى هى أكثر سلبية عما يمكننا أن نتوقعه على أساس العمليات المعرفية الخالصة المتضمنة فى القولبة النمطية (هوج - ابرامز ١٩٨٨[٢٨٥]، تاجفيل ١٩٨٢ب). يشير ذلك إلى أن هناك عمليات أخرى تسهم فى التمركز العنصرى.

أوضحت البحوث الثالية التى أجراها تاجفيل وزملاؤه (تاجفيل ١٩٧٠[٦٤٣]، تاجفيل وآخرون ١٩٧١[٦٤٤]) أن التصنيف الاجتماعى له آثار أخرى قد تكون مسئولة عن الميل للتمركز العنصرى. استخدم هذا البحث مخطط الجماعات الدنيا وأوضح أن مجرد تقسيم الأفراد إلى جماعات يؤدى بالضرورة إلى تحيز تقييمى وسلوك تمييزى بين أعضاء الجماعة لصالح الجماعة الداخلية وضد الجماعة الخارجية.

تكررت هذه النتيجة فى دراسات تالية، واتضح أن التأثير قوى ومستمر باختلاف الظروف وباختلاف مقاييس النتائج. شملت مقاييس النتائج تقديرات تقويمية للسمات، تقديرات لإنتاجية الجماعة، وتقدير للمكافأة أو الجزاء (بروير ١٩٧٩[٧٧]، بروير - سيلفر ١٩٧٨[٨٣]، براون - تيرنر ١٩٧٩[٩٦]، دواس ١٩٧٨، لوكسلى - أورتز - هيفرن ١٩٨٠[٣٨٢]، موجادان - سترنجر ١٩٨٦[٤٤٢]). أكثر من ذلك كلما اتسع نطاق التصنيف إلى فئات، بصرف النظر عن مدى تفاهته أو عشوائيته فى ذاتها، تزيد قوة التحيز للجماعة الداخلية، نتيجة ذلك استنتج الباحثون أن التصنيف الاجتماعى الذى

يأخذ شكل أى تمييز بين الجماعة الداخلية/ الخارجية، سيؤدى إلى تحيز للجماعة الداخلية، التنافس، وحتى إلى التعصب، وذلك حتى فى عدم وجود أى صراع وظيفى فى المصالح "التنافس الفعلى" بين الجماعات (تاجفيل ١٩٨١)[٦٤٥].

يشير هذا الاستنتاج إلى أن التصنيف الاجتماعى ذاته هو الآلية السببية المباشرة خلف التعصب، والتمييز والتمركز العنصرى، فقد ناقش دواس (١٩٧٨) مثلا أن التمييز المعرفى عند الأفراد فيما بين الجماعات الداخلية والجماعة الخارجية يظهر كنتيجة مباشرة لعملية التصنيف، هذا التمييز مسئول بدرجة كافية عن زيادة التحيز للجماعة الداخلية والسلوك التمييزى. غير أن دراسات أخرى لاحظت عدم التوازن الأساسى فى هذه الظواهر (بروير ١٩٧٩[٧٧]، بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩[٦٥٠]، تيرنر ١٩٧٥[٦٧٠]) والتى لا يمكن أن تكون مسئولة ببساطة على أساس أنها عمليات معرفية خالصة، هكذا فحيث إن تصنيف الموضوعات يؤدى دائما إلى تركيز الفروق بين الفئات، فليس بالضرورة أن يؤدى التصنيف الاجتماعى إلى هذا التركيز، ففى التصنيف الاجتماعى يتم تركيز الفروق فقط إذا كان ذلك فى صالح الجماعة الداخلية، ويميل إلى التضاؤل إذا كان فى صالح الجماعة الخارجية. (بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]، تاجفيل ١٩٨١[٦٤٥]، تيرنر ١٩٨١[٦٧١]). ويبدو أن موضوع عدم التوازن لا يأخذ حقه فى التفسير على أساس العوامل المعرفية وحدها، ويفترض أن العوامل الوجدانية تقوم بدور فى إيجاد مثل هذا التحيز للجماعة الداخلية، وقد استنتج (بروير) فى استعراضه الموسع للدلائل المختلفة إلى أنه "ينتج التحيز للجماعة الداخلية عن الدافع إلى البحث عن تجسيد الفروق بين الجماعات على إبعاد لصالح الجماعة الداخلية (ص٣٢٠). وقد كانت أهم محاولة لإبراز هذه العوامل الدافعية هى نظرية الهوية (تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩[٦٧٣]، تيرنر ١٩٧٥[٦٧٠]) والتى نناقشها فى القسم التالى.

نظرية الهوية الاجتماعية Social identity theory:

تفترض هذه النظرية أن عملية التصنيف الاجتماعى تولد عمليات دافعية أساسية داخل الأفراد، هذه العمليات هى التى تؤدى مباشرة إلى حدوث التنافس بين الجماعات، تقوم هذه النظرية على افتراض أن الفئة الاجتماعية للشخص، وعضويته للجماعة تحدد الهوية الاجتماعية لهذا الشخص، والهوية الاجتماعية ركن هام من الإحساس العام بالهوية. يسهم تقييم هذه الفئات الاجتماعية، وعضوية الجماعات المختلفة فى شعور الشخص بتقدير ذاته واحترامها، وبافتراض وجود رغبة أساسية لدى الشخص لإيجاد تقدير إيجابى لذاته وللمحافظة على هذا التقدير، فسيحاول كل منهم النظر إلى الفئة

الاجتماعية التى ينتمى إليها باعتبارها إيجابية قدر الإمكان، ويثير ذلك الرغبة فى البحث الدؤوب عن المقارنة بالفئات الأخرى، هذه المقارنة التى تنتهى دائما لصالح الفئة الاجتماعية أو الجماعة التى ينتمى إليها أو يتوحد بها.

من المفترض أن تنشط هذه العمليات حينما تصبح عملية تصنيف اجتماعى معينة سائدة، وبقدر سيادتها يستجيب الأفراد للآخرين، ليس على أساس سماتهم الشخصية ولكن على أساس هوياتهم المحددة بجماعات العضوية أو بالفئات الاجتماعية التى يصنفون عليها. ينشط السلوك بين الجماعات إذن حينما تصبح هوية الجماعة أكثر أهمية، وعندما يكون المنظم لسلوك الأفراد الاجتماعى هو عضويتهم للجماعة. لذلك يعتبر السلوك الجماعى مختلفا تماما عن السلوك بين الأفراد، أى حينما يتحكم فى التفاعل الاجتماعى سمات الأفراد الشخصية والهوية الشخصية لهم. وحينما يظهر تصنيف اجتماعى معين تخلق الحاجة إلى هوية اجتماعية ايجابية، توجها تنافسيا نحو الجماعات الأخرى، يولد ذلك تحيزات إدراكية وإستراتيجيات سلوكية تمييزية فى محاولة للتمييز بين الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية لصالح الداخلية. بذلك فالفروق التى لصالح الجماعة الداخلية ستكون موضع التركيز والمبالغة وبالعكس يتم تجاهل أو التقليل من شأن الفروق التى تحسب لصالح الجماعة الخارجية.

يميل الأفراد - على ذلك - إلى التصرف بطريقة تبالغ فى إيجابيات جماعتهم على حساب الجماعات الخارجية. تفسر نظرية الهوية الاجتماعية ألوان التحيزات العرقية فى التقييم المعرفى والتمييز السلوكى والتى لوحظت فى المواقف الجماعية التجريبية الدنيا:- حيث يزداد التركيز على إيجابيات الجماعة الداخلية من خلال التأكيد على أهمية العضوية فى الجماعة. كذلك تفسر النظرية ما لوحظ من تقليل أهمية الصفات غير الإيجابية للجماعة الداخلية بدلا من التركيز عليها. هذه النتائج جميعها لا يمكن ردها إلى العمليات المعرفية، المتضمنة فى عملية التصنيف الاجتماعى وحدها. (بروير ١٩٧٩[٧٧]، تاجفيل ١٩٨٢ب[٦٤٧]).

بالإضافة إلى ذلك تفسر النظرية ما لوحظ فى هذه التجارب أن أعضاء الجماعة يميلون إلى تضخيم المميزات النسبية لجماعتهم على حساب الجماعات الخارجية، حتى لو قلل ذلك من الدرجة النهائية التى ستحصل عليها جماعتهم (بروير ١٩٧٩[٧٧]، بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]). أخيرا يلاحظ بروير (١٩٨١)[٧٨] أن هذه النظرية تتسق مع ملاحظتين هامتين ظهرتا فى البحوث عبر الحضارية، الأولى أن التمييز بين الجماعات

غالبا ما يكون مرنا وقابلا للتغيـر كاستجابة للدلائل الموقفية، **والثانية** أن هناك ميلا عاما لتفضيـل الجماعة الداخليـة (على الأقل بمعنى جماعـة التوحد)، يبدو هذا الميـل شائعا عالميا.

تفسر نظرية الهوية الاجتماعية أيضـا الحالات الاستثنائية ولكن الهامة نظريا والتى تظهر فيها هوية اجتـماعية سالبة أى حينما يقيم الأفراد جماعة عـضويتهم بصورة سلبية ويتوحدون بالجماعات الخارجية (تاجفيل ١٩٨١)[٦٤٥]. فى هذه الحالات يفـترض تأثير ظروف معينة تجعل من المستحيل على الأفراد أن يتجنبوا النتائج السيكولوجية على الهوية الاجتماعـية العامة والتى تحـتل فيها الجماعـة الداخلية مكانة اجتـماعية متدنيـة بالمقارنة بالجماعة الخارجية.

أثارت نظـرية الهويـة الاجتمـاعيـة عددا ضخـما من الـبحوث خـلال العقـدين الأخيرين، لكن من المدهش أن الـقليل منها حاول اختبار فرضهـا الرئيسى والذى يربط التحيز والتميـيز بين الجماعات بالحاجة إلى تقدير الذات، بالإضافـة إلى أن نتائج غالبية هذه الدراسات لم تساند النظرية بصورة قاطعة.

أوضحت دراستان هامتان أكدتا صدق النظرية أنه إذا أعطى للشخص الذى صنف إلى جماعـة دنيا الفرصة للتمـييز، فسوف يظهـر زيادة فى تقدير ذاته (ليميـر - سميث ١٩٨٥[٣٦١]، أوكايس - تيرنر ١٩٨٠[٤٦٦]). وجدت دراسة أخرى أن خـفض تقدير الجمـاعة الداخلـية له نتـائج سلبـية على تقـدير الذات لأعـضائها (واجـنر - لامبن - سلواسكى ١٩٨٦[٦٩١]) وبعكس هذه التوقعات لم يؤد انخفاض تقدير الجماعة الداخلية بالمقارنة بالجماعة الخارجية فى نفس الدراسة إلى تـخفيض الأفراد لتقدير جماعة خارجية أخرى. أخيرا وجد ميندل - ليرنر ١٩٨٤[٤٢٢] أنه بعد تخفيض تقدير الذات يبدى أعضاء الجماعـة الداخلية استـجابات أكثر تطرفـا نحو أعضاء الجـماعة الخارجيـة، فى كل من اتجاهـى العدوان والـعطف. رأى البـاحثـان أن النتـائج لم تتـضارب مع نـظرية الهـوية الاجتـماعية، وذلـك بسبب أن الاستـجابات عـالية السخـاء والعطف التى ظـهرت فى دراستـهما كـان من الممكن أن تعـبر عن اتجاه أبـوى وعن تركيـز على السيـادة النسبـية للجماعة الداخلية.

ورغـم افـتراض أن نظـرية الهـويـة الاجتـمـاعية تـتوقع أن الأشـخاص ذوى التـقـدير المنـخفض لذواتـهم يميلون إلى التـحيز والتمييز للجـماعة الداخـلية (ابرامز - هوج ١٩٨٨)[٤] لكن هذا الافتـراض لم تسانده النتائج الأمـبيريقية، فـلم تجد دراسات عديدة علاقة بين تقدير الذات والتحيز أو التمـييز فى مواقف الجماعات الدنيا (كروكر -

شوارتز ١٩٨٥، كروكر - تومسون - ماكرو - انجرمان ١٩٨٧، تومسون - كروكر ١٩٩٠). وتوصلت دراسات أخرى لنتائج معاكسة تماما لهذا التوقع (ابرامز ١٩٨٢، ١٩٨٣ (ذكرهما ابرامز - هوج ١٩٨٨). ففى دراسات تعرض فيها تقدير الذات للتهديد- بأخبار المبحوثين أنهم فشلوا فى مهمتهم قبل وضعهم فى مواقف الجماعات الدنيا استجاب المبحوثون ذوى تقدير الذات العالى بتحيز أكبر للجماعة الداخلية (كروكر وآخرون ١٩٨٧[١٤٢]، كروكر - لو هتانن ١٩٩٠[١٤٠]، تومسون - كروكر ١٩٩٠[٦٥٨]).

رغم أن هذه النتائج تعتبر متعارضة مع "افتراض تقدير الذات" لنظرية الهوية، لكن يمكن الجدل فى ذلك أن هذه الدراسات استخدمت مقاييس غير ملائمة لاختبار الفروض، بوضوح أكثر نقول: إن النظرية تربط التحيز والتمييز للجماعة الداخلية بالحاجة إلى تقدير الذات، فكلما زادت الحاجة لتقدير الذات يزيد التحيز للجماعة الداخلية فى المواقف الجماعية الدنيا.

وتوجد فروق فى الحاجة الفردية إلى تقدير الذات، أكثر من مجرد إظهار تقدير الذات، من حيث الارتباط بالتعصب والتمييز فى المواقف الجماعية الدنيا. وقد لا تكون الرابطة قوية بين الحاجة إلى تقدير الذات، وبين إظهار تقدير الذات، لكن بقدر وجود هذه الرابطة يزيد احتمال زيادة إظهار تقدير الذات عند الأشخاص الذين لديهم حاجة قوية لتقدير الذات، وذلك ببساطة لأنهم يجتهدون فى ذلك.

على ذلك تبين نتائج أغلب الدراسات السابقة أن الأشخاص المرتفعين فى تقدير الذات يميلون إلى إظهار تحيز أكبر لداخل الجماعة قد يكونون أكثر اتساقا مع النظرية. ومن المدهش أنه لم تظهر بحوث للآن اهتمت بفحص العلاقة بين الفروق الفردية فى الحاجة إلى تقدير الذات وبين التحيز إلى داخل الجماعة وذلك فى المواقف الجماعية الدنيا.

يبدو أن هذه الأبحاث تقدم فحصا مباشرا للرابطة بين تقدير الذات والميول نحو التمركز العرقى لتفضيل الجماعة الداخلية على حساب الجماعة الخارجية، وقد يساعدنا ذلك فى حسم هذا الموضوع.

اتسعت النظرية أيضا إلى تحليل الظروف الجماعية الخاصة (هوج - ابرامز ١٩٨٨[٢٨٥]، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩[٦٥٠]) من بين هذه القضايا، كيف يؤثر التشابه بين الجماعات فى السلوك الذى تقوم به هذه الجماعات، تنبأت نظرية الهوية الاجتماعية بأنه كلما يزيد التشابه بين الجماعات، يستثير ذلك مزيدا من التمييز والتحيز

كلما كانت الجماعة تسعى لتأسيس الحدود بينها وبين الجماعات الأخرى (تاجفيل ١٩٨٢ب). هذا التنبؤ هو على النقيض التام من نظرية الاتساق العقائدى، وقد ناقشنا الأبحاث حول هذا الموضوع فى الفقرة السابقة، ويبدو واضحا أن الموضوع لم يحل بعد، وأنه قد يكون أكثر تعقيدا عما أشارت إليه كلتا النظريتين.

لأن نظرية الهوية الاجتماعية تسلم بوجود حاجة أساسية وعالمية إلى تكوين هوية اجتماعية، فإن الظروف الاجتماعية والجماعية التى تواجه الشخص بهوية اجتماعية سلبية لابد أن تكون موضع اهتمام، هذه هى المواقف التى تكون فيها الفئة الاجتماعية السائدة للشخص محددة عن طريق الجماعة الداخلية، والتى قد تكون ذات مكانة ضئيلة فى النظام الاجتماعى الطبقى أو الفئوى، فى هذه الحالة تتنبأ النظرية أن الشخص سيحاول ترك الجماعة، فإذا لم يكن ذلك سهلا، سيميل الشخص إلى تبنى ما يسميه علماء نظرية الهوية الاجتماعية "توجه التغيير الاجتماعى". يتضمن توجه التغيير الاجتماعى محاولة تغيير المكانة المفروضة على الجماعة ككل، ويفترض أن هناك استراتيجيتين من الممكن اتباع إحداهما لتحقيق هذا الهدف:

أ) استراتيجية التنافس الاجتماعى وتشمل الأفعال الهادفة إلى إيجاد تغيير فعلى فى المكانة الفعلية للجماعة مثال ذلك (الفعالية السياسية).

ب) إستراتيجية للإبداع الاجتماعى تتضمن تكتيكات معرفية أوليه تؤدى إلى تقييم أكثر إيجابية للجماعة الداخلية. وقد افترض(تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩) ثلاثة طرق أولية يمكن بها استخدام الإبداع الاجتماعى فى تجنب الهوية الاجتماعية السلبية.

أولا : قد يجد الأفراد أبعادا جديدة يمكن بها مقارنة الجماعة الخارجية والتى قد تكون لصالح الجماعة الداخلية.

ثانيا: قد تتغير القيم المتصلة بالأبعاد الحالية للمقارنة لصالح الجماعة الداخلية. (مثال ذلك شعار اللون الأسود جميل).

ثالثا: قد يتم اختيار جماعات خارجية جديدة كى يسهل مقارنتها بالجماعات الداخلية.

من المفترض أن يعتمد استخدام أحد نوعى الإستراتيجية - المنافسة، أو الإبداع فى ممارسة وإرساء هوية جمعية إيجابية يعتمد على طبيعة المكانة الجماعية المميزة، خصوصا درجة إدراكها باعتبارها ثابتة (أى مستحيلة التغيير)، ومشروعة. تم اختبار عدد من التنبؤات المبنية على الاستنتاجات السابقة عن كيف يسعى الأفراد إلى هويات إيجابية

اجتماعيـة ويحاولون تجنب الهويات السلبيـة بدرجاتها المتفاوتة من الثبـات والمشروعية. ونظرا لأن هذه الافتراضـات تنتمى أساسا إلى المظاهر الاجـتماعية العامة لـنظرية الهوية الاجتـماعيـة (ونعنى بذلك نـوع الظروف الاجتمـاعية الـعامة للاتـصال والتفـاعل بين الجماعات والتى تؤثر فى الاتجاهات والسلوك بين الجماعات) فسنناقشها فى الفصل التالى بتفصيل أكثر.

أجريـت عـدة دراسـات فى الـعقد والنـصف عقد المـاضيين لاختـبار التنـبؤات المستمدة من النظرية سواء فى هذه الموضوعات أو موضوعات غيرها (براون ١٩٧٨[٩١]، كوميـنز - لوكود ١٩٧٩[١٢٥]، المرز - فـان كـنبـرج - ويكـلى ١٩٨٨[١٨١]، فينسلو ١٩٨٦[١٩٨] شـاديف - لـورهيـس ١٩٨٧[٥٦١]، سكيفنـجتون ١٩٨١[٦٠٨]، تاجفيل ١٩٨٢ب ص١٦-٢٠[٦٤١])، ولن نسـتعرض هذه الأبحـاث هنا ولكن يمكـن أن تذكر بعض الاستنتاجات العامـة، فالعديد من النتائج يبدو أنها تساند النظـرية عموما، وبغير استثناء. لا توجد نتـائج هامة تتناقض بوضوح مع التنبؤات القـائمة على هذه النظرية. لكن الدراسات التى لم تتنبأ نتائجها أو بدت غير مـتسقة مع تنبؤات خاصة كانت كثيرة (براون - كوندور - ماتيوز - واد - ويليامز ١٩٨٦)[١٩٨]، وفى الغالب أن النتائج التى لم تساند النظـرية يمكن إعادة تفسيرها، نـتيجة لذلك فمن الصـعب فى هذه المرحلة أن نقوم بتقيـيم محدد للنظرية، أو تقدير للأداء الـنهائى لها، فمثلا توصلـت استعراضات حديثة لبروير - كرامر (١٩٨٥)[٨١] وهوج - ابرامز (١٩٨٨)[٢٨٥] إلى تأييد النظرية فى حين كـانت اسـتنتـاجات (مـيـسك - ماكـاى (١٩٨٩)[٤٢٧]، وتايـلور - مـوجـادام ١٩٨٧[٦٥٢]) أقل تأييدا لهذه النظرية.

قد يرجع الموقف بصورة كاملة إلى اتساع النظرية وتعقيدها، خصوصا فى تطبيقها على مـواقف اجتـماعـية طبـيعـية، وقد لاحـظ(تايلور - مـوجادام ١٩٦٧)[٦٥٢] أن الدراسات الميدانية التى تستخدم جماعات طبيعية أدت إلى إشكالية فى نتائجها، فلم يجد براون وزملاؤه -(براون ويليامز ١٩٨٤[٩٨]، أوكار - براون ١٩٨٦[٤٦٥]) - نتائج تساند بوضوح الرابطـة المتوقعة بين التـوحد إلى داخل الجماعـة والتمايز عن باقى الجـماعات المهنية، فى حين توصلت دراسات أخرى إلى ذلك. (هنكل - تايلور - فوكس كارامون ١٩٨٩[٢٨٠]، كيلى ١٩٨٨[٣٢١]). وأشـار كونـدور - براون (١٩٨٨)[١٢٧] إلـى أن مشكلة الدراسات التى تستخدم جماعات اجتماعيـة طبيعية هى أنها تختبر التنبؤات غالبا بصورة مجردة مـستمدة من النظرية وبغير فـهم كاف للظروف الاجتماعية الفـعلية لهذه الجماعات، وللفروق التاريخية فى المكانة بين هذه الجماعات.

تصور الباحثان أنه حينما توجد هذه الفروق وتتعمق فى البناء الاجتماعى، فقد لا تكون للمعالجة التجريبية أثر كاف لاختبار هذه الفروض، بالإضافة إلى أن دراسات الجماعات الاجتماعية الطبيعية تتجاهل غالبا متغيرات مثل علاقات القوة والتى لم تراعها التحليلات النظرية، حتى أن (نج ١٩٨٢)(٤٦٤) أوضح أن طبيعة القوة المميزة بين الجماعات اجتماعية تبدو عاملا هاما أيضا يؤثر فى مدى كفاح الأفراد للمحافظة على هوية اجتماعية إيجابية. غير أنه فى بعض الأحيان توصلنا الدراسات غير المؤيدة للنظرية إلى التعرف على قصور هام فى النظرية، فمثلا وجدت دراسات عديدة أن الجماعات متدنية المكانة بالغت فى الفروق بين الجماعات لصالح الجماعة عالية المكانة وقللت من شأن الفروق التى لصالح جماعتهم (بورهيز - هيل ١٩٨٢(٧٠)، فان كيننبرج ١٩٧٨، فان كيننبرج - فان اورس ١٩٨٤) وبالعكس بالغت الجماعات عالية المكانة فى الفروق التى لصالح الجماعة المتدنية وقللت الفروق التى فى صالحها، هذه النتائج والتى هى على العكس تماما من تنبؤات نظرية الهوية الاجتماعية كانت على عينات من معلمى المدارس الفنية مقابل أساتذة جامعات (بورهيس - هيل ١٩٨٢)(٧٠)، طلبة الهندسة من معاهد وكليات متباينة فى المكانة (فان كيننبرج ١٩٧٨)(٦٨٥) ، وممرضات خريجات كليات التمريض مقابل ممرضات حصلن على تدريب بسيط أثناء خدمتهن. (فان كيننبرج - فان اورس ١٩٨٤)(٦٨٦).

ناقش فان كيننبرج (١٩٧٨)(٦٨٥)، فان كيننبرج - فان اورس ١٩٨٤)(٦٨٦) هذا التأثير تفصيلا، وافترضوا إمكان تفسيره على أساس الاستجابات الإستراتيجية والتى هى وسيلة الجماعة فى الدفاع أو تحدى الأنماط القائمة من التقدير أو عدم التقدير الاجتماعى. فى هذه الحالة فمما يزيد من تقدير الجماعة منخفضة المكانة أن يقوم أفرادها بالمدح أو المبالغة فى تقدير الجماعة مرتفعة المكانة، وبالتالى تخفيض شأن أى مميزات لجماعتهم، بحيث إنه عند لفت النظر إلى عدم العدالة فى هذا الموقف، فإن الجماعة منخفضة المكانة تحدد طريقة تغييرها. بالعكس بالنسبة للجماعة مرتفعة المكانة والتى تسعى إلى تبرير، وضع تفسير قانونى، وبذلك تدافع عن مركزها الاجتماعى بتقليل شأن مميزاتها والتركيز على عيوب فى المقارنة بينها وبين الجماعة منخفضة المكانة.

اهتم تاجفيل (١٩٨٢أ(٦٤٦)، ١٩٨٤)(٦٤٨) بهذا الموضوع فى دراستين استهدفتا مواجهة تحليلات (كيننبرج)، وركز فيها (تاجفيل) على أن نظرية الهوية الاجتماعية لا تقدم تفسيرا كاملا للظواهر الجماعية، حيث يقول: «إن المنظور الذى يركز على وظيفة عملية التصنيف الاجتماعى، الهوية الاجتماعية والمقارنة الاجتماعية فى العلاقات بين الجماعات، يجب فهمه على أنه مكمل للآراء التى تركز على أهمية هذه العلاقات فى

الصراع الموضوعى للمصالح، أكثر من كونها تستهدف أن تصبح بديلا لهذه الآراء» (١٩٨٢أ ص ٤٩٩ والخط فى الأصل)(٦٤٦).

إجمالا نقول: إن نظرية الهوية الاجتماعية تفترض أن عملية التصنيف الاجتماعى تستثير ميلا دافعيا أساسيا مصدره الحاجة إلى تحقيق تقدير إيجابى للذات، وذلك للكفاح من أجل تحقيق هوية اجتماعية إيجابية لتفسير الميل المعرفى لتفضيل الجماعة الداخلية. ورغم وجود عديد من الشواهد التى تفترض أن الأفراد يكافحون لتقدير جماعاتهم على نحو أكثر إيجابية من الجماعات الخارجية، فهناك علاقة بالحاجة إلى تقدير إيجابى للذات لم تتضح بجلاء، بالإضافة إلى ما لاحظه تاجفيل وآخرون (بليج ١٩٧٦(٥٤)، تاجفيل ١٩٨١(٦٤٤)، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩(٦٥٠)) من أنه بتطبيق النظرية على مواقف اجتماعية محددة، اتضح أن درجة وأسلوب التعبير عن الميل العرقى لتفضيل الجماعة الداخلية وما يتبعه من نتائج على السلوك والاتجاهات نحو الجماعة الخارجية، كل ذلك يتحدد بسمات الموقف الفعلى فيما بين الجماعات، وتشمل هذه السمات عوامل اجتماعية مثل الدلائل الموقفية المؤثرة على سيادة عملية التصنيف الجماعى، وجود فروق فى المكانة والقوة بين الجماعات، إدراك مشروعية وثبات هذه الفروق، وصراع المصالح. وكما يوضح بحث كيننبرج (١٩٧٨(٦٨٤)، وفان كيننبرج - فان اورس (١٩٨٤)(٦٨٦) أن هذه العوامل الاجتماعية قد تعوق أو حتى تغير من اتجاه التعبير عن الميول المؤيدة (داخل - خارج الجماعة)، على ذلك فقد تلعب دورا محوريا فى صياغة موقف التفضيل للجماعة الداخلية إلى عداء نشط ضد الجماعة الخارجية أو تعصب ضدها.

الأسس النفسية للتعصب - خلاصة:

حددت كل نظرية نوقشت فى هذا الفصل بعض جذور التعصب من عمليات نفسية أساسية، وصفت هذه النظريات الآليات النفسية الشائعة بين البشر بمعرفية أو إدراكية أو دافعية، هذه الآليات التى قد تفسر انتشار التعصب وعالميته كسمة للسلوك الاجتماعى الإنسانى. ويتضح من مناقشتنا أن هذه النظريات تختلف بوضوح فى قوة تفسيرها وفى درجة البراهين الأمبيريقية على صحتها، وقد اتضح أن آلية مثل الإسقاط وإزاحة الإحباط قد تلعب دورا سببيا عاما للتعصب أو التركيز العرقى.

بالإضافة إلى ما يبدو أن التحيز اللونى فى صورة تفضيل الضوء على الظلام، يبدو أنه نتيجة دمج الميل العنصرى والرمزية اللونية فى اللغة والثقافة أكثر من أن يسبب اللون/ فى حد ذاته تفضيلا عنصريا. فى حين توجد شواهد عديدة على أن التشابه -

عدم التشابه يؤثر بقوة فى التجاذب والرفض بين الأشخاص، فقابلية هذا المبدأ للتطبيق على الظواهر الجماعية تبدو أقل وضوحا، ويبدو أن أغلب تأثيرات عدم التشابه بين الجماعات على التفضيل ما بين الجماعات والتمييز بينها قد يفسر على أساس دور التشابه - عدم التشابه كمؤشر على التصنيف الاجتماعى.

ورغم أن تأثير مجرد تصنيف الأفراد إلى جماعات على إدراك هذه الجماعات وعلى السلوك فيما بينها كانت قاعدة أثبتت صحتها فى عدد كبير من المواقف، فإن تأثيرات معينة لم يمكن تفسيرها بصورة كاملة على أساس عمليات معرفية خالصة، وأمكن تفسير هذه التأثيرات على أساس افتراض أن تصنيف الأفراد إلى جماعات ينشط عمليات دافعية أساسية معينة، وهذه العمليات الدافعية يبدو أنها تشمل ميولا إنسانية عامة لتقدير الجماعة الداخلية بصورة إيجابية، وربما كان ذلك يمثل حاجة إنسانية أساسية لتقدير الذات، ويؤدى بدوره إلى ميول عرقية للتحيز والتمييز لصالح الجماعة الداخلية على حساب الجماعة الخارجية.

أخيرا، فليس بالضرورة أن تتضمن الميول العرقية لتفضيل الجماعة الداخلية تعصبا ضد جماعة خارجية، فقد بين عدد كبير من الدراسات خصوصا فى المواقف الجماعية الدنيا أن التحيز والتمييز بين الجماعات يتضمن تقديرا للجماعة الداخلية وليس بالضرورة احتقارا للجماعة الخارجية (بروير ١٩٧٩[٧٧]، جايرتنر - مان - موريل - دوفيديو ١٩٨٩[٢٢١]، هنكل وآخرون ١٩٨٩[٢٨١]، هنكل - سكوبلر ١٩٧٩[٢٨٠]، لالوند - موجادام - تايلور ١٩٨٧[٣٤٧]، بيردو - دوفيديو - جورتمان - تايلور ١٩٩٠[٥١١]).

غير أن ما يبدو أنه تحت ظروف اجتماعية معينة - وفى شروط اجتماعية خاصة، من الممكن لهذا الميل المعرفى لتفضيل الجماعة الداخلية أن يتحول إلى عداء صريح وكراهية للجماعة الخارجية، وهذه الديناميات الاجتماعية والجماعية للتعصب سنناقشها تفصيلا فى الفصل التالى.

***

الفصل السادس

الديناميات الاجتماعية للتعصب

رغم ما يبدو من أن بعض العمليات السيكولوجية التى عرضناها فى الفصل السابق تحدد الاستعداد الإنسانى الكامن للتمركز العرقى والتعصب، فإن هذه العمليات لا تعمل بصورة آلية أو حتمية، إذ لابد من ظهور مؤشرات أو مثيرات معينة فى البيئة الاجتماعية تبدو ضرورية لإظهار وتنظيم وتوجيه هذه العمليات النفسية.

على ذلك فليس كل الناس متعصبا ضد كل الجماعات الخارجية، حيث قد تكون بعض الجماعات الخارجية محبوبة، وبعضها يوجه لها مشاعر محايدة، بينما البعض الثالث غير محبوب أو حتى مكروه. بالإضافة إلى ذلك فنمط معين من الاتجاهات نحو الجماعات الأخرى أو التعصب الذى يحمله الأفراد، قد لا يعود إلى مجرد موقف ذاتى فردى، ولكن إلى نمط جماعى مشترك يختلف باختلاف الجماعة التى ينتمى إليها هؤلاء الأفراد، وكما يشير شريف (١٩٦٧)[٥٩٣] "إن مشكلة التعصب للجماعة والصور النمطية للجماعات الأخرى ليست قائمة على كراهية فردية ومعتقدات لا أساس لها من جانب أفراد متفرقين، إنها مشكلة العداء والصور المتبادلة بدرجات متفاوته بين أعداد كبيرة من الناس الذين ينتمون إلى نفس التجمع الانسانى" . (ص٢٤)

وهناك ثلاث سمات للتعصب توضح طبيعتها كظاهرة اجتماعية أو جماعية:

أ - تميل الجماعات الاجتماعية إلى التميز بأنماط معيارية أو إجماعية Consensual للتعصب.

ب - تختلف أنماط التعصب باختلاف الجماعات التى تحملها.

ج - قد تتغير أنماط التعصب فى مرحلة تاريخية معينة بتغير ظروف الجماعة أو المجتمع. .

ولقد حازت الطبيعة المعيارية أو الاجتماعية للتعصب على توثيق كاف، فمثلا تم توثيق النمط الأمريكى فى التعصب من خلال الاستعراضات التى قام بها الباحثون خلال النصف الأخير من هذا القرن للبحوث التى استخدمت مقاييس المسافة الاجتماعية والقوالب الجامدة. (مثال الاستعراض الذى قام به أوين - ايسنر - ماكفول

١٩٨١)[٤٨٣]. ويقف على قمة هذا التنظيم الهرمى للمسافة الاجتماعية أبناء شمال أوروبا ذوى البشرة البيضاء، يليهم أبناء جنوب وشرق أوروبا ثم الآسيويون وأخيرا الأفريقيون فى القاع، ينتشر هذا النمط ويشيع قبوله فى الولايات المتحدة، واستمر هذا النمط ثابتا خلال الخمسين سنة الأخيرة.

يتضح الطابع الإجماعى على ترتيب المسافة الاجتماعية والتعصب فى تمسك جماعات الأقلية ذات المكانة المتدنية بهذه المعايير مع استثناء واحد هو أنها ترفع من مكانتها فى هذا الترتيب. (آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦[٢٧]، ليفن - ليفن ١٩٨٢[٣٧١]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]).

بينت دراسة أمريكية مبكرة أجراها هورويتز ١٩٣٦ - ذكرها هاردنج وآخرون ١٩٦٩)[٢٥٩] الطبيعة الاجتماعية لمثل هذه الاتجاهات، وجد الباحث أن الأطفال البيض الذين يعيشون فى مناطق مختلفة جدا من الولايات المتحدة (مدينة نيويورك، حضر تنسى، ريف جورجيا) أن جميعهم اتخذوا اتجاهات متشابهة ضد الزنوج، واستنتج أن الاتجاهات العنصرية تتحدد ليس "بالاتصال مع الزنوج، ولكن بالاتصال بالاتجاه السائد نحو الزنوج " (ص٣٥).

كان للجماعات المختلفة أنماط معيارية مختلفة للتعصب، فقد لاحظ (آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦)[٢٧] على سبيل المثال "أنها فروق ثابتة بين الجماعات الثقافية على أساس الاتجاهات العرقية، كلما ينتقل الشخص من مجتمع إلى آخر، يجد اختلافات واسعة بين الجماعات التى يوجه إليها التعصب، ولكن هناك انسجام كبير عبر الزمن فى نمط العلاقات الجماعية فى مجتمع معين". (ص٩٤) على ذلك تكون الاتجاهات التعصبية عالية جدا فى بعض المجتمعات، مثل جنوب أفريقيا، الولايات المتحدة - المركز الرئيسى للتعصب - وأستراليا، فى حين تقل حدتها فى مجتمعات أخرى مثل المكسيك، البرازيل، هاواى (بوناسيس ١٩٧٢)[٦٨].

هناك فروق حادة فى مستوى التعصب العنصرى فى مجتمعات متشابهة جدا مثل بريطانيا وهولندا (باجلى وآخرون ١٩٧٩)[٣٢]. وفى مجتمعات متشابهة ثقافيا مثل الفروق بين الإنجليز والبيض من سكان جنوب أفريقيا (هامبل - كروب ١٩٧٧)[٢٥٥] وحتى بين المناطق المختلفة داخل نفس الدولة فى الولايات المتحدة (ميدلتون ١٩٧٦[٤٣٠]، بيتى جرو ١٩٥٩[٤٩٣]). أخيرا فبينما يستمر النمط المعيارى لسمات التعصب فى مجتمع معين ثابتا عبر الزمن، يؤدى تغير الظرف التاريخى إلى تغيرات أساسية وملموسة، قام (سيمبسون - ينجر ١٩٨٥)[٦٠٤] بوصف أمثلة عديدة عليها،

بعضها كان حول التغيرات التى ظهرت فى اتجاهات الدول، والجماعات نحو بعضها البعض إذا دارت بينها حالات حرب، سلام، أو تحالف.

من الأمثلة الهامة على ذلك أن اتجاهات الأمريكيين نحو اليابانيين كانت إيجابية نوعا ما فى بداية القرن العشرين، ثم تغيرت إلى اتجاهات سالبة تماما ضد الألمان واليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية، مع اتجاهات إيجابية نحو الروس. ثم تغيرت فيما بعد هذه الحرب إلى اتجاهات إيجابية نحو الألمان واليابانيين واتجاهات سلبية نحو الروس، وفى جنوب أفريقيا أجريت دراسة على الدفعات المتتالية من الطلاب (نيودت - بلج ١٩٨٣)(٤٦٢)، وتوصلت إلى أن الاتجاهات المضادة للسود بين البيض أصبحت أكثر سلبية بعد تفجر ثورة السود خلال عام ١٩٧٦ (أحداث الشغب فى سويتو).

تثير ملاحظة أن الجماعات الاجتماعية لها نمط إجماعى معيارى للتعصب ضد الجماعات الخارجية، وأن هذا النمط يختلف من جماعةٍ إلى أخرى ويتغير بتغير الظروف التاريخية، سؤالا هاما وهو ما هى الديناميات التى تؤدى إلى هذه الأنماط الإجماعية، وكيف تؤدى هذه الديناميات إلى تحويل الميل الإنسانى فى الأساس لتفضيل الجماعة الداخلية إلى أنماط شائعة للعداء والتعصب ضد جماعة معينة؟.

غالبا يجاب على هذه الأسئلة على أساس طبيعة العلاقة بين الجماعات موضع الاهتمام، وهكذا ينظر إلى الاتجاهات المتبادلة بين الجماعات باعتبارها تعكس حالة العلاقات بين الجماعات، وبالطبع تشمل دراسة العلاقات بين الجماعات قضايا ومشكلات تناقش حسب مستويات التحليل وليس حسب الطابع النفسى الاجتماعى للبحث، نتيجة لذلك تعامل دراسة ديناميات التعصب الاجتماعى social والجماعى intergroup باعتبارها موضوعا هامشيا فى رأى علماء النفس الاجتماعى، إذ يبدو أنهم يستحسنون تركها لعلماء الاجتماع والتاريخ، والأنثروبولوجيا.

رغم ذلك ففى فترة سابقة أجرى علماء النفس الاجتماعى دراسات هامة فى الموضوع وخصوصا فى مجال ديناميات الجماعات الصغيرة (بليك - موتون ١٩٧٩(٥٩)، شريف ١٩٦٧(٥٩٣)) ويمكن من هذه البحوث استخلاص مبادئ تفسيرية على درجة معقولة من العمومية، تفترض هذه المبادئ أن الديناميات الاجتماعية الأساسية للتعصب تتشابه فيما بين الجماعات الصغيرة ذات تفاعل الوجه - للوجه والجماعات الكبيرة الاجتماعية الثقافية. كما توصلت نظرية الهوية الاجتماعية إلى استنتاج مشابه، حيث لفتت الأنظار إلى كيف تؤثر ظروف جماعية معينة على السلوك والإدراك والاتجاهات فيما بين الجماعات سواء الصغيرة أو الكبيرة.

عموما تتصور نظريات وبحوث علم النفس الاجتماعى أن هناك بعض السمات للعلاقة بين الجماعات الاجتماعية قد تكون حاسمة فى تحديد الاتجاهات بين الجماعات على مستوى المجتمع الأكبر، أحد هذه السمات هو درجة الصراع الذى قد ينشأ بين الجماعات على أساس مصالحها. من النظريات الممثلة لهذا الرأى نظرية الصراع الواقعى، اعتبرت هذه النظرية الاتجاهات بين الجماعات نتيجة التنافس بين الجماعات، وسنناقش ذلك تفصيلا فى الفقرة التالية، وسوف نقترح بعد هذه المناقشة أنه من المفيد توسيعها لتغطى مدى واسعا من المواقف.

حددت نظرية الهوية الاجتماعية نوعين من التنافس بين الجماعات، التنافس الواقعى على مصادر مادية طبيعية أو على القوة (والتى عالجتها نظرية الصراع الواقعى)، والتنافس الاجتماعى على مصادر سيكولوجية خالصة مثل المكانة أو التقدير. ولأن نظرية الهوية الاجتماعية تفترض ميلا دافعيا عاما للكفاح من أجل تحقيق هوية اجتماعية إيجابية، فقد اعتبرت الأخير محددا أساسيا للاتجاهات والسلوك بين الجماعات.

بناء على ما سبق ذكره، فهناك ظروف اجتماعية عامة ذات أهمية خاصة فى هذا الصدد، خصوصا عند وجود فروق فى المكانات بين الجماعات الاجتماعية، وسنناقش ذلك فى الجزء التالى من هذا الفصل. أما الجزء الثالث من هذا الفصل فسنأخذ فى اعتبارنا ظروفا أخرى اجتماعية عامة، مثل الاتصال بين الجماعات والتفاعل فيما بينها، والذى ليس بالضرورة اتصالا تنافسيا أو صراعيا، ولكنها مع ذلك توجه إلى ظهور أنماط جماعية للتعصب.

نظرية الصراع الواقعى Realistic Conflict Theory (RCT):

يمكن النظر إلى نظرية الصراع الواقعى (ن ص و) باعتبارها منطلقا نفسيا اجتماعيا واسعا، أو إطارا للعمل يعبر عن مبادئ عامة جدا. نادرا ما يستخدم هذا الاصطلاح بين السيسولوجيين (علماء الاجتماع) وغيرهم من علماء العلوم الاجتماعية لأنهم يصيغون نظريات أكثر تحديدا، لكنها مع ذلك تتسق فى أساسها مع تلك النظرية.

ترتبط نظرية الصراع الواقعى كثيرا باسم مظفر شريف عالم النفس الاجتماعى الذى صاغ الفروض الأساسية لهذا المنطلق approach فى صورة تنطبق على الجماعات الصغيرة (شريف ١٩٦٧)[٥٩٣] كما قدم شريف أدلة على صدق هذه الفروض فى عدد من التجارب الميدانية الهامة والحاسمة. ركز شريف على نوع علاقة الصراع والتنافس بين الجماعات والذى يشابه إلى حد كبير علاقات المكانة والقوة على المستوى الاجتماعى

الأوسع. فى هذه التجارب كانت الجماعات تسعى إلى أهداف متضاربة بحيث تسعى إحداها إلى تحقيق هدف تشكل فيه تهديدا مباشرا لمساعى الجماعة الأخرى فى تحقيق أهدافها. ويعكس هذا المنظور تحديد نظرية الصراع الواقعى على مواقف تشكل فيها إحدى الجماعات تهديدا مباشرا للجماعة الأخرى (مثال: لى فاين - كامبل ١٩٧٢ ص ٢٩ - ٤٢)(٣٧٢).

غير أنه من الممكن تحديد أشكال أخرى للصراع الجماعى على المصالح، حيث لا ينطبق مفهوم التهديد الواقعى على مثل هذه الأشكال، ورغم أن هذه الأشكال من تضارب المصالح سبق ملاحظتها فى أدبيات البحوث، فإن تطبيقها على نظرية الصراع الواقعى لم تظهر قبل شريف، فمثلا تشمل علاقة السيطرة والاستغلال بين الجماعات صراعا فى المصالح، فى هذه الحالة، فالاتجاهات السلبية التى تحملها جماعة ضد جماعة تستغلها أو تسيطر عليها لا تحتاج لانتظار حدوث التهديد من هذه الجماعة. والحقيقة يشار إلى أن ذلك الصراع فى المصالح يتضمن دافعا لـ "الأمل فى الكسب، أكثر من الخوف من الخسارة". (هاردنج وآخرون ١٩٦٩ ص ١٦٦)(٢٥٩). أخيرا يمثل اتخاذ جماعة لجماعة أخرى كبشا للفداء شكلا ثالثا من صراع المصالح بين الجماعات وهو شكل متميز عن كل من الشكلين السابقين (التنافس، السيطرة). فى هذه الحالة فالعداء بين الجماعات، والاضطهاد فى بعض الأحيان لا ينشأ عن تهديد واقعى أو جشع، بقدر ما يتضمن إسنادا للنقد (أو اللوم) إلى جماعة خارجية تسبب فى مشكلات للجماعة الداخلية بصورة تضر بهذه الجماعة.

يمكن تمييز ثلاثة أشكال أساسية لصراع المصالح بين الجماعات، فى كل شكل يؤدى التعصب وظيفة من وظائف الجماعة الداخلية، لكن كل من هذه الأشكال الثلاثة تؤدى إلى ثلاثة أنماط متميزة للتعصب، هذه الأشكال قد تختلف أيضا باختلاف الوضع البنائى للجماعات وسط هذه الأنساق المتصارعة، فسوف تختلف بالطبع أنماط التعصب بين الجماعات المسيطرة والخاضعة، وستحاول الفقرة التالية معالجة نظرية الصراع الواقعى بوصف هذه الأنماط المختلفة لصراع المصالح بين الجماعات، ووصف الأنماط المتميزة للتعصب والتى ظهرت عن كل منها، وسوف تفترض أن كلا من هذه الأنماط التعصبية تتضمن صورة فريدة للجماعة الخارجية، توضح نوعا خاصا من الاستجابة الوجدانية والسلوكية لها، تفيد فى تحقيق وظيفة محددة للجماعة الداخلية.

التنافس بين الجماعات: أ - رأى شريف وشريف ١٩٧٩:

حينما تنشغل الجماعات فى أنشطة تنافسية متبادلة الإحباط فيما بينها، كأن يؤدى تحقيق إحداها لكسب معين إلى خسارة للجماعة الأخرى تظهر صور نمطية سلبية تجاه الجماعة الخارجية، وبمرور الوقت يتم تقنين هذه الاتجاهات السلبية فى الجماعة، وتوضع الجماعة الخارجية على مسافة باعتبارها موضعا للتعصب، حتى لو وصل الأمر إلىَ حد ألا يعرف أعضاء الجماعة ما الذى يريدونه من أعضاء الجماعة الخارجية. (ص١٠).

لاحظ لى فاين - كامبل (١٩٧٢)(٣٧٢) أن الجماعات المتنافسة تشكل تهديدا حقيقيا لبعضها البعض وأن ذلك هو التهديد المؤدى إلى «العداء ضد مصدر التهديد» (ص٣٥) بدرجة تتناسب مع مدى هذا التهديد. وهناك قدر كبير من الشواهد التاريخية التى يمكن ذكرها هنا للتدليل على هذا الافتراض (انظر سيمبسون - ينجر ١٩٨٥ الفصل الثالث).(٦٠٤) فمثلا يؤدى التنافس الصريح بين الأمم على أى موضوع سواء كان سياسيا - اقتصاديا، أو غيره، إلى اتجاهات عدائية ملحوظة، ويميل ذلك إلى التطرف خصوصا حينما يأخذ الصراع شكل الحرب الصريحة، ومن الأمثلة جيدة التوثيق على هذا ؛ ما قدمه سينها - أوبادهايا (١٩٦٠) (٦٠٦) عن خلافات الهند - الصين على الحدود عام ١٩٥٩. قام الباحثان بقياس اتجاهات الطلاب الهنود نحو الصينيين قبل المشكلة فى فبراير من هذا العام، وتوصلا إلى صورة محببة عموما نحو الصينيين، فهم أصدقاء، تقدميون، مخلصون شجعان، ومثقفون. وفى ديسمبر من نفس العام وبعد تصاعد حدة المشكلة تكررت الدراسة، وكان وصف الطلاب الهنود فى هذه اللحظة للصينيين أنهم عدوانيون - غير أمناء، قاسون وأغبياء.

قدم بحث شريف ١٩٦٧ دليلا قويا على صدق هذا المنطلق النظرى نحو الجماعات الصغيرة، حيث أجرى ثلاث تجارب ميدانية خلال نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات اكتسبت هذه التجارب بسبب واقعيتها ودقتها ونتائجها الواضحة مكانة هامة باعتبارها من الدراسات الكلاسيكية فى علم النفس الاجتماعى. كان المبحوثون صبية أمريكيين أسوياء - أصحاء، حسنو التوافق، من مستوى متوسط ممن كانوا يحضرون معسكرا صيفيا، كانت هذه المعسكرات الصيفية منظمة بطريقة يمكن عن طريقها اختبار عدد من الفروض حول أثر التنافس والتعاون بين الجماعات على الاتجاهات والسلوك بين الجماعات. وقد أوجد شريف ثلاثة أنواع من الاتصالات أو التفاعلات بطريقة تجريبية.

فى المرحلة الأولى من المعسكر تم تنظيم الأولاد فى جماعات يسود التعاون بين أفرادها وقد أوجدت كل جماعة بناء جماعيا محددا خلال هذه المرحلة تميز بوجود تنظيم للمكانات والمعايير وبالمشاعر الجماعية المحددة.

ثانيا: وضعت الجماعات فى موقف تنافس مع الجماعات الأخرى من خلال سلسلة من المباريات tournaments ، ومن خلال تنظيم أنشطة - المعسكر على أساس تنافسى. وقد أدى ذلك إلى نتائج عديدة لكن أهمها كان استثارة عداء متبادل بين الجماعات يصاحبه تماسك cohesion وتآذر داخل كل منها.

فى المرحلة الأخيرة استحدثت مواقف متتالية كان على الجماعات أن تتعاون فى تحقيق أهداف مرغوبة للجميع، وصاحب النشاط التعاونى نحو هذه الأهداف العليا انخفاض ملحوظ فى التوتر والعداء بين الجماعات.

كانت أهم نتيجتين أن الأهداف الجماعية التنافسية سببت صراعا وعداء بين الجماعات، فى حين أدت الأهداف الجماعية العليا للجميع إلى تعاون واتجاهات إيجابية بين الجماعات.

تم إعادة هذه الدراسات وتأكدت نتائجها فى دراسات ميدانية استخدمت عينات ومواقف مختلفة تماما. (بليك - موتون ١٩٧٩)[٥٩]. بالإضافة إلى دراسات تجريبية (تيرنر ١٩٨١ ص ٦٧-٧٥)[٦٧١]، لكن ما يعطى القوة لنتائج دراسات شريف هى اعتمادها على دراسات تجريبية (تيرنر ١٩٨١)[٦٧١].

قد لا يؤدى التعاون بين الجماعات إلى تحسن فى الاتجاهات المتبادلة فيما بينها، بل قد يؤدى إلى انتشار التحيز إلى الجماعة الداخلية أكثر مما يؤدى إليه التنافس. سنناقش هذه النتائج بتفصيل أكثر فى مناسبة أخرى فى هذا الفصل. لكن هذه النتائج توضح النقطة التى ذكرناها فى أول هذا الفصل وهى أن وجود أهداف متصارعة مقابل أهداف تعاونية ليس العامل الدينامى الاجتماعى الوحيد الذى يحكم الاتجاهات بين الجماعات، فطريقة الاتصال بين الجماعات، والدور المؤسسى الذى تشغله كل جماعة بالمقارنة بالأخرى مهم أيضا ويمكن أن يخلق عداء بين الجماعات حتى لو كانت العلاقات بينهم تعاونية أكثر منها تنافسية.

قامت نظريات سيسيولوجية وتاريخية عديدة بصياغة تفسيرات للعداء العنصرى القائم على التنافس المباشر بين الجماعات، اثنان منهما لهما علاقة بالاتجاهات العنصرية فى جنوب أفريقيا، أولهما نظرية (ماكورنى ١٩٣٧)[٣٩١] والذى صاغ افتراض المواجهة frontier hypothesis و (بوناشيش ١٩٧٢)[٦٨] والذى صاغ نظرية انقسام سوق العمل. فقد أوضحت كيف تترجم عملية التنافس بين الجماعات فى سياق اجتماعى تاريخى معين إلى عداء جماعى قوى.

يبرر ماكورنى ذلك علـى أساس موقف المواجهة frontier situation فى تاريخ جنوب أفريقيا، هذا الذى أدى إلى ظهور تكوين التـعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا، ذلك بالإضافة إلى سمات معينة للمجتمع الأفريقى. فبمجرد انتشار المستعمر الألمانى من مستعـمرته الأولى فى مدينة كيـب تاون إلى الداخل ظهر موقف المواجـهة والصراع من جانـب السود. وكـان من أهم مـلامح موقف المـواجهـة هو الفصـل (العزلـة) المادية، الاجتماعية، والسياسـية، ومشاعر التهديد insecurity الشـديدة فى الكفـاح من أجل البقاء

أدى ذلك إلى إيجـاد مجتمع يتـميز بوعى جمـاعى قوى، وبتركيـز على تماسك الجماعة، وانتشار التمركز العرقى. فى جو الحرب والتهديد تندمج الاتجاهات الدينية مع التميـيز العنصرى، ويتحـول الانفصال بين المسيحـيين والوثنيين إلى انفصـال بين البيض والسـود. يؤدى ذلك إلى أن لون الجلـد والمسيـحية أصـبحتـا أساسـا للوعى الجمـاعى ولاستبعاد ما دون ذلك، وكونتا أساسا لتعصب عنصرى شديد وعميق اكتسب خصائص الطوائف المغلقة.

بينت نظرية (بوناشيش ١٩٧٢)(٦٨) كيف ينشأ العداء العنصرى أو العرقى ethnic من مواقف انقسـام سوق العمل، ووصفت الباحثـة الموقف باعتبار أن العمال يـنقسمون عرقيا أو عنصريا إلى فـئتين تختلف أجورهما بصورة شاسعة مقـابل نفس ما يقومون به من عمل. نتيجة ذلك يحدث صراع فى المصالـح بين الجماعات الرئيسية الثلاثة، رجال الأعمال، جماعة الأجور العالية، جماعـة الأجور الرخيصة. يسعى رجال الأعمال إلى استبدال الأجور العالية بأجور رخيصة، ويسـتجيب العامل عالى الأجر إلى هذا التهديد بالعداء ضد العامل رخـيص الأجر، ويناضل من أجل حماية نفسه، فـإذا كانت جماعة العامل عالى الأجـر قوية بدرجة كافية، فقـد تحاول استبعاد العامـل الرخيص من سوق العمل (مثال ذلك منـع الهجرة أو تقييدها، غير أن ذلك قـد لا يكون ممكنا لأن العامل رخيص الأجر موجود فعلا ولا يمكن استبعاده، فى هذه الحالة قد تحدث ترتيبات للطائفة caste من خلال مجموعـة من القوانين، العادات، والمعتقدات الهادفـة إلى منع جماعة العمال رخيصى الأجر من المنافسة، وكذلك لمنعهم من الحصول على قوة سياسية أو قوة من أى نوع آخر قد تمكنهم فيما بعد من تغيير موقفهم.

الواضح أن هذا النمـوذج ينطبق على جنوب أفريقـيا، فقد حدث تاريخيـا تمييز كبـير فـى الأجور بين المـستوطـنين البـيض وأهل البـلاد السود، فـقد لاحـظ دوبريز (١٩٧٧)(١٧٤) أن نسـبة الأجـور بين البـيض والسـود كانت ١٣,٤ : ١ عـام ١٩١٧،

ومازالـت قريبـة من ذلك عام ١٩٧١ حـيث بلـغت ١٢,٩ : ١. وقد وصل الـصراع الثلاثى بين البيـض - السود - والرأسماليين إلى ذروته عام ١٩٢٢ حـيث تفجرت ثورة العمال البيض rand revolt حينما حـاول الرأسماليون استبـدالهم بالزنوج ذوى الأجر المنخـفض فى مناجـم الذهب. ورغم إخمـاد الثورة، فـقد نجح تحـالف حزب العـمال البيض، والحزب الوطنى مـع مساندة الحزب الأفريقى للفلاحين فى الـفوز فى انتخابات عام ١٩٢٤. وكـما أشار دى كـيويت (١٩٥٧)(١٤٨) فقـد أدى ذلك الوضـع إلى تورط جنوب أفريـقيا فى سيـاسات أكثر انحـيازا للجماعـة البيضاء عـما كانت عليـه من قبل (ص٢٢٤)، وأدت هذه العملية إلى خلق دولة تمييزية apartheid.

إجمالا: فالشـواهد عديدة على أن التنـافس الصريح بين الجمـاعات الاجتمـاعية يرتبط عموما بظهور اتجاهات تعصبية جـماعية، ويبدو أن خبرة التنافس الجماعى تشكل صورة تهديدية للجماعة الخارجية. ويـنتج عن ذلك عداء وازدراء للجماعة الخارجية، مما يؤدى إلى تعبئة الجماعة الداخلية لتتمكن من المواجهة بكفاءة.

علاقات السيطرة والاستغلال بين الجماعات

Inter group dominatand exploitation :

نلاحظ فى الجزء السابق مـن الفصل أن الجماعة حينما تكون فـى تنافس مباشر، يؤدى التهديد الذى تشغله كل جمـاعة نحو الأخرى إلى العداء المتبادل antagdnism ، يشمل هذا العداء النظـر إلى الجماعة المنافسة باعتبـارها أدنى، لكن ذلك ليس ضروريا، فليس من النادر أن تنظر الجماعات إلى منافساتهـا باعتبارها قادرة، قوية وخصما خطيرا meanacing adversaries، مثـال ذلك أن نظرة الحلفاء إلـى ألمانيا النازيـة إبان الحرب العالمية الثانية، ونظرة الأمريكيين إلى الاتحاد السوفيتى خلال الحرب الباردة.

قد تنتهى العلاقة التنافسية بين الجماعات أحيانا بانتصار إحداها، مما يؤدى بها إلى تأسيس وتقنين قوتهـا على الجماعة المهزومة، وإلى استخدام هذه القـوة للمحافظة على التفوق الاقتصادى لذاتها على حساب الجماعة الأخرى. حينما يحدث ذلك ينشأ الاعتقاد أن الجماعة المهزومة هى جـماعة متدنية، ويبدو أن تأسيس علاقة بـين الجماعات قوامها السيطرة والاستـغلال يجعل المعتقدات المنطقـية والتبريرية حول الجماعة المـنكسرة حاجة سيكولوجـية تتمسك الجـماعة المسيطـرة وبدون تخصيص يشـمل ذلك احتقار الجـماعة المهزومة واعتقادا جازما فى أنها متدنية.

رغم النظر إلـى الجماعة المهـزومة والمستـغلة باعتبـارها فى المرتبة الأدنـى، فمن المدهش أنها قد لا تكون مكروهة بالضرورة، بل قد لا يوجه إليها العداء، أوضح ذلك

فاندنبرج (١٩٦٧)[٦٨١]. فى المقارنة الكلاسيكية بين العنصريه التنافسية مقابل العنصرية الأبوية Patermalistic . فى حالة النظام الأبوى يتم تدعيم السيطرة العنصرية بحيث تقبل بغير مناقشة كحق طبيعى من جانب الجميع. وفى هذه الحالة فرغم اعتبار الجماعة الخاضعة فى مكانة أدنى، إلا أن الاتجاه نحوها قد يكون أبويا ولا يضم كراهية أو عداء صريحا، وبقدر ما يقبل أعضاء الجماعة الخاضعة فكرة دونيتهم ويقبلون بالتالى قهرَهم، تشعر الجماعة المسيطرة بمشاعر إيجابية نحوهم.

تؤكد أمثلة تاريخية عديدة الارتباط بين السيطرة والاستغلال وبين الاعتقاد فى تدنى الجماعة المقهورة. (مثال سيمبسون - ينجر ١٩٨٥ فصل ٣)[١٩٨٥]. وربما كانت أكثر حالات السيطرة والاستغلال فى التاريخ البشرى هى حالة العبودية - وهو نظام يصاحبه اعتقاد جازم من جانب ملاك العبيد فى التدنى الطبيعى لعبيدهم، هذا الاعتقاد يلائم الوضع الراهن فيما بينهم. نجد مثلا أن نيوباى (١٩٦٨، مذكور فى أشمور ١٩٧٠) [٢٦] قد لاحظ أن الأمريكى الأبيض توصل إلى استنتاجه أن العبودية هى حالة طبيعية وعادية للزنوج فقط حينما أدخل نظام العبيد (ص ١٩ - ٢٠). وفى حالة جنوب أفريقيا، ربما كان التعصب العنصرى هاما فى تبرير السيطرة السياسية البيضاء على الأغلبية السوداء، دون تبرير وجود إجراءات عديدة اجتماعية وقانونية تضمن التفوق الاقتصادى للبيض والتقهقر للسود.

صاغت نظريات عديدة تفسيرات أكثر تعقيدا للعنصرية على أساس السيطرة والاستغلال، مثال ذلك الماركسيون المخالفون Variant . ؛ فقد صاغ الماركسيون من أمثال كوكس (١٩٤٨)[١٣٨]، رايخ (١٩٧٢)[٥٣٤] فكرة أن العنصرية ظهرت واستمرت على يد الرأسماليين بهدف تنمية المنافسة والتقسيم بين العمال البيض والسود وذلك لزيادة حدة الاستغلال. هذا الرأى على النقيض من بوناسيس، ففى حين نظروا إلى الرأسمالية البيضاء أكثر من العمالة البيضاء كأساس للحكم، أكد كوكس أن التعصب للجنس هو اتجاه اجتماعى ينتشر بين العامة على يد طبقة مستغلة بهدف تأكيد تدنى بعض الجماعات، وبذلك يمكن تبرير استغلال كل من الجماعة ذاتها، أو استغلال مواردها أو ممتلكاتها (١٩٤٨ ص٣٤٣)[١٣٨]. و يمكن تطبيق هذه الحجج على جنوب أفريقيا والولايات المتحدة، لكن فى العادة ما ينظر إليها فى شك بقدر عدم كفاية الأدلة عليها (أشمور - ديلبوكا ١٩٧٦).

تفترض النظرية أيضا أن البيض ذوى المكانة الاقتصادية الاجتماعية العالية سوف يعبرون عن تعصب أكبر من نظرائهم فى المكانة الأقل، فى حين أن العكس كان هو

الصحيح فى نتائج الأبحاث الأمبيريقية. (هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، هايمان - رايت ١٩٧٩[٢٩٣]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]). لذلك يبدو أن العمال البيض يعبرون عن تعصب عنصرى أكثر مما يعبر عنه الرأسماليون البيض. على وجه العموم يبدو أن المتاح أمامنا دلائل تجريبية ضئيلة على دور السيطرة والاستغلال فى ظهور التعصب، ربما يرجع ذلك إلى صعوبات عملية واضحة تشوب تصميم وإجراء مثل هذه البحوث، إلا أن دراسة نفسية اجتماعية رغم أنها أجريت لهدف مختلف، إلا أنها تبدو مرتبطة جدا بالموضوع. هذه الدراسة أجراها هانى - زمباردو (١٩٧٦)[٢٥٦] تم فيها خلق جو شبيه ببيئة السجن فى معسكر جامعة ستانفرد وذلك لإيضاح أثر الدور غير الشخصى De Individuated Role على السلوك فى ظروف مؤسسية؛ تم اختيار طلاب وأعطى لهم أجرا على أداء دورهم إما كحراس أو كمساجين لمدة أسبوعين، كان المبحوثون شبابا أسوياء، أذكياء، من الطبقة المتوسطة، وليس لهم أى سوابق مضادة للقانون كما كان توزيعهم على أدوار الحارس - السجين عشوائيا. تمت ملاحظة المبحوثين بدقة خلال الدراسة، ولم يكن مفروضا أن يتدخل المجرب فى سلوكهم بأى طريقة، غير أن نتيجة الدراسة كانت مثيرة للاضطراب لدرجة أن المجرب اضطر إلى أن يوقفها بعد ستة أيام. فمنذ البداية بدأ الحراس فى إطلاق أسماء مثيرة للاحتقار على المساجين كما ظهرت صور نمطية متدنية للغاية بسرعة فى أذهان الحراس. وبمرور الوقت أظهر الحراس سلوكا وحشيا ساديا غير إنسانى تجاه المساجين، كما عانى نصفهم من انهيار عصبى ووجدانى فى الوقت الذى كان على المجرب أن يوقف التجربة.

جرى العُرف على تفسير هذه الدراسة باعتبارها تظهر قوة المواقف الاجتماعية والأدوار فى تكوين السلوك، لكنها فى الوقت نفسه تبين كيف تخلق سيطرة جماعة على أخرى ضغوطا سيكولوجية على الأخيرة لتبرير الموقف، وذلك بظهور معتقدات تنتقص من قدرها، وكذلك مشاعر عدائية موجهه إلى الجماعة المقهورة. وإجمالا يبدو أن السيطرة والاستغلال يخلق اتجاهات تعصبية بين الجماعات يزداد احتمالها بزيادة درجة الوضوح فى المنافسة بينهما، إلا أن نمط التعصب يختلف، فالجماعة المهزومة لا يمكن أن ينظر إليها كمصدر تهديد، وليست بالضرورة مكروهة، لكنها تعتبر متدنية ومحتقرة. هذه الصورة من جانب الجماعة المسيطرة تتضمن عملية التبرير السيكولوجى والتى تهدف إلى تفسير سلوك القهر Oppression والاستغلال Exploitation.

الجماعة فى وظيفة كبش الفداء Ingroup Scape Goating :

يتصور السيكولوجيون عملية كبش الفداء على أساس نظرية الإحباط - العدوان - الإزاحة Frustration - Aggression - Displacement (مثال لى فاين - كامبل ١٩٧١)(١٩٧٢). لكن تاجفيل (١٩٨١)(٦٤٥) أشار إلى أن عملية كبش الفداء يمكن اعتبارها مصطلحا عاما أكثر شمولا من مجرد إزاحة العدوان، فقد افترض إمكانية النظر إليها على أساس إسناد Attribution السببية الاجتماعية بطريقة تؤدى إلى تحقيق وظيفة الجماعة. هكذا أشار إلى الظروف بين الجماعات ،إذ قد يكون من المهم بالنسبة لإحداها أن تبحث عن "أسباب للحوادث الاجتماعية المقلقة. . . فى سمات أو نوايا أو سلوك الجماعة الخارجية"(ص١٥٥).

وصف ستيفان (١٩٨٣)(٦٢٦) عملية كبش الفداء بمصطلحات مشابهة حيث قال: "إنها عملية يتم بمقتضاها اعتبار شخص أو جماعة سببا فى مشاكل شخص آخر، ويعنى ذلك أنها تشمل أعضاء فى جماعة عالية المستوى يلومون جماعة أقل قوة بسبب مشكلة معينة. . . يتجنب الشخص فى هذه المناورة الدفاعية لوم النفس ويعيد توجيه اللوم إلى الآخرين، وبقدر ما يلوم الجماعة الأخرى على مشكلاته، يكون أقرب إلى التعصب ضدهم" (ص٤٢٥). كما بينت دراسات بليك - موتون (١٩٧٩)(٥٩) كيف يؤدى فشل الجماعة فى مهمتها إلى فقدان التماسك Cohesion ، ورفض القيادة، وإلى حتى رفض الترابط مع الجماعة.

إذا واجهت الجماعة فشلا أو مشكلة وأسندتها إلى أحقاد الخارجين عليها، أو إلى الأقليات، أو الجماعات الخارجية، يمكن بذلك تجنب النتائج الضارةبالجماعة والحفاظ على تماسكها، أو تقوية بنائها. وقد اقترح باباد، وآخرون (١٩٨٣)(٣٠) ساخرا أن تكون القاعدة المفيدة فى وظيفة Functioning الجماعة هى "حينما يوجد توتر ومشكلات اجتماعية يبدو من الصعب التغلب عليها، ابحث عن جماعة بريئة، ضعيفة، واضحة المعالم واجعلها ضحيتك ووجه إليها لومك." (ص١٠٣)

تفترض التفسيرات التاريخية أن اختيار الجماعات لبعضها كبشا للفداء Scape Goating كان عاملا هاما فى معاداة السامية (انظر سيمبسون - ينجر ١٩٧٢(٦٠٣) الفصل ١٠). وقد ظهر ذلك جليا فى غرف الغاز Pogroms بأوروبا الشرقية وفى الاضطهاد Rersecution الذى وصل إلى قمته فى مذابح ألمانيا النازية. فى الحالة الأخيرة أشير إلى أن "اليهود كانوا يعتبرون بين العموم من أعضاء المجتمع الألمانى المسئولين المباشرين عن الكوارث الاقتصادية التى أصابتهم. (ليفن - ليفن ١٩٨٢(٣٧١)

ص ١٨٤). وفى معناه الأشمل، لاحظ بيليج (١٩٧٨)[٥٥] أن الدور الذى تلعبه معاداة السامية حاليا هو تقديم وصياغة مواقف فكرية قادرة على تفسير تشكيلة هائلة من الأمراض الاجتماعية هكذا:

«فمعاداة السامية الوحشية تقوم على اعتقاد أن اليهود يوجهون قوى الشر فى العالم، تؤكد الأفكار الجامدة المعادية للسامية أن اليهود يتحكمون فى وسائل الاتصال ورؤوس الأموال، وأنهم يسعون إلى السيطرة على العالم بنظام يؤدى إلى تدمير الحضارة الغربية، كل الحقائق يتم تفسيرها على ضوء هذا المعتقد واسع الانتشار» ص١٣٢.

أوضحت دراسات تجريبية شيقة أن ظاهرة كبش الفداء هى عملية اجتماعية. وفى دراسة دقيقة أوضح لودرديل وزملاؤه (١٩٨٢)[٣٥٨] أن التهديد الخارجى للجماعة (ليس المتضمن إحباطا) قد يؤدى إلى إيهام بعض أعضاء الجماعة بالخروج عليها Deviant وينبذون. هذا بالإضافة إلى أن مستوى تماسك الجماعة يميل إلى الارتفاع بقدر حدوث عملية الاتهام والنبذ. إجمالا، ترتبط ظاهرة كبش الفداء بين الجماعات بالتعصب ضد الجماعة كبش الفداء. غير أن نمط التعصب يختلف بين جماعات التنافس والسيطرة، فى هذه الأحوال فإسناد المشكلات أو الصعوبات التى تواجهها الجماعة الداخلية إلى جماعة كبش الفداء يؤدى بشكل نمطى إلى النظر إلى الجماعة باعتبارها ماكرة خبيثة، وهى غالبا ما تعبر عن هذا الدهاء بطريقة مستترة Sly وخبيثة Cunning .

يؤدى توجيه اللوم إلى جماعة كبش الفداء إلى المحافظة على تماسك الجماعة الداخلية، ويؤدى إلى العداء التأديبى Puntive Hostitity نحوها وربما أدى إلى اضطهادها الدورى أو الدائم. ويشير بركوفيتز - جرين (١٩٦٢)[٤٧] إلى أن جماعات كبش الفداء تتصف فى العادة بصفات مكروهة أو محتقرة اجتماعيا. تميل هذه الجماعات أيضا إلى أن تكون أضعف من الجماعة الداخلية وإلا لأصبح الاضطهاد فعليا نتيجة للتهديد من جانب الجماعة لو كانت قوية.

الاستجابة للقهر والاضطهاد Oppression, Persecution :

حتى الآن لم نتطرق مناقشتنا لاستجابة الجماعات الخاضعة وجماعات كبش الفداء للقهر والاضطهاد، أشار تاجفيل إلى أن من العادة افتراض أن الاستجابة المنطقية التى تصدر عن جماعات مقهورة أو مضطهدة ستكون عداء موجها ضد من يضطهدهم، هذه الاستجابة التى أسماها(ألبورت ١٩٥٤)[١٢] الاستجابةالعقابية الخارجية Extrapunitive، لكن ذلك لا يحدث بالضرورة فى الواقع، ففى بعض الأحوال تتقبل الجماعة المقهورة

سيادة الجماعة المسيطرة، كما تتقبل فكرة أنها متدنية وفى بعض الأحوال قد تصل إلى ما يسمى بكراهية الذات (ليفين ١٩٤٨)[٣٧٥]. أسمى ألبورت (١٩٥٤)[١٢] ذلك بالاستجابة العقابية الذاتية Intropunitive والتى فيها يميل الشخص «إذا لم يوجه اللوم فعليا إلى ذاته، فإنه يحمل نفسه المسئولية عن هذا الموقف» ص ١٦٠.

ظهرت هذه الاستجابة العقابية الداخلية فى العديد من الدراسات الاستعراضية Review (مثال: الدراسة الاستعراضية التى أجراها ميلنر ١٩٨٣[٤٣٦]، تاجفيل ١٩٨١)[٦٤٥]، وتعتبر الدراسة الاستعراضية التى أجراها كلارك فى الأربعينيات نموذجا للدراسات الكلاسيكية المبكرة والتى توصل فيها إلى رفض الجماعات الداخلية وتفضيل الجماعات الخارجية بين الأطفال الأمريكيين الزنوج. تم تأكيد هذه الاستجابة أيضا بين جماعات الأقليات عالية المكانة، حيث يؤدى الارتباط بين تميزهم الاجتماعى واستهدافهم السياسى إلى أن يكونوا جماعة كبش فداء اجتماعى واقعية أو محتملة، من أمثلة هذه الجماعات اليهود فى غرب أوروبا (سيمبسون - ينجر ١٩٨٥)[٦٠٤]، والصينيون فى جنوب شرقى آسيا (هيوستون - وارد ١٩٨٥)[٢٧٩].

فى حالة نمط العقاب الذاتى يرفض أعضاء الجماعة المنبوذة جماعتهم ويفضلون الجماعة الخارجية، وربما يصل بهم الأمر إلى تكوين اتجاهات تعصبية وممارسة السلوك التعصبى ضد أنفسهم. يرتبط ذلك غالبا بإسناد لوم الذات، هذا الإسناد الذى يعنى إسناد مشاعر التدنى الاجتماعى والتمييز إلى عوامل ترجع إلى سماتهم المتدنية (هيوستون - وارد ١٩٨٥)[٢٧٩].

على ذلك ينظر أعضاء الجماعة إلى الجماعة الخارجية باعتبارها متقدمة، بالتالى يستجيبون لها بالطاعة، وبإظهار الإعجاب والاستيعاب، وبالخجل نحو هذه الجماعة المسيطرة. يبدو أن الاستجابة العقابية الداخلية تجافى الطبيعة الوظيفية للجماعة ظاهريا، حيث تؤدى إلى انتشار العجز Helplessness والانسحاب Resignation، لكن هذه المشاعر فى ذاتها تعتبر ضرورية للتلاؤم مع وضعهم المقهور.

الحقيقة أنه فى ظروف معينة تصبح هذه المشاعر ذات فائدة كبيرة، وذلك حينما لا يمكن تغيير النظام القاهر (نظام القهر) بصورة واقعية، أو حينما تكون الجماعة المقهورة أضعف من أن تحرر نفسها. فى هذه الظروف تضمن الاستجابة العقابية الذاتية الاعتراف السلبى بالظلم بدلا من القيام بأفعال قد تستثير تشديد الإجراءات التعسفية وربما إلى أساسيات الإبادة Genocidal، فى هذا الموقف يصبح لنمط العقاب الذاتى قيمة مصيرية Survival للجماعة المقهورة. هناك سؤال هام وهو ماذا يحدد طبيعة استجابة الجماعة

المقهــورة من حيث إما قــبول تدنيها بــصورة عقابيــة ذاتية أو الاستجــابة بصورة عقــابية خارجية Extra Punitive بالعداء ضد المعتدى؟. افترض تاجفيل (١٩٨١)[٦٤٥] أنه على المستوى السيكلوجى يقدر مدى قبول الجماعة الداخلية لتدنيها، واكتساب هوية اجتماعية سلبية بقدر إدراك هذه الجــماعة لثبات واستقرار وشرعيــة الوضع الراهن فى توزيع القوة والمكانة بين الجماعــات. (مثال ذلك إذا لم يكن هناك فرصة لتغيــير هذا التوزيع). من جهــة أخرى إذا كانت النــظرة إلى الوضع الراهن بــاعتباره غــير مستــقر وغيــر شرعى، فسترفض الجماعة المقهورة ذلك الوضع وربما تغير استجابتها إلى النمط العقابى الخارجى Extra Punitive . ما الذى يسبب مثل هذا التغير فى الإدراك والمعتقد؟

حسبـــما ترى نـظريــة الصـراع الجمـاعى الـواقعى RCT تنشـأ التغيـرات فى الإدراك بسـبب الــتغيرات الــتاريخية الواقــعية فى توازن القــوى بين الجماعــات، فعند حدوث تغيــرات اجتماعيــة تاريخية اقتــصادية، يؤدى ذلك إلى تكوين إمكــانية حدوث تغيـرات حقيــقية فــى نظام القهـر المستقـر، بالتالى سـيميــل المقهور إلــى إدراك النظام الاجتماعــى باعتباره غير مــستقر وغير مــشروع، وبالتالى يتغــير من الاستجابة العــقابية الذاتيــة إلى الاستجابــة العقابيــة الخارجية. ســيرتبط ذلك بــتغير هام فــى أنواع الإسناد الاجتماعى الــتى تصدر عن أعضاء الجماعــة الخاضعة، إذ تتضمن عمــلية تأنيب الذات إسنادا لمشكلة الخضوع الاجــتماعة للجماعة إلى تدنى صفاتهم أو قــدراتهم، يتغير ذلك إلى لوم النظــام أو إسناد خضوعهم إلــى أفعال الجماعــة المسيطرة (جويمونــد - بيجن - بلامر ١٩٨٩[٢٤٣]، هيوستون ١٩٨٨[٢٧٦]).

يبدو أن تغير عملية الإسناد بهذه الطريقة مكون هام لزيادة الوعى الثورى Revolutionary Consciousness Raising وخلــق مــا أشار الــيه بــيلــيج (١٩٧٦)[٥٤] بأيديولوجيــة عدم الرضا Ideology of Discontent، ونتيجــة لهذه العمليات تتــغير الجماعة المقهورة Oppressed من تصور الجماعة المسيطرة الخارجية باعتبارها متفوقة إلى النظر إليها كــجماعة ظالمة وقاهرة. يؤدى ذلك إلى نمو اتجاهات العــداء والاحتقار ضد الجماعــات المسيطرة والاســتجابة لذلك بالــثورة، يؤدى هذا الاتجاه إلى تــعبئة الجــماعة الخاضعة للكــفاح من أجل تغيير علاقة تــوزيع القوة بين الجماعات بمصطلحــات سياسة الكفاح من أجل التحرر.

الاستجابة للثوريين:

ما تأثير ذلك على الجماعة المسيطرة؟؟

حين تبدى الجماعــة الخاضعة تحديا لهذا القــهر، وكلما زاد إفصاحها عن رغــبتها الثورية فى التغيير، تشعر الجماعة المسيطرة بالــتهديد لميزاتها المادية، وللهوية الاجتماعية المرتبطة بالتفوق الطبيعى لها على الجماعة الخاضعة.

يغير إدراك هذا التهـديد من اتجاهات وإدراكات الجماعات المسيطـرة نحو الجماعة الخاضعة، ويفرض نمط الإدراك والاتجاهات السائد فى الـتنافس بين الجماعات نفسه على النمط الخاص بالجماعة السائدة. وبالتالى لا تستمر النظرة إلى الجماعة الخاضعة باعتبارها متدنية، ولكن باعتبارها خاضعة ومتمردة، تستجيب الجماعة السائدة ليس فقط بالسيطرة والازدراء، ولكن بالعداء والخصومة، ويؤدى ذلك النمط إلى تبرير القهر والعنف، .وإلى تعبئة جهود الجماعة المسيطرة للمحافظة على سيادتها. وصف (فاند نبرج ١٩٦٧)(٦٨١) هذا التحول فى مضمون العلاقات العنصريـة، ويعنى له التغير من نمط الهيمنة الوالدية العنصـرية إلى نمط المنـافسة العـنصرية فى تاريـخ البرازيل وجنـوب أفريقيـا والولايات المتحدة.

فى كل الحالات كان التحـول من نظام السيطرة العنصرية المستقـر الآمن نسبيا إلى نظام متصاعد من التنافس والتحدى. مع هذا التغير ظهر تغير فى صورة الجماعة الخاضعة "تغيرت الصور النمطية للجماعة الخاضعة من الزنجى السعيد المتواضع، أو المواطن الذى يعرف مكانه جيدا، إلى الزنجى الجديد العنيف الوقح Cheeky الغادر المتغطرس الماكر أو إلى قبيلة الحثالة Scum والذى يهدد الوضع الراهن" (ص١٢٨).

ثمة استجابة مختلفة تماما من جانب الجـماعة المسيطرة تجاه الجماعة الخاضعة التى تتحدى سيطرتـها، تعتبر استجابة توفيـقية ترتبط بنوع مختلف جدا من الـتعصب. تنشأ الاستجابة حـينما يصل ميزان القـوى بين الجماعتين للدرجة التـى لا يمكن عندها إنكار كفاح الجمـاعة الخاضعة من أجل تغييـر وضعها. يحدث ذلك فى الغـالب عند النقطة التى تتغير فيها علاقات القوة بين الجماعتين للدرجة التى تصل فيها قوة الجماعة الخاضعة أو من الممكن أن يتغير وضعها لتصبح الأقوى.

إذا ظهر الصراع المفتـوح، الذى لا يمكن للجماعة المسيطرة الانـتصار فيه، يؤدى ذلك إلى الـشعور أن سـياسة القـمع والاتجاهات الـعنصريـة العدائيـة الصريحـة ونظرة الازدراء، يصبحان أمرا خطيرا جدا على مصلحة الجماعة المسيطرة حيث يعتبر دعوة إلى الصراع العلـنى وإلى احتمال كـارثة الهزيمة. يؤدى إدراك الجماعـة الخاضعة باعـتبارها قوية، أو قوية لدرجة تحول دون مخاطرة التعامـل بالعنف؛ إلى انتشار اتجاهات الـتسامح الظـاهرى أو ثنـائية المشاعر Ambivalent بين أعضاء الجماعة المسيطرة، وإلى استجابات الاسترضاء Conciliation هذه الاستجابة ذات فائدة واضحة للجماعة الداخلية فهى فى التحليل الـنهائى تخدم أهداف استمـرار الحياة وحب البقاء. مـثل هذا النمط أو الأنماط المشابهة له، قد يصف الاتجاهات المعاصرة لعـدد كبير من الأمريكيين البيض تجاه السـود،

ويبدو أن هذا النمط قد نشأ مع إدراك الكثير منهم أن كفاح السود لا يمكن إدانته قانونا على أساس من القيم الاجتماعية ذات الأهمية كالديمقراطية وتكافؤ الفرص، ويبدو أن التغير فى علاقات القوة بين الجماعات هو تغير أيديولوجى يشمل المشروعية الاجتماعية لكفاح جماعات الأقلية المتماسكة والمصممة على ذلك، ويمكن تطبيق نتائج (مسكوفيشى ١٩٧٦)[٤٤٨] التجريبية على هذا الموقف أكثر من تطبيقها على التغير فى القوى السياسية - الاقتصادية والعسكرية.

أظهرت دراسات عديدة هذا الاتجاه الثنائى من التسامح الظاهرى كغطاء يغطى المشاعر السلبية الدفينة فى الولايات المتحدة، ويبدو أنه يتميز بالالتزام بمبادئ عامة جدا للمساواة العنصرية، ويتميز مع ذلك بمقارنة تطبيق هذا المبدأ فى الواقع (جاكمان - موها ١٩٨٤)[٣٠٢]. رفض الناس الإعراب عن المعتقدات العنصرية الصريحة، بينما يظهر منهم العنصرية الرمزية Symbolic Racism (ماكونا هاى - هيوز ١٩٧٦)[٤١٧] أو التعصب العنصرى العصرى (بيتى جرو - مارتن ١٩٨٧)[٥٠١]، وتتعايش معتقدات الليبرالية والمساواة، مع السلوك التمييزى غير المباشر (كروسبى وآخرون ١٩٨٠[١٤٣]، جايرتنر ١٩٧٣[٢١٩])، فيما عدا المواقف العلنية والعامة حيث يظهر سلوك تمييزى معكوس (ماكونا هاى ١٩٨٣)[٤١٤] Reverse Discrimination .

وحينما يغضب الأفراد أو يتأثرون انفعاليا تحدث ردة إلى العنصرية الصريحة والسلوك التمييزى (روجرز - برنتك ١٩٨١)[٥٤٢]. ويوجد نمط مشابه لذلك عند المتحدثين بالإنجليزية فى جنوب أفريقيا، فقد أوضحت عدد من الدراسات أن المتحدثين بالإنجليزية أقل تعصبا من الأفريكان Afrikaners (دكت ١٩٨٨[١٦٩]، هامبل - كروب ١٩٧٧[٢٥٥]، مينهاردت ١٩٨٠[٤٥٦]) لكن قد يكون الكثير من هذا التسامح ظاهريا، فقد أوضحت الدراسات الأمبيريقية الوجود المتزامن للاتجاهات الليبرالية جنبا إلى جنب مع المحافظة على التباعد الاجتماعى عن السود، وذلك لدى الجنوبيين الأفريقيين الإنجليز. (برستون - هوايت ١٩٧٦)[٥٠٦] ،كذلك وجدت التفرقة العنصرية الوالدية المعكوسة Paternalistic Reverse Discrimination (تايسون - شاشتر - كوبر ١٩٨٨)[٦٧٨].

هناك نتائج هامة تساند فكرة أنه كلما زادت اتجاهات التسامح العنصرى بين الإنجليز فى جنوب أفريقيا يزيد قدر القلق من تزايد قوى مقاومة السود لحكم البيض، فقد توصلت دراسة مسحية واسعة النطاق على البيض فى جنوب أفريقيا إلى أن القلق على المستقبل ارتبط سلبيا بالتعصب العنصرى بين المتحدثين بالإنجليزية منهم، وليس بين المتحدثين باللغة الأفريكانية Afrikaans Speakers (هامبل - كروب ١٩٧٧)[٢٥٥].

وظهرت نتائج مشابهة عموما عند تطبيق إحدى الدراسات أثناء اضطرابات سويتو Soweto Riots، وكانت انتفاضة Uprising سوداء ضد حكم البيض قامت عام ١٠٧٦ (نيودوت، بليج - ماينهاردت ١٩٧٧)[٤٦٢]، استطاع الباحثون مقارنة اتجاهات البيض السابقة مباشرة على هذه الانتفاضة، باتجاهاتهم أثناء حدوثها، وأوضحت المقارنة أن اشتعال هذه الأحداث غيرت من الاتجاهات العنصرية للأفريكان Africaners حيث أصبحت أكثر تعصبية، بينما أصبحت الاتجاهات العنصرية للمتحدثين بالإنجليزية أكثر إيجابية، ولدواعى الدهشة تم إجراء دراسة تالية بعد عام من قمه احداث هذه الانتفاضة توصلت نتائجها إلى أن اتجاهات المتحدثين بالإنجليزية نحو السود أصبحت - بعد هذا العام - أقل إيجابية وربما عاد ذلك إلى أن التهديد بتغير الوضع العنصرى الراهن قد تراجع Receded.

إجمالا فحينما تواجه الجماعة المسيطرة بتحدى من الجماعة الخاضعة، نمطان أساسيان للاستجابة من جانب الجماعة المسيطرة، أحدهما :- إظهار الحنان الأبوى الآمن Secure Paternalism والذى يغطى مشاعر العداء والكراهية. وفى ظروف معينة قد يتم التعبير عنه خلال إستراتيجية للقهر العنيف. بالعكس إذا بدأ أعضاء الجماعة المسيطرة فى الاعتقاد أن دعاوى الجماعة الخاضعة لا يمكن إنكارها وأن كفاحها لا يمكن قهره، سوف تكون الاستجابة بالتهدئة والتى تظهر فى شكل اتجاهات التسامح الظاهرى والمصالحة ثنائية المشاعر.

نظرية الصراع الواقعى : خلاصة

تنسب نظرية الصراع الواقعى التعصب إلى العلاقات بين الجماعات والتى تشمل صراعا فعليا على المصالح، هكذا يؤدى التعصب وظيفة للجماعة التى تعبر عنه، ويبدو أن الشواهد العديدة التاريخية والتجريبية التى ناقشناها تساند الافتراض القائل أن صراع المصالح بين الجماعات يؤدى إلى ظهور الاتجاهات التعصبية فيما بينها، وتنطبق نظرية الصراع الواقعى فى حالات التنافس الصريح والمباشر بين الجماعات المتشابهة نسبيا فى القوة والمكانة. إلا أن البعض جادل فى أنه توجد على الأقل صورتان أخرتان لصراع المصالح بين الجماعات، كلاهما له علاقة بالتعصب. فبينما تظهر الاتجاهات السلبية تحت كل ظرف من هذه الظروف، تسبب الأشكال المختلفة التى يأخذها صراع المصالح الوضع النهائى لكل جماعة فى هذا النسق الصراعى، أنماطا مختلفة نوعيا من التعصب. وتختلف هذه الأنماط على أساس صورة الجماعة الخارجية، وطبيعة الاستجابة الوجدانية والسلوكية التى تستثيرها هذه الصورة، والوظيفة التى تؤديها للجماعة، وهذه الأساسيات يلخصها الجدول (٦-١).

إلا أن ذلك لا يعنى أن التعصب يتحتم أن ينشأ عن صراع المصالح بين الجماعات، فقد لوحظ من العديد من الأبحاث وخصوصا الدراسات التى استخدمت نمط الحد الأدنى للجماعة أن التحيز للجماعة الداخلية والتمييز لصالحها قد يظهر بين الجماعات فى غير صراع للمصالح فيما بينها. هكذا ميز تاجفيل (١٩٨١)[٦٤٥] وغيره من المؤيدين نظرية الهوية الاجتماعية بين التنافس الاجتماعى والمتضمن منافسة على قضايا سيكولوجية محضة مثل الهوية الإيجابية على المستوى الفردى، وبين المكانة النسبية على مستوى الجماعة، ميز ذلك عن الصراع الواقعى على قضايا حقيقية مثل القوة والموارد المادية للثروة. وسنناقش الشروط الاجتماعية العامة Macro Social التى تؤدى إلى التنافس الاجتماعى فى الجزء التالى.

جدول ٦-١

طبيعة الصراع الواقعى وأنماط التعصب بين الجماعات

طبيعة الصراع	صورة الجماعة الخارجية	استجابة للجماعة الداخلية	النظرة إلى الجماعة الخارجية	الوظيفة التى تؤديها للجماعة الداخلية
التنافس	مهددة	العداء	العداء	التهيؤ للصراع
السيطرة (مستمرة)	متدنية	المنطقية	الاحتقار	التبرير
كبش الفداء	حقوده	توجيه اللوم	العقاب	المحافظة على التماسك
القهر (مستمره)	اكثر كفاءة	الخضوع	توجيه اللوم للذات	تجنب الصراع
القهر (غير مستمره)	القمع	الثورة	المبالغة فى العقاب	التعبئة من أجل الكفاح
سيطرة متنازع عليها ١	متدنية ولكن مهددة	الكبت	العداء والاحتقار	التبرير مع التهيؤ للتغيير
سيطرة متنازع عليها ٢	الأقوى	التفاهم	التسامح الظاهرى	تجنب الصراع

التنافس بين الجماعات: Intergroup Soical Competition

كما هو الحال فى الجماعات الصغيرة تفترض نظرية الهوية الاجتماعية أنه على أى مستوى اجتماعى عام Macro Social حينما يسود التمييز بين الجماعات، يؤدى الميل الإنسانى الأساسى للبحث عن هوية اجتماعية إيجابية بالقطع إلى "التنافس الاجتماعى" (هوج - ابرامز ١٩٨٨(٢٨٥)، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩(٦٥٠)). بهذا تميل الجماعات إلى تبنى مواقف تنافسية، على المكانة Status أو الوجاهة Prestiege وذلك فى غياب أىّ صراع "واقعى" للمصالح، غير أننا لاحظنا فى الفصل السابق شواهد عديدة على أن التحيز والتفضيل للجماعة فى المواقف الجماعية الدنيا يتضمن عموما اتجاهات نحو الجماعة الداخلية وليس بالضرورة اتجاهات سلبية نحو الجماعة الخارجية ـ(بروير ١٩٧٩(٧٧)، جايرتنر وآخرون ١٩٨٩(٢٢١)، هنكل وآخرون ١٩٨٩(٢٨١)، هنكل - سكوبلر ١٩٧٩(٢٨٠)، لالوند وآخرون ١٩٨٧(٣٤٧)، بيردو وآخرون ١٩٩٠(٥١١))، وبينما يؤدى مجرد وجود التصنيف بين الجماعات إلى ظهور اتجاهات تفضيل الجماعة الداخلية فلا يعنى ذلك أن تظهر اتجاهات سلبية نحو الجماعة الخارجية. وكما لاحظنا فى مقدمة هذا الفصل قد تكون هذه الاتجاهات محايدة أو حتى إيجابية. ويثير ذلك سؤالا عن ما هيئة الظروف الاجتماعية التى تزيد من المنافسة بين الجماعات والتى تؤدى إلى الاتجاهات التعصبية، حسب نظرية الهوية الاجتماعية.

لسوء الحظ لم تتطرق النظرية إلى هذا الموضوع بصورة مباشرة، والحقيقة أنها أظهرت اهتماما بسيطا بمفهوم التعصب، وأعربت عن شكوكها فى إمكانية اعتبار التحيز لداخل الجماعة مساويا للتعصب. لكن هذه النظرية حددت مجموعتين من العوامل التى تؤدى إلى زيادة حدة التنافس الاجتماعى، **الأولى** هى الدلائل الاجتماعية أو الظروف التى تؤثر فى انتشار التمييز بين الجماعات، **والثانية** هى وجود وطبيعة التباين فى المكانات بين الجماعة الداخلية والخارجية على وجه التحديد، فالعامل الذى يجعل بعض الفوارق بين الجماعات (المجموعة الأولى من العوامل) أكثر سيادة على العوامل الأخرى فى السياق الاجتماعى الطبيعى، هو العامل الهام فى التعصب. وكما لاحظ (بروير - كرامر ١٩٨٥)(٨١) أن "المجتمعات الكبيرة المعقدة تتميز بأنساق متشابكة Multiple Cross-Cutting Systems من التصنيف الاجتماعى، وللأفراد هويات اجتماعية متعددة طبقا لهذه الأنساق، وتستثار كل هوية منها فى مواقف اجتماعية معينة. (ص٢٨٣)، ولسوء الحظ لم يكن لنظرية الهوية الاجتماعية الكثير مما يمكن قوله عن العوامل المحددة لسيادة

فئة تصنيفية اجتمـاعية معينة، وذلك رغم أن (تيرنر ١٩٨٥)[٦٧٢] افترض بعض المبادئ العامة جدا فى صياغة لنظرية تصنيف الذات Self Categorization Theory. غير أن (بروير - كـرامر ١٩٨٥)[٨١] افتـرض عددا من الملامح الاجـتماعيـة العامة لـلاتصال والتفـاعل بين الجماعـات والتى قد تخلق وتحـافظ على التعـصب من خلال التـأثير فى انتشار عمليات التمييز والتفاضل بين الجماعات.

فى أغلب الحالات، تؤثر هذه العوامل فى التعصب بطرق أخرى بالإضافة إلى ما سبق، وسنناقـش ذلك فى الجزء الثانى من هذا الفـصل مع الظروف الاجتماعيـة العامة للاتصال بين الجماعـات والتى تميل إلى الارتـباط بالأنماط الاجـتماعـية للتعصب. ولأن التنافـس الاجتمـاعى يتركـز على المكانة والـوجاهة Prestiege فسـوف يؤثر تفـاضل المكانات على كيفية التنافس بين هذه الجماعات، وبالتبعية يؤثر على الاتجاهات والسلوك بين الجماعات.

ما يتحكـم فى هذا الأمر مجموعتـان من العوامل، المجموعـة الأولى هى نفاذية الحدود Permeatability فيما بين هذه الجماعات أى مـا مدى السهولة أو الصعوبة التى يواجهها الشـخص إذا أراد أن يترك جماعة وينضم للـجماعة الخارجية. ثانيـا: مشروعية وثبات الفروق فى المكانات بين الجماعات (هوج - ابرامز ١٩٨٨[٢٨٥]، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩[٦٥٠]، فان كنيبنبرج ١٩٨٩[٦٨٥]).

تعتبر نفاذية الحدود بـين الجماعات عاملا مهما يحكم استجابة الجـماعة منخفضة المكانة؛ وذلك لأن الحـراك الاجتماعى للجـماعة سوف يكون الإسـتراتيجيـة الواضحة لأعضاء هـذه الجماعة للمـحافظة على هويـتهم الاجتمـاعية، تؤدى الحدود الـنفاذة بين الجماعات إلى ظـهور توجهات الحراك الاجتمـاعى، وحينما يتـحقـق ذلك الأمر، فمن المفترض أن أفراد الجماعة المتدنية سيكونون أقل تحيزا وتمييزا ضد الجماعة الخارجية الأعلى فى المكانة، هذا بالإضافة إلى الميل للتوحـد بالجماعة الخارجية. يمكن الاستدلال على ذلك من نتائج بعض الدراسات المعملية والتى خـلقت تجريبيا جماعات بينها حدود قابلة للنفاذ.

أوضحت هذه الشـواهد التجريبـية أن توحد أعضاء الجـماعة المتدنيـة يصبح أقل بجماعاتهم، وأكثـر بالجماعات الخارجية وذلك حينما تكون الحـدود بين الجماعتين نفاذة بالمقارنة بمـا لو كانت غير نفـاذة (المرز وآخرون ١٩٩٠[١٨١]، المرز - فان كنيـبنبرج - ويللى ١٩٨٨[١٨٠]). و يؤدى ذلك كما أشار هوج - ابرامز (١٩٨٨)[٢٨٥] * قد يكون من صالح الجمـاعة عالية المكانة أن تتبنى نـسقا لمعتقدات الحراك الاجـتماعى (أو الوعى

الزائف False Consciousness بتعبيرات الماركسيين) تنشره بين الجماعات متدنية المكانة" ص٥٦.

لا يبدو أن دور النفاذية فى الجماعات الاجتماعية العادية كان موضعا لدراسات منهجية، لكن هذا الافتراض يبدو معقولا، فمن المؤكد أن معظم المظاهر الإشكالية الخطيرة للصراع بين الجماعات تظهر حينما تكون الحدود بين الجماعات غير قابلة للاختراق، أى حينما تكون الحدود عرقية، ثقافية أو قومية وبالعكس فبصرف النظر عن درجة نفاذية الحدود بين الجماعات فى الواقع، فإن الاعتقاد فى إمكانية الحراك الاجتماعى مثلما هو الحال فى الطبقات الاجتماعية والجماعات المهنية، يقلل من حدة الصراع والعداء الذى تشعر به الجماعة المتدنية.

لا يبدو أن علماء نظرية الهوية الاجتماعية تطرقوا فى تحليلاتهم إلى آثار النفاذية على التوجهات التى تحملها الجماعة المتدنية نحو الجماعة عالية المكانة، لكن التعصب تزداد حدته ضد من يحاول الحراك من جماعة متدنية إلى أخرى عالية المكانة، المثال على ذلك يتضح فى تاريخ التعصب ضد المهاجرين فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية خلال هذا القرن، والأمثلة الأخرى على ذلك ليست صعبة المنال. ومن المفترض أن تتمكن نظرية الهوية الاجتماعية من تفسير ذلك على ضوء إدراك الجماعة عالية المكانة أن الحراك وخصوصا لمجموعات كبيرة من الأفراد سوف يستثير لديها مشاعر التمايز عن الجماعة المتدنية المكانة.

المجموعة الثانية من العوامل الاجتماعية التى تؤثر فى الاتجاهات الجماعية والسلوك حينما تختلف الجماعات فى المكانات، هى الاستقرار والمشروعية فى الفوارق بين الجماعات فى المكانة. وتعتبر هذه العوامل مهمة خصوصا عندما تكون الحدود بين الجماعات غير قابلة للنفاذية ولا يمكن النظر إلى الحراك الاجتماعى كاختيار متاح.

لاحظنا فى الجزء السابق عن نظرية الصراع الواقعى أن هذه المفاهيم يمكن تطبيقها على الصراع الواقعى بين الجماعات المختلفة فى القوة، خصوصا فى تحديد استجابة الجماعات الخاضعة نحو الجماعة القاهرة (كما يوضح ذلك المقارنة الكلاسيكية التى أجراها (فاندنبرج عام ١٩٦٧) للعنصرية الأبوية مقابل العنصرية التنافسية). تقترح نظرية الهوية الاجتماعية تحليلا مشابها فى أساسياته التى تخالف فقط فى المكانة، فإذا كان إدراك تفاضل المكانات على أنه ثابت ومشروع فسوف تبدى كلا من الجماعات المنخفضة والمرتفعة المكانة تحيزا وتمييزا قليلا ضد الأخرى. فإذا لم تكن أى من الجماعتين قادرة على فهم البدائل المعرفية Cognitive Alternatives لعلاقات المكانة الراهنة، فقد يميل أعضاء الجماعة المتدنية إلى التوحد بالجماعة الخارجية عالية المكانة.

من جهة أخرى فـاذا كان إدراك المميزات Differentials على أنها غيـر مستقرة وغير مشروعة يصيـر من المتوقع أن تظهر كلتا الجماعتين تحيزا وتمـييزا أكثر. ينشأ ذلك من محاولات الجماعـة عالية المكانة الدفاع عن هويتها الإيجابـية المهددة وعن محاولات الجماعة المتدنية تحـسين مكانتها الراهنة. بنيت على النظرية تنبؤات دقـيقة للطريقة التى تستجيب بها الجمـاعة للتغيرات المختلفة فى الاستمرارية والمشروعـية، فعلى سبيل المثال أجرى تيرنر - براون (١٩٧٨)[٦٧٣] تجربة تحكم فيها فـى درجة رؤية الفروق فى المكانة بين الجماعات باعتبارها مشروعة ومستقرة.

وجد البـاحثان أن أعضـاء الجماعة عـالية المكانة تصـرفوا بطريقـة تتسم بالتـحيز والتمييز لجـماعتهم حينما اعتبروا تفـوقهم مشروعا ولكن ليس ثابتا، وبالـعكس مستقرا رغم أنه غير مشروع. من ناحـية أخرى زاد السلوك التمييزى للجماعـة منخفضة المكانة حينما كان إدراكهم لتدنيهم غير مشروع خصوصا لو كان غير مستقر. وتعتبر هذه النتائج متسقـة مع النظرية عموما رغم أننا يجـب ملاحظة أن نتائج هذه الدراسة كانت ضـعيفة نوعا، وليست فى العـادة دالة إحصائيا بعكس التوقعات، فعـدم الاستقرار فى ذاته لم تكن له تأثيرات قاطعة على التمييز أو الفصل بين الجماعات.

اختبر عدد آخـر من الدراسات بعض التنبؤات المستمدة مـن النظرية حول الفروق بين الجماعات فى المكانة (مثال: براون ١٩٧٨[٩١]، كومينز - لوكوود ١٩٧٩[١٢٥]؛ المرز وآخرون ١٩٨٨[١٨٠]، فينشلسك[١٩٨] ١٩٨٦، شـاشـديف - بـوريس ١٩٨٧[٥٦٢]، سكيفنجتون ١٩٨١[٦٠٨]، تاجفيل ١٩٨٢ ب ص ١٦-٢٠[٦٤٧]).

ورغم أن معظم الـنتائج بدت مؤيدة عمـوما، فقد توصلـت دراسات أخرى إلى نتائج غير متسقة (مثال: ميسك - ماكاى ١٩٨٩)[٤٢٧]، هكذا وجدت بعض الدراسات أن الجماعات عـالية المكانة يكون تمييـزها أكبر (مثال: كومـينز - لوكوود ١٩٧٩[١٢٥]، دواس - سنكلير ١٩٧٣[١٥٦]، شاشديف - بوريش ١٩٨٧[٥٦٢]).

ووجدت دراسات أخرى أن الجماعات منخفضة المكانة تميز أكثر (مثال برانثيوت - لاوبل - ليجثون ١٩٧٩[٧٤]، فنشليسك ١٩٨٦)[١٩٨] ولم يجد آخـرون أثرا لاختلاف المكـانة (نج، ١٩٨٥[٤٦٤]، تاجفـيل وآخرون ١٩٧١[٦٤٤])، كمـا لاحظ (تايـلور - موجادام) (١٩٨٧)[٦٥٢] أن نتائج الدراسات المعـملية والميدانية لا تتفق فـى العادة، فقد أكدت الدراسات التجريبـية المعملية أن عدم مشروعية الفـوارق فى المكانة بين الجماعات تزيد من التحيز والتمييز، بينما لم تؤكد بعض الدراسات الميدانية هذه النتائج.

قد يرجع تفسير التناقض إلى عدد من الأسباب المنهجية، حيث لم تهتم بعض الدراسات بإدراك الاستقرار ومشروعية فوارق المكانة (شاديف - بوريس ١٩٨٧)[٥٦٢] بينما لم يهتم آخرون بمدى نجاح محاولاتهم التجريبية فى خلق فروق فى المكانة (كومينز - لوكوود ١٩٧٩)[١٢٥]، وربما كان الأمر يعود إلى إهمال متغيرات مثل المكانة (نج ١٩٨٢)[٤٦٤] كما أن الدراسات الميدانية ربما لم تعط الظروف التاريخية والاجتماعية للمكانات اهتمامها الكافى (كوندور - براون ١٩٨٨)[١٢٧].

يجعل اتساع وتعقيد إمكانيات تطبيق تنبؤات نظرية الهوية الاجتماعية على ظواهر معينة مضللا بعض الشيء عبر الزمن، على ذلك فالنتائج التى لم تكن متوقعة حسب النظرية، أو التى تجيء بعكس النظرية يمكن فى الغالب تفسيرها على أساس أنها لا تتناقض تماما مع النظرية، وكما لاحظنا فى الفصل السابق، يجعل ذلك من الصعب عمل تقييم دقيق للنظرية فى الوقت الراهن.

فى الموقف الاجتماعى الطبيعى، ترتبط الفوارق فى المكانة بالفوارق فى القوة غالبا، كذلك بعلاقات القوة وصراع المصالح، فى هذه الأحوال، من الصعب - إن لم يكن من المستحيل تحليل آثار الفروق فى المكانة على التعصب من خلال هذه العوامل ، غير أن المواقف توجد حين لا تكون فروق المكانة بين الجماعات أو الفئات الاجتماعية - مشوشة بالصراع المباشر فى المصالح، كالفروق بين الريفيين والحضريين، الجماعات المهنية الرجال والنساء فى مواقف لا تكون للفروق فى القوة تأثير، التخصصات الدراسية فى المدارس، فى مثل هذه المواقف يظهر ميل واسع الانتشار لظهور قوالب نمطية واتجاهات تعصبية ضد الجماعة الأدنى فى المكانة، وقد سبق للدراسات أن وثقت مثل هذا التأثير وذلك فى أدبيات الاتصال بين الأفراد المنتمين لجماعات اجتماعية متباينة.

اتضح أن الاتصال بين جماعات متباينة فى مكانتها، خصوصا عندما يكون الاتصال بين جماعات الأغلبية وجماعات الأقلية حيث تكون مكانة الأولى عالية، والثانية منخفضة، يرتبط بشكل متسق مع التعصب بين الجماعات، وبالقوالب النمطية السالبة ضد الجماعة منخفضة المكانة (أمير ١٩٧٦[١٩]، بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]، ستيلن ١٩٨٧[٦٢٨]). ويبدو أن ذلك هو الحال فى أى نوع من عدم المساواة بين الجماعات على أساس الموضوعات ذات القيمة الاجتماعية، فحينما تختلف الجماعات أو يظهر أنها تختلف فى موضوعات مثل الثروة، التعليم، ظروف الحياة، المظهر، المهارة، التحصيل وما إلى ذلك، ينتج ميل قوى وواسع النطاق للتقييم السلبى والتعصب ضد الجماعة الأدنى فى المرتبة.

ليس من الواضح أن نـظرية الهوية الاجتمـاعية تستطـيع تقديم تفسيـر كاف لهذه النتائـج، خصوصا لأن الكثـير من الفوارق فى المـكانة تعتبـر فى رأى الجميع مـشروعة ومستقرة. هذا بالإضـافة إلى توافر الدلائل على أن القوالب النمطية السـلبية والتعصب ضد الجماعات منخـفضة المكانة قد يظهر من أشخاص بعيـدين تماما عن الجماعات ذات العلاقة أو ذلك الاتصال بهذه الجماعة.(ليرنر ١٩٨٠ (٣٦٤)، ليرنر - ميلر ١٩٧٨ (٣٦٥)، رايان ١٩٧١ (٥٦٠)). هؤلاء الأشخاص الـذين تؤثر فيهم اعتـبارات الهوية الاجتمـاعية والتمييز الإيجابى لـصالح جماعة معينة. اتضح أن هذا التأثير يعـكس ميلا أساسيا إلى لوم أعضاء الجماعـات سيئة الحظ أو منخفضة المكانة أو موضـع الظلم على أساس معين من تفسير هـذا التدنى أو هذه السمات السلبيـة، سنناقش هذه التفسيرات بالـتفصيل فى الفصل القادم، وسـتوصلنا هذه التفسيـرات إلى أسباب شيوع التعصب ضـد الجماعات منخفضة المكانة. إجمالا فمجرد تقسيمـنا للأفراد إلى جماعات يثير التنافس بينها على المكانة النسبية والوجاهة الاجتماعية، ويخلق ذلك تحيزا وتمييزا لصالح الجماعة الداخلية. غير أن ذلـك لا يتضمن بالضـرورة احتقارا للجـماعة الخارجـية. تفترض نظريـة الهوية الاجتمـاعية مجموعـتين من العوامل المؤثرة عـلى التنافس الاجتمـاعى، والتى يمكن أن تقوى هذه التحيزات وتحـولها إلى اتجاهات عدائية تعصبية ضد الجـماعة الخارجية. هذه العوامل هى:

أولا : المؤشرات Cues الاجتماعـية والظروف التى تجعل مـعيارا معينا لتـقسيم الجماعات هو السائد.

ثانيا : الفوارق بين الجماعات فى المكانة.

حظى العـامل الأول بتجاهل واسع الـنطاق من جانب نظرية الـهوية الاجتمـاعية وسنناقشه فى الجزء التالى، أما تأثير فوارق المكانة Status Differentials على السلوك والاتجـاهات بين الجـمـاعات، فـمن المـفتـرض أن يخـتلف بـاختـلاف عـوامل مـثل نفاذية Permeability الحواجز بين الجماعات وثبات ومشروعية الفوارق فى المكانات بين الأفراد. ورغم وجـود العديد مـن الشواهد التـجريبيـة المؤيدة، فقـد شاب هذا التـأثير التناقض وعدم الشمولية، بالإضافة إلى أنه حـينما توجد فوارق فى المكانة فى الجماعات الاجتماعيـة الطبيعية يبدو من المحتم أن يـرتبط ذلك بالتعصب ضد الجماعـات منخفضة المكانة. إن أفضـل ما يفسر انتشـار التعصب ضد الجمـاعات منخفضـة المكانة - وليس مرتفعها - هو على ما يبدو عملية الإسناد مثل لوم الضحية Victim Blaming أكثر من الميل إلى البحث عن هوية اجتماعية إيجابية.

قد تؤثر الهوية الاجتماعية فى تعديل ذلك كأن تقوّى حدة التعصب ضد الجماعة منخفضة المكانة حينما تكون مصالح الجماعة مرتفعة المكانة موضع تهديد أو عدم أمن، أو أن تعبر الجماعة منخفضة المكانة عن التعصب ضد الجماعة المرتفعة المكانة حينما يظهر أن تفوق الأخيرة غير مشروع أو غير مستقر. ومن الضرورى إجراء أبحاث منهجية لتأكيد أو إيضاح الآثار التى توقعتها نظرية الهوية الاجتماعية للفوارق فى الإمكانات فى شروط متباينة من النفاذية والاستقرار والمشروعية على اتجاهات وسلوك الجماعات. **الأولوية الثانية** فى الأبحاث يجب أن توجه إلى التأكد متى تؤدى هذه التأثيرات إلى التعصب وليس فقط إلى تأييد الجماعة الداخلية. غاية ثالثة هامة يجب على الأبحاث تحقيقها هى تقديم تفسير للعلاقة المتبادلة بين الصراعات الواقعية الجماعية فى المصالح وبين مجرد التنافس الاجتماعى على المكانة فى التأثير على الاتجاهات والسلوكيات بين الجماعات. فإذا كانت العلاقتان متكاملتين كما تصور تاجفيل (١٩٨٢أ)[٦٤٦] فمن السهل دمجها فى إطار أوسع، قد يكون مؤداه أن التنافس الاجتماعى يصبح الحاسم حينما تغيب الصراعات الواقعية أو تضعف، لكنه يخبو حينما يكون صراع المصالح أقوى. وقد اهتم عدد قليل من الدراسات بمقارنة تأثير الصراع الواقعى بالتنافس الاجتماعى فى الظروف الطبيعية، وتوصلت فى العادة إلى أن الصراع الواقعى مؤشر أقوى للتنبؤ بالاتجاهات والسلوك بين الجماعات. (براون وآخرون ١٩٨٦[٩٥]، براون - ويليامز ١٩٨٤[٩٨]، كيلى ١٩٨٨[٣٢١]).

ظروف الاتصال بين الجماعات: Intergroup Contact conditions

لاحظنا قبل نهاية الجزء السابق بقليل أن الجماعات المختلفة المكانة حينما يحدث بينها اتصال، فقد يظهر التعصب ضد الجماعة المنخفضة المكانة من خلال عمليات الإسناد، على ذلك فالصراع أو التنافس سواء كان واقعيا أو كان على المكانة النسبية، لا يبدو شرطا ضروريا لظهور الاتجاهات التعصبية ذات الطابع الإجماعى Consensual بين الجماعات، وثمة شروط أخرى للاتصال على المستوى الاجتماعى العام Macrosocial بين الجماعات قادرة على إيجاد والمحافظة على التعصّب بغير أى نوع من الصراع.

ينظر السيكولوجيون إلى الاتصال بين الجماعات على أساس أن نوع الاتصال الشخصى بين أفراد من جماعات مختلفة يقلل التعصب. وهناك كم كبير من الأبحاث التى دارت حول هذا الموضوع والذى يتلخص فى "فرض الاتصال" Contact Hypoth-esis، غير أن القضية هنا ليست فى آثار الاتصال الشخصى على التعصب الفردى، - وهذا سنناقشة فى الفصل التالى.

فموضــوع الاهتمام هنا هو بأنواع الـظروف الاجتماعيــة العامة Macrosocial للاتصال والتفاعل بين الجماعات الاجتماعية والتى تخلق أنماطا معيارية للتعصب فى هذه الجماعات.

لم يهتم باحثو علـم النفس الاجتماعى عموما بتحديد هذه الـظروف الاجتماعية العامة للاتصال بـين الجماعات، غير أن دراسة حديثة أجـراها بروير - ميلر ١٩٨٤[٨٢] توصلـت إلى أن وجـود صراع أو تنـافس جماعى سـيكون له تأثـير على زيادة أهمـية التـمييـز بين الجماعـات، هذه الأهميــة الزائدة فى ذاتـها تؤثر علـى إثارة الاستجـابات التصنيفية Categorial النمطية الجامدة، والخارجة عن النطاق الفردي Deindividuated وهذه هى الاستجـابات التى تؤدى إلى التعصــب. وقد ذكر الباحثان عـوامل أخرى هى وجود حدود جـماعية متـقاربة Convergent، والمعاملةالمخـتلفة للجماعـات من جانب السلطات الخارجية أو مندوبيها، والحجم النسبى للجماعات المتفاعلة.

هناك اثنان من الظروف الاجتماعية العامة للاتصال أو التفاعل بين الجماعات لهما علاقة بنمو التعـصب بين الجماعات، ينشأ **الأول** حينما تخضع الجـماعات المختلفة إلى قواعد أو أحكام اقتصادية أو اجتماعية مختلفة. خصوصا لو كانوا أعضاء فى نفس البناء الاجتماعى. ناقش (لـى فاين - كامبل ١٩٧٢)[٣٧٢] هذا الموقف، وأوضـحا أنه يؤدى بقوة إلى النمطية الجامـدة والتعصب الجماعى، أخيرا، فإن درجة التميـيز المؤسسى بين الجماعات Institunalized Segregation من ظـروف الاتصـال بين الجـماعـات ذات الأهمية الكبيرة فى التعصب، مثل تلك التى نجدها فى الفصل العنصرى Apartheid فى جنوب أفريقيا، وسنناقش هذه العوامل الاجتماعية العامة تفصيلا فيما يلى:

الحدود المتقاربــة :Convergent Boundaries

كلما تميزت الجماعات بحدود متقاربة - أى بالتقارب فى العديد من الفوارق مثل الفوارق الدينية والطبقية - اللغوية - الموقف السياسى - يزيد احتمال أن يؤدى الاتصال بين الجماعات إلى زيـادة التعصب فيما بينها، يـناقش بروير - ميلر (١٩٨٤)[٨٢] ذلك بقولهما: يحدث ذلك لأنـه "حينما تتحدد عضوية الفئة الاجتـماعية بمحددات عديدة، يزيد احتمال أن يكون أحد مـؤشرات الهوية يرتبط بفئة تتشارك فيهـا الجماعات المتقاربة فى موقف أو أكـثر. (ص ٢٨٣) ، هناك أدلة عديـدة على أن الحدود المتقـاربة أو عدم التشابه على المستـوى بين الجماعى تعتبر محددا هاما للاتجاهـات بين الجماعات، تشمل أغلب هذه الدلائل معاملات الارتباط بين الاتجاهات نحو الجماعات، وبين إدراك التشابه

مع الجماعات الخارجية، وقد سبق أن استعرضنا هذه النتائج فى الفصل السابق عند تناولنا لنظرية الاتساق العقائدى. تكمن مشكلة هذه الأدلة مادمنا نظرنا إليها كأسباب، فى طبيعة معاملات الارتباط، فهى تعنى فى بساطة أننا كما نستنتج أن الكراهية تسبب إدراك الاختلاف Dissimiliraty بنفس ما تعنيه من أن إدراك الاختلاف يسبب الكراهية. (بروير ١٩٦٨)(٧٦). فدرجة تقدير المحكمين المستقلين لتشابه الجماعات لغويا وثقافيا ارتبطت بدرجة عالية بدرجة تفضيل كل جماعة للأخرى، وجد ذلك أيضا بين اثنتا عشرة جماعة عرقية فى كينيا حيث كان تشابه الجماعات مع بعضها - كما يقاس بتقديرات عدد من الباحثين الأنثروبولوجيين على أساس محك مقنن من التشابه اللغوى، والمعتقدات عن وحدة الجذور السلالية المشتركة والنمط الثقافى (لى فاين - كامبل ١٩٧٢)(٣٧٢).

تساند مثل هذه النتائج افتراض أن التعصب بين الجماعات ينتشر ويزداد حينما تتشابه الحدود بين الجماعات الطبيعية مثل الجماعات العنصرية والعرقية، مع مصادر أخرى للتمييز مثل الطبقة الاجتماعية، درجة التحضر، اللغة، أسلوب المعيشة وذلك حتى فى غير وجود صراع واقعى للمصالح.

إنها حقيقة مثيرة للاكتئاب أن تكون الحدود المتقاربة بين الجماعات ظاهرة شائعة وطبيعية، فمثلا حينما تخلق الفروق اللغوية حواجز تعوق الاتصال Com-munication والاحتكاك Contact ، مما يؤدى إلى فروق أوسع فى الثقافة، أسلوب الحياة، المعايير، القيم، لكن تكون هذه الحواجز مفروضة بصورة مصطنعة عن طريق القيود القانونية أو الممارسات التقليدية والتى تحدَ من الحراك الجغرافى والاقتصادى - الاجتماعى.

النتيجة الرئيسية للأنظمة التمييزية الاجتماعية، هو أن تخلق هذه النظم وتدعم اختلاط الحدود الجماعية والتى قد لا يمكن التغلب عليها عن طريق سياسات التكامل كما توضحه الخبرة فى الولايات المتحدة. وحينما تكون الحدود بين الجماعات متقاربة، يجد الأفراد أنفسهم منتمين إلى جماعة معينة على أساس واحد، وإلى جماعات أخرى على محكات أخرى، هذا التقاطع فى الفئات وعضوية الجماعات يجب أن يقلل إدراك انتشار وأهمية عضوية أى جماعة.

تشير الدلائل الأنثروبولوجية إلى أن الولاءات Loyalities المتقاطعة للجماعات من هذا النوع قد تكون ميكانزمات هامة فى تخفيض الصراعات الجماعية والحفاظ على

التكامل الاجتماعى فى المجتمعات القبلية. (لى فاين - كامبل ١٩٧٢)[٣٧٢]، وقد اتضح أن عملية التصنيف الجماعى المتشابك والتى ظهرت بصورة تجريبية، أدت إلى تخفيض التحيز بين والتمييز لجماعات (براون - تيرنر ١٩٧٩[٩٦]، دشامب - دواس ١٩٧٨[١٤٩]، رهم - ليلى - ايميرين ١٩٨٨[٥٣٣]، فان بلير ١٩٨٧[٦٧٩]).

التمييز فى المعاملة: Differential Treatment

يبدو أن مدى التمييز فى المعاملة التى يتعرض لها الأفراد من جماعات أو فئات مختلفة على يد مؤسسة أو جهة خارجية، عامل هام فى خلق ودعم الهويات الجماعية، وفى إبراز الفوارق والتحيزات الجماعية. أشار بروير - ميلر (١٩٨٤)[٨٢] إلى أن الدراسات التى استخدمت مواقف الحد الاجتماعى الأدنى تساند هذا الاستنتاج، حيث تقتصر تدخلات المجرب أو السلطة الخارجية على مجرد تقسيم الأفراد إلى جماعات مختلفة، وأن ذلك يفرض التحيز والتمييز. اتخذ (رابى - هورويتز ١٩٦٩)[٥١٣] خطوة أبعد من ذلك فى إيضاح آثار المعاملة التمييزية بين الجماعات، فلم يؤد تصنيف الأفراد إلى جماعات بأسماء مختلفة إلى تميز للجماعة الداخلية، ولكن بعد أن حصلت إحدى الجماعات بصورة عشوائية على جائزة ولم تحصل الأخرى عليها أظهر أفراد الجماعتين تحيزا دالا نحو جماعتهم.

يبدو أن التمييز بين الجماعات العادية فى المعاملة عامل قوى فى توليد إدراك "المصير المشترك" Common Fate وإظهار الفروق والتعصب بين الجماعات، وقد لاحظ شوارز والد (١٩٨٤)[٥٧٥] من خبرته الإسرائيلية أن المسار الأكاديمى فى المدارس المتكاملة والتى تضع فى الغالب نسبا غير متساوية من اليهود الشرقيين والغربيين فى المسارات الأكاديمية المختلفة، يؤدى إلى زيادة حدة القوالب النمطية والتعصب بين الجماعات، ويزيد هذا التأثير بصورة خاصة حينما تتلقى إحدى الجماعات معاملة أفضل من الأخرى كما يظهر بوضوح فى النظم الطائفية أو التمييزية، مثل التمييز العنصرى Apartheid أو بصورة غير مباشرة كما يظهر ذلك فى التفرقة المؤسسية Institutionalized Discrimi-nation، وفى الحالة الأخيرة تكون العدالة المزعومة دائما لصالح الجماعة الأقوى بذلك يناقش تشسلر (١٩٧٦)[١١٧] فكرة أن "العنصرية المؤسسية فى أمريكا لم تعد تحتاج إلى أفعال عنصرية واعية أو حتى صريحة للمحافظة على استمرارها" (ص٤٢) وافترض أن العنصرية المؤسسية قد تكون العامل الأول فى المحافظة وفى تدعيم القوالب النمطية العنصرية والتعصب فى المجتمع الأمريكى.

إذا أدت المعاملة الظالمة للجماعات فى استثارة التحيز والتعصب فهل يمكن تخفيض أو منع التعصب اذا عوملت الجماعات بصورة عادلة؟

هناك أدلة جيدة على ذلك الأثر، لاحظ كل من (البورت ١٩٥٤(١٢)، أمير ١٩٧٦(١٩)) فى دراساتهما الاستعراضية أن الالتزام القوى بالمعاملةالعادلةوغير المميزة لأفراد الأقليات من جانب السلطات المؤسسية، كانت محددا هاما للتغير الإيجابى فى الاتجاهات بين الجماعات فى مواقف الاحتكاك Contact .

الحجم النسبى للجماعة :

من المفترض أن يؤثر الحجم النسبى للجماعات المتفاعلة فى الاتجاهات المتبادلة فيما بينهما، فقد ذكر (أمير) على سبيل المثال افتراضا تأمليا وهو أن الفصول الدراسية فى الولايات المتحدة لو كانت تضم قرابة ٤٠٪ زنوجا لشكلت الفرصة المثالية لتسهيل القبول المتبادل بين العنصرين، غير أنه عثر على القليل من الدلائل المباشرة على صحة هذا الافتراض. و فى دراسة أحدث، أكد (بروير - كرامر ١٩٨٥)(٨١) أن "التمثيل النسبى المتعادل لفئتين اجتماعيتين من شأنه أن يقلل من سيطرة التمييز الفئوى، حيث إن وجود أقلية واضحة يزيد من سيطرة هذا التمييز" (ص٢٨٥). أوضحت الدراسات التجريبية التى أيدت ذلك أن الأقلية الواضحة - بعكس التمثيل المتساوى- تبرز التمايز بين الجماعات (مولين ١٩٨٣)(٤٥٣) كما تزيد من التحيز لصالح الجماعة الداخلية (شاشديف - بوريس ١٩٨٤)(٥٦١). كما توجد أدلة كثيرة أيضا على "المكانة الفردية Solo Status كأن يوجد زنجى واحد فى جماعة من البيض، يؤدى ذلك إلى زيادة الأنماط الجامدة والتعصب. وقد لاحظ (بيتى جرو - مارتن ١٩٨٩)(٥٠١). أن هذه المواقف من المحتمل شيوعها حينما تشكل جماعة معينة أقلية صغيرة مثل الزنوج الأمريكيين، قد تكون منظمة غالبا وبالتالى تساعد فى ظهور التعصب ضدها.

من جهة أخرى وجد (لونجشور - براجر ١٩٨٥)(٣٨٣) أن الاتجاهات بين الجماعات كانت أقل إيجابية "حينما كان تمثيل الزنوج والبيض عادلا فى الفصول الدراسية غير المميزة عنصريا؛ ذلك لأن من شأن هذا الوضع ألا تستأثر احدى الجماعات بالتحكم فى الفصل .

رغم أن هذه الآراء تبدو متعارضة لكن يمكن التوفيق بينها إذا اعتمد تأثير حجم الجماعة على درجة التنافسية التى تتسم بها العلاقة بين هذه الجماعات، فإذا كانت العلاقات تنافسية أو صراعية، فيمكن للتمثيل النسبى المتساوى أن يستثير الصراع المباشر

على السيادة، وبالتالى يزيد من حدة الصراع والتعصب. فى مثل هذه المواقف إذا كانت إحدى الجماعات بادية الصغر والضعف، فالمحتمل ألا يظهر هذا الصراع، من جهة أخرى إذا كانت العلاقات تعاونية أو غير تنافسية، فقد يقلل التمثيل العادل من حدة عمليات التمييز والمفاضلة .Differentiation .

قد يكون للمكانة والقوة النسبية لكلتا الجماعتين أهمية أيضا، فقد وجد (مسكوفيشى - بايتشلر ١٩٨٨)(٤٤٩) أن الأغلبية العددية حينما تكون لأفرادمنخفضى المكانة، بينما الأقليات من الأفراد مرتفعى المكانة، يؤدى ذلك إلى ظهور تمييز صريح للجماعة الخارجية أكبر فى الدرجة عما سيكون عليه الحال عند وجود أغلبية من ذوى المكانة العالية ، وأقلية من ذوى المكانة المنخفضة. وأفضل الاستنتاجات فى هذه المرحلة هى أنه بينما يؤثر الحجم النسبى للجماعة فى الاتجاهات التعصبية بين الأفراد، فان ذلك التأثير معقد ومتداخل مع تأثيرات متغيرات أخرى مثل درجة التنافسية أو الصراع بين الجماعات والقوة النسبية والمكانة الخاصة بكل منهما.

الفروق فى الأدوار الاجتماعية والاقتصادية:

يؤثر التوزيع التمييزى Differential للأدوار حسب الجماعات الاجتماعية والاقتصادية بقوة فى الطريقة التى تنتظر بها كل جماعة إلى الأخرى. فقد استعرض(لى فاين - كامبل ١٩٧٢)(٣٧٢) مجموعة كبيرة من الشواهد الأنثروبولوجية على أن علاقات الدور بين الجماعات حينما تصبح مؤسسية الطابع ضمن بناء اجتماعى معين، يؤثر ذلك فى محتوى القوالب النمطية التى تحملها كل جماعة عن الأخرى، حيث يقولان "تشكل علاقات الدور المؤسسية أكثر مضامين التفاعل تكرارا ودعما من جانب المجتمع، وذلك بين الجماعات على اختلافها فى درجة التحضر وفى نوع المهنة. تلعب تلك المضامين دورا فى زيادة حساسية الأشخاص لصفات الجماعة ذات العلاقة بهذا الدور، مما يؤدى إلى تحديد الأساس الذى يقوم عليه القالب النمطى، ويسمح بالتالى بإمكانية التنبؤ بالتصورات النمطية التى ستظهر إذا وجدت جماعة عنصرية تحتل مركزا معينا فى النظام الاجتماعى الاقتصادى" . (ص١٥٨ والتركيز من المؤلف الأصلى).

هناك عمليتان لهما فعالية كبيرة فى هذا الأمر، **الأولى** : إذا حدث تفاعل بين فرد من إحدى الجماعات مع فرد من جماعة أخرى فى مهمة أو نشاط على أساس طبيعة الدور المنوط بكل جماعة، فقد يصل كلاهما إلى الاعتقاد أن لا توجد فروق بين الجماعتين فى القدرات وسمات الشخصية المطلوبة لتنفيذ هذه الأنشطة. **العملية الثانية** : تفترض نظرية الهوية الاجتماعية أنه كلما قام التفاعل بين الأفراد من جماعتين

مختلفتين على أساس تقسيم الأدوار بين هـاتين الجماعتين، أدى التفاعل والاحتكاك بين هؤلاء الأفراد إلـى تركيز ودعـم الفروق بين هاتين الجـماعتـين. و يفترض (لـى فاين - كامبل) أن للفـروق بين الجماعات فى الأدوار المهنية والأدوار ذات العلاقـة بالتواجد فى الحضر ، أو الريـف أهمية خاصة ضمن الـنسق الاجتماعى، وهناك أمـثلة على ذلك مثل الجماعـات التى يسودها التعامل فـى علاقة السيد - العبـد، الريفى - ابن المدينة، الرئيس - المرءوس، التاجر - الزبون.

يبدو أن النمط العـنصرى الجامد Racial Stereotype والتعـصب فى كل من جنوب أفريقيا والولايات المتحدة، يتأثر بعدد من هذه الصفات المتقابلة، ففى كلا البلدين نجد السود من سكـان القرى، وينظر اليهم أهل المدن عمـوما باعتبارهم "غيـر مثقفين، سذّج سهـلى الانخداع Gullible، وجهلاء" (ستـيفان ١٩٨٣ ص٤٢٠)(٦٢٦). وبالمثل نجد أن احتـلال الأكثرية السود لأدنى المـستويات الاقتصـادية - الاجتماعـية، يؤدى إلى صورة نمطيـة شائعة عن العامل اليـدوى أو الشخص المتدنى اجتـماعيا باعتـباره جاهلا، كسولا، قذرا، عالى الصـوت، ومتواكلا على الحظ Happy - Go - Luck (ستيفان ١٩٨٣، ص٤٢٠)(٦٢٦) وكل هذه الصفات ترتبط فى النهاية بالصورة النمطية العنصرية.

لاحظ (لى فاين - كامبل ١٩٧٢)(٣٧٢) أنه فى حالات معاداة السامية يمثل التاجر أو رجل الأعمال قالبا نمـطيا مثل (جشع Grasping، متغطرس - متعجرف Haughty خبيث Cunny، شحيح Exclusive، ومستبد Domineering). و يبدو أن الـقوالب النمطية ليهود أوروبا تـقوم حول جماعة عرقية متخصصـة فى التجارة، وتنطبق على أى مكان آخر، كالهنود فى شـرق أفريقيا، الصينيون فى جنوب شـرق آسيا، السوريون فى الشـرق الأوسـط، العرب فـى أثيـوبيـا، اللبنـانيـون فى غـرب أفريقـيا (ص١٥٨). وتـشير الأبحـاث إلى قوالب نمطية مماثلة للـهنود فى جنوب أفريقيا والتـى قد تتأثر فى تشكـيلها بـظهور جـماعاتهـم الواضح فى التـجارة والأعـمال (كيـنلوخ ١٩٧٧(٣٣٤)، ماكورنى ١٩٣٧(٣٩١)).

التعصب وسياسة الفصل العنصرى :Apartheid and Prejudice

اهتمت أعداد كبـيرة من الأدبيات بآثار الاحتكاك بين الجمـاعات على الاتجاهات فيما بينها (مثال: ألبورت ١٩٥٤(١٢)، أمير ١٩٧٦، ستيفـان ١٩٨٧)، فاهتمت معظم الأعمال التى تناولت آثار الاحـتكاك بين الجماعات سواء بصورة مباشـرة أو غير مباشرة على الـتغـير من مـواقف التـفرقـة أو عدم الاحـتكاك، إلى مـواقف عدم الـتفـرقة أو

الاحتكاك، وقد تناقضت هذه البحوث مع الفكرة القائلة أن الاحتكاك سوف يحسن بالضرورة الاتجاهات الاتجاهات فيما بين الجماعات (ألبورت ١٩٥٤، أمير ١٩٧٦[١٩]، ستيفان ١٩٨٧[٦٢٨]) وبذلك فقد تترك سياسة التكامل العنصرى Racial Integration اتجاهات عنصرية بدون تغيير، أو تتغير نحو الأسوأ، إذا طبقت على مواقف كانت التفرقة العنصرية سائدة فيها قبل ذلك.

بالعكس فالتحرك من مواقف التكامل إلى مواقف التمييز العنصرى، لم يكن موضع الاهتمام إلا نادرا سواء من الناحية النظرية أو الأمبيريقية، وليس من الصعب العثور على أسباب ذلك، فالتفرقة كانت مشكلة خطيرة فى الولايات المتحدة وكانت ممقوتة بين العلماء الاجتماعيين عموما، ويبدو أن الفرض الخفى هو أن آثارها على الاتجاهات الجماعية يجب أن تكون سلبية، أو أن التمييز العنصرى يمثل حالة غير محببة تدفع بصاحبها إلى تجنب افتراض إمكانية حدوث آثار إيجابية لها.

غير أن الجدل حول إمكان أن يصبح للتمييز العنصرى أثر إيجابى على الاتجاهات بين الجماعات ظهر بقوة، كذلك أمكن قياسه وتطبيقه على أعمال بارزة وواسعة النطاق من هندسة القهر الاجتماعى. Coercive Social Engineering. مثل سياسة الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا خصوصا السياسة التى رعاها الحزب الوطنى الحاكم بعد عام ١٩٤٨، لهذا السبب فمن المهم للعلماء الاجتماعيين مواجهة وتقييم منطق الفصل العنصرى، وقد استعرض فوستر - فنشليسكو (١٩٨٦)[٢٠٨] مقتطفات من أقوال المهندس الأول لسياسة الفصل العنصرى ما يلى:

"إن المبدأ الهادى للفصل العنصرى يمكن تقديمه فى شكل افتراض الاحتكاك السلبى: بمعنى إذا كان الاحتكاك بين السود والبيض يمكن تخفيضه إلى أدنى حدوده، فستختفى الصراعات والمشكلات العنصرية أو تتضاءل إلى أدنى حد، بينما يستمر "التحضر" و"السلام". ص١٢٠، وتصديا لتقييم هذا الغرض بصورة أمبيريقية على ضوء الأدبيات واسعة الانتشار عن أثر الاحتكاك فى جنوب أفريقيا.، اتبعت طريقة أخرى لتناول الموضوع وهى فحص النتائج الفعلية للفصل العنصرى على الاحتكاك بين العناصر على ضوء التأثيرات الثابتة أمبيريقيا للأنواع المختلفة من الاحتكاك بين الجماعات على الاتجاهات عموما. حيث إن عددا من المبادئ الأساسية حول آثار الاحتكاك قد باتت واضحة جدا من خلال استعراض أدبيات البحوث (أمير ١٩٧٦[١٩]، ستيفان ١٩٨٧[٦٢٨]) وقد استنتجت هذه الاستعراضات التأثيرات المحتملة لمكونات سياسة الفصل والتمييز على الاتجاهات الممكن حدوثها.

رغم أن هدف سياسة الفصل العنصرى كان تقليل الاحتكاك بين الجماعات العنصرية، فقد أوضح تحليل (فوستر - فنسلشكو ١٩٨٦)[٢٠٨] أن أنواعا معينة فقط من الاحتكاك هى التى قلت، فى حين أن باقى الاحتكاكات (الاتصالات) قد استمرت أو زادت. كانت أنواع الاتصال بين الجماعات العنصرية والتى تم منعها هى التى تقوم على المساواة فى المكانة، والاتصالات الشخصية التى اتضح أنها شرط هام من شروط التغيير الإيجابى للاتجاهات بين الجماعات العنصرية. بذلك استنتج الباحثان أن سياسة الفصل العنصرى "تستبعد أغلب الأنشطة التى تحقق شروط الاتصال على أساس التعاون فى إنجاز أهداف مشتركة". (ص٧)، غير أنهما أشارا أيضا إلى أن الاتصال بين الجماعات العنصرية فى جنوب أفريقيا أوسع نطاقا من نظيره فى الولايات المتحدة. وقد سبق أن (لاحظ بيتى جرو ١٩٧١)[٤٩٦] نفس الملاحظة.

يتضمن الاتصال بين الجماعات العنصرية أدوارا اقتصادية رسمية للسيد والمستعبد، وبهذا تظهر أغلب أنواع الاتصالات بين العناصر فى جنوب أفريقيا فى إطار علاقات كعلاقة السيد والخادم، الرئيس والمرءوس، المشرف والعامل، رجل الأعمال والزبون، المخطط والمنفذ. ،فنمط الاتصال الذى يسمح به، ويتم تشجيعه أيضا هو نمط الاتصال غير المتكافئ، بذلك فبدلا من وصف مجتمع التمييز العنصرى باعتباره مجتمع الانفصال، نكون أكثر دقة لو وصفناه بمجتمع الاتصال غير المتكافئ، ونظرا لأن التكافؤ فى الاتصال هو شرط هام لتقليل التعصب، ونظرا لأن الاتصال غير المتكافئ يؤدى إلى تقوية وتدعيم التعصب، فيبدو أن هناك تناقضا أساسيا بين النوايا المعلنة للتمييز العنصرى، وبين آثاره المحتملة على الاتجاهات العنصرية وعلى الصراع.

فى محاولة لتفسير ذلك يمكن الجدل بأن "فرض الاتصال السلبى Negative contact Hypothesis ربما كان تبريرا أجوف لسياسة مختلفة الأهداف، غير أنه يمكن الأخذ فى الاعتبار أن ديناميات الجماعة الاجتماعية والتى نوقشت فى هذا الفصل توصلنا إلى أن افتراض الاتصال السلبى التمييزى قد يكون له منطق سيكولوجى أساسى. يظهر ذلك المنطق بمجرد الانتباه إلى أن الآثار النفسية الاجتماعية للاتصال بين عنصرين غير متكافئين فى مكانتهما، تظهر إطار السيطرة السياسية للبيض، وقد سبق أن لاحظنا فى مناقشة استجابة الجماعة المقهورة إلى الجماعة المسيطرة فى الجزء الخاص بنظرية الصراع الواقعى والتى طرحناها أول هذا الفصل، أن نمط استجابة تأنيب الذات يظهر حينما يتم إدراك علاقات القوة والمكانة باعتبارها ثابتة ومشروعة (تاجفيل ١٩٨١)[٦٤٤].

يعنى ذلك أن كلا من الجماعة المقهورة والجماعة المسيطرة يقبلان بغير نقاش تدنى الجماعة المقهورة وعدم كفاءتها فى المشاركة فى القوة بصورة متكافئة مع الجماعة القاهرة.

تتطلب مثل هذه المعتقدات أن يكون الاتصال الشخصى بين أعضاء هذه الجماعات على أساس من عدم تساوى المكانات، وبمجرد أن يبدأ ظهور اتصال شخصى متكافئ على نطاق واسع، يبدأ افتراض التفوق/ القصور فى الانهيار خصوصا فى نظر الجماعة المقهورة أو متدنية المكانة. بذلك فبمجرد اضمحلال استقرار ومشروعية علاقات القوة بين الجماعات، فستتحول الجماعة المقهورة إلى التوجه بالتأنيب الخارجى إلى الجماعة المسيطرة، ويعنى ذلك تحديا سافرا لعلاقات القوة والتعبئة لمواجهتها. أما من جانب الجماعة القاهرة أو مرتفعة المكانة، فسوف يقلل اتصالها على أساس تكافؤ المكانات مع جماعة من المفترض أنها متدنية ، من التعصب ويضعف من التسليم بتدنى الجماعة الخاضعة، و يخلق ذلك صراعا فى القيم بين أعضاء الجماعة المسيطرة، ويقلل من استعدادها لقبول استخدام أدوات القهر القاسية للمحافظة على النظام الاجتماعى الاستبدادى.

توصلت دراسة (فنشلسكو ١٩٨٨)[١٩٨] إلى توثيق دقيق للاستجابة لخبرة الاتصال على أساس تكافؤ المكانات بين الجماعات العنصرية فى جنوب أفريقيا، فقد درس آثار المشاركة فى برامج تدريبية لجماعات مميزة عنصريا وجماعات متكاملة عنصريا، على اتجاهات الممرضات المتدربات السود والبيض فى مستشفيات مختلفة بجنوب أفريقيا، وحسب المتوقع فضلت كل الجماعات التى شاركت فى برامج متكاملة عنصريا، أن تعود إلى التدريب فى جماعات متكاملة وليس جماعات مميزة عنصريا، غير أن المدهش أكثر أن الجماعات البيضاء مالت بعد التدريب المتكامل إلى تخفيض التحيز لداخل جماعاتها، بمعنى زيادة تقديرها للزنوج، بعكس جماعات السود والتى أظهرت تحيزا أكبر لداخل الجماعة بعد نفس التدريب المتكامل، هذا بالإضافة إلى وعى أكبر بأن العنصر عامل أساسى فى المعاملة غير العادلة للممرضات فى المستشفيات عموما، وعلى ذلك تؤثر خبرة الممرضات الزنوج بالمعاملة المتكافئة فى برامج التدريب فى زيادة وعيهن واحتقارهن للتمييز ضدهن فى المعاملة.

تفترض هذه الحجج والنتائج أن من وجهة نظر الديناميات النفسية الاجتماعية التى تم استعراضها، وجود منطق أساسى وراء سياسة الفصل العنصرى، وهو أنه يمثل

محاولة لاستبقاء ودعم شرعية السيطرة البيضاء فى عقول الأفراد فى كل من الجماعات السوداء والبيضاء، بمعنى خاص أنها محاولة للعمل بما ينادى به مهندسو الفصل العنصرى: السعى لتخفيض الصراع بين الجماعات حتى ولو لم يأخذ شكل التعصب والتمييز، ولكن فى شكل رفض السود لحكم البيض ومقاومته، والفصل العنصرى بهذا المعنى يمكن تناوله باعتباره محاولة لإبقاء الظروف السيكولوجية لاستقرار نظام القهر العنصرى. لا يعنى ذلك أن الفصل العنصرى Apartheid لا يؤدى وظائف أو لا يحقق أهدافا غير ذلك، فالواضح أن له مثل هذه الأمور، ولكن التركيز هنا على وظيفة واحدة وهى محاولة تدعيم الشرعية النفسية المنهارة للنظام الطائفى Caste System من خلال منع الاتصال المتكافئ بين أعضاء الجماعتين المسيطرة والمقهورة.

حتى الآن قد تنجح سياسة الفصل العنصرى فى ذلك، ولكن فشلها فى ترسيخ شرعية السيطرة البيضاء فى عقول الأغلبية السوداء أصبح واضحا بعد عام ١٩٧٦. فى ذلك العام أعلن اشتعال المقاومة الشاملة لسياسة الفصل العنصرى، هذا بالإضافة إلى حملة العقوبات الدولية على جنوب أفريقيا مما جعل استمرار هذه السياسة غير محتمل على الأقل فى صورتها التقليدية، وسواء كان التغير الحادث الآن فى جنوب أفريقيا يشمل التخلى عن سياسة التمييز العنصرى وحكم الرجل الأبيض، أو أن يكون ذلك مجرد تغيير من فصل عنصرى تقليدى شرس إلى صورة متحضرة غير مباشرة تتيح لحكم الرجل الأبيض فرصة الاستمرار، فيما يبدو أن التغير يجمع بين الاحتمالين.

يبدو أن التنافس أو الصراع المباشر فى المصالح بين الجماعات على المكانة، ليس العامل الاجتماعى الوحيد الذى يؤدى إلى العداء بين الجماعات، إذ إن هناك ظروفا معينة للاتصال والتفاعل بين الجماعات تساعد فى تكوين الصور النمطية والتعصب بين الجماعات فى غيبة أى صراع فى المصالح، وحتى لو كانت الجماعات فى حالة تعاون متبادل. (تيرنر ١٩٨١)[٦٧١]، تشمل هذه الظروف تقارب الحدود الجماعية، المعاملة التمييزية بين الجماعات، الحجم النسبى للجماعات (رغم أن تأثير العامل الأخير لم يتضح بجلاء إلى الآن)، وكذلك مدى ما تؤديه الجماعات من أدوار اجتماعية فى علاقاتها بالجماعات الأخرى. والآلية الأساسية التى تؤثر بها الظروف الاجتماعية فى التعصب هى جعل الفوارق بين الجماعات مؤثرة جدا ودعم إسناد الصفات السلبية أو أشكال التدنى إلى الجماعات الخارجية، ويبدو أن لفوارق المكانة بين الجماعات نفس هذا التأثير.

أخيرا، تعتبر سياسة الفصل العنصرى حالة خاصة من التمييز العنصرى ، يتم تبرير وجودها على أساس افتراض أن عدم الاتصال بين العناصر يهدف إلى تخفيض الصراع والعداء فيما بينها.

لكن تلك السياسة تحول فقط دون بعض أنواع الاتصال وهو الاتصال المتكافئ فى المكانة Equal Status Contact والذى يؤثر فى تخفيض التعصب والتميز. ويقال إنه من الممكن حل هذا التناقض الواضح إذا اعتبرنا أن سياسة الفصل العنصرى تهدف إلى محاولة المحافظة على القبول النفسى لمشروعية نظام القهر الطائفى Oppressive Caste system.

الديناميات الاجتماعية للتعصب: استنتاجات عامة:

يعتبر وجود أنماط معيارية Normative أو إجماعية Consensual للتعصب موضع اتفاق عام، وبينما نعتبر تفسير هذه الظاهرة مشكلة علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، توصلنا أبحاث ونظريات كثيرة فى علم النفس الاجتماعى إلى أن الديناميات الاجتماعية الأساسية فى هذه الظاهرة تتشابه بين الجماعات الصغيرة والجماعات الاقتصادية - الاجتماعية الكبيرة.

ركزت أغلب هذه الأعمال على درجة الصراع أو الانسجام بين الجماعات فى المصالح والأهداف، مع كم كبير من الدلائل التى تشير إلى أن الصراع بين الجماعات فى المصالح يتسبب باستمرار فى ظهور العداء والتعصب بين الجماعات، هذا بالإضافة إلى أن الأنماط الخاصة من المصالح المتعارضة بين الجماعات مثل التنافس المباشر، السيطرة، الاستغلال، وكبش الفداء، تبدو أنها تفرض أشكالا من الاتجاهات التعصبية فيما بينها.

إلا أن نظرية الهوية الاجتماعية افترضت أن التنافس الجماعى وما يعقبه من اتجاهات سلبية لا تنشأ بالضرورة من صراع فى المصالح، بل تنشأ أيضا من مجرد وجود تقسيم بين الجماعات، هذا التقسيم الذى يثير التنافس بينها على المكانة النسبية والوجاهة الاجتماعية. وتؤدى الفروق فى المكانات إلى زيادة حدّة المنافسة الجماعية خصوصا حينما لا تكون الحدود فيما بينها قابلة للنفاذية أو أن تصبح الفروق فى المكانة غير آمنة أو غير مستقرة، وما يؤدى إليه ذلك من اتجاهات وسلوك فيما بين الجماعات.

أخيرا، يبدو أن هناك ظروفا اجتماعية عامة للاتصال والتفاعل بين الجماعات تؤدى إلى هذه الأنماط المعيارية من التعصب فيما بين الجماعات، حتى ولو لم يكن تحتوى بالضرورة على صراع أو تنافس، يبدو أن هذه الظروف تسبب أو تدعم التعصب بين

الجماعات بطرق عديدة، بالتالى تؤثر فى انتشار الهويات والتمايزات الجماعية، فهى تشكل طبيعة الاتصال فيما بين الأفراد ومن جماعات مختلفة، كما تدفع إلى إسناد السمات السلبية والتدنى إلى أعضاء الجماعات الخارجية، كما توصلت دراسات عديدة إلى الاتفاق على تأثير ظروف معينة فى ظهور التعصب، مثل التقارب بين حدود الجماعات، المعاملة التمييزية لبعض الجماعات ودور الفروق فى المكانات وما يرتبط بها من عدم العدالة بين الجماعات فى توزيع الثروة، التعليم، الثقافة. أما أثر الحجم النسبى للجماعة فلم يكن موضع اتفاق أو تحديد.

إجمالا، هناك عدد من النواحى التى يسهم بها البناء الاجتماعى فى تكوين التعصب بين الجماعات، أهمها صراع المصالح، التنافس، تهديد تماسك الجماعة والذى يحله إلقاء اللوم على جماعات الأقلية، عدم المساواة بين الجماعات الاجتماعية فى نواحى ذات قيمة اجتماعية، وظروف اجتماعية تجعل من التمييز بين الجماعات سلوكا سائدا منتشرا.

أخيرا، فبينما يمكن تفسير التعصب كظاهرة جماعية أو اجتماعية على أساس ملامح البناء الاجتماعى للجماعات، وطبيعة العلاقات بينها، فمازال التعصب كاتجاه يمثل خبرة فردية، ويثير ذلك سؤالا حاسما عن كيفية اكتساب أو انتقال التعصب كظاهرة جماعية واجتماعية إلى أفراد هذه الجماعات، هذا هو موضوع الفصل القادم.

***

الفصل السابع

انتقال التعصب إلى الأفراد

إذا كان المنطلق الذى ناقشناه فى الفصل السابق هو تفسير الأنماط الاجتماعية للتعصب بردها مباشرة إلى ديناميات الجماعة أو المجتمع، كصراع المصالح أو أدوار الجماعة أو العلاقة بين المكانات، فإن تلك التفسيرات تأخذ فى حسبانها أن التعصب ظاهرة جماعية، اجتماعية ومؤسسية. لكن هذه المنطلقات تحدد كيف يكتسب أعضاء الجماعات المتصارعة تعصبا مشتركا فيما بينهم، فالقضية هنا هى كيف تنتقل السمات النمطية المعيارية للتعصب فى الجماعة إلى أفرادها على شكل معتقدات واتجاهات، يحتاج ذلك إلى نظريات تركز على الفرد فى السياق الاجتماعى والشخصى كوحدة التحليل الأساسية.

كثيرا ما يطلق على الأنماط المشتركة اجتماعيا المعايير الاجتماعية أو الثقافية، من هذا المنطلق يشيع عليهم اسم نظرية المعيار الاجتماعى فى التعصب، وتشكل الديناميات الاجتماعية Social والجماعة Intergroup التى وردت فى الفصل السابق أنماطا خاصة للتعصب فى الجماعات الاجتماعية التى تكتسب حينئذ خصائص معيارية. هنا نجد عمليتين على درجة كبيرة من الأهمية فى نقل معيار التعصب إلى الأفراد هما التنشئة Socialization والانصياع Conformity. وتقدم كلتا العمليتين تفسيرات قوية لكيفية نقل الجماعة لمعتقداتها أو معاييرها إلى أعضائها، وبناء على ذلك كان افتراض تأثيرها كمحددات لتعصب الأفراد شائعا وواسع النطاق (أشمور - ديلبوكا ١٩٧٦[٢٧]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]). ولأن التنشئة والانصياع تبدو تفسيرات واضحة وقوية لكيفية اكتساب الأفراد للتعصب المشترك لمجرد عضويتهم فى الجماعة، فهناك عمليات أخرى كانت موضع التجاهل وربما كان لها دور فى ذلك. من أهم هذه العمليات :

أولا : أن عضوية الجماعة الاجتماعية تؤدى إلى إدراكات شائعة معينة وتفسيرات خاصة بسلوك الجماعات الخارجية التى تتصارع مصالحها مع الجماعة الداخلية، أو التى تختلف فى الدور أو المكانة عن الجماعة الداخلية.

ثانيا : أن مجرد عضوية الجماعة يؤدى إلى أنواع معينة من خبرات الاتصال الشخصى بأعضاء الجماعة الخارجية، يؤدى بعضها إلى تخفيض التعصب، فى حين

يؤدى البعض الآخر إلى ظهور التعصب أو تدعيمه (ألبورت ١٩٥٤[١٢]، أمير ١٩٧٦[١٩]، ستيفان ١٩٨٧[٦٢٧])، نتيجة لذلك فإذا تسببت عضوية جماعة معينة فى خبرات اتصال سلبية مع الجماعات الخارجية، فقد يظهر نمط مشترك للتعصب بين أعضاء هذه الجماعة ضد الجماعة الخارجية بغير شرط وجود أى عوامل أخرى تساعد فى ذلك.

هذان العاملان (عمليتا الإدراك - الإسناد، وخبرات الاتصال الشخصى) تكملان عمليتى التنشئة والانصياع فى تفسير انتقال التعصب، فبينما تفسر التنشئة والانصياع كيف يكتسب الفرد الأنماط القائمة للتعصب من جماعة الاجتماعية، نجد أنها لا تفسر كيف تنشأ هذه الأنماط للمرة الأولى، أى قبل أن يتحول اتجاه تعصبى معين إلى معيار اجتماعى، فلابد أن يتبناه بعض الأفراد الذين يشكلون جماعة اجتماعية، وبالتالى فلابد أن يكون لعمليتى التنشئة والانصياع دورهما فى ذلك.

تؤدى عمليات الإدراك والإسناد، وخبرات الاتصال الشخصى المبنية على عضوية جماعة معينة، إلى ظهور أنماط مشتركة من التعصب فى مواقف لم يكن المعيار الثقافى قد ظهر فيها بعد. وسنناقش هذه العمليات الأربعة ونقيم آثارها فيما تبقى من هذا الفصل.

التنشئة الاجتماعية وتعلم التعصب:

من المتفق عليه عموما أن الاتجاهات الاجتماعية الأساسية فى المجتمع أو الثقافة تكتسب من الطفولة كجزء من عملية التنشئة الاجتماعية (كاتز ١٩٧٦)[٣١٧]، ميلنر ١٩٨١). ويستخدم مفهوم التنشئة غالبا بمعنى عام جدا، فيشير أحيانا إلى آثارها على تنمية خبرات الطفل الاجتماعية والثقافية إجمالا، وذلك كما أشار ميلنر (١٩٨٣)[٤٣٧] «ما حقيقة ذلك العالم الذى يمتصه الطفل؟ إنه تجميع لخبرات إدراك الناس، والأشياء والحوادث، هذه الخبرات التى تميز بين الناس وتساعد فى فهمهم وتقييمهم والاستجابة لهم». (ص٥٤)

ويقلل اتساع هذا المفهوم واشتماله على أشكال متنوعة من العمليات والميكانيزمات التى تكتسب بها الاتجاهات، من دقة ذلك المفهوم لدرجة يصعب الاستفادة منه. لذلك فعندما نناقش اكتساب الاتجاهات الاجتماعية كالتعصب فغالبا ما نقتصر فى تعرضنا للتنشئة على التعلم الاجتماعى من "الآخرين" ذوى الأهمية Significant others بالنسبة للشخص، سواء كان هؤلاء "الآخرون" أفرادا أو جماعات أو مؤسسات، وهكذا سيقتصر مفهومنا على التنشئة فى هذا الفصل على هذه الأبعاد، كما سنعامل

العمليات الاجتماعية الأخرى مثل خبرات الاتصال مع أعضاء الجماعات الخارجية والإدراك الاجتماعى والإسناد والانصياع بطريقة مستقلة رغم إمكان اعتبارها جزءا من عملية التنشئة الاجتماعية بمعناها العريض.

يبدو أن تعلم الاتجاهات الجماعية Intergroup بنفس الطريقة التى تكتسب بها باقى الاتجاهات الاجتماعية Social، لكن السهولة والسرعة التى يتعلم بها الطفل الصغير اتجاهات جماعية معينة يبدو أنها تعتمد على وضوح وانتشار الفروق بين الجماعات، وقد لاحظ تايسون (١٩٨٥) (٦٧١) أنه يوجد العديد من الشواهد على أن لون الجلد من المؤشرات الواضحة للتمييز بين الناس بالنسبة للأطفال ، ويتعلم الطفل هذا المؤشر بأسرع من المؤشرات الجسمية الأخرى كالتركيب التشريحى ، ونوع الشعر . بذلك فالوعى بالفروق العنصرية وبالتفضيل العنصرى ينشأ فى مراحل مبكرة جدا من العمر، غالبا ما بين ثلاثة إلى خمسة أعوام، مقابل الوعى بالفروق الدينية او القومية والتى تظهر فى حوالى العاشرة أو ما بعدها(كاتز١٩٧٦ (٣١٧)، تايسون ١٩٨٥ (٦٧٦)).

ويقترح آبود - سكيرى (١٩٨٤)(٣) فى معرض مناقشتهما للحساسية الخاصة للأطفال إلى الفروق الجسمية الواضحة بين الجماعات العرقية ما يلى "بسبب نقص المعارف المترابطة عن الناس يعتمد الأطفال أكثر من الراشدين على المعلومات الادراكية الواضحة، مثل المعلومات عما يميز الفروق بين الجماعات (كلون الجلد). ولا يشير الأطفال قبل سن العاشرة إلى السمات الداخلية مثل المعتقدات والمشاعر والتى قد تكون أكثر فائدة فى التمييز بين الأفراد، هذا النمط النمائى شائع ومؤثر فى تحديد الذات Self Description بالاضافة إلى تحديد الجماعة العرقية Description Ethnic Group"(ص ٢٥).

ويجب التأكيد كما يشير ميلنر (١٩٨٣)(٤٣٧) على أن تنشئة الطفل على الاتجاهات العنصرية والجماعية للثقافة أو الوسط Milieu الذى يعيشه، ليست عملية تلقين Indoctrination سلبى، بل على العكس "فالطفل يشارك بإيجابية، حيث يشتاق فى البداية إلى الحصول على المعلومات من المصادر المتاحة، وفيما بعد يبحث عن مصادر مستقلة عنه، فالطفل يناضل للوصول إلى فهم للعالم، وهذه مهمة بنائية إجابية وليست مجرد امتصاص Absorption كسول لآراء الوالدين" (ص٥٥). والسؤال الآن إلى أى مدى من الدقة تتم عملية التعليم أو التنشئة؟، فى هذا الصدد فهناك ثلاث قضايا جديرة بالاهتمام :

الأولى : ما هى العمليات أو الميكانزمات التى يتم بها تعلم الاتجاهات العنصرية؟.

الثانية : كيف تتم عملية التعليم عبر مراحل النمو؟.

الثالثة : من هم أهم مسئولى التنشئة الاجتماعية والتعليم؟.

وسناقش كل واحدة من هذه القضايا فيما يلى:

ميكانزمات - آليات - التنشئة الاجتماعية:

يبدو أن الأدلة الملموسة التى تصف كيف يعلّم التعصب قليلة نسبيا. (كاتز ١٩٧٦[٣١٧]، ميلنر ١٩٨٣[٤٣٧]). لكن التقسيم الملحوظ فى أدبيات البحوث يتركز فى التمييز بين عملية اكتساب مباشرة مقابل عملية اكتساب غير مباشرة. ،فقد يمكن تعليم التعصب وتعزيزه بصورة مباشرة ومقصودة، وبالعكس قد ينتقل التعصب بصورة غير مباشرة وبغير قصد شعورى من جانب مسئولى التنشئة Socialization Agents ، ويتم الاكتساب فى هذه الحالة من خلال عمليات التقليد والامتصاصAbsorption .

يعلق ميلنر (١٩٨٣)[٤٣٧] على حالات التعليم المباشر للتعصب أنه «يبدو من المحتمل أن الآباء يقدمون كما كبيرا من التعليمات المباشرة بخصوص القيم والاتجاهات، ويتذكر الجميع مناسبات طفولتهم حينما كان آباؤهم يعربون عن معتقداتهم فى موضوعات معينة ويشجعون أبناءهم على الشعور بما يشعرون» (ص٥٥). وتشير بعض الأبحاث إلى دلائل على أهمية التوجيه المباشر فى تعليم التعصب، فقد وجد هورويتز - هورويتز ١٩٣٨[٢٨٨] أن التوجيه المباشر والمكافأة والعقاب كانت آليات مهمة يستخدمها الآباء فى نقل الاتجاهات العنصرية إلى أبنائهم فى المناطق الريفية فى ولاية تنسى. وقد كان نقل العدوان يتم من خلال توجيه عقاب شديد للأطفال اذا لعبوا مع أطفال زنوج. وتتفق الدراسة السابقة مع ما وجده بيرد - موناسيس - بوردك (١٩٥٢)[٥٦] من أن نصف الأسر البيضاء المشاركة فى عينة الدراسة من مدن الشمال الأمريكى تتمسك بقواعد محددة ضد لعب أطفالهم مع الأطفال الزنوج، كما أن الأطفال الذين حرموا بصورة مباشرة من اللعب مع الأطفال الزنوج كانوا أكثر ميلا للتعصب. غير أن كاتز (١٩٧٦) استنتج أن الدليل على أن الأطفال يتعلمون التعصب مباشرة من آبائهم بطرق تعلم مباشرة، هذا الدليل ضعيف أو غير كاف، وفى هذا السياق أثار ألبورت (١٩٥٤)[٢٧] إمكانية أن التعصب يؤخذ Cought ولا يعطى taught (ص ٣٠).

هناك طرق متعددة يمكن بها تعلم التعصب بصورة غير مباشرة وانتقاله بطريقة غير مقصودة، ويتم اكتساب التعصب بطرق عديدة كالملاحظة والنمذجة Modeling والتوحد، ويمكن للطفل أن يتخذ الطريقة التى يتصرف بها الآخرون ذوى

الأهمية، كاتجاهات أعضاء الجماعة الخارجية نموذجا له مثل أقوالهم، وتعليقاتهم عن الجماعة الخارجية، ونوع الاصطلاحات والرموز التى تطلق على الجماعات العنصرية، هذا بالإضافة إلى أن عملية التوحد الأوسع بالشخصيات المحبوبة وموضع الإعجاب تؤدى إلى تبنى واستدماج نسق كامل للقيم والمعتقدات. (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣١]، ميلنر ١٩٨١[٤٣٦]).

لكن مرة أخرى نلاحظ أن الأدلة المباشرة على تأثير عمليات اتخاذ النموذج والتوحد فى تعلم التعصب قليلة. غير أنه من ناحية أخرى يمكننا استنتاج فاعلية مثل هذه الآليات بسهولة من التعليقات التى تصدر عن الأطفال فى سياق جماعى Inter-group، على سبيل المثال أشار ميلنر (١٩٨٣)[٤٣٧] إلى دراسة غير منشورة أجراها بوشكين، ذكر فيها تعليقات طفل أبيض فى السادسة من عمره يرفض دعوة أطفال زنوج إلى حفل شاى فى منزلة بهذه الكلمات "إذا اضطررت للجلوس إلى جانبهم سيصيبنى انهيار عصبى". (ص٦٠)

ناقش ألبورت(١٩٥٤)[١٢] أهمية تعليم الطفل تعبيرات الاحتقار العرقى مثل زنجى حقير بما تحمله هذه العبارات من معانى وجدانية، ويشيع استخدام الكلمات والعبارات والقوالب النمطية والنكات الدالة على احتقار الأجناس الأخرى سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة بين الأطفال، كما أن استجابة الأشخاص ذوى الأهمية إلى التصرفات العنصرية لذلك الطفل تشكل وسيلة لنقل التعصب. ومن المدهش أن هذه العوامل لم تلق أى انتباه فى أدبيات البحوث.

أخيرا، يمكن تنشئة الطفل على التعصب بطريقة أقل مباشرة، قد يحدث ذلك من خلال تعليم القيم والمعتقدات الاجتماعية التى قد لا تحتوى بذاتها على تعصب، ولكن يمكن تعميمها لتسهيل اكتساب أو تدعيم التعصب كالنقل الاجتماعى للقيم الثقافية والمعتقدات مثل : عدم تحمل الاختلاف Intolerance of Differences، عدم الثقة فى الأغراب ، وفى سلوكياتهم، الفخر المبالغ فيه بهوية الجماعة الداخلية وتقاليدها، كل ذلك يمكن تعميم أثره ليصبح من عوامل التعصب بين الجماعات (البورت ١٩٥٤ ص٢٩٨-٣٠٠)[١٢].

من الأمثلة الأخرى على ذلك تعلم مفاهيم معانى الألوان. فمن المؤكد أن لتعبيرات الألوان معانى دلالية Connotative محددة خصوصا فى حالة دلالة اللون «الأبيض» باعتباره «جيدا»، واللون الأسود باعتباره «سيئا»، وترتبط هذه الدلالات التقويمية بالاتجاهات نحو الجماعات المصنفة إلى أبيض وأسود. اتضح ذلك بصورة جلية

فى الدراسات التى استخدمت التدعيم فى تعديل التحيز التقييمى ضد لون معين (تفضيل اللون الأبيض وكـراهية اللون الأسود) عـند الأطفال، وقد وجـدت الدراسات أن هذه التحيزات تتسع إلى تكويـن اتجاهات المبحوثين نـحو الزنوج. (مثال لهـذه الدراسات اليوت - تايسون ١٩٨٣[١٨٢]، سبنسر - هورويتز ١٩٧٣[٦١٨]). نوقشت هذه الظاهرة ببـعض التـفصيل فـى الفصـل الخامس عـند تعـرضنا لـنظريـة ويليـامز - مـورلاند (١٩٧٦)[٧١٣] عن أن التحيز اللونى ينمو لدى الأطفال الصـغار كنتيجة للخبرات المبكرة عن الظـلام والضوء، لكنـنا لاحظنا دليـلا هاما عـلى أن الأطفال فى سـن ستة أشـهر يفـضلون ويخـتارون الأشـياء السـوداء أكثر مـن البيـضاء (مـاى - ماى ١٩٧٩[٤٠٥]، ١٩٨١[٤٠٦]) مما يعـارض هذه النظرية، وقـد تطرقت المناقـشة المذكورة إلى أن الـعامل المحدد لتفضيـل اللون هو التنشئة الاجتماعيـة. فالمجتمعات تنقل التعـصب إلى أجيالها الجديدة بصـورة مباشرة عن طريـق تعليمها الـصريح وتدعيمـها للاتجاهات والمعـتقدات التعصبية، كذلك تنقله بصورة غيـر مباشرة من خلال الملاحظة واتخاذ نموذج لسلوكيات وألفاظ الآخرين ذوى الأهمية، كذلك خلال القيمة الثقافية كالرمزية اللونية، والتى تتسع لتؤثر عـلى تقييم الجمـاعات الخارجيـة المختلفة عن الجـماعة الداخلية عـلى أساس لون الجلد.

نوقشت قـضية هل التعليـم المباشر أكثر فـاعلية أم التعليـم غير المباشر للـتعصب (مثال: كاتز ١٩٧٦[٣١٧]، ميلنر ١٩٨٣[٤٣٧])، ذلك قد لا يكون سؤالا مفيدا، إذ يبدو واضحا أن كليـهما له أهميته والأدلة على أهـمية كل جانب متوافرة. أمـا السؤال الأكثر أهمية وفـائدة هو فى أى ظروف تصبح الطرق المبـاشرة فى تنشئة الأفراد علـى التعصب أكثر فاعلـية من نظيراتها غير المبـاشرة وبالعكس، فى هذه الحالة يمكنـنا تحديد عدد من الفروض، فمثـلا حينما تميز الجمـاعات بصورة رسمية وحيـنما تكون المشاعر التعـصبية الصريحـة مقبولة حسب مـعايير مجتـمع مثل جنوب أفريقـيا سيكون التعلـيم الصريح والمباشر أكثر أهمية، وينطبق ذلك على حالات التنافس المباشر والعداء الصريح.

أما عند الجـماعات المتكاملـة شكليا، وحينمـا لا يسمح بالتـعبير عن المعـتقدات التعصبية بشكل واضح أو صريح، وحينمـا يكون السائد هو معتقدات الأخوة والمساواة، يصبح التعليم المباشر للتعصب نادرا أو تكون الطرق غير المباشرة فى التنشئة أكثر أهمية.

مـــراحل النمو Stages of Development :

افترض الباحـثون عددا من المخططات Outlines لكيفية ظـهور تكوين الاتجاهات التعصبيـة عبر مراحل التطور المختلفة للأطفـال، فقد حدد جودمان (١٩٥٢)[٢٣١] على

سبيل المثال ثلاثـة مراحل، الأولى فى عمر ثلاث إلى أربع سنوات يكتـسب الطفل وعي عنصريا Racial Awareness ويتعرف على الفروق بين الجماعـات ويستطيع التمييز بين العناصر. المرحلة الثـانية بين عمر ٤ - ٧ يرتبط الوعى العنصرى بالمـشاعر الإيجابية أو السلبية تجاه الجماعات العنـصرية، مكونا توجها عنصريا Racial Orientation. المرحلة الثالثة : عندما يكبـر الطفل يتمايز هذا التوجه العنصرى ويصبح مـتكاملا بحيث يتحول إلى اتجاه عنصرى متكامل عـند الراشد. ورغم اتفاق كاتز (١٩٧٦)[٣١٧] مع هذا التتابع بصورة عامة، فقد افترض نمطا نمائيا أكثر تركيبا، فقد حدد ثماني مراحل متداخلة تبدأ بنمو القدرة على التمـييز بين المؤشرات العنصرية، مثل لون الجلد، تليـها تكون مفاهيم أوليّة Rudimentary عن السود والتى تشمل غالبا مكونات تقييمية Evaluative ، ثم يتعلم تمييز هذا المفهوم عن غيره، ثم يعرف أن هذه المؤشرات أو الدلائل العنصرية Cues ثابتة ونهائيـة. فى حوالى سن الخامسة يتبـلور مفهوم الشخص الأسود حيـنما تتكامل وتترابط المظاهر التقييمية والإدراكية والاعتـقادية، وحينما يتبلور هذا المفهوم تبدأ الفروق بين الجماعات فى الظهور وتقل الفروق فيمـا بين أعضاء كل جماعة على الأقل بالمقارنة بالفروق مع أعضاء الجـماعة الخارجية، أخيرا، توجد مرحلتان تسميـان بالصياغة المعرفية والبلورة الاتجاهية Cognitive Elaboration and Attitude Crystalization تصف هاتان المرحلتـان: زيادة الصياغة، الـتمايز، التكامل والثـبات فى هذه الاتجاهات نتـيجة للخبرة ولتأثير الأقران، والمدرسة، والآخرين.

ليس من السهل تقييم هذه النماذج النمائية Developmental حيث تتسق منطقيا مع ما هو معروف عن نمو الاتجاهات العنصريـة، لكن المتاح من البحوث قليل على هذه النماذج، وبالتالى فليس من الواضح هل يوجد مبرر لما أوردته كاتز من تركيب معقد فى نموذجها، ومن الممكن أيضا أن تقلل هذه النماذج مـن أهمية العوامل الوجدانية بالمقارنة بالعوامل الإدراكية والمعرفية، بذلك فأغلب النظريات تفترض أن الوعى العنصرى يسبق التقييم، كما يتـضح بجلاء فى نظرية جودمان (١٩٥٢)[٢٣١]، وكما أوردها نموذج كاتز أيضا، رغم أن كاتز حذرت من أن كلا من الوعى والتقيـيم قد ينشآن معا، فالكثير من الشواهد توصلت إلى أن التقييم Evaluation يصاحب الوعى بصورة كاملة ويتم تعلمه فى نفس الوقت (كاتز١٩٧٦ ص١٤٩-١٥٠)[٣١٧].

أشار البورت (١٩٥٤ ص٣٠٤-٣٠٨)[١٢] ايضا إلى إمكان تعلم تعبيرات وألفاظ الاحتقار لجماعة مـعينة مثل القدرة على تحديد وتمييز أعضاء الجـماعة موضع الاحتقار، هذه الظاهرة أسـماها التعلم قـبل المعمم Pregeneralized Learning. كمـا عرض باجلى وآخرون (١٩٧٩)[٣١] عددا كبيرا من الشواهد التى تشير إلى أن الأطفال يكتسبون

التعصب أولا من الوجهة العاطفية والانفعالية والتى تسبق قدرتهم على التمييز الدقيق بين الجماعات العرقية.

المسئولون عن التنشئة Agents of Socialization :

افترض آشمور (١٩٧٠)[٢٦] أن المسئولين الأربعة الأوائل عن التنشئة التعصبية والاتجاهات بين الجماعات هم الآباء، الأقران، المدرسة ووسائل الإعلام. درست أثر الوالدين عدد من الدراسات التى فحصت إلى أى مدى يتبنى الطفل اتجاهات والديه، وبعكس التوقعات أشارت النتائج إلى أنه برغم وجود علاقة إيجابية بين اتجاهات الآباء واتجاهات الأبناء، فلم يكن الارتباط قويا، فدراسات (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، أدوارد ١٩٧٢[١٧٨]، ايبشتين - كوموريتا ١٩٦٦[١٨٣])، وجدت هذه الارتباطات متوسطة، فى حين وجدت دراسات أخرى أن الارتباط ضعيف (بيرد وآخرون ١٩٥٢[٥٦]، ديفى ١٩٨٣[١٤٥]، فرنكل - برنزفيك - هافل ١٩٥٣[٢١٢]). وتعتمد قوة هذا الارتباط فيما يبدو على عدد من العوامل بعضها منهجى حيث وجد برانش - نيوكمب (١٩٨٦)[٧٦] أن الارتباط بين اتجاهات الوالدين والأبناء أكبر فى البيانات التى استخدم فيها أسلوب المقابلة - بالمقارنة بالبيانات التى استخدم فيها أسلوب الاستبيانات. ويطرح هذا التضارب أيضا مشكلة التكافؤ Equivalence بين الاستبيانات التى تقدم لكل من الآباء والأبناء، بمعنى آخر أن نفس الفقرة فى الاستبيان قد لا يكون لها نفس المعنى لدى الآباء والأبناء.

ثمة عدد آخر من العوامل التى قد تؤثر فى هذه الارتباطات، فقد وجد كارلسون - ايوفينى (١٩٨٥)[١١٢] أن الارتباطات بين اتجاهات الوالدين وأطفالهما كانت متوسطة القوى لدى عينة البيض، ولكنها لم تكن دالة بين السود فى الولايات المتحدة، ووجد سبنسر (١٩٨٣)[٦١٧] ارتباطا أقوى فى اتجاهات الآباء - الأطفال السود فى الولايات المتحدة؛ وذلك اذا تدخل الآباء بايجابية لتعليم أبنائهم المعتقدات التى فى جانب السود. كذلك كانت علاقات الأب - الطفل قوية كلما كان هذا الطفل صغيرا (برانش - نيوكمب ١٩٨٦[٧٣]، فوستر ١٩٨٦[٢٠٦]). التفسير المحتمل لهذه النتائج هو أن درجة الاتفاق بين الاتجاهات التعصبية للوالدين والطفل تعتمد على درجة اتفاق أو تأييد الأقران أو المجتمع للاتجاهات التعصبية التى يتبناها الوالدان، فكلما ظهر التناقض، يقل تأثير الوالدين اللهم إلا إذا بذل الوالدان دورا نشيطا إيجابيا فى تعليم أبنائهم هذه الاتجاهات.

يبدو من المقبول ومن الصحيح أن الطفل عندما يكبر، يزيد تأثره بالأقران (آشمور ١٩٧٠[٢٦]، آشمور - ديليوكا ١٩٧٦[٢٧]، كاتز ١٩٧٦[٣١٧]). فقد توصلت عدد من

الدراسات إلى ارتباطات دالة بين اتجاهات الراشدين التعصبية واتجاهات أقرانهم (مثال باجلي - فيرما ١٩٧٩[٣١]، باتشن ١٩٨٢[٤٨٦]). لكن لأن هذه المادة تعتمد على الارتباطات فقط، فإن تفسيرها لا يخلو من إشكاليات، فقد تعكس هذه الارتباطات ميولا لاختيار الأصدقاء المتشابهين فى نفس المعتقدات والقيم والخلفية Background أكثر من التأثير السببى للأصدقاء على الاتجاهات، فقد وجدت دراسة لكوهين (١٩٧٧)[١٢٣] على سبيل المثال أن أكثر التشابهات بين الأصدقاء فى الاتجاهات ترجع إلى الاختيار المتجانس Homophilic لبعضهم، كما أن الأبحاث التى حاولت التوصل إلى كيف يؤثر الأصدقاء فى الاتجاهات التعصبية قليلة جدا، بذلك فالأهمية النسبية لعمليات مثل التوجيه المباشر، تقديم المعلومات، الانصياع، التدعيم، النمذجة والتوحد ليست واضحة أو معروفة. بذلك فرغم الاتفاق العام على أن جماعة الرفاق مؤثر قوى فى الاتجاهات التعصبية للأطفال والراشدين، فمعلوماتنا قليلة عن كيفية ودرجة هذا التأثير.

يبدو أن أثر المدرسة والنظام التعليمى على التعصب العنصرى معقد ويعتمد على عوامل مثل التركيب العنصرى فى المدارس، ونوعية العلاقات بين العناصر، طبيعة الفرص المتاحة للاتصال بين العناصر، ومعايير جماعة الأقران والمعلمين (كاتز ١٩٧٦[٣١٧]، ميلنر ١٩٨٣[٤٣٧]، باتشن ١٩٨٢[٤٨٦])، كما أن الأبحاث المباشرة على انتقال الاتجاهات التعصبية عن طريق المعلمين قليلة جدا، فرغم أنه يحدث، فإن أهميته ليست واضحة. أجريت كثير من الأبحاث على دور ومحتوى الكتب الدراسية، فقد أجرى دوبريز (١٩٨٣)[١٧٤] على سبيل المثال مسحا لعدد كبير من الكتب الدراسية المقررة على مدارس جنوب أفريقيا ولاحظ أن عددا من الفروض الضمنية عن "رموز السيادة" كانت واضحة فى هذه الكتب، تضمنت هذه الفروض أن البيض أفضل من السود، وأن جنوب أفريقيا ينتمى إلى مجتمع البيض الأفريقيين. أشار ماكرونى (١٩٣٧)[٣٩١] أيضا إلى أن السبب الشائع الذى أتى به البيض فى عينة دراسة بجنوب أفريقيا لكراهية السود يعود إلى ما فى دروس التاريخ بالمدارس، حيث ركزت دروس هذه المادة إلى الصراع بين البيض والسود، وإلى الفظائع التى ارتكبها السود فى حق البيض.

أخيرا فمن المقبول بين العموم أن وسائل الإعلام تلعب دورا هاما فى نقل ودعم القيم المعيارية والمعتقدات والاتجاهات الخاصة بثقافة أو بمجتمع معين، وقد حظى الأدب خصوصا أدب الأطفال، الفكاهة، الصحافة والتليفزيون باهتمام كبير باعتباره وسيلة نقل التعصب العنصرى (مثال ذلك ميلنر ١٩٨٣)[٤٣٧]، ولقد اتضح أن هناك عددا من الطرق التى يمكن بها توصيل التعصب خلال وسائل الإعلام:

١ - الاستبعاد Ommission أى الميل لتجاهل وجود السود، وقد ظهر بصورة مكثفة فى كتب الأطفال والفكاهة وفى التليفزيون فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، ميلنر ١٩٨٣[٤٣٧]) ويتضمن ذلك - حسب ملاحظة ميلنر (١٩٨٣)[٤٣٧] إنقاصا لقيمة السود ويحرم أطفالهم من رموز يتوحدون بها.

٢ - يقدم السود باصطلاحات نمطية جامدة، وذلك مما يعلم ويدعم القوالب النمطية السلبية عنهم، وحتى لو لم تكن هذه القوالب النمطية سالبة، فإنها تؤدى إلى التأكيد على كيف يختلفون هم "عنا" "نحن" (باجلى وآخرون ١٩٧٩)[٣٢].

٣ - يحتل السود عددا غير محدود من الأدوار (السيئة) أو منخفضة المكانة فى الأدب والتليفزيون، فمثلا باستعراض البحوث عن كيف تبخس قيمة السود فى فكاهات الأطفال فى المملكة المتحدة يشير فوستر - كارتر (١٩٨٤)[٢٠٩] إلى أن "القليل من الشخصيات غير البيضاء التى تظهر تبدو دائما فى صورة مجرمين، وحشيين، أغبياء، خونة، دخلاء، ويتصرفون كالأطفال، أو التابعين". (ص١)

٤ - تسند الصفات السلبية إلى أعضاء الجماعات الخارجية لأنهم ببساطة أعضاء فى جماعة عنصرية أو قومية (ميلنر ١٩٨٣)[٤٣٧].

٥ - المعايير المتمركزة على العنصر يتم تقديمها بحيث تبدو معايير الأغلبية طبيعية وحيدة والانحراف عنها غير طبيعى، غريب ومتدنٍ.

٦ - لوحظ ميل شائع فى وسائل الإعلام البريطانية لتقديم السود "كرموز أو تجسيد لمشكلة" (فوستر - كارتر ١٩٨٤ ص ١)[٢٠٩]. ويشير ميلنر (١٩٨٣)[٤٣٧] إلى أن ذلك بدأ بالهجرة كمشكلة رغم زيادة عدد السكان عموما، واستمر كلما ظهرت مشكلة ابتداء من مشكلات السكان داخل المدن حيث كانت هجرة الزنوج سببها وانتهاء بالاضطرابات العنصرية حتى التى أثارها المتطرفون البيض ص٩٨.

٧ - التميز الواضح فى صياغة الأخبار، ويؤدى ذلك إلى أن أخبار الصراعات العنصرية والسلوك السلبى للأقليات يكون موضع تركيز أكبر بالمقارنة بتركيز الأخبار على العلاقات المتجانسة المتكافئة أو الإنجازات الإيجابية للأقليات (ميلنر ١٩٨٣)[٤٣٧].

٨ - أخيرا، قد تنقل وسائل الإعلام القيم الثقافية والمعتقدات التى قد تتسبب فى إذكاء التعصب بطريقة غير مباشرة، فالرمزية اللونية التى تشير إلى أن البياض هو الطيبة والسواد هو السوء مثال على ذلك، لكن أى قيم تتوزع بصورة غير عادلة بين الجماعات العنصرية تؤدى إلى التعصب، فقد تنمى وسائل الإعلام والآداب قيما اجتماعية مثل

حب المال، النجاح والمكانة العالية، والتعليم، وقيمة الملابس الغالية، والمنزل الفخم وما إلى ذلك،مما يؤدى إلى إثارة التعصب أو تقويته ضد السود والذين يعتبرون فى أقل درجات هذه القيم كما تقدمهم أجهزة الاعلام على هذا النحو.

بينما يتوافر كم كبير من الأبحاث التى توثق للتعصب العنصرى فى الأدب والتليفزيون والسينما، فمرة أخرى نقول: إن الأبحاث التى تعرضت لتقدير آثارها الفعلية على الأفراد قليل. توجد أبحاث ارتباطية Correlational مثل أبحاث زوكرمان - سنجر - سنجر (١٩٨٠)[٧٢٧] والتى وجدت أن الاتجاهات العنصرية للأطفال ارتبطت بنوع برامج التليفزيون التى يشاهدونها. لكن قد تعكس هذه الارتباطات - جزئيا على الأقل - ميول الأطفال لاختيار المواد التى تؤيد اتجاهاتهم، ورغم نقص الدلائل الواضحة على صحةهذا التفسير، فمن المفترض عموما أن قوة ومدى انتشار وسائل الإعلام تجعلها أداة قادرة جدا على نقل الاتجاهات والمعتقدات الجماعية المعيارية (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، ميلنر ١٩٨٣).

الخلاصة:

تحظى فكرة أن التعصب بين الجماعات والقائم على معايير اجتماعية تكتسبها الأجيال الجديدة خلال عملية التعلم الاجتماعى من الأشخاص المهمين بعدد كبير من الشواهد المؤيدة لها، هذا بالإضافة إلى أنه من المتفق عليه عموما أن المعتقدات التعصبية كلما كانت إجماعية ومستقرة فى الثقافة أو المجتمع، زادت أهمية التعلم الاجتماعى، كما يشير إلى ذلك ميلنر (١٩٨٣)[٤٣٧]:

"حينما يكون للتعصب جذوره فى ثقافة الأغلبية ويحتل مكانته فى المؤسسات، اللغة والتفاعل الثقافى، وتتغلغل آثاره الثقافية فى نسيج الثقافة، هنا تصبح عملية التنشئة الاجتماعية والتى يتم بمقتضاها نقل الثقافة من جيل إلى جيل محددا هاما للتعصب". (ص٧٥) كما أوضح روكس (١٩٨٦)[٣٦٦] ذلك فى ما يشبه السيرة الذاتية المفسرة لنشأته كرجل أبيض فى جنوب أفريقيا White Afrikaner قائلا: "نشأ صغار البيض الأفريكان فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن فى جو من العنصرية السائدة والمسلم بها، وما نكتسبه من قوالب جامدة عنصرية فى منازلنا تدعمه المدرسة غالبا، وكتب التاريخ، والآداب واتجاهات المعلمين، والقساوسة، والآباء والأصدقاء، كل ذلك لم يدع لنا مجالا للشك أن الأفريقيين Africans السود مختلفين تماما عن البيض ويجب أن يعاملوا كجماعة متدنية منبوذة. (ص١٩٨)

ركزت نظرية الرمزية العنصرية (كيندر - سيرز ١٩٨١)[٣٣٢]، أو العنصرية الحديثة (ماكوناهاى وآخرون ١٩٨١)[٤١٦] على تأثير التنشئة الأولى فى الاتجاهات العنصرية التى يحملها الراشدون. كان من أهداف صياغة هذا المنظور تفسير استمرار العنصرية فى الولايات المتحدة، وافتراض أن المكونات الوجدانية الأساسية فى التعصب العنصرى تكتسب فى التنشئة الاجتماعية المبكرة فى الطفولة، وتستمر فيما بعد تقاوم التغيير، بذلك تؤدى معايير المساواة التى تنتج عن المعلومات عن السود، إلى رفض العنصرية القاسية، التقليدية، الجامدة، لكنها لا تغير الاتجاه الوجدانى الكامن الذى صار مرتبطا بأكثر من مجرد المعتقدات العنصرية. لكن يجب ملاحظة أن الأهمية الفعلية للتنشئة فى تحديد الاتجاهات العنصرية للراشدين لم يحدث إطلاقا أن تم قياسها بصورة مباشرة، وبينما يبدو مقبولا بالتخمين أن للتعلم الاجتماعى أهميته الكبرى لدى الطفل الصغير جدا، فقد يقل ذلك التأثير مع تقدم العمر. أشار آشمور - ديلبوكا (١٩٧٦)[٢٧] مثلا إلى أن الانصياع كعملية بارزة من عمليات التعلم الاجتماعى يصير أكثر أهمية كلما زاد اتصال الطفل بأقرانه وخصوصا فى مرحلة المراهقة، وليس هناك من شك فى أن أى تغييرات بارزة فى الاتجاهات بين الجماعات أو أى اتجاهات اجتماعية أخرى تظهر فى سنوات المراهقة والرشد، وقد أشارت دراسة نيوكمب (١٩٤٣)[٤٥٧] الكلاسيكية على كلية بنتنجتون إلى تغير ليبرالى بارز فى الاتجاهات الاجتماعية بين الطلاب الذين نشأوا بطريقة محافظة، وذلك بسبب خبراتهم بهذه الكلية. كما أوضحت الدراسة التتبعية لتايسون - دكت (١٩٩٠)[٦٧٧] على المهاجرين البريطانيين إلى جنوب أفريقيا زيادة ملحوظة فى التعصب العنصرى لديهم بمجرد الاستقرار فى جنوب أفريقيا (انظر أيضا فولى ١٩٧٦[٢٠٤]، بيرلين ١٩٥٤[٤٩٠]).

كما توجد أدلة عديدة على أن حينما تتغير طبيعة العلاقة بين الجماعات خصوصا من التعاون أو الحيادية إلى التنافس أو الصراع تتغير حينئذ الاتجاهات التى نشأ الأفراد عليها بصورة حادة ومفاجئة (سينها - أوباداها ١٩٦٠)[٦٠٦].

تشير مثل هذه النتائج إلى أن التعلم الاجتماعى بين الأشخاص المهمين قد يكون أكثر أهمية خلال الطفولة المبكرة، والتى تعكس اعتماد الطفل على الآخرين ماديا وانفعاليا ومعلوماتيا بالمقارنة بالمراحل العمرية الأكبر. وكلما يزيد نضج الطفل تزداد أهمية مؤثرات أخرى مثل خبرات الاتصال الشخصى، الانصياع للأقران وللضغوط الجماعية الأخرى، إدراك مصالح الجماعة، إدراك المكانة النسبية وظروف الجماعة، تزداد أهميتها فى التأثير على الاتجاهات بين الجماعات بحيث يتغلب تأثيرها على تأثير التعلم الاجتماعى المبكر.

الانصياع والضغوط الاجتماعية :

يفترض استعراضـنا للجزء السابق أن آثار التنشئة المبكرة علـى السلوك والمعتقدات قد تتـضاءل أو تنمحى بـفضل التأثيـرات الأخرى خلال مراحل الـعمر التالـية، ويمكن توسيع هذا الاسـتنتاج، فقد طـرح هوفمان (١٩٧٧)(٢٨٣) فكرة أن المعتقـدات والمعايير المكتسبـة خلال التنشئة المبكرة قـد لا تكون فى أهمية الخبرات الأحـدث. ويشير إلى أن هناك أربعة مصادر رئيسية للأدلة المؤيدة لذلك،

أولا : أن هناك تغيرات شاملة فى المعايير السـلوكية من جيل إلى الجيل الذى يليه وهى ظاهرة سـتوضحهـا الدراسات التى أشارت إلى الارتـباط الضعيـف بين الاتجاهات العنصرية للآباء والأطفال.

ثانيا : توصلت الدراسات المسحية إلى أن الفرد قـد يقبل الانتهاكات المضطردة فى القيم المفترض أنها مستدمجة وأسـاسية مثل أن يكذب، يسرق، يخدع نفسه أو الآخرين مادام لم يكتشفها أحد.

ثالثا : ظهرت حالات متـعددة من الانهيار الأخلاقى واسع النطاق حيـنما تتعطل مؤسسات الضبط الاجتماعى، من أمثلتها ما أدى إليه إضراب رجال الشرطة فى مونتريال من موجة عارمة من النهب للمدينة.

أخيرا، بينت دراسـات الطاعة Obedience، والانصياع Conformity مثل التى أجراها ميلجرام (١٩٦٣)(٤٣١) أنه فى حالـة توافر درجة بسيطـة من الضغوط الموقـفية (مثال ذلك أن يطلب ممثل محترم للسلطة من المفحوص أداء عمل معين، تؤدى مثل هذه الضغوط بالمفحوصين إلى القيام بسلوك يتنافى تماما مع ما يحملونه من معايير ذاتية حول عدم الإضرار بالآخرين (انظر أيضا التيمير ١٩٨١ ص٢٧٣-٢٧٦)(١٦).

تصور هوفمان (١٩٧٧)(٢٨٣) أن القواعد، والمعـايير، والمعتقدات الـذاتية للأفراد قابلة فى الغـالب للتأثر بالضغوط الخـارجية، ومن النادر أن تقاوم هذه الـضغوط وتظل ثابتة بغير تدعيم أو مساندة اجتماعية.

والضغـوط المعيارية الـتى تقوم بهـا الجماعة أو الأشـخاص ذوى الأهميـة بهدف انصياع الأفراد، هى من العمليات التى يتم بها التدعيم والمحافظة على المعتقدات والمعايير الذاتية، ويمكن النظر إلى الانصياع للمعايير باعتباره يتحكم فى سلوك ومعتقدات الأفراد بثلاث طرق على الأقل:

الطريقة الأولى : تعرض الضغوط الاجتماعية سلوك الانصياع على الأفراد بصورة مباشرة، أما الذين يخاطرون باحتمال عدم الرضا، أو العقاب أو حتى الطرد من الجماعة فهم الذين لا يخضعون لضغوطها ولا يحرصون على رضاء الجماعة أو على ما تقدمه من أنواع التدعيم.

الطريقة الثانية: من خلال الخضوع المتكرر، قد تستدمج هذه المعايير ذاتيا عبر الزمن، وبالتالى تحظى بالقوة الكافية للتأثير فى السلوك وفى المعتقدات حتى غيبة عقاب أو رقابة الجماعة.

الطريقة الثالثة: أن استمرار الضغوط الاجتماعية بهدف انصياع الأفراد يقدم نظاما اجتماعيا عاما من التوقعات المعيارية Normative Contingency الضرورية لتدعيم تأكيد والمحافظة على المعايير والمعتقدات المستدمجة. (هوفمان ١٩٧٧)(٢٨٣).

و"الانصياعConformity" هو مصطلح مركب أدى كما يشير كيسلر (١٩٦٩)(٣٢٩) إلى قدر كبير من الاختلاط فى تراث البحوث، ويرجع ذلك إلى استخدامه بصور مختلفة، واعتماده على افتراضات متباينه جعلته فاقدا لمعالم واضحة، فقد استخدم أحيانا بمعنى الفروق الفردية أو السمات الشخصية واستخدم أحيانا أخرى باعتباره عملية سيكولوجية. ويهتم عرض هذا الجزء بالانصياع فى معناه الأخير، أى بالنظر إلى الانصياع كعملية يتم خلالها التعبير عن التعصب كمعيار اجتماعى للسلوك الفردى والمعتقدات الشخصية.

يستخدم الانصياع كعملية اجتماعية وسيكولوجية للإشارة إلى ظاهرتين واضحتين للتأثير Influence الاجتماعى، تظهران كعمليتين سببيتين مختلفتين تماما، وكان ذلك سببا رئيسيا للتضارب الشائع فى تراث البحوث (كيسلر ١٩٦٩)(٣٢٩) وبالتالى فمن المهم التمييز بينهما:

فى إحدى الحالات تؤدى ضغوط الجماعة إلى تغير فى السلوك أو الآراء التى تصدر عن الشخص بهدف الاتفاق مع الجماعة (الخضوع الخارجى Public Compliance) وتبعا لذلك تتأثر المعتقدات الخاصة (القبول الذاتى Private Acceptance) ويسمى ذلك الانصياع الحقيقى (True Conformity). (ورشيل - كوبر ١٩٧٦)(٧٢٠). أو الاهتداء Conversion (دارلى ودارلى ١٩٧٦)(١٤٤)، أو الاستدماج Internalization (كيلمان ١٩٦١)(٣٢٢)،أو القبول الخاص Private Acceptance (كيسلر ١٩٦٩)(٣٢٩)، أو الضغوط الاجتماعية المعلوماتية In-formational social يشمل الطابع المعيارى للانصياع العرقى Ethnic أكثر من مجرد

حقيقة أن الاتجاهات هى عنصر مشترك بين أعضاء جماعة الأغلبية أو الأقلية، فكل عضو من المتوقع أن يحمل نفس الاتجاهات، وتقع على من يعجز عن الانصياع ضغوط بأشكال متنوعة. (مثل فقدان المكانةInfluence (دويتش - جيرارد ١٩٥٥)(١٥١). والعنصر الأساسى هنا هو القبول الذاتى Private Acceptance (كيسلر ١٩٦٩)(٣٢٩).

يظهر الخضوع الخارجى غالبا لكن ليس دائما، فقد لاحظ ماس وكلارك (١٩٨٤)(٣٨٩) على سبيل المثال أن القبول الذاتى بدون خضوع خارجى يظهر كثيرا فى الدراسات التى تعرضت لتأثير جماعات الأقلية على أفرادها (مسكوفيشى ١٩٧٦)(٤٤٨). وقد أشار دويتش - جيرار (١٩٥٥)(١٥١) فى دراستهما الكلاسيكية إلى أن هذا النوع من التأثير الجماعى أو الاجتماعى يتضمن دائما مكونا معلوماتيا Informational. وتتضمن الآليات التى يتم بها التغيير عمليات تصحيح Validation معرفية عند الأفراد من خلال الجدل الذى يقوم به الأفراد والحجج والحجج المضادة التى يتداولونها (ماس - كلارك ١٩٨٤)(٤٤٨)، وتعتبر التأثيرات الجماعية من هذا النوع تغييرا فى الاتجاهات وليست مجرد خضوع للمعايير (كيسلر ١٩٦٩)(٣٢٩).

الحالة الثانية هى مخطط الانصياع المعيارى Normative Conformity والتى قد تسمى فى بعض الأحوال بالانصياع النفعى Expedient Conformity (ورشيل - كوبر ١٩٧٦)(٧٢٠)، وبالتوحد أو الخضوع Identification or Compliance (كيلمان ١٩٦١)(٣٢٢)، فى هذه الحالة ، تؤدى التأثيرات الجماعية إلى الخضوع الخارجى وقد تؤدى أولا إلى القبول الذاتى، فالمكون الأساسى لهذه الحالة هو الخضوع الخارجى الذى ينتج عن إدراك ضغوط الجماعة الحقيقية أو المتخيلة (كيسلر ١٩٦٩)(٣٢٩)، على ذلك فالآلية التى تعمل هنا هى آلية التفاعل بين الأشخاص Interpersonal أكثر منها آلية معرفية Cognitive الطابع. (ماس - كلارك ١٩٨٤)(٣٨٩).

قد ينتج القبول الذاتى أو الاستدماج عن الخضوع الخارجى كوسيلة لتخفيض التنافر Dissonance (فستنجر ١٩٥٧)(١٩٧). أو عمليات الإسناد الذاتى Self Attributional (بيم ١٩٧٢)(٤١)، كما افترض ماورر (١٩٦٠)(٤٥١) أيضا أن ذلك قد يظهر خلال القلق المتعلم شرطيا Conditioned والذى يثيره مجرد إدراك التوقعات المعيارية حتى بغير رقابة أو متابعة من الآخرين بحيث يكون سلوك الانصياع وسيلة لتخفيضه. ومن المقبول عموما أن الضغوط للانصياع للمعايير هى آلية مهمة للتأثير الاجتماعى وللضبط الاجتماعى، وتتضح قوة ضغط الجماعة فى التأثير على السلوك أو على معتقدات الأفراد هذا التأثير الذى يتضح بجلاء فى المواقف التجريبية وخصوصا فى تجارب آش (١٩٥٢)(٢٥)، ميلجرام (١٩٦٣)(٤٣١)، كذلك يوضح عدد كبير من الأبحاث

الجماعات الأقل تعصبا (انظر دكت ١٩٨٨)[١٦٩] أتاحت بيانات هذه الدراسة الفرصة لاختبار ما أكده بيتى جرو (١٩٥٩)[٤٩٣] أن المتغيرات الاجتماعية التى تشير إلى درجة تعرض الأفراد للضغوط المعيارية ستصبح مؤشرا تنبؤيا للاتجاه التعصبى فى الجماعات الاجتماعية عالية التعصب بالمقارنة بنظيراتها منخفضة التعصب. وكما سبق أن لاحظنا أن نتائج بيتى جرو الأصلية والتى قامت على مقارنة عينات بين الشمال والجنوب الأمريكى لم يمكن تكرارها مرة أخرى بصورة مرضية...

فى الدراسة الحالية تم مقارنة سبعة متغيرات اجتماعية يبدو أنها مؤشرات «للتعرض المعيارى» Normative Exposure من حيث مدى قدرتها التنبؤية بالتعصب العنصرى فى العينة الكلية للمتحدثين بالإنجليزية مقابل المتحدثين بالأفريكانية، كانت هذه المتغيرات هى: الجنس، الذهاب للكنيسة، التعليم، الدخل والمهنة، المعيشة فى المدن - القرى - المدن الصغرى، الحالة الزواجية.

استخدم بيتى جرو المتغيرات الثلاثة الأولى فى تحليله الأول، وكما سبق أن لاحظنا تصور بيتى جرو أن النساء وهن «ناقلات الثقافة» يعانون ضغوطا للانصياع للمعايير الاجتماعية أقوى مما يعانيه الرجال (انظر ارليخ أيضا ١٩٧٣)[١٧٩]. بنفس الطريقة نجد أن الدرجة العالية مقابل المنخفضة فى التردد على الكنيسة تعكس الأعراف الاجتماعية Mores بدرجة أقوى، فى حين كان مرتفعو التعليم أكثر قابلية للانحراف عن المعايير التقليدية الاجتماعية وذلك بسبب خبراتهم الخاصة ودراستهم.

استمرارا لهذا الخط الفكرى سنتوقع من الأشخاص ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية العالية (الأعلى فى الدخل والمكانة المهنية) والأشخاص الذين يعيشون فى مناطق عالية التموين، سيكونون أكثر قابلية للانحراف عن المعايير التقليدية (أوربن ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٩[٤٩٣]). أخيرا فالأشخاص المطلقين والمنفصلين بسبب هامشيتهم الاجتماعية فى مجتمع تقليدى نوعا سيميلون إلى مواجهة ضغوط ضعيفة للانصياع بالمقارنة بالمتزوجين أو الأرامل.

لم تؤكد مقارنة قدرة هذه المتغيرات الاجتماعية على التنبؤ بالتعصب بين المتحدثين بالإنجليزية والأفريكانية - وتوقعات بيتى جرو (دكت ١٩٨٨ «جدول ١»)[١٦٩]، حيث لم يظهر ميل لهذه المتغيرات إلى الارتباط القوى بالاتجاهات التعصبية فى الجماعات عالية التعصب من المتحدثين بالأفريكانية، لم يوضح الجنس، التردد على الكنيسة والحالة الزواجية دلالة احصائية فى ارتباطهم بالتعصب فى جماعاتهم، كذلك لم يتضح للدخل ارتباط عندما نقوم بضبط التعليم بطريقة إحصائية. ارتبطت درجة التمدين

لاحظ مينارد أنه رغم أن أغلب عمال المناجم البيض يقبلون السود كأنداد لهم داخل المنجم وفى قاعة اتحاد العمال، إلا أنهم حافظوا على تفرقة وتمييز صارمين بينهم وبين السود فى أماكن إقامتهم. كما استنتج الباحث تأثير الانصياع للمعايير من النتائج العديدة التى تؤدى إليها السياسة الصارمة لمنع التمييز أو التفرقة والتى تساندها المؤسسات، لوحظ أن هذه السياسة تنجح فى تعديل كل من الاتجاهات والسلوك فى مواقف غير محببة، مثل الانتماء إلى الوحدات العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية والتى أدت إلى تخفيض مقبول فى قدر التعصب العنصرى الذى يعبر عنه البيض المنتمون إلى هذه الوحدات (وستى ١٩٦٤)[٧٠٣]. ويمكن تقسيم الأبحاث التى اهتمت بدور الانصياع للمعايير فى تحديد التعصب بصورة مباشرة إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : تشمل الدراسات التى تفحص العلاقة بين التعصب والميل إلى الانصياع Conformity Pronenes، وقد أجرى عدد من هذه الدراسات على البيض فى جنوب أفريقيا حيث يبدو أن التعصب ظاهرة معيارية بها، أشارت هذه الدراسات إلى ارتباطات موجبة مرتفعة بين مؤشرات التعصب العنصرى ومقياس بيتى جرو الشهيرللانصياع (مثال : هيفن ١٩٨٣(أ)[٢٧١]، كينلوك ١٩٧٤[٣٣٣]، نيودوت - نيل ١٩٧٥[٤٦٠]، أوربن ١٩٧١ (ب)[٤٧٣]، ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]).

المجموعة الثانية من الدراسات فحصت العلاقة بين الاتجاهات العنصرية الفردية والاتجاهات المعيارية للآخرين ذوى الأهمية بالنسبة للشخص، كالأسرة، الأصدقاء، الأقران وهكذا. أشارت الدراسات بصورة متسقة إلى ارتباطات إيجابية مرتفعة للتعصب العنصرى مع إدراك الضغوط الاجتماعية على الفرد ليصبح متعصبا من جانب الآخرين ذوى الأهمية. (دى فريز - ديفيز ١٩٧٢[١٤٧]، هامبلين ١٩٦٢[٢٤٨]، ميزى ١٩٧١[٤٢٨] أيونز - أرليخ ١٩٧٢[١٨٦]، فندرتشن ١٩٦٧[١٩٤]، جولدشتين - ديفيز ١٩٧٢[٢٣٠]، سيلفرمان ١٩٧٤[٦٠١] - سيلفرمان - كوشران ١٩٧٢[٦٠٢]). أو - وإن كان ذلك نادرا - الاتجاهات العنصرية الفعلية للأفراد أو للجماعات المعيارية الهامة Reference Group (باجلى - فيرما ١٩٧٩)[٣٠].

هناك **مجموعة ثالثة** من الدراسات التى أشارت إلى أن الأفراد حينما ينتقلون إلى عضوية جماعات اجتماعية جديدة ذات معايير مختلفة - تتغير اتجاهاتهم إلى جهة هذه المعايير، فدراسة نيوكمب (١٩٤٣)[٤٥٧] الكلاسيكية فى كلية بننتجتون والتى أشير اليها فى التراث السيكولوجى كدليل على أثرها على الاتجاهات الاجتماعية، فى هذه الدراسة ظهر تغير فى اتجاهات الطلاب نحو مزيد من التحررية **Liberalization** نتيجة الخبرات

التى اكتسبوها فى هذه الكلية، أى أن الطالب يتقبل الكلية كجماعة مرجعية إيجابية، مما أدى إلى تعبئة الانصياع لمعاييرها التحررية. قام بيرلين (١٩٥٤)[٤٩٠] بإجراء دراسة مشابهة على الاتجاهات نحو الزنوج بين الطلبة البيض فى إحدى جامعات الجنوب بالولايات المتحدة، واتفقت نتائجه مع دراسة بنتتجتون فى افتراض أن الطلاب يتبنون اتجاهات أقل تعصبا بما يتوافق مع المعايير السائدة فى جامعتهم.

قارن ميدلتون (١٩٧٦)[٤٣٠] بين الأشخاص الذين يعيشون فى شمال وجنوب الولايات المتحدة، ووجد أن الأفراد الذين قضوا أغلب سنوات طفولتهم فى إقليم معين ثم انتقلوا إلى إقليم آخر فى سن متأخرة كان لديهم اتجاهات عنصرية وسطا بين خصائص كلا الإقليمين. لم يظهر هذا التغير فى الأنواع الأخرى من التعصب مثل معاداة السامية، ويبدو على ذلك أن المهاجرين غيروا اتجاهاتهم العنصرية بحيث أصبحت معايير عنصرية جديدة تتواءم مع متطلبات الموقف الذى انتقلوا اليه. وجد واطسون (١٩٥٠)[٦٩٧] أيضا أن الأشخاص الذين ينتقلون إلى نيويورك صاروا أكثر حدة فى معاداة السامية، ومن المفترض أن يرجع ذلك إلى التعرض لمعايير معاداة السامية فى هذه المدينة.

أخيرا قام فولى (١٩٧٦)[٢٠٤] بقياس الاتجاهات العنصرية للمسجونين قبل وبعد ثلاثة أسابيع من دخولهم سجنامقاما فى منطقة نائية مختلفة تماما عن أرض الولايات المتحدة ومحاطا بأنظمة حراسة بالغة الشدة.

أظهر الاستبيان القبلى فروقا ملحوظة فى الاتجاهات العنصرية المعيارية بين المساجين حسب المناطق التى أتوا منها، وأشارت القياسات القبلية - البعدية إلى ميل دال لدى المسجونين حديثا لتغيير اتجاهاتهم بما يتفق مع الاتجاه العنصرى المعيارى السائد فى المكان الذى انتقلوا إليه.

رغم قوة الدلائل على أن الانصياع المعيارى محدد هام للتعصب ورغم أنها موضع قبول واسع النطاق، فإنها لا تقوى على الاختبار الدقيق، فالدراسات التى عرضناها كانت هدفا لعدد من الانتقادات الحادة، حتى أن تفسيرها على ضوء عملية الانصياع كان مجالا للتشكك.

أولا : أن الدراسات التى تربط بين الانصياع والتعصب استخدمت مقياسا للانصياع - مقياس بيتى جرو - لم يحدث أن قامت بحساب صدقه Validation كمقياس للانصياع، إذ قد يكون مجرد مقياس للمحافظة Conservatism (انظر الفصل التاسع).

ثانيا : لا تبرر الدراسات التى توصلت إلى وجود ارتباط بين ضغوط المجتمع على أفراده لتبنى معتقدات معينة وبين التعصب ذلك التأكيد على أن هذه الضغوط هى السبب فى التعصب، فربما يعكس ذلك ميلا إلى اختيار الجماعة المرجعية أو تفضيلا للآخرين الذين يدعمون التعصب لأنه موجود فعلا عند الشخص بتأثير عملية التعلم الاجتماعى خلال مراحل عمره.

ثالثا : لم توضح دراسات تغيير الاتجاهات عن طريق إدخال تغييرات فى الجماعة المرجعية، أن التغيرات نتجت فعليا عن التعرض للضغوط الاجتماعية لمسايرة المعايير الجديدة، فمن الممكن جدا أن تكون هذه التغيرات نتيجة لعوامل أخرى ذات علاقة بالتغير فى الجماعات المرجعية مثل التغير فى اهتمامات الجماعة، أو الظروف التى تتم فيها عملية الاتصال مع الجماعات العنصرية الأخرى. فقد فسرت فولى (١٩٧٦)[٢٠٤] مثلا، التغيرات التى ظهرت فى دراستها فيما يتعلق بالتعصب باعتبارها نتيجة للضغوط الواقعة على أصحابها للانصياع إلى المعايير التى تسود فى المنطقة التى وضع فيها السجين، لكنها لاحظت أن المناطق منخفضة التعصب كانت أكثر فى درجة التكامل العنصرى مع درجة عالية من العلاقات العنصرية السليمة. هذا فى حين تميزت المناطق مرتفعة التعصب بالكثير من الصراع العنصرى (ص٨٥٣)، بذلك فقد تكون التغيرات التى ظهرت فى الاتجاهات العنصرية للمسجونين الجدد استجابة مباشرة لنوع الاتصال بين الجماعات العنصرية القائمة فى المناطق المختلفة، وليس كمجرد استجابة للضغوط فى ذاتها من أجل الانصياع.

يترتب على ذلك أنه رغم معقوليتها الواضحة، فالأطروحة القائلة أن الضغوط من أجل الانصياع للمعايير قد تكون محددا هاما للتعصب، هذه الأطروحة لم تساندها شواهد امبيريقية كافية رغم القبول الواسع الانتشار لها فى أدبيات علم النفس (مثال ذلك آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦[٢٧]، باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، بيتى جرو ١٩٧٥[٤٩٧]). على الأخص بالنسبة للجماعات أو المجتمعات عالية التعصب ضد جماعات خارجية محددة، فمثلا كان الانصياع المعيارى يعتبر محددا هاما - إن لم يكن المحدد الوحيد للتعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا (مثال أورين ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٧٥[٤٩٧]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١])، ساد ذلك فى الفكر النظرى والبحث الأمبيريقى للموضوع مما سنتناوله تفصيلا فى الفصل التاسع.

الاتصال الشخصي: Interpersonal Contact

سبق أن استعرضنا الظروف الاجتماعية العامة Macrosocial للاتصال والتفاعل بين الجماعات، والتي يبدو أنها تؤدى إلى التعصب (فى الفصل السادس) تشمل هذه الظروف الاجتماعية العامة الحدود الجماعية المتقاربة، الفوارق فى مكانة الجماعات، الفوارق فى المعاملة التى تتلقاها الجماعات المختلفة، الاختلاف فى الأدوار الاجتماعية أو الاقتصادية فى البناء الاجتماعى، ودرجة التمييز المؤسسى Institutionalized Segregation بين الجماعات.

من بين هذه الظروف الاجتماعية العامة تظهر آلية Mechanism من المحتمل أن تكون سببا فى تنمية التعصب عند الأفراد وهى بنية الاتصال الشخصى بين أفراد الجماعات المختلفة فى أبنية اجتماعية مثل جنوب أفريقيا والولايات المتحدة إلى حد ما، حينما يكون البيض عادة أعلى من السود فى المكانة الاجتماعية الاقتصادية، وحينما يوجد الفصل العنصرى الرسمى وغير الرسمى، يصبح الاتصال بين الأشخاص على أساس الأبيض المتفوق Superior والأسود المتدنى. وقد تؤدى الاتصالات بين الأشخاص والتى تحددها الظروف العامة الاجتماعية إلى التعصّب، ففى هذا المثال، تتكون صورة الزنجى الأدنى وذلك فى غيبة التأثيرات السببية الأخرى كالتنشئة أو الانصياع.

يطلق على افتراض أن الاتصال المباشر بأعضاء الجماعات المكروهة يؤدى إلى تخفيض التعصب ضد أفرادها بافتراض الاتصال Contact Hypothesis، وقد أدى هذا الافتراض إلى كم هائل من الأبحاث خلال الثلاثين عاما الأخيرة، وافتراض الاتصال فى معناه البسيط هو أنه كلما زاد الاتصال الشخصى بين أعضاء الجماعات يقل التعصب فيما بين هذه الجماعات. والفصل العنصرى بهذا المعنى يؤدى إلى تقوية التعصب، أما التكامل (عدم الفصل) العنصرى فيؤدى إلى تقليل ذلك.

غير أن البورت أشار فى عام ١٩٥٤[١٢] أن هذا الفرض تعرض للانتقاد، فقد أوضحت الدراسات المبكرة أن الاتصال بين أعضاء الجماعات المختلفة لا يقلل دائما من التعصب، ويلخص البورت هذه النتائج بافتراض أن هناك أنواعا معينة من الاتصال هى التى تؤدى إلى تقليل التعصب خصوصا: " يؤدى الاتصال على أساس المساواة بين جماعات الأغلبية والأقلية فى تحقيق هدف مشترك إلى تأثير عظيم خصوصا إذا كان مدعوما بنظام مؤسسى للعقوبات... وإذا قدم باعتباره من النوع الذى يؤدى إلى إدراك المصالح المشتركة، والمشاعر الإنسانية المشتركة بين أعضاء الجماعات" (ص٢٨١). وخلال

العقود الأربعة التى أعقبت هذه العبارة، شهد البحث فى هذا الموضوع نمواً هائلا، وكان من نتائج ذلك أن تأكد بوضوح أن هناك أنواعا معينة من الاتصال فقط هى التى تؤدى إلى تخفيض التعصب.

وفى الحقيقة أنه بات واضحا جدا أن الاتصال لا يقلل من التعصب كما هو مأمول ببساطة، فبينما ظلت الاستنتاجات التى توصل إليها البورت فى صياغته المبكرة عن الظروف التى يجب توافرها فى مواقف الاتصال حتى يؤدى إلى تخفيض التعصب قائمة، إلا أن صياغتها أصبحت أكثر تركيبا وصرامة (أمير ١٩٧٦)(١٩). وقد تؤدى الاتصالات بين الأشخاص والتى تحددها الظروف العامة الاجتماعية إلى التعصب، ففى هذا المثال، تتكون صورة الزنجى الأدنى وذلك فى غيبة التأثيرات السببية الأخرى كالتنشئة أو الانصياع. فقد لخص كوك أدبيات البحث فى الموضوع عام ١٩٧٨ بقوله: "ينتج التغير فى الاتجاه نحو تفضيل الجماعات المكروهة عن الاتصال على أساس المساواة فى المكانة Equal Status Contact مع أشخاص يرفضون الانصياع للصور الجامدة عن هذه الجماعة، بافتراض أن الاتصال تعاونى ومن طبيعة تكشف عن السمات الفردية للشخص الذى يجرى معه الاتصال، كذلك يتم الاتصال فى موقف يسود فيه معيار اجتماعى لتفضيل المساواة والعلاقات المتكافئة بين الجماعات المشاركة". (ص٩٧ - ٩٨)

تشير هذه الأدبيات البحثية أيضا إلى أن بعض ظروف الاتصال سوف تؤدى إلى زيادة أو دعم التعصب، ويمكن تحديد عدد من مواقف الاتصال غير المواتية مثل التى توصل إليها أمير (١٩٧٦)(١٩)، وستيفان - ستيفان (١٩٨٤)(٦٣٢)، فالتعصب سيزيد حينما يتم الاتصال بين أشخاص ذوى مكانات غير متساوية (خصوصا حينما يكون الشخص المنتمى إلى جماعات مكروهةهو الذى فى المكانة الأدنى)، تكون هناك معارضة مؤسسية أو عدم مساندة لهذا الاتصال، تسود المنافسة مواقف الاتصال، تكشف عن مصالح متعارضة وقيم متضاربة، حينما يكون الاتصال غير سار، مثيرا للتوتر، محبطا، يسوده التصنع وليس الاخلاص، حينئذ يؤدى إلى دعم الصورة النمطية السائدة عن الجماعة المكروهة. وقد أشار أمير (١٩٧٦)(١٩) إلى أن دراسات الاتصال التى تمت تحت ظروف اجتماعية "يبدو أنها الظروف العادية التى تحدث كل يوم" (ص٢٨٥)، فى هذه الظروف لم تكن النتائج إيجابية بل كانت فى أغلبها سلبية.

كان ذلك هو الحال فى أبحاث عدم الفصل العنصرى فى مدارس الولايات المتحدة حيث توصلت أقلية قليلة من الدراسات إلى انخفاض فى درجة التعصب بسبب عدم الفصل العنصرى (لونجشور - براجر ١٩٨٥)(٣٨٣)، وقد لاحظ أمير فى مناقشة هذه

النتائج أن فرص الاتصال الشخصى المباشر بين الجماعات محدودة جدا فى الظروف الاجتماعية العادية، بالإضافة إلى ملاحظته أن الأفراد يفضلون عموما الاتصال بأعضاء جماعاتهم وليس بالجماعات الأخرى، وعلى ذلك "يبدو أن الصعوبة الأساسية هى فى جعل الأفراد يتفاعلون عبر الحدود العنصرية" (ص٢٨٧).

يبدو أن الدرجة التى تستطيع بها الظروف الاجتماعية العامة خلق فرص تسهيل الاتصال الشخصى فيما بين الجماعات المختلفة، هى محدد قوى لدرجة ظهور مثل هذه الاتصالات. وبقدر حدوث الاتصال يتوقع تغير التعصب فى اتجاه يتفق مع طبيعة الموقف الذى يحدث فيه الاتصال، أكثر من ذلك فالظروف الاجتماعية العامة وظروف الاتصال بين الجماعات محددان هامان لوجهة الاتصال هل ستأخذ اتجاها سلبيا أم إيجابيا. يمكن النظر إذن إلى أن الاتصال الشخصى فيما بين الجماعات باعتباره متغيرا وسيطا ينقل إلى الأفراد تأثيرات البناء الاجتماعى على الاتجاهات.

يبين الجدول ٧ - ١ ذلك الأمر بجلاء: **أولا**: الظروف ذات العلاقة بالاتصال بين الجماعات على المستوى الاجتماعى العام، **ثانيا**: فرص الأفراد فى الاتصال الشخصى مع أعضاء الجماعات الأخرى والتى تنبع من الظروف الاجتماعية العامة، **ثالثا**: أنواع الاتصال الشخصى ذات العلاقة، والتى ستصدر من الأفراد أثناء اتصالهم مع أعضاء الجماعة الخارجية، **ورابعا** : تأثير هذا الاتصال الشخصى على تسهيل أو منع التعصب.

أخيرا، نلاحظ أن أغلب الاستنتاجات المستمدة من الدراسات التى قامت على فرص الاتصال، تمثل تعميمات واسعة جدا مستمدة من تراث البحوث الذى يميل إلى التعقيد المتزايد بزيادة نموه. ورغم أن مواقف الاتصال المتضمنة لأنشطة تعاونية تقلل عموما من التعصب، فإن درجة تأثيرها تعتمد بشكل ملحوظ على عدد من الظروف الموقفية التى لخصها ستيفان (١٩٨٧)[٦٢٨] على النحو التالى:

يصبح التعاون بالغ التأثير حينما يكون ناجحا. . . ، وحينما تتخذ الإجراءات الكافية لتجنب النتائج السلبية لاختلاف مستويات القدرة على أداء المهام. . . ، وحينما تتشابه الجماعة الداخلية والخارجية فى الاتجاهات. . . ، وحينما تكون هاتان الجماعتان متقاربتين فى العدد، وحينما لا يكون تنظيم المهام للجماعات على أساس تغليب بعض الفئات الاجتماعية على البعض الآخر، وحينما يكون تمثيل الجماعتين الداخلية - والخارجية فى سلطة توقيع الجزاءات عادلا . . . ، وحينما يكون التفاعل على أساس اجتماعى وليس مقصورا على أساس المهمة (ص٢١).

جدول ٧ - ١

ملخص لكيف يؤدى الاتصال بين الجماعة على المستوى الأكبر إلى تحديد فرص الأفراد فى الاتصال وظروف الاتصال الشخصى بما يؤدى إما إلى تسهيل ظهور التعصب أو إلى قمعه.

الجماعات:	
تفرقة بين الجماعات	تكامل بين الجماعات
لها مصالح متصارعة	ذات مصالح متكاملة
الحدود واضحة بين الجماعات بصورة حادة	الحدود بين الجماعات متقاطعة مع بعضها
معاملة متباينة بين الجماعات	نفس المعاملة لجميع الجماعات
لكل جماعة أدوراها ومراكزها	لا تختص كل جماعة بأدوار أو مميزات خاصة
الأفراد:	
يمكنهم تجنب الاتصال بسهولة، وإذا تم ذلك يكون بصورة غير محببة كما سيتضح فيما يلى:	لديهم فرص متعددة للاتصال، وحينما يتم الاتصال يكون بصورة محببة كما سيلى:
ظروف الاتصال الشخصى:	
بين أشخاص من مراكز اجتماعية مختلفة	بين أشخاص ذوى نفس المكانة
يكون بمعارضة الجماعة أو المؤسسة	يكون بمساندة الجماعة أو المؤسسة
تنافسى	تعاونى
يعكس مصالح وقيما متصارعة	يعكس مصالح وقيم متشابهه
غير سار، متوتر، محبط	سار، مفيد
يؤكد الصورة النمطية السلبية	لا يؤكد الصور النمطية السلبية
سطحى وله سبب	عميق
الاتصال يؤدى	
إلى زيادة التعصب	إلى تخفيض التعصب

من المقبول عموما أن المشكلة الرئيسية فى أدبيات البحوث القائمة على «افتراض الاتصال» هى أن تلك البحوث ذات اهتمامات غير نظرية Atheoretical (مثال: لونجشور - براجر ١٩٨٥)[٣٨٣]. أدى ذلك إلى تراكم متزايد للنتائج الأمبيريقية المتشابهة فى أساسها ولكن المتزايدة فى تعقيدها وقابليتها للتعميم.

وقد لاحظ ستيفان (١٩٨٧)[٦٢٨] "أن قائمة الظروف التى تعتبر هامة فى إيجاد مواقف الاتصال ذات العائد الإيجابى تستمر فى النمو والنمو" (ص٣١). ويبدو أن تحقيق أى تقدم حقيقى فى فهمنا لهذا الموضوع يحتاج إلى التحول إلى المحاولة الجادة لفهم الآليات الأساسية التى تؤثر خلالها خبرات الاتصال على التعصب. وحديثا ظهرت صياغات نظرية قد تكون هامة فى هذا الاتجاه، **أولا**: ناقش بروير - ميلر (١٩٨٤)[٨٢] فكرة أن مؤشرات مواقف الاتصال قد تؤثر فى التعصب خلال تأثيرها على عملية التصنيف الاجتماعى.

ثانيا قام روزبارت - جون (١٩٨٥)[٥٥٨] بصياغة فكرة أن الاتصال يؤثر فى التعصب من خلال تأكيد أو عدم تأكيد الأفكار الاجتماعية الجامدة، وتبدو كلتا النظريتين قادرة على تفسير هذه النتائج الضخمة غير المترابطة لغرض الاتصال والربط بينها فى إطار تفسيرى شامل، ويعتبر اختبار وتنقيح نظريات مثل التى ذكرناها أساسيا فى التطوير المستقبلى للمعارف المستمدة من فرض الاتصال.

عمليات الإدراك والإسناد :

قد تؤدى مجرد عضوية الشخص فى جماعة اجتماعية إلى إدراكات وإسنادات مشتركة محددة عن الجماعة الخارجية، لذلك يميل أعضاء الجماعة إلى المشاركة فى اتجاهات تعصبية ضد الجماعات الخارجية. ويمكن تحديد عمليتين إدراكيتين واضحتين تماما، الأولى هى إدراك المصالح المشتركة للجماعة الداخلية والتى تتضارب مع مصالح الجماعة الخارجية. وقد يجادل فى أن مجرد إدراك مثل هذه المصالح يؤدى بأفراد الجماعة إلى تبنى تعصب ضد الجماعات الخارجية. الثانية هو أن إدراك فروق معينة بين الجماعات يفسّر على أساس إسناد سمات صفات إلى الجماعة الخارجية مما يبرر ازدراءهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وليس من السهل تجاهل دور التنشئة الاجتماعية أو المعايير السائدة فى توليد التعصب فى مثل هذه الظروف، فلهما دوران مؤثران عموما، ولكن النقطة هى أن عمليات الإسناد والإدراك قد تظهر بصورة مستقلة عن أى اتصال أو تفاعل مع الجماعات الأخرى، فقد كان المثير كما ظهر فى مواقف الحد الجماعى الأدنى، هو مجرد عضوية جماعة ينظر لها كجماعة خارجية.

إدراك المصالح :

تربط نظرية الصراع الواقعى التى عرضناها فى الفصل السادس بين صراع المصالح، وبين أنماط التعصب بين الجماعات. والمثال الذى يشيع ذكره فى تراث علم

النفس الاجتماعى هو التنافس المباشر بين الجماعات، فكما يشير لى فاين - كامبل (١٩٧٢)[٣٧٢] تمثل كل جماعة «تهديدا مباشرا» للجماعة الأخرى. يضاف إلى ذلك ما لاحظه الباحثان من أن أصحاب نظرية الصراع الواقعى يتجاهلون ضمنيا "التهديد الفعلى" والذى هو الأساس الذى يقوم عليه «إدراك التهديد» (ص ٣٠). هذا الإدراك الذى يظهر العداء ضد المصدر المدرك لهذا التهديد.

هكذا فبمجرد عضوية الشخص لجماعة داخلية Ingroup يصبح واعيا بمصالحة المشتركة مع باقى الجماعة، وبالتهديد الموجه إلى هذه المصالح من الجماعة الخارجية، ذلك يؤدى إلى تعصب مشترك بين أعضاء الجماعة الداخلية ضد هذه الجماعة الخارجية، وذلك فى غيبة المؤثرات الأخرى، كالتنشئة أو تأثير المعايير الاجتماعية.

ثمة سؤال حاز على اهتمام القليل، وهو ما مدى تأثير إدراك التهديد فى نشأة التعصب. بصورة نمطية قد نفترض نموذجا للإحباط - العدوان (مثال ذلك لى فاين - كامبل ١٩٧٢)[٣٧٢]. على ذلك فإدراك أن سلوك الجماعة الخارجية يؤدى إلى إحباط أهداف الجماعة الداخلية، يؤدى ذلك الإدراك بأعضاء الجماعة الأخيرة إلى توليد عدائهم ضد الجماعة الخارجية، ولكن قد تكون العمليات المتضمنة أكثر تعقيدا وأقل آلية من الصياغة التى أوردناها.

يحدد كوبر - فازيو (١٩٧٩)[١٣٣] نموذجا معرفيا يبدو أن له منفعة كبيرة، فقد أشارا إلى أنه فى ظروف الصراع الجماعى، قد تظهر الاتجاهات والإدراكات درجة متطرفة من عدم المنطقية والخبث من جانب "الأفراد الذين يخترعون منطقا بالغ الفظاعة لدفع أنفسهم لمواجهة الشر الكامن فى جنبات أفراد الجماعة الخارجية". (ص ١٥٠) وغالبا ما لا يكون من السهل تفسير مثل هذه العقائد والإدراكات على أساس قواعد الإدراك المنطقى البسيط أوالحساب الدقيق للتهديد الواقعى.

لاحظ كوبر - فازيو أنه حسب نظرية الإسناد تظهر تحيزات معينة فى العمليات المنطقية التى تدور عند البعض حينما يصدرون أحكامهم على نوايا واستعدادات الآخرين من خلال السلوك، من بين هذه التحيزات أنه كلما كان لسلوك الآخرين علاقة نفعية لأصحابه (كأن يؤثر فى قيم ذلك الشخص بالتعطيل أو التدعيم)، اعتبرنا أن ذلك السلوك يعكس نوايا الآخرين واستعداداتهم، وزادت الأحكام على الآخرين تطرفا.

يظهر التحيز الإسنادى أيضا كما يفترض كوبر - فازيو، ويتضاعف أثره فى ظروف الصراع بين الجماعات، فإذا كان للجماعة الداخلية والخارجية أهداف متعارضة، تؤدى محاولة الجماعة الخارجية لتحقيق أهدافها إلى تعطيل أهداف الجماعة الداخلية، وبالتالى يكون لذلك علاقة بالمنفعة التى قد يحققها أفراد هذه الجماعات. سيؤدى ذلك

إلى التحيز فى عمليات الإسناد لدى أفراد الجماعة الداخلية، مما يدفعهم إلى تفسير سلوك الجماعة الخارجية باعتباره يهدف للاضرار بمصالح الجماعة الداخلية وليس باعتباره رغبة فى تحقيق أهدافهم.

يشير كوبر - فازيو (١٩٧٩)(١٣٣) إلى أن اعتبار سلوك أعضاء الجماعة الخارجية هادفا إلى الإضرار بهم هو نتيجة لـ "تقييم سلبى جدا لأعضاء الجماعة الخارجية يتجاوز أى عملية تفكير غير متعاطف، يحمله أفراد الجماعة الداخلية بدرجة عالية من اليقين، واستنتاج ساذج للطبيعة الشريرة، واعتبار أن قيامها بالأشياء القبيحة هو نتيجة استعداد فطرى عند أفراد الجماعة الخارجية، وبذلك تتكون اتجاهات سالبة نحوها". ص١٥١ - ١٥٢. ورغم صحة نموذج كوبر - فازيو والذى تأكد فى أحداث الشغب العنصرى عام ١٩٧٤ نتيجة قضية المشاركة فى المواصلات العامة فى مدينة بوسطن إلا أنها لم تتعرض للاختبار الأمبيريقى المباشر، لكنها مع ذلك تقدم تفسيرا منطقيا لكيف يؤدى التنافس بين الجماعات وإدراك الجماعة الخارجية كتهديد لمصالح الجماعة الداخلية، إلى اتجاهات ومعتقدات تعصبية لدى الأفراد بدرجة كبيرة من التطرف واللامنطقية.

لاحظنا فى الفصل السادس أن صراع المصالح بين الجماعات قد يأخذ أشكالا غير التنافس الصريح، ففى حالة سيطرة جماعة على أخرى على سبيل المثال، فليس بالضرورة أن تتخيل الجماعة الخاضعة أن الجماعة المسيطرة مصدر تهديدها، والمهمة السيكولوجية الحرجة التى تواجه أعضاء الجماعة المسيطرة هى التبرير وإضفاء المنطق على عدم المساواة والسيطرة والمميزات الاجتماعية الأخرى التى يستأثرون بها. و هناك آلية هامة يمكن بها إنجاز المهمة المذكورة، وهى ما أسماها رايان (١٩٧١)(٥٦٠) بإسناد اللوم إلى الضحية Victim - blaming Attributions ويبنى رايان حججه على أساس أن الجماعة المتميزة فى مجتمعات التمييز العنصرى تستطيع الحياة بسهولة مع الفقر والاستغلال والتمييز بإسناد أسباب ذلك إلى ضحاياهم. يتم ذلك بإسناد سمات الضعف وعدم الكفاية، وأن فشلهم وضعفهم هو السبب فى أنهم أقل حظا، وليس بسبب استغلالهم أو بسبب الظروف الاجتماعية التى تستنكر حقهم فى الفرص المناسبة. على سبيل المثال، فالسبب فى فقر الزنوج بالولايات المتحدة يرجع إلى القصور الطبيعى أو البيولوجى لهم، أو يرجع إلى السمات التى اكتسبوها من ثقافة الفقر. هكذا "فإن لوم الضحية على ضعفها هى التبرير الذى يلجأ اليه من يبحث عن منطقية للحالة الراهنة Status Quo فى علاقة الأغلبية بالأقلية" (ليفن وليفن ١٩٨٢ ص٤٣)(٣٧١).

هناك عملية إسناد مختلفة نوعا ترتبط بظاهرة كبش الفداء فقد افترض تاجفيل (١٩٨١)[٦٤٥] وآخرون (مثال: ستيفان ١٩٨٣)[٦٢٠] أن ظاهرة كبش الفداء Scape Goating بين الجماعات هى التصور الأنسب على أساس إسناد السببية الاجتماعية والتى تؤدى وظيفة بالنسبة للجماعات الاجتماعية، أكثر من التوجه المصطبغ بالآلية عن الإحباط - العدوان - والإزاحة. تظهر عملية كبش الفداء حينما يسند أعضاء جماعة أسباب فشلهم أو الصعوبات التى يواجهونها إلى سوء نوايا الجماعة الخارجية، والآن لماذا يظهر ذلك بين أعضاء الجماعة؟ يظهر ذلك لأنه يؤدى وظيفة للجماعة، وهو تجنب اللوم من أعضاء الجماعة لأنفسهم أو لقادتهم، والذى إذا حدث يؤدى إلى إضعاف تماسك الجماعة. على ذلك فالالتزام القوى بهوية الجماعة، والمحافظة على تماسكها يدفع بأعضائها إلى تغيير من يلومونه على فشل تحقيق الأهداف وعلى حدوث المشاكل الجماعية الأخرى، إلى جماعة خارجية ملائمة.

بالإضافة إلى ذلك يشير نموذج كوبر - فازيو (١٩٧٩)[١٣٣] إلى المشكلات الجماعية التى تنتج عن سوء نية الجماعة الخارجية والتى تؤدى إلى تقديرات بالغة السلبية والعدائية للجماعة الخارجية واضطهادها المحتمل. وبغرض إسناد المشكلات الخطيرة والفشل الذى تواجهه جماعة معينة إلى الأفعال الشريرة من جانب جماعة خارجية، فلابد أن تكون هذه الجماعة الخارجية قوية نسبيا. غير أن ذلك يتسبب فى تناقض، حيث إن اختيار كبش الفداء يقع دائما على الأضعف عددا وقوة، ولقد لاحظ كوسر (١٩٥٦)[١٣٥] إدراك المعادين للسامية لـ "قوة اليهود وعدوانيتهم وشرورهم" (ص١٠٧.). كما أشار بيليج (١٩٧٨)[٥٥] إلى أن معاداة السامية الحديثة "تقوم على اعتقاد أن لليهود قوة خارقة لتحريك الشر فى العالم، وأن اليهود يوجهون كلا من الشيوعية والرأسمالية معا، وأنهم يستهدفون السيطرة على العالم بنظام يؤدى إلى تدمير المدنية الغربية. "(ص١٣٢)

كيف يختار أعضاء الجماعة جماعة أخرى كبشا للفداء؟ يحدد التراث السيكولوجى ثلاثة محددات تؤدى إلى اختيار جماعة معينة كبشا للفداء، **أولا**: يجب أن تكون الجماعة ضعيفة نسبيا، أو تكون على الأقل أقل قوة من أن تشكل تهديدا للجماعة (آشمور ١٩٧٠، ليفن - ليفن ١٩٨٢)[٣٧١]، **ثانيا**: يجب أن تكون الجماعة الخارجية ملموسة أو واضحة لدرجة تصبح معها مؤشرا اجتماعيا بارزا لجميع أعضاء الجماعة الداخلية. (آشمور ١٩٧٠)[٢٦٦] **ثالثا**: يجب أن تكون الجماعة الخارجية مكروهة أو محتقرة فى نظر أعضاء الجماعة الداخلية (بركوفيتز - جرين ١٩٦٢[٤٧]، كوسر ١٩٥٦[١٣٥]).

وتفترض الأدلة التاريخية أن الجماعات التى كانت دائما كبشا للفداء تلائم هذه المحكات، فمثلا جماعات الأقلية الثقافية أو الدينية التى تشارك فى التجارة أو الاقتصاد تكون مرشحة دائما ككبش فداء، مثل اليهود فى غرب أوروبا، الهنود فى شرق أفريقيا (وإلى حد ما فى جنوب أفريقيا) والصينيين فى جنوب شرق آسيا (لى فاين - كامبل ١٩٧٢)(٣٧٢). هذه الجماعات ضعيفة سياسيا وعدديا، لكن وجودهم ضرورى فى المجتمع الذى هم ضيوف عليه بسبب ثروتهم النسبية، وبسبب الفروق الثقافية أو العنصرية، مما جعل منهم متميزين اجتماعيا. هذه السمات جنبا إلى جنب مع التوتر المحتوم الناشئ عن صراع المصالح بين البائع والمشترى والذى من الممكن أن ينشأ فى جماعات مكروهة ومحتقرة.

يمكن تلخيص عمليات الإدراك والإسناد فيما يلى : إن عمليات إسناد الفشل والقصور الذى تواجهه الجماعة إلى قادتها قد يضر بتماسك الجماعة، ويدفع ذلك بأعضائها الملتزمين بجماعاتهم إلى إسناد هذه العيوب إلى تصرفات ونوايا جماعات ضعيفة ومكروهة فى شكل كبش فداء. أخيرا يجب النظر إلى قضية البحث فى درجة تأثير إدراك المصالح على الاتجاهات التعصبية بين الجماعات فى سياقها الاجتماعى الطبيعى. لدهشتنا لا نجد إلا القليل من البحوث التى أجريت فى هذا الموضوع، وأغلبها تركز على أثر إدراك التهديد، وقد استعرض آشمور - ديلبوكا (١٩٧٦)(٢٧) الدلائل المؤيدة لتأثير إدراك التهديد فى التعصب العنصرى بالولايات المتحدة. لاحظ الكاتبان أن الدراسات التى أشارت إلى تغير فى الصور النمطية للبيض من السود من صورة الأسود باعتباره الأدنى، إلى صورة الزنجى كثائر ومصدر تهديد. يفترض الكاتبان أن ذلك التغير كان نتيجة تشدد الزنوج خلال الستينيات والسبعينيات. كما ناقشنا أنواعا أخرى من الأدلة،

أولا : لاحظت دراسات عديدة أن فقرات الدراسات المسحية عن إدراك التهديد العنصرى فى مجالات مثل السكان، العمالة، مصادر الدخل والأمن الشخصى، ارتبطت إيجابيا كل منها بالأخرى، مما يوصلنا إلى افتراض أن أعراض "التهديد العنصرى المدرك" قد أصابت الأمريكيين البيض.

ثانيا : ارتبطت درجات الشعور بالتهديد العنصرى مع التقديرات ارتباطا إيجابيا مع انخفاض تقدير السود ومع المؤشرات السلوكية للتعصب (فيجن ١٩٧٠)(١٩١).

ثالثا : أوضحت البحوث المسحية أن من يشعر أنه موضع التنافس المباشر مع السود مثل سكان المدن كانوا أقل تعاطفا مع حركات الاحتجاج التى قام بها السود، أكثر من غيرهم فى المناطق الريفية الذين يسكنون فى مناطق ليس بها مثل هذه الحركات (كامبل ١٩٧١)(١٠٨).

هناك أبحاث أكثر حداثة بالولايات المتحدة قام أغلبها على دراسة مفهوم العنصرية الرمزية وتوصلت إلى نتائج متناقضة مع ما سبق، فقد توصلت إلى أن التهديد العنصرى قد لا يكون السبب الهام المؤثر على الاتجاهات والسلوكيات العنصرية، فقد وجد كندر - سيرز (١٩٨١)(٣٣٢) أن التهديد العنصرى المباشر ضد الأمور الحيوية للبيض مثل تهديد فرص العمل، تهديد الجيران، تهديد فرص دخول أبنائهم للمدارس، تهديد لأمن أسرهم، لم يكن له علاقة أو كانت له علاقة ضعيفة بالتصويت لانتخابات عمدة زنجى أو مؤشرات العنصرية الرمزية.

استعرض سيرز - ألن (١٩٨٤)(٥٧٨) عددا من الدراسات التى أشارت إلى أن معارضة البيض الأمريكيين للمشاركة فى الأتوبيسات لم ترتبط بالمصاعب الشخصية والفشل الذى قد يتضمن قضية المشاركة فى الأتوبيسات بالنسبة لهم. كما لم تتأثر مساندة الأمريكيين البيض للمساواة العنصرية بالتهديد العنصرى الملموس (كندر - رودبيك ١٩٨٢)(٣٣١) . أخيرا، وجدت دراسات عديدة أن المصلحة المادية للرجل الأبيض ارتبطت بصورة ضعيفة جدا بمساندتهم أو بمعارضتهم لحركات الاحتجاج بالولايات المتحدة. (جاكوبسون ١٩٨٥(٣٠٥)، كلوجل - سميث ١٩٨٣(٣٣٧)).

غير أن هذه النتائج الأحدث كانت متضاربة وكانت موضع انتقادين هامين، الأول ما أشارت إليه بوبو (١٩٨٣)(٦٤) أن هذه الدراسات اعتمدت كثيرا على مؤشرات "موضوعية" لتعرض البيض فعليا لتهديد السود، مثال ذلك وضع أطفالهم فى مدارس حكومية تشارك فى برامج المشاركة فى وسائل النقل وفى الاحتمال الموضوعى أن أحد أطفالهم قد يتعرض لهذه المشاركة . رأى بوبو أن هذا التهديد "الموضوعى" قد لا يدركه الناس دائما كتهديد، بالتالى كان من المناسب أن تتطرق هذه الدراسات إلى إدراك التهديد.

ثانيا : استخدمت هذه الدراسات مفهوم المصلحة الذاتية Self - interest على أساس أنه يعنى "المكاسب أو الخسائر التى تصيب الحياة الشخصية للإنسان" (سيرز وآخرون ١٩٧٩ ص٣٧١)(٥٧٩)، ولكن كما يرى سنيدرمان - تيتلوك (١٩٨٦أ)(٦١٢) : "قد يبدو مفهوما منطقيا، لكنه طريقة محددة للنظر إلى مفهوم المصلحة الذاتية، فلنفترض أن السود فوق سن الثلاثين والذين يؤيدون حركات الاحتجاج أى يفضلون حصة Quotas معينة للزنوج فى قبول طلاب الكليات، فلن يستفيدوا شخصيا من مثل هذه الحصص. . . فحسب المصلحة الذاتية فى السياسة هو حساب جماعى وليست للاستفادة الفردية (ص١٤١).

عمـوما فتأثـير التهـديد العنصرى المـدرك على الاتجاهات العـنصرية للبـيض فى الولايات المتحدة يبدو مـوضوعا غير قابل للحل، فالعائق الرئـيسى أمام البحث فى هذا الموضوع هو الفشل فى إيجاد تصور كافى لفكرة المصلحة الجماعية المدركة (مقابل المفهوم المحدد للمصلحة الشخصية، ولتطوير مقاييس كافية لهذا الموضوع).

فى جنوب أفريقـيا تشير دراسات تاريخـية واجتماعية إلى أن صـراع المصالح بين الجماعات هو أهم فى خلق الاتجاهات العنصرية (مثال ركس ١٩٧٠)[٥٣٦]، فان دن برج ١٩٦٧)[٦٨١]. ورغم أن أبحاثا قليلة جدا اهتمت بفحص هذا الموضوع، فنتائجها كانت مـؤيدة، إذ وجـد هيـفن (١٩٨٣ أ)[٢٧١] أن الدرجـة على مقـياس مـساندة المصـالح الاقتصاديـة للعمال البيض كانـت مصدرا قويا للتنبـؤ بالتعصب العنصـرى فى عينة من البيض بجنوب أفـريقيا أكثر من غيرها مـن الدرجات على متغيرات سيـكولوجية أخرى كالتسلط والانصياع.

بالإضافـة إلى أن البحوث التى اهـتمت بقياس الاتجـاهات العنصرية فـى دفعات متتابعة من الطلاب الجامعيين بين أعوام ١٩٧٣ - ١٩٧٨ (نيو دوت - بلج ١٩٨٣)[٤٦١] توصلت إلى افـتراض أن العداء الأبيض ضد السـود تأثر بدرجة التهديـد المدرك لمصالح البيض والناتج عن مقاومة السود ونشاطـهم السياسى. أشار ذلك البحث إلى أن اتجاهات الطلاب البيض نحو السود أصبحت أكثر سـلبية بعد حدوث "أحداث شغب - سويتو" عام ١٩٧٦.

أخيرا، قارن فورنهام (١٩٨٥)[٢١٧] بين الاعتقاد فى عدالة العالم Just - World Belief بين عينـتين متماثلتـين من البيض فى جنوب أفـريقيا والبريطـانيين، واتضح أن الاعتقاد فى عدالة العـالم كان أقوى فى عينة جنوب أفريقيا. ويفيـد الاعتقاد فى عدالة العالم أصحابه فى تبـرير الوضع القائم فى مجتمع غير عـادل، كما أنه "يدين أو يقلل من شأن الضحايا البريئة لسياسة التميز العنصرى" ص ٣٦٥.

الإدراك الاجتماعى وإسناد السمات

Social Perception and Trait attribution :

رأى رايان (١٩٧١)[٥٦٠] أن إسناد اللوم إلـى الضحية يـنشأ مباشـرة عن دوافع الذين يستـفيدون من عدم المسـاواة الاجتماعيـة بهدف التبريـر وإضفاء المنطقيـة على ما يتميزون به على غيرهم بسبب عدم المساواة.

لكن هناك دليل على أن إسنـاد اللوم على الضحية يظهر كجزء مـن عملية أشمل وعند أشخاص ليس لديهم أى رغبة فى تبـرير الأمر الواقع. فأى شخص يلاحظ آخرين

يعانون من التميـيز أو من أى ظلم شخصى أو اجتماعى قد يميل إلـى احتقارهم ولومهم على ذلك، من خلال إسناد الصفات السلبية إليهم كتفسير لوقوع الظلم عليهم.

ثمة نظرية هامة تفسر مثل هذه الاسـتنتاجات أو إسناد اللوم إلى الضحية Victim - Blaming Attribution ، حيـث يعود ذلك الأمـر إلى ميـل عام افتـرضه ليـرنر (١٩٨٠)(٣٦٤)، فقد تصور أن الأفراد الذين لديهم حاجة أساسية للاعتقاد أنهم يعيشون فى عالم عادل، وأرض منظمة، فيها يحصل الناس على ما يستحقون، و "يستحقون ما حصلوا عليه" يؤدى ذلك إلى الشعور أن الضحيـة البريئة تـهدد ذلك الاعتقاد فى عدالة العالـم، وتدفعهم إلى تـبنى استراتيـجيات للـدفاع عن هذا المعتـقد، وقد أجرى لـيرنر وزملاؤه (ليرنر - ميلر ١٩٧٨)(٣٦٥) عددا كبيرا من الأبـحاث التى توضح أن ذلك حين يحدث، تستـخدم استراتيجية هامـة توصل إلى احتقار الضحـية واعتبار معاناتـها عقابا تستحقه.

يمكن تعمـيم هذا المبدأ على إدراك الجماعـات الاجتماعية، فـى هذه الحالة وكى تستمر المحافظة على سلامة الاعتقاد فى عدالة العالم، فإن مجرد إدراك أن جماعة معينة وقع عليهم الظلم أو قـهر أو استغلال أو تمييز يؤدى إلى ميل - حـتى لدى الملاحظ غير المهتم بالموضوع - لاحتـقار هذه الجماعة ولإسناد الصفات التى تفسـر ما وقع عليها من ظلم إلى أفرادها.

هناك عملية ثـانية لها دور فى مثل هذه المواضع، وهى ظاهـرة إسناد صفات إلى أفراد (أو جماعات) لتفـسير ظروفهم أو سلوكهم، تظهر كعمليـة إدراكية معرفية دون أن تتضمن حاجة للمحافظة على اعتـقاد مثل عدالة العالم أو أى مكون دافعى آخر، يسمى ذلك بالخطأ الإسنادى الأساسى Fundamental Attribution Error يشمل ذلك تميزا أساسيا فى طريقة إدراك الآخرين، ويتكون من ميل لتقليل قيمة تأثير العوامل الموقفية فى التأثير على سلوكيات الآخرين ولزيادة قيمـة دور العوامل الشخصية أو الاستعدادية وذلك كما يشـير جونز (١٩٨٢)(٣١٠)، «يبدو أنـنا نحكم على سلـوك شخص معين يتـصرف بطريقة مخـتلفة مثلما يفعل أى شخص آخـر من ثقافة أو من عنصر مختـلف، باعتباره يكشف عن الاستعداد الثابت للشخص». (ص٦٣). ويبدو أن هذا التميز الإسنادى ينشأ عموما من طريقة توجيه الناس الذين يلاحظون شخصا فى موقف (روس ١٩٧٧)(٥٥٦)، ويرتبط هذا المبدأ مبـاشرة بإدراك الفروق بين الجماعات وبتكوين أفـكار نمطية. قد تكون القوالب النمطيـة وصفية فقط مثل احتـواء الـقـالب النمطى لجـماعة معـينة على صـفة مثل أنهم طـوال القامة أو أغنياء، غـير أن القوالب النمطـية تحتوى غالبـا على مكونات

استدلالية Inferential حين يمكن إسناد الفروق الجماعية من خلالها إلى استعداد جماعى ثابت - هو فى العادة سمة شخصية.

بذلك فالقالب النمطى "كسول" عن جماعة معينة مثلا يتكون من :

أولا : ملاحظة للفروق بين الجماعات الحقيقية أو المتخيلة فى الإنجاز أو فى توجهات العمل.

ثانيا : تشمل إسنادا لهذه الفروق الملاحظة إلى سمة الكسل. ويصف إيجلى - ستيفن (١٩٨٤)(١٧٦) ذلك فى معرض إيضاحهما للكيفية التى تستمد بها القوالب الجامدة من الظروف الاجتماعية بقولهم «إذا كان هناك من يلاحظ جماعة معينة تقوم بنشاط خاص، فمن المحتمل أن يعتقد أن القدرات وصفات الشخصية المطلوبة لتنفيذ هذا النشاط ثابتة فى هذه الجماعة من الناس، فمثلا اذا كان يلاحظ أن النساء دائما تعتنى بأطفالهن، فمن المرجح أن يعتقد أن الصفات الضرورية لرعاية الطفل، كالتغذية والدفء صفات أساسية للمرأة »(٧٣٥).

تفسر القوالب النمطية الفروق بين الجماعات بإسناد سمات أو استعدادات ثابتة لكل جماعة أكثر من تفسير تلك الفروق باعتبارها نتاجا للضغوط الاجتماعية أو متطلبات الأدوار المحددة لهذه الجماعة من الخارج. ويمكن النظر إلى ذلك باعتباره مثالا للخطأ الإسنادى الأساسى Fundamental Attribution Error وذلك لأن من النادر العثور على سبب أمبيريقى يرجح أيا من التفسيرين المحتملين (نتيجة ظروف موقفية أو سمات استعدادية) للفروق بين الجماعات. مثال على ذلك تلك الجماعة التى نحمل عنها قالبا نمطيا أنها "كسولة"، قد تكون متدنية فى الإنجاز المهنى أكثر من إنجاز الجماعة الداخلية، لكن قد يعود هذا الفرق إلى اختلاف الفرص المتاحة بين الجماعتين، وإلى العقبات التى تجابهها هذه الجماعة بسبب ضعف استعداداتها أو تدنى سماتها.

ولأن عملية القولبه النمطية Stereotyping تضم تحيزا إسناديا أساسيا عند تفسير الفروق بين الجماعات لصالح السمات الجماعية أكثر من الظروف الاجتماعية، فالجماعة التى تعتبر متدنية على أى بعد ذى قيمة اجتماعية يميل المدرك لها إلى إسناد سمات سلبية تفسر هذا التدنى، بذلك ينشأ القالب النمطى السلبى والتعصب ضد هذه الجماعة من مجرد إدراك أن الجماعة أقل من غيرها فى بعض الأبعاد ذات القيمة الاجتماعية. بذلك فالشخص الفقير من مكانة متدنية يقوم بالأعمال اليدوية البسيطة ويعيش فى أحياء عشوائية Slum وذو تعليم بسيط. ولا يحتاج ذلك إلى عمليات دافعية مثل لوم الضحية، بل قد يظهر كجزء من عملية أكثر عمومية من القوالب الاجتماعية كظاهرة إدراكية معرفية تشمل إسنادا للصفات المستنتجة من تفسير الفروق بين الجماعات.

هذه العملية قد لا تكون دافعية ولا تشمل حاجة لاستمرار "الاعتقاد فى عدالة العالم" . كما أنها لا تتضمن مصلحة مقنعة Vested للإبقاء على الوضع الراهن وغير العادل مستمرا. أما فى الممارسة العملية فكل من العمليات الإسنادية الإدراكية التى تضمها عملية القولبة النمطية، والعمليات الدافعية التى تضمها عملية لوم الضحية Victim - Blaming- تميلان إلى الظهور معا بحيث تدعم كل منهما الأخرى.

هناك تعليق آخر يستحق الذكر، فالمناقشة السابقة يبدو أن لها علاقة هامة بالحوار القديم حول أهمية القوالب النمطية باعتبارها جوهر الحقيقة كما يقول بذلك لى فاين - كامبل (١٩٧٢)[٣٧٢] فى استعراضهما لهذا الموضوع، فقد جرى السيكولوجيون على افتراض أن القوالب النمطية دائما زائفة ومشوهة، وهذا ما ناقشه الباحثان وأوردا من الشواهد السسيولوجية والأنثروبولوجية ما يؤكد أن القوالب النمطية تعكس الفروق الاجتماعية الحقيقية بين الجماعات.

حظى الجدل المذكور بمناقشات تالية كبيرة، كان أكثرها أهمية ما قدمه برجهام (١٩٧١أ)[٨٥] وماكولى وآخرون (١٩٨٠)[٤٠٨]، فى هاتين الدراستين تم دراسة القوالب النمطية وفحص أوجه الزيف والتشويه فيها، وتوصلا إلى أن القوالب النمطية ليست بالضرورة "غير منطقية فى أساسها، أو ترفض استقبال المعلومات الجديدة، أو كاذبة" (ماكولى وآخرون ١٩٨٠ ص١٩٥)[٤٠٨].أما المراجعات الأخيرة التى هاجمت القوالب النمطية باعتبارها "أساسا للتعصب العرقى، وللموقف الوراثى من الفروق الفردية، ولإسقاط العدوان، وللمبالغة فى الفروق بين الجماعات ولو كانت واقعية" (ص١٩٥). فقد اتضح أنها تنطبق فقط على أنواع معينة من القوالب النمطية السلبية، وليس على القوالب النمطية عموما. بذلك نستنتج أن القوالب النمطية لا تختلف أساسا عن أى أنواع أخرى من "المفاهيم Concepts " (ماكولى وآخرون ١٩٨٠)[٤٠٨] أو "التعميمات Generalizations (برجهام ١٩٧١أ)[٨٥]. ففيما يرى باباد وآخرون (١٩٨٣)[٣٠] "فكل كائن إنسانى يستخدم القوالب النمطية فى معالجة معلوماته عن البيئة الاجتماعية (و) هى ليست فقط قدرا محتوما Inevitable بل هى أيضا مهمة جدا فى التفاعل الاجتماعى الناجح (ص٧٥).

رغم أن المناقشة السابقة فى مجموعها كانت خارج نطاق الفصل الحالى، إلا أنها تطرقت إلى نقطتين ذات علاقة بالموضوع، الأولى أن التأكيد على أن القوالب النمطية هى تعميمات معرفية يعتبر مضللا، حيث أنها قد تكون وصفية، إلا أنها تشمل عموما مكونا استدلاليا يسند الفروق الجماعية المدركة إلى استعداد شخصى أو سمة شخصية

تعتبر مميزة لهذه الجماعة. ولهذا من العمومية ما يجعل القوالب النمطية تعرّف على أنها معتقدات حول الصفات الشخصية Personal Attribution (آشمور - ديلبوكا ١٩٨١)[٢٨]، أو سمات (برجهام ١٩٧١أ)[٨٥] للجماعة.

الثانية : أن إسناد الفروق الجماعية المدركة إلى استعدادات شخصية أكثر من إسنادها إلى البيئة الاجتماعية يشكل خطأ أساسيا أو تميزا فى القولبة النمطية يتساوى مباشرة مع الخطأ الإسنادى الأساسى فى حالة السلوك الجماعى. ويبدو أن لهذا التميز فى القوالب النمطية نتائجة العميقة على الاتجاهات والسلوك نحو الجماعة الخارجية، فقد أشار ابستول وآخرون (١٩٨٣)[٢١] على سبيل المثال إلى البحوث التى أشارت إلى أن التعصب والتمييز يظهران عندما يتم إسناد الفروق الجماعية المدركة والسلبية ضد جماعة خارجية إلى سمة فى الجماعة ولكن ليس عندما يتم إسنادها إلى عوامل بيئية اجتماعية. وتتميز عملية الإسناد إلى أنماط جامدة بأنها محافظة فى أساسها سواء اجتماعيا أو سياسيا. يعنى ذلك أنها تستنكر السياسات التى تساند الجماعات الضعيفة أو تدعو إلى الإصلاح والتغيير الاجتماعى. أما الحلول العلاجية التى توافق عليها فهى التى تركز على تغيير حالة أفراد الجماعة المظلومة (مثال ذلك رايان ١٩٧١)[٥٦٠].

لا ينطبق هذا الجدل على القوالب النمطية السلبية فقط، فقد تؤدى القوالب الإيجابية أيضا إلى ظهور التعصب، أو تخلق على الأقل ظروفا معرفية ملائمة لنمو ذلك التعصب - هذا إذا تم التركيز على أن الجماعات تختلف فى طبيعتها أكثر مما تختلف فى ظروفها البيئية. فقدلاحظ وايلدر (١٩٨٦)[٧٠٧] على سبيل المثال" أن الإسناد إلى استعداد سلوكى لأعضاء الجماعة الخارجية ... يشجع على زوال الفردية بين أفراد الجماعة الخارجية، ويدعم بذلك احتمال التحيز. بالعكس اذا طبقنا النظرة الجالية للجماعات الخارجية (مثال ذلك توجيه الانتباه إلى مضمون السلوك) فسينتج عن ذلك استجابات أكثر تأييدا، وأكثر تأكيدا على التشابه مع الجماعة الداخلية" (ص٣٤٠ - ٣٤١). كما أشار ميلر (١٩٨٢)[٤٣٣] أيضا إلى أن ذلك يؤدى إلى نفى إنسانية أعضاء الجماعة الخارجية Dehumanization . "حينما يفكر أعضاء جماعة أخرى باعتبارهم مختلفين من الأساس" (ص٤٧٨).

يساعد ذلك فى تفسير كيف يمكن لقالب نمطى إيجابى عن جماعة خارجية أن يتحول بسرعة وسهولة ليصبح سلبيا تماما عند تغير الظروف، فقد بين سينها - أوبادهايايا (١٩٦٠)[٦٠٦] كيف تحول قالب نمطى جامد عند الهنود عن الطلاب الصينيين، تحول إلى قالب بالغ العداء والازدراء بسبب أحداث النزاع على الحدود بين

الصين والهند فى عـام ١٩٥٩ . فى مثل هذه المواقف قد يؤدى الوجود السـابق للقوالب النمطية الجامدة فى مقابل إسناد الفروق الجماعية إلى عوامل بيئية، إلى تأثير متناقض فى تسهيل ظهور القوالب النمطية السلبية والعداء بين الجماعات.

هناك عمليـة مختلفة نـوعا عما ناقشـناه فى هذا الفصل تسمـى بالخطأ الإسنادى المطلق Ultimate Attribution Error كما أسماه بيتى جرو (١٩٧٩)(٤٩٨) ويشمل ذلك إسناد أعضاء الجماعة الداخلية لسلوكيات إيجابية لأعضاء جماعة مكروهة إلى الظروف، أو الحظ أو أى عوامل استثنائية، أما إسناد السلوكيات السلبيـة لهؤلاء الأفراد الخارجيين فيكون إلى سمات ثابتـة أو استعدادات فى الشخصية، وقد ساندت نتـائج أبحاث كثيرة هذه الافتراضات (مثال جرينبرج - روزنفيلد ١٩٧٩(٢٤٠)، وايتهد - سميث - ايكهورن ١٩٨٢)(٧٠٥). لكن هذه التـحيزات الإسنادية لا تفسـر ظهور التعصب ضد الجـماعات الخارجية، بقدر ما تـقدم آليات المحافظة وتدعيم التعصب والكراهـية بين الجماعات التى هى قائمة بالفعل، وعلى ذلك فنكتفى بالإشارة إلى هذا المنطلق هنا دون تفصيل.

الخلاصـة:

اهتمت كل نظرية نوقشت فى هذا الفصل بانتقال التعصب إلى الأفراد: افترضت كل نظرية إجابات على السـؤال الأساسى كيف يكتسب الأفراد أنماط التـعصب التى تميز ثقافتهم الخاصة أو جماعتهم، يتم ذلك فى نظر الغالبية من الباحثين خلال عملية التنشئة خصوصا إذا كانت تعنى التعلم الاجتماعى من الآخرين ذوى الأهمية فى الحياة المبكرة، كذلك من خلال الانصياع للمعايير. تفترض هذه النظريات فى مجموعها وجود عمليتين تقدمان تفسـيرات واضحة لكيف يكتسب الأفـراد ويستدمجون الاتجاهات التعـصبية من الآخرين ذوى الأهمية، ومن الجماعات الاجتماعية.

تم استعراض عدد كبير من الشواهد التـى تشير إلى أن التعلم المبكر يؤثر بقوة فى اتجاهات الطفل نحو الجـماعات الأخرى، هذا رغم أن أهميته الفعلـية فى حالة اتجاهات الراشدين من الصعب قياسها، وقد يمكن للضـغوط المعيارية للانصياع أن تفرض مباشرة الخضوع للمعيار التعصـبى، والذى قد يؤدى إلى استدماجها Internalization ، وذلك بالإضافة إلى فرضها لمجموعة من العقوبات الاجتماعية التى تضع الحدود وتحافظ وتدعم مثل هذه العقائد المستدمجة.

ظهرت شواهد تجـريبية حاسمة علـى مدى قوة الجماعة فى الضـغط على سلوك أعضائهـا، تساند الفكرة القـائلة أن الانصياع هو سـبب التعصب، لكـنه رغم الأبحاث الميدانيـة المكثفة علـى تأثير الانصياع عـلى الاتجاهات الاجتمـاعية، كان لهـذه الأبحاث نواحى قصور منهجية خطيرة، فهى تعـوق الوصول إلى استنتاجات محددة عن الانصياع كمحدد رئيسى للـتعصب، ولذلك فمن الضرورى إجراء بحوث منهـجية على الانصياع

والتعصب من أجل تقييم هذا المنطلق النظرى بصورة كافية. ويبدو ذلك مهما خصوصا فى المجتمعات المتعصبة حيث يعتقد أن الانصياع سلوك هام فيها، وسنناقش هذه الأبحاث فى الفصل التاسع.

ثمة توجهان نظريان لم ينالا سوى اهتمام قليل فى الأدبيات من منطلق بحثنا عن عوامل نقل التعصب. التوجه الأول هو الاتصال الشخصى بأعضاء الجماعة الخارجية والذى نوقش عموما فى معرض وسائل تخفيض التعصب. غير أن الأدلة متوافرة على أن أنواعا معينة من خبرات الاتصال الشخصى مع أعضاء الجماعة الخارجية هى فقط التى تدعم أو تضاعف التعصب ضد هذه الجماعات، وقد ظهر اعتراض أن نوع الاتصال الشخصى بين أعضاء الجماعات يتحدد أساسا بالظروف الاجتماعية العامة Macrosocial للتفاعل والاتصال بين الجماعات، وبذلك فسوف تؤثر الظروف البنائية الاجتماعية على تعصب الأفراد رغم ما قد نجتهد فيه من تنظيم لمواقف الاتصال بين فردين من جماعتين مختلفتين.

التوجه الثانى يعارض ما سبق على أساس أن مجرد عضوية جماعة اجتماعية معينة قد يؤدى إلى ظهور أنواع معينة من الإدراك والإسناد للجماعات الخارجية، مما يتسبب فى التعصب ضدهم، فقد يتشارك أعضاء الجماعة الداخلية فى إدراك أنواع من المصالح المشتركة فيما بينهم والتى تقع تحت تهديد أعضاء الجماعة الخارجية، وعلى العكس فقد يدرك أعضاء الجماعة الداخلية، الجماعة الخارجية باعتبارها الأدنى فى بعض المحددات ذات المكانة الاجتماعية، بالتالى فسوف يسندون إليها سمات واستعدادات أصلية تفسر هذا التدنى.

يمكن اعتبار ذلك تعبيرا موقفيا عن الخطأ الإسنادى الأساسى. هذا بالإضافة إلى أنه حينما تتضمن الفروق الجماعية المدركة بعض أنواع الظلم وعدم المساواة ضد الجماعة الخارجية ينتج عن ذلك إسناد للازدراء ولوم الضحية؛ وذلك لإشباع الحاجة إلى الإبقاء على الاعتقاد فى عدالة العالم حيث يحصد الناس نتائج أفعالهم.

أخيرا، فقد لاحظنا فى الفصل الرابع أن التعصب عند الأفراد لبيس فقط مجرد وظيفة للضغوط الاجتماعية، فالأفراد الذين يتعرضون لنفس الضغوط الاجتماعية المؤدية للتعصب قد يختلفون فى درجة اعتناقهم للمعتقدات التعصبية.

ويبدو أن العوامل السيكولوجية هامة فى تحديد قابلية الشخص للخضوع لهذه الضغوط، ويمكن النظر إلى هذه الفروق الفردية باعتبارها معبرا لتوصيل التعصب من البيئة الاجتماعية إلى الأفراد، مكونة استعدادا أو تهيؤا للتعصب وهذه الأبعاد السيكولوجية هى موضوع الفصل القادم.

***

الفصل الثامن

الفروق الفردية والتعصب

Individual Differences and Prejudice

قامت عدة نظريات على فكرة أن الفرد لا يكتسب التعصب ببساطة من البيئة الاجتماعية، بل إن ذلك الاكتساب يتأثر بالخصائص الفردية التى يحملها، بذلك يمكن تفسير الاتجاهات التعصبية جزئيا على الأقل على أساس العوامل الفردية داخل الشخص المتعصب.

أشار (ميلنر ١٩٨١) إلى أن ذلك المنطلق يبدو حاسما على الأخص فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فمعاداة السامية فى ألمانيا النازية وطبيعة المذابح التى أقيمت لليهود لا يمكن تفسيرها ببساطة على أساس صراع المصالح أو الصراع الاجتماعى العقلانى: "على ذلك فقد توجهت التفسيرات إلى اضطراب الشخصية؛ لأن من الصعب تصور أن تلك أفعال لرجال عقلاء". (ميلنر ١٩٨١ ص١٠٦)[٤٣٦]، والمثال التقليدى على ذلك هو الشخصية التسلطية والتى سادت التفسير السيكولوجى للتعصب خلال الخمسينيات.

يدعم فكرة أن التعصب يتأثر بالعوامل الفردية أساس أمبيريقى هام، وهو النتائج التى توصلت إلى أن التعصب يميل إلى أن يصبح اتجاها معمما، بذلك فالأشخاص الذين يعبرون عن اتجاهات لتفضيل باقى الجماعات الخارجية، وبالعكس فالأشخاص المتعصبون أو المعادون لجماعة خارجية يميلون إلى حمل اتجاهات أقل تفضيلا لباقى الجماعات الخارجية أو الأقليات.

يتم التعبير عن ذلك بأن معاملات الارتباط إيجابية ومرتفعة بين الاتجاهات نحو الجماعات المختلفة، وقد اتفقت فى ذلك أغلب النتائج المستجدة فى دراسات استخدمت عينات متنوعة وجماعات متنوعة (مثال دراسات هاردنج وآخرون ١٩٦٩ ص١٥-١٧)[٢٥٩].

وجدت بعض الدراسات المبكرة مثل دراسة (آدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٧] والتى درست التسلطية Authoritarianism، معاملات ارتباط عالية جدا بين درجات التعصب نحو جماعات الأقليات المختلفة، فمثلا وجدت معامل ارتباط يبلغ (٧٤,) بين التعصب

المضاد للسامية والتعصب المضاد للزنوج. لكن هذه الارتباطات كما أوضح (التيمير ١٩٨١ ص١١٧-١٤٦) كانت متضخمة Inflated أو مبالغا فيها بسبب استخدام مقاييس للتعصب ليست متوازنة فى درجات الإذعان Acquiescence ، غير أنه عند استخدام مقاييس صالحة سيكومتريا لقياس التعصب، ظلت معاملات الارتباط بين الاتجاهات نحو الجماعات المستهدفة المختلفة فى حدود (٠,٥٠) (بيرلى، جلوك - وثنو - بليافين - سبنسر ١٩٧٥[٥٣]، بروثرو - جنسن ١٩٥٠[٥٠٩]، بروثرو - ميلز ١٩٥٢[٥١٠]، راى - لوفجوى ١٩٨٦[٥٣٢]).

اتضحت نتائج مشابهة فى دراسات استخدمت مقاييس التباعد الاجتماعى Social Distance، فالمسافة الاجتماعية التى يعبر عنها الأفراد تجاه أعداد كبيرة من الجماعات القومية والعنصرية الأخرى ترتبط بقوة فيما بينها (فنك ١٩٧١[٢٠٠]، هارتلى ١٩٤٦[٢٦٣]، ميرفى - ليكرت ١٩٣٨[٤٥٥]) وحتى هارتلى (١٩٤٦)[٢٦٣] والذى استخدم جماعات وهمية Fictious وجد ارتباطات موجبة دالة بين الاتجاه نحو جماعات حقيقية وبين الاتجاهات نحو تلك الجماعات الوهمية.

رغم أن (فنك ١٩٧١)[٢٠٠] أشار إلى أن هذه الارتباطات تنخفض حينما تتاح أمام المبحوثين فرصة اختيار (محايد) فى مقياس الاتجاه نحو الجماعة المتوهمة، فلا يعنى ذلك بالضرورة تقليلا من مصداقية ودلالة النتائج الأصلية ما دمنا نبحث عن تعميم النتائج عن التعصب. فالنقطة هى أنه عندما لا يسمح للمبحوثين باستخدام فئة محايدة Neutral ويضطرون إلى الاختيار تتضح هذه العمومية بجلاء.

تمكننا قوة الارتباط بين اتجاهات الشخص نحو جماعات اجتماعية مختلفة بصورة كبيرة، من قياس التعصب كاستعداد معمم، فمثلا يمكن بناء المقاييس باستخدام فقرات تقيس المشاعر نحو جماعات خارجية أو أقليات متنوعة فسنجد بين هذه الفقرات اتساقات داخلية عالية، وقد تم وضع عدد من المقاييس واستخدامها على هذا النحو، ولعل مقياس (أدورنو) لقياس الاتجاه ضد الأقليات Antiminorities (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٧] ومقياس الخوف من الغرباء (Xenopaobia لكامبل - ماكندليس ١٩٥١) أشهر المقاييس من هذا النوع.

من أحدث مقاييس التعصب المعمم Generalized Prejudice Scale ما أعده التيمير (١٩٨٨أ ص١٠٨-ص١١٠)[١٧] حيث أظهرت العشرون فقرة التى يتكون منها والتى تشير كل واحدة إلى عدد من الجماعات العرقية مثل اليهود - الصينيين، الهنود الحمر الكنديين، جزر الهند الغربية، الفلبينين، الآسيويين، السود، المختلطين Metis،

الباكستانيين، العرب، السيخ، وقد أوضحت المعاملات الناتجة بين الفقرات ارتباطات متوسطة حوالى.٢٥ ويشير ذلك إلى درجة عالية جدا من عمومية التعصب على جماعات بالغة التمايز أو الاختلاف.

غير أن هناك بعض النتائج الأمبيريقية تسببت فى تعقيد، أو حتى رفض هذه الفكرة، فقد توصل (بروثرو ١٩٥٢)[٥٠٨] فى دراسة بالجنوب الأمريكى إلى أن العديد من المبحوثين كانوا منتهى المعاداة للزنوج، لكن لم يكونوا كذلك ضد السامية، بل لقد ظهر عدد من المبحوثين يجمعون بين معاداة الزنوج والمحبة الشديدة لليهود، وفى العادة يتم تفسير هذه النتائج والتى أكدتها دراسات أخرى باعتبارها تنافى فكرة أن التعصب يميل إلى التعميم.(إرليخ ١٩٧٣[١٧٩]، رين ١٩٦٢[٥٣٧]، سيمان ١٩٨١[٥٨٥]).فى أحد معانيه نجد أن النقد صحيح جدا ، فنتائج (بروثرو) ترفض فكرة السلبية المعممة بمعناها المطلق أى بمعنى أن الشخص الذى يحمل اتجاهات سلبية ضد جماعة ستكون اتجاهاته سلبية تجاه غيرها من الجماعات، ويشيع هذا التعميم بصورة كبيرة فى أدبيات الدراسة، فجوردون البورت (١٩٥٤)[١٢] مثلا يؤكد أن «إحدى الحقائق التى نحن متأكدون من صحتها جميعا هى أن الناس الذين يرفضون إحدى الجماعات الخارجية سيرفضون غيرها من الجماعات الخارجية، فإذا كان هناك شخص ضد اليهود، فمن المحتمل أن يكون ضد الكاثوليك، ضد الزنوج، وضد أى جماعة خارجية». غير أن فكرة عمومية التعصب يمكن تفسيرها بصورة مختلفة، بمعنى نسبى بديل عن المعنى المطلق. بهذا المعنى لا تعتبر متناقضة مع نتائج بروثرو، فحسب هذا التفسير لا يميل الأشخاص إلى أن يكونوا سلبيين حرفيا أو إيجابيين حرفيا نحو جميع الجماعات الخارجية، بل يميلوا إلى أن تكون موافقتهم الإيجابية أو السلبية متناسبة مع الاتجاه السائد فى بيئتهم الاجتماعية.

بذلك فالأفراد الأكثر سلبية ليسوا بالضرورة سلبيين ضد أى جماعة خاصة، بل سيكونون أقل تفضيلا لها بالمقارنة بمشاعرهم نحو مواطنيهم ،و ينتج عن ذلك أن الاتجاه المعيارى Mormative Attitude نحو جماعة خارجية اذا كان إيجابيا جدا فسيكون للأشخاص اتجاه إيجابى معتدل، وإذا كان الاتجاه المعيارى غير مهتم بجماعة معينة، فسيكون اتجاه الأشخاص سلبيا نوعا ما، وإذا كان المعيار سلبيا فسيكون اتجاه الأفراد عدائيا جدا.

يعنى هذا التفسير فى الأساس أن الأفراد لن تكون اتجاهاتهم واحدة نحو الجماعات الخارجية على اختلافها، لكن ترتيب الاتجاهات نحو هذه الجماعات سيظل ثابتا، فكما تبين نتائج بروثرو من الممكن لأغلب المبحوثين أن يكونوا معادين للزنوج

ومؤيدين لليهود، بل حتى من الممكن أن تصبح الارتباطات بين الاتجاهين قوية، والقضية هنا هى أنه فى العينة التى تكون مضادة للزنوج عموما ومؤيدة لليهود فى نفس الوقت، فالأفراد الذين كان تعصبهم شديدا جدا ضد الزنوج كان تفضيلهم لليهود أقل من غيرهم من أفراد نفس العينة الذين لم يكن تعصبهم للزنوج قويا.

للتمييز بين هذين التفسيرين نتائج مهمة عن نوع العمليات الكامنة والمسببة لهذه العمومية، فمثلا تشمل فكرة السلبية المعممة بمعناها المطلق بعض أنواع الحاجات الداخلية أو الاستعدادات للكراهية أو للعداء ضد الجماعات الخارجية وهى حاجات مستقلة نسبيا عن البيئة الاجتماعية. من جهة أخرى يفترض الميل المعمم لتفضيل أو كراهية الجماعة الخارجية بمعناه النسبى تصورا يقوم على أساس القابلية أو التهيؤ Susceptieility or Volunerability، إذ تنتج الفروق الفردية بمعنى التهيؤ المعمم للتعصب عند الأشخاص الذين يستجيبون بطريقة مختلفة للاتجاهات التعصبية التى يواجهونها فى بيئتهم الاجتماعية، وبتحديد أكثر، يمكن النظر إلى القابلية باعتبارها تقوم بتعديل أو تعميم تأثير الضغوط الاجتماعية الهادفة إلى التعصب (كما عرضها الفصل السابع) على الأفراد فى الأوضاع الاجتماعية المختلفة، وبذلك فالدلائل الاجتماعية للتعصب فى بيئة معينة قد تكون ضعيفة جدا (مما يؤدى إلى اتجاه تفضيلى عموما نحو جماعة خارجية، أو قوية جدا مما يؤدى إلى اتجاه سلبى عموما نحو جماعة خارجية). وكيفما كانت طبيعة هذه الدلائل وفى أى وضع اجتماعى، فالأفراد القابلون للتعصب سيصبحون أكثر تقبلا لهذه الدلائل من غيرهم، وهكذا نتفق مع (بروثرو) فى نتائجه حيث إن الأشخاص ذوى الاستعداد القوى للتعصب قد يصبحون إيجابيين جدا مع الجماعات التى يكون الوسط الاجتماعى لهم إيجابيا جدا، لكنهم سيصبحون أقل إيجابية بالمقارنة بالأشخاص ذوى القابلية الضعيفة للتعصب.

يفسر وجود فروق فردية ثابتة ومتسقة فى القابلية للتعصّب على أساس سيكولوجى بحت فى أغلب الاحوال وباستخدام مصطلحات سيكولوجية كالسمة أو الشخصية، ويشيع ذلك التفسير خصوصا حينما يميل أصحابها إلى التعميم إلى معانى مطلقة كأن تعكس نوعا من الحاجات الداخلية أو الاستعدادات العدائية أو السلبية ضد الجماعات الخارجية، وكما يرى(سيمان ١٩٨١)[٥٨٥]: " لا يمكن لنظرية فى التعصب تعتمد على خبرات الاتصال وما يترتب عليها من تعميم تفسير النتائج حول عدم التسامح بين الجماعات. فمن الصعب لمثل هذا الكم من الكراهية بين الجماعات أن يكون نتيجة للخبرة أو نتيجة للمنطق، هنا يجب على الشخص أن يبحث فى أعماق الشخصية عن مصدر ذلك، فما يربط بين هذه العداءات اللامنطقية هو المنطق السيكولوجى " Psycho-Logic (ص٣٨٢).

كان الاستنتاج أن ديناميات الشخصية المؤدية إلى الحاجة إلى التعصب هى التى تكمن خلف عمومية التعصب، موضع قبول عام (أدورنو وآخرون ١٩٥٠[٧]، آشمور ١٩٧٠[٢٦]، باباد وآخرون ١٩٨٣[٣٠]، باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣١]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]). إلا أنه بمجرد النظر إلى أن عمومية التعصب لم تعد مطلقة المعنى، سيظهر لنا أن ذلك الاستنتاج محدود للغاية، فليس هناك من سبب لماذا لا تعتبر أى من أبعاد الفروق الفردية الثابتة سببا من أسباب التهيؤ المعمم Generalized Susceptibility للتعصب.

يمكن اكتساب هذا التهيؤ كنتيجة للتعرض لمضمونات اجتماعية وخبرات خاصة. (هايمان - شيتزلى ١٩٥٤[٢٩١]، رين ١٩٦٢[٥٣٧]). فعلى سبيل المثال يقرر هايمان - سيتزلى (١٩٥٤)[٢٩١] أن «المؤكد أن الاتساق Consistency يفسر ليس على أساس الموضوعات الخاصة للتعصب، ولكن كاستعداد معمم داخل الفرد، غير أن العامل المنظم الكامن وراء هذا الاستعداد المعمم Generalized Disposition هو عامل اجتماعى» (ص١١٢) ، هكذا تؤدى العوامل الاجتماعية المؤثرة فى الفروق الفردية الثابتة، مثل المكانة الاجتماعية، الحراك الاجتماعى Mobility ، المهنة، التعليم وما إلى ذلك، كما أنها تؤدى إلى التأثير أيضا فى الميل المعمم للتسامح أو عدم التسامح Tolerance - Intolerance مع الجماعات الخارجية (براون ١٩٦٥[٩٠]، هايمان - شيتزلى ١٩٥٤[٢٩١]).

تم تحديد عدد من الفروق الفردية الاجتماعية والسيكولوجية كمؤثرات محتملة على قابلية الفرد للتعصب، تشمل الإحباط (دولارد وآخرون ١٩٣٩)[١٥٧]، ضعف التوافق النفسى وانخفاض تقدير الذات (إرليخ ١٩٧٣)[١٧٩]، نسق المعتقدات الدينى والسياسى (ألبورت ١٩٥٤[١٢]، جلوك وآخرون ١٩٧٥)[٢٢٨] المكانة (شريف ١٩٦٧)[٥٩٣] ، وعوامل اجتماعية وخبرات (هايمان - رايت ١٩٧٩)[٢٩٣] عوامل معرفية (روكيش وآخرون ١٩٦٠) والتسلطية (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٥٤٧]، وسنستعرض طبيعة هذه العوامل ودورها المحتمل فى التأثير على التعصب والشواهد على تأثيرها فيما يلى من هذا الفصل.

الإحباط Frustration :

يعتبر العداء الناشئ عن الإحباط المستمر فى الحياة الاجتماعية ويزاح إلى الجماعة الخارجية، ميكانزما أو عملية سببية تكمن خلف التعصب- سبق أن نوقشت هذه النظرية فى الفصل السادس، حيث أشار استعراض الدراسات التجريبية إلى أن ذلك

الافتـراض تحقق بصورة لا تدع مـجالا للشك (كـاون وآخرون ١٩٥٩[١٣٧]، فشباخ - سنجر ١٩٥٧[١٩٦]، ليـفر ١٩٧٦[٣٦٧]، لنـدزى ١٩٥٠[٣٧٨]، ميـلر - بوجلـسكى ١٩٤٨[٤٣٤]، سيلفر مان - كلاينمان ١٩٦٧[٦٠٨]، ستاجنر - كونجدون ١٩٥٥[٦٠٢]، ستريكر ١٩٦٣[٦٣٤]، ويزرلى ١٩٦١[٦٩٨]).

غير أنه بجانب تقديمـه لنظرية عامة فى تفسير ما يبدو من عمـومية للتعصب، أو على الأقل إمكانية ظهوره فـى كل الجماعات الاجتماعية، فإن هذه النـظرية يمكنها أيضا أن تفسـر الفروق الفرديـة فى التعصـب، على ذلك فالأشـخاص المزمنون فى الشـعور بالإحباط سيكونون أكثر استعدادا للتعصب بالمقارنة بمن يواجهون إحباطا أقل. وهناك كمٌّ كبير من البحوث الارتباطية ذات العلاقة بالموضوع، غير أن النتائج لم تكن متسقة تماما، كذلك كانت مـقاييس الإحباط المسـتخدمة غير مبـاشرة، فمثلا اهتـمت دراسات عديدة باستجابة ضحيـة التعصب نحو جماعات الأقلية الأخرى، فالـكاثوليكى الذى يشعر أنه ضحية للتـمييز العنصرى يعبـر عن تعصب أكبر ضد اليهود والـزنوج (ألبورت - كرامر ١٩٤٦[١٤]، روزنبلث ١٩٤٩[٥٥٤]). كذلك وجد جوردون ١٩٤٣[٢٣٢] أن المبحوثين اليهود الـذين ذكروا أنهم يعانون من التـعصب ضد الساميـة، أظهروا تعصبا أكـبر ضد الزنوج، ورغم ما يبدو فى هذه النتائج من تأكيد للنظرية، فإن خبرات المعاناة الناتجة عن التعـصب والتمييـز يمكن اعتبـارها مسببـات للإحباط الذى يؤدى بدوره إلـى مشكلات للآخرين. فالمؤكد أن استجابات أخرى كالقلق - الاكتئاب أو انخفاض تقدير الذات تبدو متشـابهة، بالإضافـة إلى أن آشمور - ديلـبوكا (١٩٧٦)[٢٧] أشار إلـى أن اليهـود فى الولايات المتحـدة رغم معاناتهم من الـتعصب أكثر من البـروتستانت أو الكاثولـيك فقد أظهروا تعصبا أقل عموما ضد الزنوج.

يمكن ذكر عـدد من النتائج فى هذا الـصدد فقد وجد كـامبل (١٩٤٧)[١١٠] فى دراسة مسحية بالـولايات المتحدة أن الأشخاص غير القانعين بأحوالـهم الاقتصادية كانوا الأكثر فى درجة معاداتهم للسامية. كما وجد جلوك وآخرون (١٩٧٥)[٢٢٨] فى دراستهم على الراشدين الأمريكيين أن الحرمان الاقتـصادى - الاجتماعى والأكاديمى ارتبط بدرجة دالة مع زيادة الـتعصب ضد الـزنوج ومعاداة السـامية، لكـن ولسوء الحظ لم تتـضمن دراستهم مقاييس مباشرة لدرجة معاناتهم من الإحباط.

هـناك دراستان أخـرتان اسـتخدمـتا أنواعا مختلفـة من مـؤشرات عـدم الرضـا، الحرمـان ومشـاعر الغـضـب Angry ولكـن كانـت نتـائجهـا غـير متفـقة، فرغم أن بعـض مـقـاييسـها ارتبط بالتـعصّب لكن أغلبـها لم يرتبط بـه (ماركس ١٩٦٧[٤٠٢]،

مورس - ألبورت ١٩٥٢ [٤٤٧]). فى دراسة موسعة أجريت على طلاب إحدى عشرة مدرسة مختلطة عنصريا بإحدى مدن الولايات المتحدة اتضح أن الارتباط ضعيف بين التعصب العنصرى ودرجة الرضا التى يحملها الطلاب البيض والسود عن حياتهم فى الأسرة والمدرسة. غير أن هذه الدراسة وجدت ارتباطا قويا بين التعصب والعدوانية فى كلتا الجماعتين العنصريتين (باتشن وآخرون ١٩٧٧)[٤٨٨]. ويعتبر الحراك الاجتماعى إلى أسفل Downward Social Mobility خبرة إحباط مزمنة، فقد استنتج (بتلهايم - جانوفيتز ١٩٦٤)[٥١] فى دراستهما على الجنود الأمريكيين الذين عاشوا خبرة الحرب العالمية الثانية أن :-" أعلى درجة للارتباط كانت بين عدم التسامح من جهة، وبين مشاعر الحرمان والحراك الاجتماعى إلى أسفل من جهة أخرى، وكانت الإحباطات ذات العلاقة الوثيقة بعدم التسامح Intolerance هى القريبة من الخبرات الاقتصادية السلبية أو الخوف من تكرار المعاناة منها مرة أخرى. (ص٢٧٨)، و استعرض (بتلهايم - جانوفيتز)[٥١] سبع دراسات أخرى فيما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٤ وتوصلا منها إلى نمط متسق للنتائج أشار إلى ارتباط بين الحراك الاجتماعى إلى أسفل والتعصب. فى دراسة حديثة توصل (باجلى - فرما ١٩٧٩)[٣٢] إلى نتائج تؤيد الاستنتاج السابق فى دراسة على عينة بريطانية. غير أن هناك نتائج متناقضة مع ما فات حيث لم يجد هودج - ترايمان (١٩٦٦)[٢٨٢] فى الولايات المتحدة، سيمان - روهان - أرجيريو (١٩٦٦)[٥٨٦] فى السويد، وسيمان (١٩٧٧)[٥٨٤] فى فرنسا والولايات المتحدة علاقة بين الحراك الاجتماعى لأسفل وزيادة التعصب.

يشير مفهوم الحرمان النسبى Relative Deprivation إلى عدم الرضا العائد ليس إلى الحرمان بمفهومه المطلق، ولكن إلى إدراك الحرمان بالنسبة لشخص أو جماعة موضع المقارنة. (مثال جير ١٩٧٠)[٢٤٥] والحرمان النسبى بهذا المعنى يمكن اعتباره سببا للإحباط ويمكن تفسير النتائج التى أشارت إلى الحراك الاجتماعى لأسفل، مشاعر عدم الرضا المصاحبة للحرمان، أو التمييز باعتبارها تؤدى فى مجموعها إلى إحباط نسبى. استخدمت دراسات عديدة مقاييس مباشرة للحرمان النسبى وتوصلت إلى ارتباط بينه وبين التعصب (ايلجرين - نيودت ١٩٨٨[٢٢]، ترايباثى - سرفاستافا ١٩٨١[٦٦٩]، فان مان - بيتى جرو ١٩٧٢[٦٨٩]). غير أن هذه النتائج لم تكن واضحة أو حتى متسقة، فعلى سبيل المثال قد يكون الحرمان النسبى بين الرفاق (بالمقارنة بالجماعات الخارجية) أكثر أهمية من الحرمان النسبى للذات (بالمقارنة بباقى أعضاء الجماعة الداخلية) فى صياغة الاتجاهات والتعصب نحو الجماعة الخارجية. (مثال جويمند - دوب سيمارد ١٩٨٣[٢٤٤]، فانيمان - بيتى جرو ١٩٧٢[٦٨٩]) ، على ذلك ثار الجدل أن أى تأثير

للحرمان النسبى على التعصب لابد أن يكون من خلال عملية وسيطة هى عملية المقارنة الاجتماعية. هذه العملية المعرفية تصبح أكثر أهمية من الإحباط ذاته، تماما مثلما اتضح لنا أن تأثير الإحباط الذاتى Egoistic يماثل الإحباط بين الرفاق Fraternal (جريموند - دوب - سيمارد ١٩٨٣)[٢٤٤].

انتقد تايلور (١٩٨٠) أيضا ما استنتجه (فانيمان - بيتى جرو ١٩٧٢)[٦٨٩] من وجود علاقة بين الحرمان النسبى للرفاق، وبين التعصب ضد الزنوج بين العمال الأمريكيين بعد إعادة تحليل بيانات دراستهم مرة أخرى. هذا بالإضافة إلى ما أشارت إليه دراسة فى جنوب أفريقية أجراها ايلجرين - نيودت (١٩٨٨)[٢٢] أشارت إلى أن مشاعر الحرمان النسبى للمبحوثين البيض المتحدثين باللغة الأفريكانية، كانت تقاس بالاتجاهات المضادة للبيض والتى يحملها مبحوثون من السود، ولم تكن تقاس بالاتجاه الذى يحمله هؤلاء الأفريكان ضد الجماعات الخارجية (الزنوج، الهنود، الملونون، البيض المتحدثين بالإنجليزية).

أخيرا: كانت النتائج متسقة تماما فيما يتعلق بالارتباط بين العدوانية Aggressiveness والعدائية Hostility والتعصب. فقد وجدت عدد من الدراسات التجريبية للعدوان أن المبحوثين المرتفعين فى درجة التعصب يتصرفون بصورة أكثر عدوانية (بصرف النظر عن أن المستهدفين بالعدوان كانوا من الجماعات المكروهة أم من غيرها) وذلك بصورة أكبر من ذوى التعصب البسيط (دونرستاين - دونرستاين - سيمون - ديتريتش ١٩٧٢[١٥٩]، ليونارد - تايلور ١٩٨١[٣٦٣]، روجرز ١٩٨٣[٥٤١]).

أوضحت الدراسات التى استخدمت مقاييس التقدير الذاتى للعدوانية علاقة مشابهة (جنتنر - تايلور ١٩٧٣)[٢٢٦] ولكن الحاجة للعدوان لا تنتج بالضرورة عن الإحباط، فميل المتعصبين إلى زيادة العدوان والعداء قد يعود ببساطة إلى عوامل أخرى غير الإحباط مثلما أوضح (ألتميير ١٩٨٨ أ)[١٧] من أن زيادة العدوان والعدائية التى تشكل أعراض الشخصية التسلطية تعكس إدراكا معمما للعالم كمكان ملىء بالأخطار والتهديد، هذا يكتسب بالطبع من خلال عملية التنشئة وليس بسبب الإحباط؛ وذلك نظرا لأن التسلطية ترتبط بالتعصب (أدورنود وآخرون ١٩٥٠[٧]، ألتيمير ١٩٨١[١٦]، ١٩٨٨أ[١٧]، ميلوين ١٩٨٣[٤٢٤]، ميلوين - هاجندورن راجميكر - فيسر ١٩٨٨[٤٢٥]) مما يفسر الارتباط بين العدوانية والتعصب بغير إحباط.

وليس من السهولة الوصول إلى استنتاج محدد من هذه الأبحاث، ليس فقط بسبب عدم الاتساق بين النتائج، ولكن أيضا بسبب عدد من أوجه الضعف الفنى التى

شابت هذه الدراسات، كان أهم أوجه الضعف هو أن الإحباط كما يظهر من انفعال الغضب والامتعاض Angry-Resentfulaffect لم يحدث أن تعرض للقياس بصورة مباشرة، بالاضافة إلى أن المقاييس والفقرات المستخدمة فى قياس مفاهيم مثل الحرمان وعدم الرضا كانت فى ذاتها غير أكيدة الثبات أو الصدق (انظر مثلا تايلور ١٩٨٠)[٦٢٥].

لكن يبدو أن هناك ميلا للأفراد المحرومين، والذين يتعرضون لـلتدنى فى السلم الاجتماعى، والذين لديهم شعور بعدم الرضا إلى أن يرتفع لديهم درجة التعصب، على الأقل فى أمريكا الشمالية وبريطانيا، رغم أن أثر الإحباط فى ذلك ليس واضحا. إذ يمكن لهذه النتائج أن تشير أيضا إلى تأثير عوامل أخرى كالقلق، الاكتئاب، انخفاض تقدير الذات، الاغتراب .

أخيرا، فهذا الميل لا يظهر بشكل متسق، وقد يرجع ذلك إلى الضعف المنهجى لهذه الدراسات، كما أن العلاقة بين هذه العوامل والتعصب قد تكون مركبة بحيث يتدخل فى تأثيرها متغيرات أخرى، فالإحباط أو عدم الرضا قد يؤدى إلى تهيئة Pre-dispose الأفراد لأن يصبحوا متعصبين جدا لو حدثت ظروف معينة دون سواها، مثال على ذلك ما ذكره (آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦)[٢٧] من أن الإحباط قد يؤثر فى السلوك بين الجماعات فى حالة واحدة فقط وهى توفر معيار اجتماعى واضح يعطى الشرعية لاعتيار جماعة معينة كبشا للفداء.

يعنى ذلك احتمال وجود علاقة قوية بين الإحباط والتعصب العنصرى لدى البيض فى جنوب أفريقيا، إلا أن ذلك لم يظهر فى الدراسات التى أجريت فى الموضوع، فقد وجدت دراسات عديدة فى جنوب أفريقيا علاقة ضعيفة وغير دالة بين الاتجاهات العنصرية للبيض ودرجاتهم على مقاييس الإحباط - عدم الرضا أو الإحباط النسبى (ابلجرين - نيودرت ١٩٨٨[٢٢]، دكت ١٩٨٨[١٦٩]، ليفر ١٩٧٦[٣٦٧]). وهناك تفسيران لذلك اقترح الأول أوربن (١٩٧٥)[٤٧٩] وهو أن التعصب حينما يكون معياريا فى مجتمع مثلما كان عليه الحال عند البيض فى جنوب أفريقيا، سيكون المحدد الرئيسى لهذه الاتجاهات التعصبية هو الانصياع لتلك المعايير، وبالتالى ستكون العلاقة ضعيفة بين التعصب وبين العوامل السيكولوجية كالإحباط أو التسلطية، وسنتعرض لذلك الموضوع تفصيلا فى الفصل التاسع.

التفسير المحتمل الثانى هو أن الإحباط (وغيره من المشاعر السلبية الأخرى كانخفاض تقدير الذات) قد يؤثر فى التعصب فقط حينما يواجه الأفراد درجة من

الاتصال الشخصى بأعضاء الجماعة الخارجية على أساس تعادل المكانة الاجتماعية سواء كان ذلك اتصالا تنافسيا أو فى ظروف تجعل التمييز بين الجماعات الداخلية والخارجية سائدا بقوة (دكت ١٩٨٨)[١٦٩]. فى هذا الموقف من السهل على الأفراد توجيه مشاعر سلبية ضد أعضاء الجماعة الخارجية باقامة مجتمع الاتصال بين جماعات غير متكافئة فى جنوب أفريقيا (انظر الفصل السادس) مما تلخصه سياسة الفصل العنصرى، ويبدو أن الحاجة ماسة إلى إجراء مزيد من الأبحاث المضبوطة منهجيا لحل مثل هذه القضايا.

التوافق النفسى Psychological Adjustment :

من الشائع اعتبار مظاهر ضعف التوافق النفسى مثل القلق الصريح عدم الأمان، انخفاض تقدير الذات، الاغتراب والعصابية تشكل استعدادا لدى الأفراد للتعصب. (ألبورت ١٩٥٤[٧]، باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، إرليخ ١٩٧٣[١٧٩]، ليفن - ليفن ١٩٨٢[٣٧١]، لى فاين - كامبل ١٩٧٢ [٣٧٢])، ويزودنا ذلك الافتراض بتفسير بديل للعديد من النتائج التى سبق لنا استعراضها، فقد افترض افترض بتلهايم - جانوفيتز (١٩٦٤)[٥١]، أن الحراك الاجتماعى لأسفل، والحرمان قد يؤثران فى التعصب من خلال إثارتهما لمشاعر القلق وعدم الأمان. وافترضت تصورات نظرية أخرى وجود علاقة بين التوافق النفسى والتعصب. وكان أقوى هذه التصورات: ما افترضه إرليخ (١٩٧٣)[١٧٩] من مبدأ الاتساق الذاتى، نظرية المقارنة الاجتماعية وتفسير التحليل النفسى لميكانزمات الدفاع.

يفترض مبدأ الاتساق الذاتى (ارليخ ١٩٧٣)[١٧٩] أن للأفراد اتجاها معمما نحو الذات والآخرين : "فالاتجاه الإيجابى نحو الذات يقدم أساسا لتفسير تقبل الآخرين، والاتجاه السلبى نحو الذات يفسر رفضنا للآخرين" (إرليخ ١٩٧٣ ص١٣٠)[١٧٩]. على ذلك فالتقدير السلبى للذات يشكل استعداد الأفراد لتكوين اتجاهات سلبية ضد الآخرين والتعصب ضد الجماعات الخارجية والأقليات هو أحد مظاهره.

كان مبدأ ويلز (١٩٨١)[٧١٤] مقارنة التدنى Principle of downward comparison من أكثر التطبيقات المباشرة لنظرية المقارنة الاجتماعية. يفترض هذا المبدأ أن الأشخاص الذين يعانون من مشاعر سلبية "يمكن أن يرفعوا من قدر ذاتيتهم من خلال المقارنة بينهم وبين الآخرين الأقل حظا" ص٢٤٥. ويمكن إجراء مقارنة التدنى الاجتماعى من خلال احتقار الجماعة الخارجية بالمقارنة بالجماعة الداخلية، أو بالتركيز على الجماعة الخارجية والتى هى أسوأ نسبيا عن الجماعة الداخلية. فالأفراد الذين يعانون تهديدا للذات، ومشاعر سلبية، وانخفاضا فى تقدير الذات قد يحاولون المحافظة على

تقديرهم لذاتهم من خلال التعصب. هذه تقريبا نفس الفكرة التى افترضتها النظريات القائمة على التحليل النفسى. فقد افترض جاهودا (١٩٦٠)[٣٠٦] أن التعصب هو ميكانزم دفاعى يستهدف مقاومة الأفراد لمشاعر القلق الدفين أو المرض النفسى.

هناك مشكلة هامة وهى، الارتباطات التى تتنبأ بها هذه التفسيرات بين التعصب وبين تقدير الذات أو احترام الذات. فى حالة نظرية اتساق الذات كانت العلاقة مستقيمة Strait forward :- يرتبط انخفاض تقدير الذات مباشرة بالتعصب، لكن القضية ليست بهذا الوضوح فى حالة المقارنة فى التدنى Dounward comparisons والتحليل النفسى، فمن جهة يمكن الجدل متفقين مع (جاهودا ١٩٦٠)[٣٠٦] أن هذه التوجهات النظرية تعنى أن تبنى اتجاهات تعصبية سيؤدى إلى زيادة تقدير الذات عند من يشعر بتهديد الذات. بذلك فليس بالضرورة أن يكون المتعصب مرتفع الدرجة فى القلق الصريح أو العصابية . من جهة أخرى، يشيع الجدل أن الأشخاص الذين يعانون من انخفاض مزمن فى تقدير الذات أو المشاعر السلبية ستكون دوافعهم أكبر من غيرهم فى الاهتمام بالمقارنة الاجتماعية فى التدنى أو فى الدفاع عن ذاتهم عن طريق التعصب (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، كروكر وآخرون ١٩٨٧[١٤٢]، ويليس ١٩٨١[٧١٤]) والأشخاص ذوى تقدير الذات المنخفض سيرتبط ذلك لديهم بزيادة التعصب.

الأبحاث التجريبية والتتبعية:

ينظر فى العادة إلى المقارنة الاجتماعية فى التدنى والتحليل النفسى على أنهما يصلان إلى نفس التوقعات عن الاتجاه نحو الجماعة الخارجية، وذلك مثلما فى نظرية إرليخ (١٩٧٣)[١٧٩] عن اتساق الذات. تتوقع هذه النظريات أن الشخص المصاب بانخفاض مزمن فى تقدير الذات سيكون أكثر سلبية ضد الجماعة الخارجية، غير أنها توصلت إلى تنبؤات مختلفة جدا عن الاتجاهات الداخلية، حيث توقعت نظرية اتساق الذات أن كلا من الاتجاه نحو الجماعة الداخلية والخارجية سيصبح سلبيا.

أما نظرية المقارنة الاجتماعية فى التدنى فتتوقع أن يسعى الأفراد للمحافظة على احترام ذاتهم بالتمييز قدر الإمكان بين الجماعة الداخلية والخارجية لصالح الجماعة الداخلية. فاحتقار Derogation الجماعة الخارجية لن يصاحبه اتجاهات سلبية مشابهة ضد الجماعة الداخلية. اختبرت دراسات تجريبية عديدة هذه التنبؤات بتوزيع المبحوثين ذوى التقدير العالى والمنخفض للذات بصورة عشوائية على جماعات تجريبية، باستخدام مواقف الحد الجماعى الأدنى لتاجفيل (١٩٨١)[٦٤٥] ومقارنة تقديرهم أو استجابتهم لأعضاء الجماعة الداخلية والخارجية. (كروكر - شوارتز ١٩٨٥[١٤١]، كروكر وآخرون ١٩٨٧)[١٤٢]. وكما هو متوقع كان الأشخاص ذوو التقدير المنخفض للذات أكثر سلبية ضد الجماعات الخارجية عن الأشخاص ذوى التقدير المرتفع.

لكن النتائج ساندت نظرية اتساق الذات وتناقصت مع نظرية المقارنة الاجتماعية فى التدنى، حيث مال المبحوثون ذوو التقدير المنخفض للذات إلى تكوين اتجاهات سلبية أيضا ضد جماعاتهم الداخلية. وجدت بعض الدراسات التجريبية أن المقارنة الاجتماعية للأدنى تؤثر فى الاستجابة للمعالجة التجريبية لتخفيض تقدير المبحوثين لذاتهم ولفرض شعور سلبى (يتم فى العادة بالإيحاء بالفشل فى عمل قاموا به، غير أن نتائج هذه التجارب كانت مركبة، فبعض المبحوثين فقط استجابوا للفشل بزيادة تفضيل الجماعة الداخلية (كروكر وآخرون ١٩٨٧)[١٤٢]، ليفن ١٩٦٩ مذكورة فى ليفن - ليفن ١٩٨٢)[٣٧١]، هذا بالإضافة إلى استجابة الكرم نحو الجماعات الخارجيةمن المحتمل ظهورها بنفس قدر احتمال ظهور التعصب (ميندل - ليرنر ١٩٨٤)[٤٢٢]، ومع ذلك يبدو أن هناك أشخاصا ذوى المستوى الأعلى فى تقدير الذات هم الذين يستجيبون للفشل بتفضيل الجماعة الداخلية وذلك أكثر من ذوى التقدير المنخفض لذواتهم (كروكر وآخرون ١٩٨٧)[١٤٢]، ومن المحتمل أن ينشأ تقديرهم لذواتهم جزئيا على ألاقل من الاستخدام الناجح لاستراتيجية خدمة الذات، بالإضافة إلى أن تفضيل الجماعة الداخلية ظهر فى هذه الدراسة خلال المحافظة على الجماعة الداخلية أكثر من ازدراء الجماعة الخارجية، بذلك فانخفاض تقدير الذات لا يزيد بالضرورة من التعصب.

لا يبدو أن ميل ذوى تقدير الذات المنخفض لاتخاذ مواقف سلبية ضد الجماعة الخارجية فى المواقف الجماعية الدنيا، نتج عن عملية المقارنة للأدنى، بقدر ما يعكس مواقف سلبية عامة ضد الآخرين بصرف النظر عما إذا كانوا أعضاء فى جماعة داخلية أو خارجية، فهى صادرة عن مشاعر سلبية مزمنة وعن انخفاض فى تقدير الذات. ورغم أن تأثير المقارنة للأدنى لا يظهر فى الاستجابة لتهديد الذات، فهو استجابة مركبة لا تخلق ميلا لانخفاض تقدير الذات؛ للأن يرتبط بالتعصب - على الأقل فى هذه المواقف الجماعية الدنيا. وقد توصلت الدراسات التتبعية أو الطولية إلى نتائج تشير للعلاقة بين تقدير الذات أو المشاعر السلبية وبين التعصب، فقد وجد (ستيفان - روزنفيلد ١٩٧٨)[٦٣٠] أن زيادة تقدير الذات عند طلاب المدارس الثانوية غير المميزة عنصريا خلال عشرين عاما ارتبطت بقوة مع التغير الإيجابى فى الاتجاهات العنصرية.

استخدم (باجلى وآخرون ١٩٧٩)[٣٢] علاجا إرشاديا مصمما لزيادة تقدير الذات فى عينة من طلاب المدارس الثانوية، ووجدا أن الزيادة فى تقدير الذات ارتبطت بصورة دالة احصائيا مع التغيرات الإيجابية فى الاتجاهات العنصرية للطلاب. وقد قام (روبن ١٩٦٧)[٥٥٩] بتدريب جماعة من الراشدين الأمريكيين على زيادة الحساسية Sensitivity

Training ووجد أن التغيـر فى تقبل الذات ارتبط بصورة دالة مع انخـفاض التعصب، وتقدم هـذه النتائج تأيـيدا ميدانـيا واقعيـا لما توصلت إلـيه الدراسات التـجريبيـة على الجماعات الدنيا.

البحـوث الارتباطيـة:

استخدمت بحوث عديدة تصميمات ارتباطية بحثه، وقد وجد عدد منها ميلا دالا للارتباط بين زيادة التـعصب والقلق، الاغتراب، عدم التوافق وانخـفاض تقدير الذات. وعلى عكس البحوث التجريبية والتتبعية لم تكن نتائج هذه الدراسات متسقة، ففى حين لم تجد بعض الدراسات ارتباطا، فان بعضها وجد علاقة عكسية دالة فى جنوب أفريقيا، بمعنى ارتباط التعصب بالتوافق الاجتماعى.

وجدت دراسات مبكرة عديدة قوية بين التعصب ضد السامية أو ضد الزنوج وبين ما سمى آنذاك بـتوجه التهديد - التنافـس أو قانون الغاب Jungle weltanschauung (البورت - كـرامر ١٩٤٦[١٤]، مارتن ١٩٦٤[٤٠٠]، مـارتن - وسـتى ١٩٥٩[٤٠١]، روزنبلث ١٩٤٩[٥٥٤]). تصف الفقرات المستهـدفة لقياس هذا التوجه orientation، " السخرية ،الـشك، التشاؤم، عدم الثقة والـعداء للآخرين". ويـبدو أن مقيـاس سرول (١٩٥٦)[٦١٩] للغربة Anomia يقيس مـكونات متشابـهة سبق لسـيمان (١٩٧٥)[٥٨٣] وصفها فالتصور عن الاغتراب Alienation كان المشاعر العامة بعدم السعادة، السلبية، أو اليأس (ص٥).

، توصلت عدد مـن الدراسات إلى ارتباطات مـوجبة بين مقيـاس الغربة Anomia scale والتعصب حوالى ٤٠, ٠ أو أكـثر (هامبلين ١٩٦٢[٢٤٨]، ماكديل ١٩٦١[٤١٩]، ملفورد ١٩٦٨[٤٥٢]، روبرتس-روكيش ١٩٥٦[٥٤٠]، سرول ١٩٥٦[٦١٩]). لكن فى دراسات قلـيلة كان الارتبـاط أضعف من ذلك (٢٠, ٠ فـى دراسة ليتـرمان-ميـدلتون ١٩٧٠)[٣٨٧] ووصلت إلـى درجة عدم الـدلالة (ناب ١٩٧٦)[٣٣٩]. وجد ميكوفيتش (١٩٧٥)[٤٠٧] أيضا علاقة دالة بـين التعصب ضد الزنوج والدرجة على مـقياس قصر يضم فـقرات تـقيس عـدم الثـقة فى الآخـرين، وعدم الـرضا العـام، أما (مـيدلـتون ١٩٧٦)[٤٣٠] فقد وجد من ناحية أخرى ارتباطا دالا بين الغربة Anomia وبين عدد من مؤشرات التعصب ضد جماعات مستـهدفة، وذلك باستخدام مقياس طبق على ٢٠٠٠ من الأمريـكيين الراشدين يمـثلون كافة الـولايات بها، وقـد اتسمت هذه الارتـباطات بالـضعف، بسبب استخدام مقياس من ثلاثة فقرات وليس له ثبات bilityRelia لقياس الغربة.

عموما يبدو أن هناك ميلا للالتقاء بين الاغتراب Alienation كما وصفه (سرول)[٦١٩]، وبين التعصب على الأقل فى أمريكا الشمالية، ويتفق مفهوم الغربة مع فكرة أرليخ (١٩٧٣)[١٧٩] عن السلبية العامة تجاه الآخرين، وترتبط بدورها على الأقل بإحدى أعراض الشخصية التسلطية لأدورنو وآخرين (١٩٥٠)[٧]. (تعنى فى الشخصية التسلطية، السخرية والتدمير)، هذا بالاضافة إلى ما توصل إليه التيمير (١٩٨٨م)[١٧] من أن العدائية المعممة الناشئة عن النظرة إلى العالم كمصدر للتهديد هى أساس للتسلطية.

درس عدد آخر من الأبحاث الرابطة بين التعصب وبين المؤشرات المختلفة للضغوط النفسية وتوصلت إلى نتائج مختلطة. وقد استعرض أرليخ (١٩٧٣)[١٧٩] ثلاثة دراسات لأطفال، توصلت جميعها إلى أن الرضا عن النفس ارتبط باتجاهات عنصرية إيجابية (جوف - هاريس - مارتن - إدوارد ١٩٥٠[٢٣٦]، تاباشنيك ١٩٦٢[٦٤٢]، ترنت ١٩٥٧[٦٦٣]). كذلك توصل عدد من الدراسات عن الراشدين إلى ارتباطات دالة بين التعصب ضد أى من السامية والزنوج، وبين الدرجة على عدم الأمن Insecurity (مورس -ألبورت ١٩٥٢[٤٤٧]، والقلق Anxiety (شيسون - ستريكر - فراى ١٩٧٠)[١١٨]، والروح المعنوية Morale (ماركس ١٩٦٧)[٤٠٢] وتقدير الذات Selfesteem (روبن ١٩٦٧)[٥٥٩]. لكن ظهرت بعض الدراسات المتعارضة النتائج، فقد وجد رنتك (١٩٦١)[٥٠٤] ارتباطات إيجابية متسقة بين التمركز العنصرى والقلق فى ثلاث عينات، ولكنها لم تصل لمستوى الدلالة الإحصائية. وظهرت ارتباطات غير دالة أيضا فى دراسات (جلوك وآخرون ١٩٧٥)[٢٢٨]، ميدلتون (١٩٧٦)[٤٣٠] ، مور - هوك - رين (١٩٨٤)[٤٤٥]، سيروم - مايرز (١٩٧٠)[٥٨٩].

ليس بالأمر السهل تقييم هذه النتائج غير المتسقة، ذلك لاختلاف أدوات القياس والعينات، كما أن القليل منها فقط اهتم بضبط متغيرات قد تتدخل فى معنى النتائج مثل الطبقة - التعليم أو الذكاء. هذا بالإضافة إلى أن أغلب المشكلات الشائعة هى فى استخدام عينات صغيرة، ومن طلاب الجامعة، والمقاييس القليلة الفقرات غير أكيدة الصدق. (ميدلتون ١٩٧٦)[٤٣٠]. كذلك تفشل المقاييس فى ضبط متغيرات ذات علاقة بالتعصب ولو أنها تتوزع فى كل من الدراسات المؤيدة أو غير المؤيدة، وللأسف فإن ندرة الدراسات التى اعتمدت على عينات موسعة ومقاييس صادقة وضبط كاف يجعل من الصعب تفسير هذه النتائج غير المتسقة.

يبدو أن ثمة اتجاها فى النتائج الأمريكية الحديثة أدى إلى التوصل إلى ارتباطات ضعيفة أو غير دالة، وقد يرجع ذلك إلى التغير خلال الستينيات والسبعينيات بالولايات

المتحدة نحو الإعراب عن قيم عامة صريحة تؤيد عدم التمييز على الأقل ضد اليهود والزنوج (شومان - ستيه - بوبو ١٩٨٥)[٥٧٣]، أوضح كوك (١٩٧٢)[١٣٠] فى دراسة كلاسيكية أنه حينما يوضع المتعصبون البيض فى مواقف اتصال إيجابى مع العناصر الأخرى، مع ضغوط اجتماعية قوية من أجل منع التمييز، لاحظ أن المبحوثين المنخفضى تقدير الذات تغيرت اتجاهاتهم العنصرية إلى الإيجابية، وربما كان ذلك نتيجة للانصياع إلى المعايير الجديدة التى فرضت عدم التمييز. وربما كان الأشخاص ذوو التقدير المنخفض للذات أكثر استعدادا للانصياع إلى المعايير الجديدة للتعامل بين العناصر فى الولايات المتحدة (على الأقل فى مقاييس تقدير الذات).

إذا كان الأمر كذلك فقد يكشف ذلك عن ميل سيكولوجى أساسى لدى ذوى تقدير الذات المنخفض لأن يكونوا أكثر استعدادا للتعصب عموما، وخاصة إذا لم يكن ذلك الميل قويا. فى بريطانيا أشار (باجلى وآخرون ١٩٧٩)[٣٢] إلى سلسلة هامة من سبعة دراسات استخدمت مقاييس جيدة من حيث إجراءات الصدق للتعصب، تقدير الذات والعصابية. ورغم أن المبحوثين كانوا أساسا طلابا فى المرحلة الثانوية (حالة واحدة فقط كانت طالب مدرسة صناعية) فقد استخدمت عينات قومية متعددة أشارت النتائج إلى ارتباط متسق للاتجاهات التعصبية مع العصابية وانخفاض تقدير الذات. تراوحت هذه المعاملات بين ١٧ر إلى ٤١ر وكان متوسطها ٣٠ر مما يعنى أن الارتباط متوسط إلى ضعيف. أشار عدد من الدراسات فى ثقافة مختلفة هى الهند إلى أن الارتباطات تميل إلى أن تكون متوسطة إلى ضعيفة ورغم ذلك كانت متسقة. حيث اتضح أن التعصب الدينى (هندوس مقابل المسلمين) والتعصب الطائفى Caste Prejudice والتعصب ضد المرأة اتضح أن لها ارتباطات دالة مع القلق، انخفاض تقدير الذات وعدم التوافق العام (حسان ١٩٧٥[٢٦٤]، ١٩٧٦[٢٦٥]، ١٩٧٨[٢٦٦]، شاران - كاران ١٩٧٤[٥٩٠]، سينها - حسان ١٩٧٥[٦٠٧]).

فى جنوب أفريقيا ظهرت نتائج مختلفة نوعا، ففى أى مكان كان الارتباط بين التعصب وسوء التوافق موجبا أو غير دال. وفيما بين البيض فى جنوب أفريقيا لم يتضح أن لانخفاض تقدير الذات أو سوء التوافق ارتباطا بالتعصب العنصرى (دكت ١٩٨٥أ[١٦٧]، هيفن ١٩٨٣ب[٢٧١]، أورين ١٩٧٢أ[٤٧٥]، راى ١٩٨٨ب[٥٣٠]).

هناك تفسيران محتملان لهذه النتائج، افترض الأول أورين (١٩٧٢أ[٤٧٥]، ١٩٧٥)[٤٧٩] أن بسبب الطبيعة المعيارية يتحدد التعصب العنصرى بين البيض فى جنوب أفريقيا من خلال عملية الانصياع، بالتالى لن يتحدد كثيرا بالعوامل النفسية مثل انخفاض تقدير الذات، أو الإحباط وهذا مما سنعرضه بكثير من التفصيل فى الفصل القادم.

التفسير الثانى يفترض أن الأشخاص الذين يعانون من مشاعر سلبية مزمنة سيكون من المحتمل أن يوجهوا هذه المشاعر ضد أعضاء الجماعات الخارجية فى ظروف، أما عند الاتصال التنافسى المباشر على أسس متكافئة، أو فى ظروف التمييز القاطع مع الجماعة الخارجية وهى ظروف درسها باجلى (١٩٧٩)[٣٢] فى المدارس البريطانية التى تضم أجناسا متعددة، لكن هذه الظروف لم توجد فى جنوب أفريقيا (دكت ١٩٨٨)[١٦٩].

الخلاصة:

يتوافر الكثير من الأدلة على أن انخفاض تقدير الذات، القلق، الاغتراب المؤشرات الأخرى على المشاعر السلبية وعلى سوء التوافق النفسى يمكن أن تشكل استعدادا لدى الأفراد نحو التعصب. كانت أقوى دلالة هى التى ظهرت فى الدراسات التتبعية التى بينت أن التغير فى تقدير الذات ارتبط بالتغير فى التعصب. افترضت الدراسات التجريبية التى استخدمت مواقف الحد الاجتماعى الأدنى. إن زيادة استعداد الشخص ذى التقدير المنخفض للذات للتعصب هو جزء من زملة أعراض Syndromes للسلبية العامة نحو الذات والآخرين، وذلك فى رأى إرليخ (١٩٧٣)[١٧٩].

لم تكن الدراسات الارتباطية رغم كثرتها متسقة النتائج، وتوصل أغلبها إلى ارتباطات ضعيفة إلى متوسطة بين مؤشرات سوء التوافق وبين التعصب. غير أن عددا من الدراسات خاصة الحديثة منها فى الولايات المتحدة أشار إلى نتائج غير دالة، هذا بالإضافة إلى أن الدراسات على البيض فى جنوب أفريقيا لم تجد ارتباطا بين انخفاض تقديرات الذات أو المؤشرات المختلفة لسوء التوافق وبين التعصب العنصرى.

يبدو أن الانصياع الظاهرى للتغير فى المعايير الاجتماعية بالولايات المتحدة، والتوافق مع معايير التعصب التى طال أمدها فى جنوب أفريقيا يمكنهما تفسير بعض أشكال التناقض فى الأدبيات المتصلة بمعاملات الارتباط. ومن الضرورى إجراء أبحاث تستخدم عينات قومية كبيرة ومقاييس صادقة، وتراعى ضبط المتغيرات الدخيلة، وتفحص دور العوامل الوسيطة مثل ظروف الاتصال الشائعة بين الجماعات، أو درجة تشجيع التعصب من جانب معايير جماعة معينة، كل ذلك ضرورى لتفسير ما ظهر من تضارب فى البحوث الحالية.

المعتقدات السياسية والدينية:

يمكن للمعتقدات الدينية والسياسية أن تؤثر فى استجابات الأفراد للتعصب، وتوحى لنا العديد من الأبحاث أن الالتزام والنشاط الدينى يرتبط بالتعصب، وبالمثل

يكون الفصل بين اليمين واليسار فى السياسة، ومثل ذلك قد يصاغ فى مصطلحات كالليبرالية والمحافظة Liberalism - Conservatism كما يبدو مرتبطا بالاتجاه نحو الجماعات الخارجية والأقليات.

الدين والتعصب:

ركزت البحوث فى الدين والتعصب على الديانة المسيحية؛ ذلك لأن أغلب الأبحاث أجريت فى أمريكا الشمالية، كما أن العديد من الدراسات شملت اليهود، غير أن القليل من البحوث المنهجية أجريت على التعصب فى علاقة بمعتقدات أخرى كالبوذية، الإسلام والهندوسية، رغم انتشار هذه الديانات. يعنى ذلك أنه حيثما يمكن إجراء تعميم أمبيريقى عن علاقة الدين بالتعصب فسيكون تطبيقة أقرب ما يكون على الديانة المسيحية - اليهودية. وتميل نتائج أغلب البحوث إلى أن أعضاء الكنيسة أكثر تعصبا من غير المنتمين لها بصرف النظر عن هدف التعصب (أرجيل - بيت لحمى ١٩٧٥[٢٤]، دورش - اليشاير ١٩٧٤[٢٣٣]).

توصلت الدراسات إلى وجود تعصب للفروق فى الألقاب Denominational Differences، لكن نمط ذلك لم يكن منسجما، ربما كانت أكثر اتساقا فى هذا الصدد هو ما يتعلق بالكنائس الأصولية البروتستانتية والتى هى أكثر الكنائس تعصبا عرقيا. (مثال: تريانديس - تريانديس ١٩٦٠)[٦٦٨]. وفى الأفراد اليهود وهم الأقل تعصبا (ألبورت - كرامر ١٩٤٦) وحتى هذه النتيجة الأخيرة لم تكن واضحة تماما؛ نظرا لأن بعض الجماعات اليهودية المحافظة قد تكون متعصبة جدا (تريانديس - تريانديس ١٩٦٠)[٦٦٨]، هذا بالإضافة إلى أن اليهود الأمريكيين سيحصلون على درجات منخفضة جدا على جميع مقاييس النشاط الدينى والمعتقدات الدينية بالمقارنة بالجماعات الأخرى (آرجيل - بيت لحمى ١٩٧٥)[٢٤]. هناك عامل قد يسهم فى خفض تعصبهم، فبقدر اهتمام الكنائس الكاثوليكية وأغلب الكنائس البروتستانتية بذلك، يقل التعصب لهذه التسميات وتميل الجماعات إلى الاختلاف بصورة أوضح حسب المنطقة والجماعة المستهدفة. (آرجيل - بيت لحمى ١٩٧٥)[٢٤].

ورغم أن ميل أعضاء الكنيسة إلى زيادة التعصب بالمقارنة بغيرهم كان ظاهرا ومتسقا، فالعلاقة بين الالتزام الدينى والتعصب لم تكن خطية بسيطة، وقد افترضت أغلب الدراسات علاقة منحنية، فأعضاء الكنيسة النشطين دينيا هم أقل تعصبا بالمقارنة بغير النشطين نسبيا أو متوسطى النشاط فى الكنيسة، على سبيل المثال استعرض (جوريش - اليشاير ١٩٧٤)[٢٣٣] خمسا وعشرين دراسة كان بها بيانات يمكن بها اختبار

فرض العلاقة المنحنية، وجد الباحثان عشرين منها تتبع ذلك النمط حيث كان غير المنتمى للكنيسة والمنتمى لها أقل تعصبا من متوسطى الانتماء. وظهر هذا النمط أيضا فى دراسة على عينة من الطلاب البيض المتحدثين بالإنجليزية بجنوب أفريقيا فى دراسة أجراها فان دن برج (١٩٦٢)(٦٨٠). قامت إحدى محاولات تفسير هذه النتائج الواضحة التناقض على أساس احتمال وجود أنواع مختلفة من الاتجاهات الدينية والانتماء الدينى، معنى ذلك أن من ينتمى بقوة إلى الديانة قد يختلف عمن هو أقل انتماء على أساس التوجه الدينى الأساسى الذى قد ينتج عنه انخفاض تعصبهم.

كان جوردن ألبورت (١٩٦٦)(١٣) صاحب أهم محاولة للتمييز فى هذا المجال بين التوجه الدينى الظاهرى Extrinsic Religious Orientation، والتوجه الدينى الداخلى Intrinsic Religious Orientation، يضم التوجه الدينى الظاهرى معتقدات دينية كوسيلة أو طريقة لتحقيق أهداف نفعية مصلحية، فالظاهريون "يجدون الدين مفيدا لتحقيق أهداف الأمن، والسلوى والعزاء، العلاقات الاجتماعية والتسلية، المكانة وتقدير الذات "(البورت - روس ١٩٦٧ ص٤٣٤)(١٥). من جهة أخرى يشمل التوجه الدينى الداخلى، الدين باعتباره غاية فى ذاته، وهو "سيد الدوافع " فى الحياة، وهو العقيدة التى يستدمجها الشخص حتى النخاع ويعيش بها.

وفى الأساس كان التمييز بين التوجه الدينى الظاهرى والداخلى باعتباره متصلا قطبيا وحيدا Single Bipolar Continuam يقع الانتماء الظاهرى على أحد طرفيه بينما يقع الاعتقاد الحقيقى على طرفه الآخر. شعر ألبورت (١٩٦٦)(١٣) أن "أحد هذه التوجهات - الظاهرى - يتفق تماما مع التعصب، أما الآخر فيستبعد الخصومة Enmity، والازدراء Contempt ، والتعصب الأعمى Bigotry "(ص٤٥٦). لم تتحقق كل التوقعات فى البحوث التالية، فقد استخدمت مقاييس التقدير الذاتى لقياس التوجهات الظاهرية والداخلية، وعلى الأخص دراسات فيجن (١٩٦٤)(١٩٠) وألبورت - روس (١٩٦٧)(١٥):

أولا : لم يتضح أن التوجه الظاهرى والداخلى على طرفى نقيض فى متصل واحد، لكنها تبدو أنها تمثل بعدين مستقلين منفصلين تماما. وقد لاحظ دوناهو (١٩٨٥)(١٥٨) أن متوسط الارتباطات بين المقاييس الفرعية الظاهرية والداخلية فيما يزيد على ٣٤ دراسة منشورة كان -٦٠ر فقط.

ثانيا : فى حين تميل درجات المقياس الظاهرى للارتباط الموجب مع المؤشرات المختلفة للتعصب، نجد أن درجات التوجه الداخلى لا ترتبط نهائيا بالتعصب.

وقد أشارت نتائج التحليل البعدى Meta Analysis إلى متوسط الارتباط بينه وبين التعصب بـ ٣٤,٠ لدرجات التوجه الظاهرى، - ٠٥,٠ لدرجات التوجه الداخلى. وبعكس توقعات ألبورت، من حيث ميل ذوى التوجه الدينى الداخلى إلى انخفاض درجاتهم فى التعصب بالمقارنة بذوى الدرجات المنخفضة فى هذا التوجه الداخلى، هذا التوقع الذى قد يسهم فى تأكيد فرص العلاقة المنحنية بين الانتماء الدينى والتعصب. لكن لم تظهر صحة هذا التوقع، فعلى الجهة الأخرى كان ميل الأشخاص ذوى الدرجة العالية فى التوجه الخارجى إلى التعصب مؤكدا لتوقعاته؛ وذلك لأن مثل هؤلاء الأشخاص لا ينتمون بعمق أو إيجابية فى ديانتهم، لكن مصداقية هذه الاستنتاجات لم تتأكد بوضوح، حيث واجه البحث فى الموضوع مشكلات لابد من ذكرها :

أولا : هذه المقاييس ليست متوازنة من ناحية فقرات الموافقة - المعارضة مما يؤثر منطقيا على ارتباط درجاتها بباقى المتغيرات.

ثانيا : اتضح أن ثبات هذه المقاييس وخاصة مقياس ألبورت - روس (١٩٦٧)[١٥] منخفض الثبات جدا كما اتضح لألتيمير (١٩٨٨أ)[١٦].

ثالثا : أن هذه الدراسات وأغلب دراسات العلاقة بين التدين والتعصب استخدمت مقاييس تقدير ذاتى واضحة العبارات، مبسطة وتقليدية لقياس التعصب، والجدير بالذكر أن (ماكوناهاى - هيوز ١٩٧٦)[٤١٧] استخدما مقياسا للتعصب تتصف عباراته بعدم الوضوح وبالتغطية على مقاصدها فى قياس التعصب. (وكان مقياس العنصرية الرمزية) ووجدا ارتباطا موجبا مع مقياس التدين الذاتى الداخلى Intrinsic. فالمبحوثون ذوى الدرجات العالية فى التوجه الدينى الداخلى كانوا أكثر تعصبا.

لم يمكن إعادة الحصول على هذه النتيجة فى دراستين أجريتا بعد ذلك باستخدام مقاييس غير مباشرة أو سلوكية للتعصب. وجدت هاتين الدراستين أن الشخص عالى الدرجة فى مقياس التوجه الداخلى، وكذلك الأشخاص ذوى الانتماء والنشاط الدينى كان لهم دوافع قوية للظهور بمظهر عدم التعصب ضد الآخرين (باتسون - فلنك شوينراد فولتز، بيش ١٩٨٦[٣٧]، باتسون - نايف - بات ١٩٧٨[٣٨]) فإذا كان الأمر كذلك فالعلاقة المنحنية بين التعصب والتدين قد تكون مصطنعة بحيث لا تظهر إذا استخدمنا مؤشرات غير مباشرة أو غير واضحة المقصد.

هناك بعد آخر للتوجه الدينى وهو الأصولية الدينية Fundamentalism والتى تبدو مستقلة نسبيا عن كل من البعد الظاهرى - الداخلى (دوناهو ١٩٨٥[١٥٨]، فيجن

١٩٦٤[١٩٠]) وقد اتضح أن الأصولية أو الأرثوذكية ترتبط بالتعصب بشكل مضطرد (دوناهو ١٩٨٥[١٩٠]، جوريش - اليشاير ١٩٧٤[٢٣٣]، وبستر - ستيوارد ١٩٧٣)[٦٩٩]. بمعنى أن زيادة الأصولية ترتبط بزيادة التعصب. وعموما ليس من الواضح ما إذا كانت الديانة عموما أو أنواع محددة منها كالتوجه الدينى هو الذى يرتبط بالتعصب على ضوء الدلائل السابقة، يبدو الافتراض الأخير أكثر احتمالا وأوسع قبولا فى أدبيات البحوث، ويمكن تقسيم محاولات تفسير السبب فى ارتباط الانتماء الدينى أو الانتماء لبعض أنواعه بالتعصب إلى ثلاث فئات :

الأولى : الانتماء الدينى والذى قد يسبب قابلية عامة للتعصب Proneness .

الثانية : قد تجذب الديانة الأشخاص ذوى الاستعداد للتعصب.

الثالثة : قد يكون الارتباط بين الدين والتعصب مجرد انعكاس للانصياع لنسقين مستقلين مختلفين وغير مترابطين فى أساسهما من أنساق المعتقدات والذى حدث أن كليهما معيارى اجتماعى.

فى الحالة الأولى، افترضت عدة طرق يؤدى الاعتقاد الدينى أو التنشئة من خلالها إلى التعصب، على سبيل المثال لاحظ(آرجيل - بيت لحمى ١٩٧٥)[٢٤] الدور الدينى فى "توحيد الأمة الدينية Community of Believers حول قيم مشتركة، ويؤدى فى نفس الوقت إلى التمايز بين الجماعة الداخلية والخارجية، مما يسهم فى التقسيمات الاجتماعية." (ص١١٥-١١٦) وأشار التيمير (١٩٨٨أ)[١٧] إلى أن التعليم الدينى يؤدى إلى تركيز الاهتمام بطاعة السلطة الالهية، أو الكهنوتية، ويشجع على التقليدية، ويغرس، فى النفس الشعور بالتعالى والصلاح بالمقارنة بغير السائرين فى ركابهم، وكلها عوامل ترتبط مباشرة بالتسلطية. ويرتبط التركيز على احتكار الحقيقة وعلى أهمية الايمان بغير تفكير، بالدوجماطيقية -أو الجمود العقائدى. وترى هذه التفسيرات الدين باعتباره إما سببا فى التعصب مباشرة، أو عاملا مؤثرا بطريقة غير مباشرة فيه نتيجة تعويد أتباعه على التسلطية والدوجماطيقية .

الحالة الثانية يمكن الجدل فى أن الدين لا يؤدى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى التعصب، لكنه يجذب الأفراد الذين لديهم استعداد أصلى للتعصب، بذلك فالشخصيات التسلطية والدوجماطيقية (ذات الجمود المعرفى) تؤثر فى زيادة استعداد لكل من التعصب والتدين. (أدورنو وآخرون ١٩٥٠[٧]، الين - سبيلكا ١٩٦٧[١٠]، روكيش وآخرون ١٩٦٠[٥٤٧]). يصدق ذلك على الأخص فى حالة التوجهات الدينية الأصولية والظاهرية.

يرى كلا التفسيرين المذكورين أن الشخص المتدين أكثر تهيؤا للتعصب، وتكمن الفروق فى الأسباب المؤدية لذلك. فى الحالة الأولى يؤدى التدين إلى الاستعداد للتعصب (إما مباشرة أو لأنه يتسبب فى زيادة التسلطية والدوجماطيقية.) وفى الحالة الثانية تؤدى العوامل الشخصية أو المعرفية كالتسلطية أو الدوجماطيقية إلى زيادة كل من التعصب والانتماء الدينى. يمكن افتراض حالة ثالثة وهى أن المتمسكين دينيا قد لا يكون استعدادهم أكبر للتعصب عمن سواهم، لكن قد يكون كل من الانتماء الدينى والتعصب تعبيرا عن الانصياع للمعايير الاجتماعية (إرليخ ١٩٧٣[١٧٩]، جوريش - اليشاير ١٩٧٤[٢٣٣]، أورين ١٩٧٥[٤٧٩]).

يعنى ذلك أنه نظرا لأن الانتماء الدينى هو تقليد اجتماعى فالأفراد الأكثر انصياعا أو الأكثر تكاملا مع المجتمع، ويتعرضون لضغط أكبر للانصياع سيميلون إلى أن يكونوا أكثر تدينا. وفى المجتمعات التى يكون التعصب فيها معيارا اجتماعيا سيكون هؤلاء الأشخاص متعصبين أيضا. يعنى ذلك التنبؤ أنه كلما يزيد التعصب المدعوم بالمعايير الاجتماعية، تزيد قوة الارتباط بين الانتماء الدينى التقليدى والتعصب. والدليل على هذه النقطة ليس متسقا، فعند مقارنة بيتى جرو (١٩٥٩)[٤٩٣] بين ولايات الشمال والجنوب فى الولايات المتحدة اتضح أن الشماليين أقل تعصبا من الجنوبيين وهى نتائج مؤيدة، بينما لم تؤيد نتائج ميدلتون (١٩٧٦)[٤٣٠] هذا الفرض.

ليس من الواضح إذن مدى شمول تأثير الدين أو أى مذاهب خاصة به فى القابلية المعممة للتعصب، أو ما إذا كان التلازم بين التعصب والتدين ناتجا عن الانصياع للمعايير الاجتماعية، مما سنناقشه تفصيلا فى الفصل التاسع.

المعتقدات السياسية الاجتماعية والتعصب

Sociopolitical Beliefs and Prejudice:

من المتفق عليه بين الغالبية أن المعتقدات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاتجاهات تميل إلى الانتظام فى تجمعات أو أنماط مترابطة. وتشكل الاتجاهات نحو الجماعات الخارجية والأقليات جزءا من هذه الأنماط. غير أن درجة انتظام المعتقدات السياسية الاجتماعية، وطريقة بنائها الفعلى ليست موضع اتفاق، إحدى وجهات النظر - ربما كانت لدى الأغلبية هى أن المعتقدات السياسية الاجتماعية تتجمع فى بعد ذى طرفين، إحدى طرفيه هو المحافظة وفى الطرف الآخر التحررية أو التطرف (كومرى - نيومير ١٩٦٥[١٢٦]، ماكلوسكى ١٩٥٨[٤١١]، ويلسون ١٩٧٣[٧٥٠])، ويبدو أن قدرا كبيرا من نتائج الأبحاث التى اعتمدت على التحليل العاملى أو العنقودى Cluster

تساند هذا الموقف، تتوصل هذه الدراسات إلى عدد من عوامل الدرجة الأولى، والتى يجرى عليها تحليل تالى للتوصل إلى عوامل الدرجة الثانية والتى تشكل فى العادة بعدا وحيدا (كومرى - نيومير ١٩٦٥[١٢٦]، ويلسون ١٩٧٣[٧٥٠]). وقد وجد كومرى - نيومير ١٩٦٥ [١٢٦] باستخدام بيانات أمريكية أنه فى أقصى طرف المتصل الاعتقاد فى حالة الرفاهية، حكومة فيدرالية قوية، سلام، حكومة عالمية - كونية، التسامح العنصرى، والتغير الاجتماعى السريع.

فى الطرف المحافظ من المتصل نجد الاعتقاد فى ضرورة معاملة المجرمين بمنتهى القسوة، تنفيذ عقوبة الإعدام، التدين، خدمة الوطن، الرقابة الأخلاقية على الأفلام والمطبوعات (ص٣٦٧). كانت فكرة انتظام الاتجاهات السياسية الاجتماعية فى نمط أحادى البعد موضع تساؤل، غير أن بعض الأبحاث وجدت اتساقا نسبيا أيديولوجيا فى الاتجاهات والمعتقدات السياسية والاجتماعية، خاصة بين الأشخاص منخفضى الوعى السياسى والتعليمى (كونفرز ١٩٦٤)[١٢٩]. كان الحوار مرة أخرى على أساس نتائج التحليل العاملى، حيث من الأفضل أن ننظر إلى الاتجاهات السياسية الاجتماعية باعتبارها متعددة الأبعاد Multi Dimentional ، وليست أحادية Undimentional.

سادت ثلاث وجهات نظر فى هذا الصدد، تفترض كل واحدة منها أن الاتجاهات الاجتماعية تنتظم على أساس بعدين.

أولا : افترض إيزنك (١٩٥٤)[١٨٧] تفسيرا ثنائى العوامل يضم الأول بعدى المحافظة - التطرف Radicalism ويتعامد معه بعد للشخصية هو المرونة - الصلابة العقليةTough - Tendermindedness. تعرضت الأدلة التى ساقها إيزنك لتأييد وجهة نظره إلى انتقادات حادة (انظر التيمير ١٩٨١ ص ٨٠-٨٩[١٦]، براون ١٩٦٥[٩٠]). لكن بعض الدراسات الحديثة ساندت رأى ايزنك (جورتزل ١٩٨٧)[٢٢٩].

ثانيا: التمييز بين التحرر - المحافظة فى مجال الاقتصاد، عن نفس البعدين فى المجال غير الاقتصادى (كامبل - كونفرس، ميلر - ستوك ١٩٦٠[١٠٩]، ليبست ١٩٦٣[٣٨١]).

ثالثا : أفاد (كيرلنجر ١٩٨٤)[٣٢٦] عن نتائج استخدم فيها التحليل العاملى أشارت إلى أن الليبرالية تتكون من (اتجاهات الإنسانية، والمساواة). أما المحافظة فتتكون من (المحافظة الاقتصادية، والمعتقدات التقليدية عن السلطة والدين. وأن كلا منهما قد يكونا بعدين مستقلين ومنفصلين.

ويبدو واضحا أن درجة وطبيعة بناء الاتجاهات الاجتماعية ليست واضحة تماما؛ وقد ترجع إلى العينات موضع الدراسة (مان ١٩٧٠[٣٩٦]، تايجارت ١٩٨٤)[٦٧٥]، فقد يبدى المبحوثون المنخفضون فى الوعى والنشاط السياسى اتساقا أيديولوجيا أقل بالمقارنة بمن يرتفع لديهم مثل هذا الوعى حيث يزيد الاتساق وتتلاءم مع النموذج أحادى البعد، أفاد تايجارت (١٩٨٤)[٦٧٥] بشواهد تؤيد ذلك، فقد توصل إلى أحادية بعد التحررية السياسية والمحافظة فى عينة من الأشخاص المهتمين جدا بالمشاركة السياسية.

وبقدر ميل الاتجاهات الاجتماعية إلى الانتظام أو النمطية الأيديولوجية، تبدو الاتجاهات نحو الجماعات الخارجية والأقليات جزءا من هذا النمط، فالتسامح العنصرى وقلة التركيز العنصرى، وتأييد التكامل العنصرى، ومعارضة التمييز، والاعتقاد فى مساواة المرأة بالرجل، والتسامح مع الشواذ جنسيا، يبدو أنها تترابط جميعا مع التحررية Liberalism وعمق التغيير (التطرف) Radicalism أكثر مما ترتبط بالمحافظة، ترتبط الاتجاهات الأقل تفضيلا للأقليات والجماعات الخارجية من جهة أخرى بالمحافظة (أدورنو وآخرون ١٩٥٠[٧]، كومرى - نيومير ١٩٦٥[١٢٦]، كيرلنجر ١٩٨٤[٣٢٦]، ماكلوسكى ١٩٥٨[٤١١]، ويلسون ١٩٧٣[٧١٥]).

كذلك وجدت عدد من الدراسات فى جنوب أفريقيا ارتباطا بين المحافظة الاجتماعية - السياسية والتعصب (ميتهارت ١٩٨٠[٤٥٦]، أوربن ١٩٧٢أ[٤٧٥]، سبانجنبرج - نيل ١٩٨٣[٦١٦]).

ليس معنى ذلك أن أدبيات الدراسة لا تحفل بالغموض، ويظهر ذلك على وجه الخصوص حين نفحص الأوجه المختلفة لكل من التحررية والمحافظة. فللأفريكان فى جنوب أفريقيا معتقدات اشتراكية معينة (تطرف اقتصادى Economic Radicalism). يبدو أنه يرتبط بتعصب أشد ضد السود (هيفن ١٩٨٣أ)[٢٧١]، ووجدت بعض الدراسات أيضا أن الوطنية Patriotism لا ترتبط بالتعصب (فوربس ١٩٨٥[٢٠٥]، راى - لوف جوى ١٩٨٦[٥٣٢]). وقد تظهر مثل هذه النتائج الغريبة من تعددية أبعاد المحافظة، أو من نقص الاتساق الأيديولوجى فى العينات موضع الدراسة.

ثمة قضية لم توضح إلى الآن وهى لماذا يجب أن ترتبط المحافظة بالتعصب، يحتاج ذلك بالقطع إلى نظرية فى المحافظة تفسر طبيعة المبادئ المنظمة لهذا البناء الأيديولوجى المتكون من الاتجاهات والمعتقدات، وللدهشة لم نجد سوى عدد قليل من المحاولات فى هذا الصدد، فتفترض نظرية ويلسون (١٩٧٣)[٧١٥] أن هناك توجها أساسيا للتغيير يكمن خلف بعد التحررية - المحافظة ويقدمها فى تماسك أيديولوجى.

يظهر ذلك باعتباره ينشأ من سمة فى الشخصية تعكس الخوف من الغموض، فميل الشخص المحافظ إلى التعصب يمكن إسناده إلى الخوف ممن يختلفون عنه(ويلسون ١٩٧٣[٧١٥]، ويلسون - شاتى ١٩٧٣[٧١٦]). هناك احتمال آخر أن يكون الاتجاه الأساسى نحو الآخرين هو الذى ينظم الاتجاهات التحررية - المحافظة عند الشخص.

تعنى عدد من الملامح الإيجابية لهذا البعد (ماكلوسكى ١٩٥٨[٤١١]، توmكنز ١٩٦٣[٦٦١]) أنه قد ينشأ من معتقدات إيجابية مقابل أخرى سلبية عن طبيعة الاتساق، فكما يشير راى (١٩٧٤)[٥١٩]، ترى الليبرالية الاتساق باعتباره خيّرا بالطبيعة، فى حين تكون المحافظة صورة قاسية للرأى فى طبيعة الانسان، وقد تكون هذه النظرة السلبية عن الآخرين هى تفسير ارتباط المحافظة بزيادة السلبية ضد الجماعات الخارجية والأقليات. ويبدو من الثابت على وجه العموم أن التعصب يرتبط بالأيديولوجية الاجتماعية السياسية، وبقدر ما تتجمع الاتجاهات السياسية فى أبعاد لليمين - اليسار أو المحافظة - التحرر، بقدر ما يرتبط التعصب والتمركز العنصرى بالطرف المحافظ أكثر من الطرف المتحرر. غير أنه فى حين يبدو أن المحافظة تزيد من استعداد الشخص لتبنى اتجاهات تعصبية ضد الجماعات الخارجية، فإن سبب حدوث ذلك وطبيعة الرابطة السببية المتضمنة لم تتضح بجلاء إلى الآن. وليس من الواضح أن الأيديولوجية المحافظة فى ذاتها هى التى تشكل الاستعداد للتعصب، أو ما اذا كانت بعض العوامل المرتبطة مثل الشك فى الآخرين ،السخرية، والاتجاهات السلبية نحوهم هى التى تؤدى إلى كل من المحافظة والتعصب.

المكانة - التعليم والسمات الاجتماعية الأخرى:

هناك عدد من السمات الاجتماعية أو الديموجرافية يبدو أنها ترتبط بالتعصب، أهمها على الإطلاق: التعليم، المكانة الاجتماعية الاقتصادية، الحراك الاجتماعى، التمدين Urbanity والحراك الجغرافى Geographical Mobility. وتؤثر هذه العوامل فى التعصب على أساس أنها تؤثر فى قابلية الفرد للتعصب - وهذا هو سبب استعراضنا لها فى هذا الفصل. سوف نركز فى هذا الجزء على استعراض الدلائل التى تربط بين هذه المتغيرات الاجتماعية والتعصب، وعلى ملاحظة الميكانزمات المختلفة التى افترض أنها سبب لهذه العلاقات.

المكانة والتعصب Status & Prejudice

يعرف مفهوم المكانة على أساس الوجاهة Prestige أو المرتبة الاجتماعية Social Ranking. ويقاس ذلك فى المجتمعات الصناعية على أساس المكانة الاجتماعية الاقتصادية Socio Economic Status (SES) والتى ترتبط بين المستوى التعليمى،

الوجاهة المهنية، الدخل، وجدت الأبحاث عموما أن المكانة الاجتماعية الاقتصادية ترتبط ارتباطا سلبيا بالتعصب ضد الأقليات والجماعات الخارجية (باجلى - فرما ١٩٧٩)[٣١]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]، وثنو ١٩٨٢[٧٢٢]). ويميل ذوو المكانة الاجتماعية الاقتصادية إلى أن يكونوا أقل تعصبا، وبفحص أثر ارتفاع كل من المكانة المهنية والدخل اتضح أنهما متشابهان فى ارتباطهما بتخفيض التعصب (هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]، وثنو ١٩٨٢[٧٢٢]). غير أن هذه التأثيرات تختفى غالبا أو تقل بدرجة ملحوظة عند ضبط متغير (هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سيمان ١٩٨١[٥٨٥]، وثنو ١٩٨٢[٧٢٢]). وبذلك فاغلب إن لم يكن كل متغيرات المستوى الاجتماعى الاقتصادى، أو المكانة المهنية أو الدخل إذا درست بصورة فردية سنجد أنها تعود إلى أثر التعليم.

لكن هناك سببان لرفض فكرة أن الارتباط بين المستوى الاجتماعى الاقتصادى يعود فقط إلى التعليم: **الأول** أن الارتباطات الداخلية بين التعليم والدخل والمهنة فى العادة مرتفعة، بمعنى أن الاقتصار على أن التعليم هو المؤثر الوحيد يستبعد تباينات كبيرة الحجم تعود إلى متغيرات كالمكانة الاقتصادية والدخل، والتى تقلل من القدرة على تبين العلاقة وبين هذه المتغيرات والتعصب.

الثاني : أن المكانة الاقتصادية والدخل لا يعتبران مقياسا للمكانة الاجتماعية، فبينما يقدم كل منهما دليلا على المكانة، ويعكس أيضا آثارا متنوعة أخرى، فمن المدهش أن تتوصل الدراسات التى حاولت قياس أثر المكانة بشكل مباشر مثل مكانة الشخص فى الجماعة الصغيرة إلى علاقة دالة بينها وبين التعصب. فقد وجد شريف - شريف (١٩٥٣)[٥٩٤] مثلا فى دراستهما على العلاقة بين الجماعات باستخدام جماعات من الأولاد المشاركين فى معسكر صيفى، وجدا أن الأولاد ذوى المكانة المنخفضة فى جماعاتهم أكثر عدائية ضد الجماعات الخارجية بالمقارنة بمرتفعى المكانة داخل الجماعة. (وجد رابى - ويلكنز ١٩٧١)[٥١٤] أيضا أن أعضاء الجماعة منخفضة المكانة كانوا أكثر تحيزا لصالح الجماعة الداخلية خصوصا فى ظروف المنافسة مع الجماعات الأخرى.

رغم أن هذه النتائج مدهشة ودالة إلا أنها قامت على دراستين فقط، لكن الفشل فى الوصول إلى نتائج مشابهة على المستوى الاجتماعى الأشمل وباستخدام مقياس للمستوى الاقتصادى الاجتماعى جعل صدق هذه الاستنتاجات غير أكيد، بنفس القدر وحتى الآن لا نجد إجابة شافية للعلاقة بين المكانة والتعصب، هذه العلاقة التى إذا استوثقنا منها فستؤدى بنا إلى استنتاج أنها تعكس ميلا لأصحاب المكانة العالية لأن يكونوا أكثر أمنا وثقة بالنفس، وأكثر تقديرا للذات، وبالتالى سيكون لهم اتجاهات إيجابية نحو الآخرين. (باجلى - فيرما ١٩٧٩)[٣١].

وبالعكس قد يرجع ذلك إلى أن منخفضى المكانة يحملون درجة لا بأس بها من الإحباط المزمن.

التعليم والتعصب: Education and Prejudice

أوضحت عدد من الدراسات الأمبيريقية أن المستويات الأعلى للتعليم النظامى Formal Education ترتبط بانخفاض التعصب، وتظهر هذه العلاقة باستمرار عند ضبط المتغيرات المتداخلة التأثير كالمكانة المهنية أو الدخل. وأغلب هذه النتائج نستمدها من الدراسات فى الولايات المتحدة ومن أدبيات الدراسة فى الاتجاهات ضد السامية والزنوج. (مثال هايمان - شيتزى ١٩٦٤[٢٩٢]، ماركس ١٩٦٧[٤٠٢]، ميدلتون ١٩٧٦[٤٣٠]، كوينلى - جلوك ١٩٧٩[٥١٢]، سلزنك - شتاينبر ١٩٦٩[٥٨٨]). ويدعم ذلك نتائج على جماعات أخرى فى دول أخرى مثل بريطانيا (باجلى - فرما ١٩٧٩)[٣١]، ألمانيا (شونباخ وآخرون ١٩٨١[٥٧٠]، واجنر - شونباخ ١٩٨٤)[٦٩١]، أستراليا (بزويك - هيلز ١٩٧٢)[٥٠]، هولاند (باجلى - فرما ١٩٧٩)[٣١]، جنوب أفريقيا (هامبل - كروب ١٩٧٧[٢٥٥]، ليفر ١٩٨٠[٣٦٩]). لكن هذه النتائج كانت موضع النقد، حيث واجهت أسئلة معينة، مثل مدى وانسجام العلاقة بين التعليم والتعصب، وما معنى ودلالة هذه العلاقة.

حول السؤال الأول قام (ستمبر ١٩٦١)[٦٢٥] باستعراض ٢٦ دراسة للعلاقة بين التعليم والتعصب بالولايات المتحدة فيما بين (١٩٤٨ إلى ١٩٥٩). كان هذا الاستعراض مرجعا للعديد من الدراسات الأخرى بسبب شموليته ودقته، وتوصل فى النهاية إلى تأييد العلاقة بين التعليم والتعصب، خصوصا فيما يتعلق بالقوالب النمطية السالبة، السياسات التمييزية، والاتصال الاجتماعى غير المتآلف، من جهة أخرى كانت نتائج هذه الدراسات ضعيفة وغير متسقة، فقد لاحظ ستمبر فى بعض الدراسات أن مرتفعى التعليم كانوا أكثر تعصّبا، فقد مالوا إلى "التمسك بقوالب جامدة ازدرائية، مؤيدين للتمييز العنصرى غير الرسمى فى بعض السلوكيات، ويرفضون الاتصال المتآلف مع أعضاء جماعات الأقلية". ص١٦٨

يعتبر استعراض (ستمبر) مسئولا أساسيا عن تقبل الجميع لنتيجة معينة، وهى أن التعليم بينما يرتبط عموما بالتعصب، إلا أن تأثيره على التعصب ضعيف، محدود، غير متسق، أو مركب (إرليخ ١٩٧٣[١٧٩]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، سيمان ١٩٨١[٥٨٥]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤]). لكن هناك أسباب عديدة: لماذا كانت هناك مبالغة فى الإشارة إلى استنتاجات ستمبر؟.

السبب الأول: هو أن نتائج الدراسات المسحية التى أشار إليها استخدمت فقرات تتراوح بين واحدة أو عدد محدود من الفقرات لقياس التعصب، ولم تستخدم مقاييس صادقة وثابتة، وقد يسهم التباين الضئيل، وعدم التأكد من الثبات فى ضعف وعدم انسجام النتائج.

السبب الثاني: أن أغلب الدراسات التالية على هذه الدراسة أشارت إلى علاقة أكثر وضوحا وانسجاما بين التعصب والتعليم. (ابستول وآخرون ١٩٨٣[٢١]، باجلى - فرما ١٩٧٩[٨١]، هايمان - رايت ١٩٧٩[٢٩٣]، كوينلى - جلوك ١٩٧٩[٥١٢]، سيرجون - مايو - بوجى ١٩٧٦[٦٤١]، ويلسون ١٩٨٦[٧١٧]، وثنو ١٩٨٢[٧٢٢])، ومرة أخرى نجد أن الدراسات التى لم تتفق مع هذه الأغلبية - وهى قليلة - قامت نتائجها على استخدام استبيان ذى فقرات قليلة. (مثال جاك مان - موها ١٩٨٤)[٣٠٢]، فى حين توصلت الدراسات التى استخدمت مقاييس للتعصب صادقة وثابتة إلى ارتباطات متسقة تماما مع التعليم وكانت عادة حوالى ٣٠, ٠ (مثال باجلى - فرمان ١٩٧٩)[٣١]. ويزيد وضوح هذه العلاقة عند استخدام مقاييس عامة للتعصب ضد عدد من الجماعات العنصرية والأقليات (بزويك - هيلر ١٩٧٢)[٥٠]. بعكس ما توصل إليه (ستمبر)، حينما كان معامل الارتباط بين التعليم والتعصب موجبا ومرتفعا لم تظهر أبعاد معينة للتعصب هى التى ترتبط بذلك التعليم.

هناك هجوم آخر على نتيجة أن التعليم يؤثر فى التعصب، يدور فى التساؤل عن معنى هذه العلاقة ودلالتها، فقد كان الجدل أن التعليم لايؤدى إلى خلق تغيير حقيقى عميق فى الاتجاهات بين الجماعات، بل يؤدى إلى مجرد التزام سطحى بالمعايير والمبادئ الديمقراطية (جاكمان ١٩٧٨[٣٠١]، جاكمان - موها ١٩٨٤[٣٠٢])، «فالمتعلم قد يبدى تأييدا أكبر للمبادئ المجردة للديمقراطية، لكنه ليس مستعدا لتطبيق هذه المبادئ فلا مواقف محددة، فالتعليم يحسن ويبلور تعبير الشخص عن اتجاهاته السلبية». (جاكمان - موها ١٩٨٤ ص٧٥٣)[٣٠٢].

لتأييد هذا الاستنتاج يشير (جاكمان ١٩٧٨)[٣٠١] إلى علاقات قوية ودالة بين التعليم وبين فقرتين من فقرات استبيان تساندان المبدأ العام فى التكامل العنصرى، غير أن الارتباط بين التعليم وبين فقرتين أخريين كان ضعيفا حينما كانا عن استعداد الشخص لتطبيق هذه المبادئ، وجهت عدد من الانتقادات إلى دراسة جاكمان (١٩٧٨)[٣٠١]، كان **أولها**: أن افتراض أن فقرات التطبيق (Implementation Items) يعنى التزاما محددا بالتكامل العنصرى فى حين لم تكن فقرات المبادئ Principle items تعنى نفس هذا

الالتزام. (شومان - بوبو ١٩٨٨[٥٧١]، شومان وآخرون ١٩٨٥[٥٧٣]). **ثانيهما**: لاحظ شومان وزملاؤه (١٩٨٥)[٥٧٣] أن دراسات أخرى لم تجد تأثيرا ضعيفا للتعليم على فقرات التطبيق بالمقارنة بفقرات المبادئ، مرة أخرى تكمن المشكلة فى الاعتماد المفرط على فقرة معينة فى استبيان، حيث تباينها محدد وثباتها مجهول. هناك دراسة حديثة لـ (بوبو ١٩٨٨)[٦٥] لم تساند رأى (جاكمان)، استخدمت هذه الدراسة عينة قومية بالولايات المتحدة طبقت عليها استبيانات واستخرجت معاملات الارتباط بينها وبين التعليم بالإضافة إلى درجات مقاييس متغيرات ترتبط بالتعصب، هدف ثنو من هذه المقاييس لقياس العنصرية التقليدية: الفصل Segregation والتمييز الوجدانى بين البيض والسود، وارتبطت درجاتها بالتعليم بمعاملات -١٩, ، -٣٢, هناك مقياسان لقياس الرغبة فى تطبيق أو القيام بعمل له علاقة بهذه الاتجاهات (مثل الاتجاه ضد الحركة السياسية للزنوج ومعارضة حقهم فى الاحتجاج).

كان الارتباط بين التعليم وهذين المقياسين للاستعداد للقيام بالفعل -٣٠, ٠ ، ٢٦, ٠ على التوالى، وهذه المعاملات قريبة جدا من المعاملات التى ظهرت فى ارتباط مقاييس التعصب العام بالتعليم. لا يوجد إذن اتجاه واضح لارتباط التعليم بالاتجاه بالمبدأ العام بدرجة أكبر من ارتباطه بالاعتقاد فى إمكانية تطبيق هذا المبدأ. هناك موضوع يرتبط بذلك هو طبيعة العلاقة بين التعليم والتعصب، بمعنى إذا كان التعليم يؤثر فى التعصب فكيف يتم ذلك التأثير؟

افترضت الدراسات عددا من ميكانزمات ذلك التأثير، الأول هو أن التعليم قد يخفض بتقديم معلومات عن الأقليات. استعرض ستيفان - ستيفان (١٩٨٤)[٦٣٢] الدلائل المؤيدة لتأثير الجهل فى تسهيل التعصب وأن ذلك يمكن تخفيضه بتقديم المعلومات الصحيحة. الثاني : افترض (جاكمان - موها ١٩٨٤)[٣٠٢] أن التعليم يؤدى إلى زيادة الثراء الفكرى Sophistication لأصحابه، وحينما تقوم جماعة مقهورة بتحدى سيطرتهم، يقوم الشخص الأكثر تعليما بتوجيه الجماعة المسيطرة إلى تطوير المعتقدات والمشاعر والاستعدادات الشخصية نحو العناصر الأخرى والتى تصبح بديلا عن التمييز الفئوى الحاد بين الجماعتين، ولكنها تحتفظ فى نفس الوقت بالحدود العنصرية الأساسية. بهذه الطريقة "يتم تقليل التمايزات بين الجماعات، وتبدى الجماعة المسيطرة التزاما بالحقوق الفردية لأعضائها فى الاختلاف مع مطالب الجماعة المقهورة، ويصير ذلك أساسا يتخذ الطابع الأخلاقى لرفض هذه المطالب". (ص٧٦٥)

قد يكون العاملان المذكوران (التبرير الأيديولوجى Ideological Sophistication والمعلومات) من عوامل تأثير التعليم فى التعصب، وقد يكونان مهمين فى بعض الظروف، غير أنهما لا يعتبران تفسيرات كافية لمثل هذه الظاهرة. ظهر تفسيران آخران فى دراسات أكثر عددا فى أدبيات الدراسة، الأول هو الصياغة (التبرير) والتى ستناقش بتفصيل أكبر فى نهاية هذا الفصل، والثانى هو التعرض لضغوط معيارية Normative Exposure .

فى الحالة الأولى: يؤدى التعلم إلى نمو نظرة أوسع Breadth of Perspective ومرونة معرفية أكبر Cognitive Flexibility واللذان يؤديان إلى قدرة على التسامح Tolerance نحو المخالفين معهم. (جلوك وآخرون ١٩٧٥[٢٢٨]، كيلمان باركلاى ١٩٦٣[٣٢٣]، سلزنك - ستاينبرج ١٩٦٩[٥٨٨]). ثمة نتيجة هامة لذلك وهى أنه ليس كل أنواع التعليم تؤدى إلى التسامح، فالتعليم الليبرالى هو الذى ينمى النظرة المستنيرة، ويعرض الأفراد إلى أفكار متنوعة، هذا هو التعليم الذى يقلل التعصب. فالتعليم بهذا المعنى قد يكون له تأثير ضئيل أو لا يكون له إطلاقا على التعصب فى الثقافات التسلطية والمحافظة، حيث يهدف التعليم فيها فى الأساس إلى المحافظة على المعايير والأعراف التقليدية .

فى الحالة الثانية: يؤثر التعليم فى التعصب خلال تنظيم التعرض للمعايير الاجتماعية، فالتعليم العالى يعرض أصحابه لمعايير أكثر تحررية ومساواة، خصوصا ما يتعلق بالاتجاهات والسلوك نحو الأقليات. بالعكس يؤدى التعليم العالى إلى تقليل تعرض الأفراد لأشكال التعصب التقليدية والمعيارية التى تسود المجتمع، وبهذا المعنى يفترض أن الحراك التعليمى "يقلل من التكامل الاجتماعى ويزيد من القابلية للتطرف". (إرليخ ١٩٧٣ ص١٤٧[١٧٩]، جونز ١٩٧٢[٣٠٩] أوربن ١٩٧٥[٤٧٥]). ينتج عن ذلك أن التعليم عامل مهم فى تخفيض التعصب فى المجتمعات ذات التقاليد القوية والمعايير التعصبية (أوربن ١٩٧٥)، ونناقش هذا الموضوع بتعمق فى الفصل التالى.

عموما تتوافر أدلة عديدة على أن ارتفاع مستوى التعليم يرتبط بانخفاض التعصب ضد الجماعات الخارجية والأقليات، إلا أن قوة واتساق ودلالة هذا التأثير كانت موضع تساؤل، ولم يمكن حسم كل هذه القضايا إلى الآن، لكن ما يبدو أن التقييم المبكر الذى أجراه (ستمبر ١٩٦١)[٦٢٥] لابد أن يؤخذ بحذر، حيث لا يرتبط التعليم بالتعصب حتى بدرجة متوسطة، وكانت أهم القضايا التى ماتزال موضع الجدل هى كيف نفسر هذا التأثير، وكان التفسيران الأكثر ظهورا هما أن التعليم يؤثر فى التعصب خلال الثراء المعرفى أو التعرض للمعايير الاجتماعية للتعصب أو عدم التعصب.

علاقة متغيرات اجتماعية أخرى بالتعصب:

ترتبط متغيرات اجتماعية عديدة أخرى بالتعصب، مثل العمر، التحضر، الحراك Mobility ، وذلك بصورة متسقة. فى حالة العمر، أشارت عدد من الدراسات إلى علاقة سلبية بين العمر والتعصب ضد السامية فى أمريكا الشمالية وغرب أوروبا (باجلى - فرما ١٩٧٩[٣١]، فايرباخ، ديفيز ١٩٨٨[٢٠١]، سلزنك - شتاينبرج ١٩٦٩[٥٨٨]، ويلسون ١٩٨٦[٧١٧]). ويصبح هذا التأثير أكثر وضوحا فى الدلالة عندما نضبط متغيرا هو مدى رغبة الصغار فى الوصول إلى درجات تعليم عالية. (باجلى - فرما ١٩٧٩[٣١]، سلزنك - شتاينبرج ١٩٦٩[٥٨٨]، وثنو ١٩٨٢[٧٢٢]) ويستند ميل صغار السن إلى قلة التعصب بالمقارنة بالأكبر سنا إلى ميل المؤشرات التاريخية الاجتماعية للتعصب وللمسافة الاجتماعية إلى الاعتدال خلال القرن العشرين. (فايرباخ - ديفيز ١٩٨٨[٢٠١]، سلزنك - شتاينبرج ١٩٦٩[٥٨٨]، وثنو ١٩٨٢[٧٢٢]). أشارت عدد من الدراسات إلى ارتباط التحضر Urbanicity بالتعصب، حيث يكون من يعيش فى المناطق الريفية أو المدن الصغيرة أكثر تصعبا من قاطنى المدن الكبيرة (بزويك - هيلز ١٩٧٢[٥٠]، ماركس ١٩٦٧[٢٠٢]، ميدلتون ١٩٧٦[٤٣٠]). يرتبط بذلك مصطلح آخر هو المحلية Localism والذى يشير إلى درجة توجه الأفراد إلى عائلاتهم، أصدقائهم المباشرين، ومجتمعهم المحلى، أكثر من الاهتمام بالكونية Cosmopolitan Interests على المجالين القومى والعالمى.

أظهرت الدراسات أن أصحاب التوجه المحلى أعلى فى درجة التعصب ضد السامية والتعصب العنصرى، حتى عند ضبط متغير التعليم (روف ١٩٧٨)[٥٤٨]. أوضحت الدراسات أيضا علاقة بين الحراك الجغرافى Geographic Mobility حيث يكون المتنقلين أقل تعصبا من غيرهم (هيلز ١٩٧٦ [٢٨٠]، كالين - بيرى ١٩٨٠[٣١٢]) ليس اتجاه السببية واضحا دائما فى هذه العلاقات، ففى حالة الحراك الجغرافى مثلا، هل يؤدى التعرض للاختلافات إلى موقف عام من التسامح إزاء الاختلاف من جهة أخرى، فمن الممكن أن يكون الأشخاص الأقل تعصبا أكثر حراكا بسبب قلة جمودهم الذهنى Dogmatism، أو بسبب اهتمامهم الأكبر بالخبرات المستجدة. (كالين - بيرى ١٩٨٠) [٣١٢]. وافتراض أن التحيز والمحلية يؤثران فى التعصب هو أمر أقل إشكالية، فكلا النوعين من الميكانزمات التى لوحظت فى حالة التعليم يمكن أن يعملا فى هذين المتغيرين أيضا.

أولا : أن الحراك والتحضر والمحلية يؤثرون فى التعصب من خلال المعاونة على تبنى ثراء معرفى Cognitive Shphistication أو اتساع الأفق Breadth of Prespective .

ثانيا : تشـير هذه الـعوامل إلـى درجة تعـرض الأفراد إلى الـضغـوط من أجل الانصياع لـلتعصب التقـليدى فى ثقافتـهم، فالأفراد الأقل حراكا جـغرافيا سيـواجهون ضغوطا أكبر للانصياع لمثل هذا التعصب المعيارى (إرليخ ١٩٧٣)[١٧٩].

العوامـل المعرفيـة :

كثيـرا ما تشيـر المفـاهيم التـقليدية للتـعصب موضـوع فشل العقـلانية (هاردنج وآخرون ١٩٦٩)[٢٥٩]، فالتـعصب يشـمل: تعميـمات خاطئـة (ألبورت ١٩٥٤)[١٢]، تصنيفات سـاذجة غـير متـمايزة (ألبـورت ١٩٥٤)[١٢]، أحكاما تقوم عـلى دلائل غير كـافية (آشـمـور ١٩٧٠)[٢٦]، الجـمـود (سيمبسون - ينجر ١٠٨٥)[٦٠٤]، عدم المرونة Inflexibility (كرتـش وآخرون ١٩٦٢)[٣٤٤]، عدم الاستـجابة للضغوط الإصـلاحية Corrective Influences (آشـمـور ١٩٧٠)[٢٦] والتى تـعنى أن الشـخص الذى لـديه استعداد للتفكير الخاطئ والجامد والعيـانى والذى لديه عادات ذهنية جامدة سيكون أكثر استعـدادا للتعصب. فى الآونة الأخـيرة وجه النقد إلى هـذا المنطق، فقد أشار تـاجفيل (١٩٨١)[٦٤٥] إلى أن عملية التـصنيف الاجتماعى هى السبب خلـف كل من التعصب والأفكار الجامدة، ويعتبـر ذلك عملية تكيفية سوية تقوم بتنظيـم وتبسيط المعلومات عن العالم الاجتماعى (بروير - كرامر ١٩٨٥[٨١]، هاملتون ١٩٨١[٢٤٩]). فليس التعصب ولا القوالب النمطية بالضرورة عمليات معـرفية خاطئة أو غير سوية، هذا رغم أنه يظل من الممكن للفروق الفردية فى القدرات المعرفـية والأساليب المعرفية أن تؤثر فى أداء هذه العمليات وأهمها التصنيف Catكاء والتعصب. وهناك بناء معرفى أكثر اتساعا كان موضع اهتمـام كبير وهـو الثراء Sophistication المعـرفى، وهو خلـيط من الذكـاء والخبـرة الاجتماعية، هذا فضلا عن عدد من الأنماط المعرفـية الخاصة ذات العلاقة بالتعصب مثل الجمـود، عدم تحـمل الغمـوض، التركـيبcomplexity المعـرفى والدوجمـاطيقـية، وسنناقش هذه المفاهيم والدلائل التى تربط بينها وبين التعصب فى الفقرة التالية:

النمط المعرفى والتعصب : Cognitive Style

تعامـل مفاهيم الـتعصب وعـدم تحمل الغمـوض باعتبـارها تحمل نفـس المعنى، (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٧]، لكن هناك فروق هامة بينهما، فيميز التيمير (١٩٨١)[١٦] على سبيل المثال بينهما كما يلى:

«يشير الجمود إلى الميل للاحتفاظ بمجموعة إدراكات وحلول للمشكلات، حين لا يكون الاحتـفاظ بها منـاسبا. ويشيـر عدم تحمل الغمـوض إلى الميل لتكويـن مثل هذه

المجموعـة حين تكون الدوافع إليها غـير كافية، مثـال ذلك حينما يكون الشـخص غير متحمل لـلغموض ولكنه ليس جامدا، أو مستحملا للغموض ولكن يكـون جامدا بمجرد تكوين هذه المجموعة» (ص ٤٩).

يؤثر عدم تحمل الغموض فى التعصب خلال تسهيل عملية التصنيف بين (نحن - هم) والميل إلى تجاهل المعلومات المعقدة، المتضاربة، ويؤدى الجمود إلى استمرار وتعميم مثل هذا التـصنيف على مواقف مخـتلفة وهى مسئولـة عن المرونة وعن مقاومة التـغير والذى يميز القـوالب الجامدة والتعصـب، فى حين يوجد الدليل على الارتـباط بين عدم تحمل الغموض والتعصب، فإنه دليل غيـر متسق بصورة واضحة، فقد أشارت دراسات عديدة إلى أن الأفراد المرتفعين فى التعصب أو التمركز العرقى كانوا أقل فى القدرة على تغيير إستراتيجيات حل المشكلات أو التهيؤ الادراكى فى العمل بما يعنى الجمود. وكانت دراسة روكيش (١٩٤٨)[٥٤٣] على مشكلة «إناء الماء» خير دليل على ذلك.

لكن المحـاولات التالية فـشلت فى تكرار هـذه النتائج بـصورة قاطعـة (ابلزويك ١٩٥٤[٢٣]، براون ١٩٥٣[٩٩]). ووجـد بلوك - بـلوك (١٩٥١)[٦٣] أن المبحـوثين المتعصـبين عرقيا ثبتوا عـلى أحكامهم بسرعة أكـبر على موضع بقعـة الضوء فى تجارب الحركـة الذاتيـة، وكان تفـسيـر هذه النتـائج أنهـا تشيـر إلى عدم القـدرة على تحـمل الغموض. ، غير أن أغلب الدراسات الأخرى فـشلت فى تكرار عدم القدرة على تحمل الغموض أو الجـمود (مثال ذلك التغيرات فى اصدار الأحكام على حركـة الضوء) عند المبحوثين المتعصبين باستخدام ظاهرة الحركة الذاتية (التميمى ١٩٨١ ص٤٩-٥٣)[١٦].

كانت الدراسات التـى استخدمت مقاييس تعـتمد على الاستبيـان فى قياس هذه المكونات غيـر شاملة، فمقياس عـدم القدرة على تحمل الغمـوض (لبندر) أوضح دلالة ضعيـفة للارتباط مع التـعصب فى بعض الأحوال دون البـعض الآخر. (راى ١٩٨٨أ، سيدانيوس ١٩٨٨)[٥٩٩]. وربما رجع ذلك إلى نقـص الثبات (وغموض الـصدق) لهذه المقاييس (راى ١٩٨٨[٥٢٩]، وارد ١٩٨٨[٦٩٤]). ووجدت دراسات عديدة على الجمود ارتباطات دالة بين التعصب ومقياس المرونة وهو أحد المقاييس الفرعية لاستبيان كاليفورنيا للشـخصية (جـلوك وآخرون ١٩٧٥[٢٢٨]، جـوف ١٩٧٥[٢٣٥]، روكيـش - فروخـتر ١٩٥٦[٥٤٥])، غير أن فقرات هذا المقياس يبدو أنها تعكس رغبة الشخص فى الاستمتاع بأفكار جديـدة معقدة، وبالتـالى تتشبع بالمحـافظة والتقليديـة، وهذا ما يفسر ارتبـاطها بالتعصب. عموما فالدليل على وجود علاقة بين التعصب وكل من الجمود المعرفى وتحمل الغمـوض ليست واضحة تمامـا، وتظهر المشكلـة الرئيسية فـى غياب المقاييس الـصادقة

والثابتة لـكلا المتغيرين. ولكن تـأكد صدقهما بوضـوح كمتغيرات تـكشف عن الفروق الفردية (وليس الاستجابات الموقفية) (راى ١٩٨٨)، استنتج كل من (براون ١٩٦٥)[٩٠] (التيمير ١٩٨١)[١٦] فى استعراضهما للأبحاث المبكرة هذا الحكم وأن ما ظهر من أبحاث مخالفة لذلك كان قليلا جدا.

يفترض مفهوم التركيب المعرفى Complexity فروقا فردية فى القدرة على التمييز والتكامل بين المعلومات (ماكنيل ١٩٧٤)[٣٩٣]، ويميل الأفراد ذوى الدرجة الـبسيطة فى التعقـيد المعرفى إلى التعامل مـع المعلومات المعقدة بالاعـتماد فقط على تصنيـفات قليلة بسيطـة، مما يؤدى إلى تجاهل أوجه الـفروق والتشابـهات بين المثيرات، وقـد يدفع ذلك الشخص الأقل تعقيدا لأن يصبح أكثر قابلية للتفكير النمطى الجامد وإلى التعصب، قليل من الدراسات فقط هى التى اهتمت بذلك، ووجدت ارتباطات دالة ولكن منخفضة بينها وبين التعـصب (جاردنر ١٩٧٢[٢٢٤]، سيدانيوس ١٩٨٥[٥٩٩]، تيـتلوك ١٩٨٣[٦٥٥]، واجنر ـ شونباخ ١٩٨٤[٦٩٢]).

هـنـاك مشكـلة عامـة فى الأبحـاث التى تربـط بين الأنماط Style المعرفيـة مثل الجمود، عـدم تحمل الغـمـوض والتـركيب المعـرفى والتـعصب، ورغـم أن الأعـمال والمقـاييس التى اسـتخدمت لتــقدير هذه المكونات لا تـرتبط دائـما بالذكـاء العام (إرليـخ ١٩٧٣ ص١٤٣)[١٧٩] لكنها ترتبط أحيانا به (راى ١٩٨٨أ)[٥٢٩]، ويعنى ذلك أن أى ارتباط بالتـعصب قد يعكس علاقـة بالذكاء العام أكثـر من النمط Style المعرفى على وجه الخـصوص. ،حاولـت دراسة واحدة فـقط ضبط ذلك، ووجـدت رغم أن الارتباط بين التعقيـد المعرفى والتعصب كان منخفضا حين ضـبطت الذكاء العام، ظلت العلاقة دالة (واجنر - شونباخ ١٩٨٤)[٦٩٢].

كان تعريف (روكيش ١٩٥٤)[٥٤٤] لمفهوم الدوجماطية كالآتى : أ) تنظيم معرفى نسبيا للمعتقدات عن الواقع. ب) ينتظم ذلـك حول مجموعة مركزية من المعتقدات عن السلطة المطـلقة والتى. . .ج) تقدم بدورها اطـارا للأنماط التحمل وعدم تحـمل الآخرين (ص١٩٥). تشير الدوجمـاطية بذلك إلى درجة مقاومة الأفكار الجـديدة، ودرجة تقييم المعلومات الجديدة بمعايـير مسبقة. ويفترض أن هذا النمط الخاص مـن الوظائف المعرفية هو سبب التعصب وعدم التحمل وكلما زادت الـدوجماطية فى بناء معتقدات الشخص، يزيد استعداد الشخص لرفض وكراهية الأشخـاص والجماعات الخارجية التى لا تشاركه هذه المعتقدات.

أوضح مقـياس الدوجمـاطية الذى أعده روكـيش ارتباطات منـتظمة إيجابـية مع مقاييس التعصب والتمركز العرقى، ولكن رغـم أن نظريته فى الدوجماطية تعتبر هامة،

إلا أن صدق مقياسه للدوجماطية (D) كان موضع انتقاد حاد (ألتيمير ١٩٨١[١٦]، راى ١٩٧٩أ[٥٢١]، ويلى ١٩٧٩[٧٢٣]). فقد اتضح أنه متعدد الأبعاد بدون بناء عاملى ثابت واضح، كذلك فمعاملات الارتباط الداخلية كانت منخفضة جدا وبصورة غير مقبولة، وفقراته غامضة وغير متوازنة فيما يتعلق بمتغير الاذعان Acquiescence.

أوضح بيليج (١٩٧٦)[٥٤] أنه رغم أن مقياس (D) يفترض أن يمثل بناء لنسق المعتقدات، أكثر من محتوى هذه الاعتقادات، فيبدو أن فقراته متميزة أيديولوجيا، وحتى لو كان مقياس (D) يستهدف قياس التسلطية العامة، فيجب بالتالى أن ينطبق على كل من اليمين واليسار السياسى، فقد اتضح أنه يرتبط باليمين السياسى فقط (هانسون ١٩٨٣[٢٥٨]، ستون ١٩٨٠[٦٣٣]).

ارتبط مقياس (D) أيضا بالتسلطية كما يقيسها مقياس (F) (لأدورنو وآخرين ١٩٥٠)[٧]، (كيرلنجر - روكيش ١٩٦٦)[٣٢٧]، كان الارتباط عاليا لدرجة تساؤلنا عن مدى استقلال كلا المقياسين عن الآخر. (كرشت - دلهاى ١٩٦٧)[٣٣٦]. نتيجة لذلك يبدو من المشكوك فيه أن يكون مقياس (D) صادقا كمقياس للنمط Style المعرفى، فارتباطة بالتعصب قد يكون مجرد انعكاس لعلاقة بالتسلطية كما يقيسها مقياس (F) وبالجانب المحافظ سياسيا.

ختاما، رغم أن هناك منطقا للربط بين الأنماط المعرفية Cognitive Styles كالجمود، عدم تحمل المفحوص، التعقيد المعرفى، الدوجماطية وبين التعصب، فقد ظهرت مشاكل هامة فى قياس واستخدام هذه المفاهيم مما جعل ذلك عقبة فى وجه القياس الدقيق لها، ويبدو أن المطلوب تطوير مقاييس صادقة وثابتة وإجراء بحوث أكثر منهجية من حيث ضبط العوامل المتداخلة خصوصا الذكاء العام.

الذكاء - الثراء المعرفى، والتعصب

يلاحظ أن الارتباط بين نمط معرفى معين والتعصب يعكس ارتباطا بين التعصب والذكاء العام. لكن القليل من الدراسات حسبما أشار (إرليخ ١٩٧٣)[١٧٩] هى التى استخدمت مقاييس أساسية للذكاء مع مقاييس للتعصب المعرفى. ، ربما يعود ذلك إلى أن اختبارات الذكاء تستغرق وقتا طويلا، ولقد أشار استعراض هذه الدراسات إلى أن أغلبها وجد أن زيادة الذكاء ترتبط بقلة التعصب، ووجدت دراستان فقط أن الارتباط غير دال، ولكن الارتباط فى الدراسات المذكورة لم يكن قويا حيث دارت معاملات الارتباط حول ٠,٣٠.

توصلت الدراسات الأكثر حداثة إلى نتائج مماثلة، فقد وجدت ارتباطات بين الاختبارات الرسمية للذكاء Formal tests ، وبين المؤشرات المختلفة للتعصب بين طلاب المدارس الثانوية ببريطانيا (باجلى وآخرون ١٩٧٩)[٣٢]. وفى ألمانيا (واجنر - شونباخ ١٩٨٤)[٦٩٢] وفى عينة عامة فى بريطانيا وهولندا (باجلى وآخرون ١٩٧٩)[٣٢]. وتوصل مور وآخرون (١٩٨٤)[٤٤٥] فى الولايات المتحدة إلى ارتباطات دالة بين طلاب المدارس الثانوية الزنوج ولكن لم يتوصل لهذه الارتباطات بين نظراتهم من البيض. وعموما تشير الدلائل إلى وجود علاقة بين الذكاء العام والتعصب. ولا يبدو أن هذه العلاقة قوية جدا، كما أن مدى تحقق هذه العلاقة فى الثقافات غير الغربية ليس واضحا.

ظهر مفهوم واسع يسمى الثراء المعرفى Cognitive Sophistication (جلوك وآخرون ١٩٧٥[٢٢٨]، وثنو ١٩٨٢[٧٢٧]) أو التبسيط Simplism (سلزنك - شتاينزبرج ١٩٦٩)[٥٨٨] أو سعة الأفق Breadth of Perspective (كيلمان - باركلى ١٩٦٣)[٣٢٣] أثارت اهتماما واسعا. ،ويوصف هذا المفهوم عادة بمصطلح غامض نوعا، حيث يبدو أنه يضم سمات استعدادية ومتعلمة، ويصف كيلمان - باركلى (١٩٦٣)[٣٢٣] اثنين من مكوناته :

أ) التوسع السيكولوجى Psychological Capacity والذى يشير إلى كل من الذكاء وسمات التسلطية والجمود.

ب) توافر الفرص Opportunity والذى تشير إلى التنوع والاتساع فى الخبرات الاجتماعية البيئية للفرد.

يبدو أن عوامل مثل الحياة فى القرية أو المدينة، زيادة التعليم، الثراء الثقافى والاجتماعى، المهنة الراقية، الحراك الجغرافى، الحراك الاجتماعى فى العنصر الثانى كلها عوامل تسهم فى توسيع الخبرة والتى تسهم بدورها فى الثراء المعرفى. وثمة نقطة مثيرة للاهتمام حول الطريقة التى يفترض أن يؤدى بها الثراء المعرفى إلى زيادة المقاومة للتعصب، فبجانب تقليل الاستعداد لتكوين تصنيفات اجتماعية مبسطة واستمرارها وتعميمها يؤثر الثراء المعرفى فى التعصب من خلال نوع الإسناد Attribution الذى يفسر الفروق بين الجماعات، فالثراء المعرفى يزيد حساسية الأفراد لإمكانية إدراك الفروق الجماعية (السلبية ضد الجماعة الخارجية) على أنها لا ترجع إلى نقص ذاتى طبيعى موروث لدى أعضاء الجماعة الخارجية، لكن قد ترجع إلى عوامل تاريخية، ثقافية واجتماعية معقدة، كما يشير إلى ذلك (جلوك وآخرون ١٩٧٥)[٢٢٨]: «تقوم التفسيرات

التى تزيد مـن الحساسيـة نحو الظروف التاريـخية والتى تتـسبب فى ظهـور الفروق بين الجماعات، والـتى تقترن بالقوى النفـسية والاجتماعـية والثقافية المحـددة لهذه الفروق، بوظيفتهـا فى ضمان استمرار نسبـية الفروق بين الجماعات بحيـث لا تتحول إلى فروق مطلقة، والأهم فى هذا التفسير هو إيضاح أن الجماعة ليست على خطأ» (ص١٦٦).

فى غيـبة المقاييس الصـادقة يستخدم البـاحثون أشكالا من الـدلائل المجازية AD Hocفى قياس الثراء المعرفى. استـخدم سلزنك - شتاينبرج (١٩٦٩)[٥٨٨] مقياسا تركز فقراته على قياس الميل لتبسيط المشكلات الاجتـماعية المعقدة فى حلول بسيطة، واستخدم جلوك وآخـرون (١٩٧٥)[٢٢٨] دلائل لتـحديد مدى الاهتـمام بالتـدقيق الذهنى، كـما استخدم جوف (١٩٥٧)[٢٣٥] مقيـاسا للمرونـة ولمدى الاتفاق مع الآراء السـاذجة عن الطبيعـة الإنسانية، وهذه المؤشرات المفترضـة للثراء المعرفى اتضح أنها مـتنبأ قوى بمدى تعصب أصحابها ضد السامية وضد العناصر الأخرى فى هاتين الدراستين.

ويمكن للثـراء المعرفى كبناء للـمعرفة - الخبـرات أن يفسر الارتباط بين الـتعصب وأنماط معرفية مخـتلفة، هذا بالإضافة إلى الذكاء العام.، والثراء المـعرفى يمكنه أن يفسر أيضا الارتباطات التى تظهر بين التعصب والمتغيـرات الديموجرافية الاجتماعية كالتعليم، المهنة ،التحضر والحراك الجغرافى.

الخلاصة:

• نظرا لأن العمليات المعـرفية الأساسية مثل التصنيف يبدو أنـها جزء من التعصب (تاجفيل ١٩٦٩[٦٤٣]، ١٩٨١)[٦٤٥] فمن المـنطقى أن تكون الفـروق الفردية الثابـتة فى العوامل المعرفـية قادرة على التأثير فى القـابلية العامة للتعـصب. وهناك عدد من الأنماط المعرفية الخاصـة ذات العلاقة بالتعصب، ولكن بالنـسبة للأغلبية كان الدليل علـيها غير متسـق نوعا. وكانت المشـكلة الرئيسيـة هى الغموض المحـيط بفهم وقـياس هذه الأنماط باعتبارهـا أبعادا للفروق الفردية الثـابتة. وفى حالة الذكاء العام أشـارت أغلب الشواهد البحـثية إلـى ميل دال لارتبـاط الذكاء الأعلى بـدرجة أقل من التـعصب. غـير أن هذه الارتباطات لم تكن قوية كما لم تتأكد مدى عموميتها عبر الثقافات.

هناك بناء معرفى - خبراتى Experiental أكثر عمومية كان موضع اهتمام وهو الثـراء المعـرفى، ويبـدو أن هذا البـناء يتـكامل مع مـجمـوعـة متنـوعة مـن المفاهـيم والاستـنتاجـات داخل إطار نظرى يقـدم منطقـا مقـبولا للفـروق الفردية فـى القابلـية للتعصب. ورغـم أن عددا قليلا نسبيا من الـبحوث أجرى فى الموضوع فيـبدو أن النتائج

مبشرة Promising، وتظهر المشكلة الرئيسية فى أن المفهوم يستخدم بصورة غامضة نوعا، بحيث يبدو من الضرورى أن نعمل على استجلاء تصورنا عن المفهوم، وتجرى الإجرائية والقياس فى تعريفه كوسيلة لإجراء بحوث أكثر تحديدا.

التسلطية : Authoritarianism

تقديم وخلفية تاريخية:

كانت نظرية الشخصية التسلطية (لأدورنو وآخرين ١٩٥٠)[٧] أكثر المحاولات طموحا وتأثيرا لفهم سيكولوجية التعصب، فهى تذهب إلى أبعد من التوجهات النظرية التى ارتبطت ببعض من السمات المنفردة أو الخصائص الجزئية بالتعصب، وافترضت بدلا من ذلك أن عددا من السمات، والحاجات والاستعدادات المعرفية والسلوكية ترتبط لتكون زملة أعراض Syndrome عامة للشخصية.

تحدد هذه الأعراض القابلية ليس للتعصب فقط ولكن إلى أنماط أوسع من الاعتقادات والأيديولوجية. ، ويمكن اعتبار هذه النظرية مثيلة لعوامل الشخصية من الدرجة الثانية والتى وصفها كاتل وزملاؤه (كاتل - ايبر - تاتسوكا ١٩٧٠)[١١٤] مثل الانبساط والعصابية والتى تشمل عددا من السمات الأولية التى لها تأثير قوى على تماسك الشخصية وملامحها.

قبل صدور كتاب الشخصية التسلطية (لأدورنو وآخرين ١٩٥٠)[٧] أثار ظهور الفاشية فى أوروبا خلال العشرينيات والثلاثينيات عددا من محاولات فهم سيكولوجية الفاشية، شملت هذه المحاولات فى العادة وصفا لنمط الشخصية المؤهل للانجذاب إلى الأيديولوجية الفاشية وللانتماء إلى الحركات الفاشية، كانت هذه المحاولات صورة مبدئية مما قدمه أدورنو وزملاؤه بعد ذلك فى كتابهم المذكور، وقد تأثر كل من أدورنو وسابقيه بنظرية التحليل النفسى بالإضافة إلى الماركسية فى أغلب الأحيان. فقد ناقش رايخ (١٩٧٥)[٥٣٥] أن البناء الاجتماعى الرأسمالى لجأ إلى استخدام الأساليب التسلطية فى معاملة الأطفال، تشمل هذه الأساليب كبتا جنسيا واسع النطاق لخلق أنماط الشخصية التسلطية والتى تحول دون الثورة على الظروف الاستغلالية بالمجتمع.

يوصف هذا البناء المميز بالمحافظة، الخوف من الحرية، الخضوع للسلطة، الطاعة، حتى أنه يوصف بـ أن عدوانه الطبيعى يشوه ويتحول إلى سادية (وحشية) (ص٦٦)، يصبح هؤلاء الأفراد مواطنين طائعين فى المجتمع التسلطى، وينجذبون بقوة إلى الأيديولوجية الفاشية التسلطية. وتوصل ماسلو (١٩٤٣)[٤٠٤] وفروم (١٩٤١[٢١٦]) إلى نفس هذه التفسيرات. قدمت هذه الأوصاف لنمط الشخصية التسلطية من منظور

اجتماعى معارض للفاشية وللأيديولوجية المعرفية. ومن الطريف أن نلاحظ أن عالم النفس النازى جانيش قدم وصفا للنازى المثالى (نمط J) والذى كان مشابها للشخصية التسلطية.

نقل براون (١٩٦٥)(٩٠) وصف جانيش لنمط J باعتباره ذلك النوع من الأشخاص الذى «**يصدر أحكاما قاطعة بالغة الوضوح ويصمم على هذه الأحكام، ويقرر أن السلوك الإنسانى ثابت ومحتوم بالدم والتربة والتقاليد القومية. وهذا النمط رجولى صارم وجاف، وهو رجل يعتمد عليه، ويجب أن يكون أسلافه قد عاشوا منذ زمن طويل فى شمال ألمانيا وبين الشعب الألمانى، هؤلاء الأسلاف الذين ورثوه تلك الصفات العظيمة**» (ص٤٧٨).

أخيرا، هناك نمط مماثل للشخصية وصفه ماكورنى (١٩٣٧)(٣٩١) فى تفسيره لتطور التعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا، حيث افترض أن طبيعة ومقتضيات Exigencies حياة المواجهة فى جنوب أفريقيا قبل القرن العشرين سببت ما يسميه نمط الشخصية النقى - الكالفنى Calvinist - Puritanical Personality Type هذا النمط عنصرى، محافظ، متدين، مركز حول العنصر، يميل إلى العقاب الخارجى والداخلى Intropunitive Extrapunitive .

نظرية الشخصية التسلطية:

هناك فرق هام بين آراء أدورنو وزملائه وبين الآراء السابقة عليه. **أولا** : أن نظريتهم فى الشخصية كانت أكثر تفصيلا، وشمولية وثراء Sophistication. **ثانيا** : قامت نظريتهم على فحص أمبيريقى موسع باستخدام طرق مقبولة عموما فى البحث العلمى الاجتماعى، وقد ابتكروا مقاييس سيكولوجية للبناء الأساسى الذى تصوروه وبينوا معاملات الارتباط بين عناصره. كذلك أكدوا صدق نظريتهم بالمقارنة بين جماعات من الأشخاص، المرتفعين والمنخفضين فى درجة التعصب العرقى وفى عدد كبير من المؤشرات والدرجات التى استخرجت بطريقة عشوائية من مضمون المقابلات وبروتوكولات اختبار تفهم الموضوع TAT.

بدأت دراساتهم بهدف تفسير الأساس السيكولوجى لمعاداة السامية والذى اتضح أنه جزء من نمط أوسع للتمركز العرقى والذى يشمل الكراهية المعممة للجماعات الخارجية والأقليات، هذا بالإضافة إلى الوطنية Patriotism المفرطة وغير الناقدة، ترتبط معاداة السامية والتعصب العرقى بقوة أيضا بالمحافظة الاقتصادية والسياسية، وتبدو هذه الاتجاهات والمعتقدات وقد ارتبطت فيما بينها لتكون نمطا متماسكا.

وأفضل تفسير لهذا النمط هو أنه تعبير عن حاجة أساسية فى الشخصية، على ذلك كان الافتراض «أن الانتماء السياسى، والاقتصادى والاجتماعى للشخصية يشكل عادة نمطا واسعا ومترابطا يبدو وكأنه تماسك فيما بينه بفعل عقلية أو روح يكون هذا النمط تعبيرا عن فيول عميقة فى الشخصية» (ص١).

توصلت الدراسات القائمة على المقابلات إلى افتراض تسع سمات يبدو أنها تتباين لتكوين هذه الزملة من أعراض الشخصية، وقد تم بناء فقرات استبيان لتقدير كل سمة، وتم تجميعها فى مقياس (F) لقياس "الشخصية التسلطية"، ويوضح الجدول ٨-١ هذه السمات التسعة ونموذجا على فقرات لها. والحقيقة أن مصطلح التسلطية قد لا يكون أكثر المصطلحات من حيث مناسبته لوصف مجموعة أعراض هذه الشخصية، إذ لم يقدم(أدورنو وزملاؤه ١٩٥٠) أى دليل حقيقى على أن فقرات مقياس (F) أو السمات التسعة التى تضمها استخرجت أساسا من نتائج المقابلات التى تم فيها مقارنة استجابات جماعات عالية ومنخفضة فى التعصب العرقى. فقد قام اختيار فقرات مقياس F على ارتباط كل فقرة بمقياس معاداة السامية، وقد يمكننا بذلك تسمية هذا المقياس "بالتعصب العرقى" أكثر من التسلطية.

ويبدو الاستنتاج الأخير منطقيا خصوصا إذا استعرضنا صورة الشخص المحافظ، المتمركز عرفيا، المعادى للسامية وكذلك من استعراض أوجه التشابه مع تأملات (اريك فروم ١٩٤١)[٢١٦]، وماسلو (١٩٤٣)[٤٠٤] ورايخ (١٩٧٥)[٥٣٥]، ويمكن النظر عموما إلى نظرية (أدورنو وآخرون ١٩٥٠) باعتبارها تربط بين أجزاء ظاهرة ذات أربعة مستويات متباينة، هذا ما يلخصه الجدول ٨-٢، على ذلك فالتنشئة الصارمة Strict والعقابية Punitive تتسبب فى صراع دائم داخل الفرد، وإلى ازدراء Resentment وعداء ضد سلطة الوالدين، وباتساع موقفه من السلطة بصورة عامة يتم كبت Rep-ression إزاحة Displacement الخوف والحاجة إلى الاستسلام Submit للسلطة. تظهر هذه الديناميات النفسية على السطح فى شكل أعراض من تسعة سمات متلازمة الظهور، هذه السمات التى تكوّن الشخصية التسلطية. أخيرا تنعكس هذه السمات فى صورة معتقدات اجتماعية واتجاهات وسلوكيات تلاحظ غالبا فى المعتقدات المضادة للديمقراطية التى تعبر عنها فقرات مقياس (F).

قوبلت النظرية بقدر كبير من الحماس، حيث ظهر أنها ربطت بكفاءة بين مفاهيم تشكل مدى واسعا جدا يبدأ من الديناميات الشخصية إلى الظواهر الاجتماعية ذات الدلالة الهامة التى تقدم تفسيرا للمجتمعات الانسانية وتاريخها، غير أن هذه النظرية لم تسلم من أوجه نقد خطيرة.

جدول ٨ - ١

تعريف وفقرات إيضاحية من مقياس F لأدورنو وآخرين لقياس تسع سمات لأعراض الشخصية التسلطية.

١- التقليدية: Conventionalism

التمسك الجامد بالقيم التقليدية للطبقة الوسطى.

الشخص السيء في سلوكه، عاداته، منشؤه من الصعب أن يعيش وسط الطبقة الراقية.

٢- الخضوع التسلطي: Authoritarian Submisson

اتجاه خضوعي غير قائم على التفكير نحو السلطة التقليدية للجماعة.

«الخضوع والاحترام للسلطة هي أهم فضيلة يجب بثها في الأطفال»

٣- العدوان التسلطي: Authoritarian Aggression

الميل إلى مراقبة الآخرين، توجيه الاتهامات، الرفض، معاقبة كل من ينتهك القيم التقليدية.

« الشواذ جنسيا هم مجرمون ويجب معاقبتهم بمنتهى القسوة»

٤- معارضة التأمل الذاتي Anti - intraception:

معارضة العقلية الذاتية، الخيالية، المرنة.

«في أيامنا هذه يتدخل الناس في أمور يجب أن تظل شخصية وخاصة»

٥- التطير والأفكار النمطية: Superstition and Stereotyping

الاعتقاد أن أقدار الناس تحددها قوى سحرية، الاستعداد للتفكير حسب فئات جامدة.

« يوما ما سيتوصل الإنسان إلى أن المنجمين يمكنهم تفسير أمور كثيرة في عالمنا».

٦- القوة والخشونة: Power and toughness

الانشغال بأمور السيطرة ـ الخضوع، القوة ـ الضعف، القائد ـ التابع، التوحد مع رموز السلطة، التأكيد المبالغ فيه على القوة ـ الخشونة.

«يمكن للناس أن ينقسموا إلى طبقتين واضحتين: ضعيف وقوي».

٧- التدميرية والكلبيه: Destructiveness and cynicism العداوة المعممة، إهانة البشر.

«مهما اختلف الناس في الزمان والمكان فستجد الصراع والحروب بينهم».

٨- الإسقاط: Projectivity

الاستعداد للاعتقاد أن ما يجري في العالم هو الشرور والآثام، وهي إسقاط لدفعاته الانفعالية اللاشعورية.

« أغلب الناس لا يدركون أن حياتهم تحركها مؤمرات عالمية سرية».

٩- الجنس: Sex

اهتمام مبالغ فيه بأخبار الجنس والنساء.

« كانت حياة الناس قديما محترمة ومنظمة في علاقة الرجال بالنساء، أما الآن فالفساد في هذه العلاقات منتشر حتى وسط من لا نتوقع منهم ذلك».

جدول ٨ - ٢
نظرية الشخصية التسلطية

بناء الأسرة والعلاقات المتبادلة	أعماق الشخصية، الصراع الداخلى	السمات السطحية للشخصية	المعتقدات الاجتماعية والسلوك
القيم: جامدة. تقليدية تقوم على المكانة	استياء وعداء تجاه النظام العائلى	التقليدية. الخضوع التسلطى العدوان التسلطى	معتقدات مضادة للديمقراطية (مثال فقرات مقياس الفاشيه)
العلاقات: تتحدد بالأدوار. التباعد الوجدانى، علاقات سيادة. خضوع	كبت وإزاحة بسبب الخوف من/ والحاجة إلى السلطة الوالدية	مضاد للتأمل الذاتى، إسقاطى تطير وأفكار نمطية	تمركز عرقى. تعصب، تمركز حول الجماعة، سلوك تمييزى ضد الأقليات الخارجية
التنشئة: صارمة، عقابية، نظام دقيق، عدم السماح بأى خروج على النظام	ضعف الأنا، أنا أعلى غير مترابط ويركز على التأنيب	القوة والخشونة، التدميرية والسخرية، الاهتمام بالأمور الجنسية	المحافظة السياسية والاقتصادية الأيديولوجية الفاشية الأنشطة الجينية

المرجع: Duckitt, j: (1991) (١٧٣) . Prejudice and Racism in: Fosterd & Louwpotgieter (eds.), Social Psychology in South AFRICA : LEXICON 1991.

أثارت الاستجابة الناقدة لكتاب الشخصية التسلطية عدة قضايا منهجية وسيكومترية واصطلاحية، فقد آثار (هايمان - شيتزلى ١٩٥٤)(٢٩١) على سبيل المثال مشكلة الضعف المنهجى، حيث لاحظ أن العينات التى استخدمت لم تكن ممثلة، وأن الارتباطات التى توصلوا إليها لا تكون صادقة، وقد تعكس الارتباطات بين الاستبّيانات تداخلا بين مضامين الفقرات، وفى أحوال معينة وضعت الفقرات بصورة تضمن هذه الارتباطات.

والفقرات فى مقياس F لم تكن مختارة على أساس الاتساق الداخلى، ولكنها اختيرت أيضا لارتباطها العالى بمقياس معاداة السامية. وفى الدراسة المقارنة كان القائمون بالمقابلة على وعى بتصنيف المبحوثين على محكات البحث، لذلك كانت الفروق فى الاستجابات على المقابلات واختبار تفهم الموضوع بين العالية والمنخفضة فى الاتجاهات العنصرية قد تتأثر هذه الإجابات بتحيز القائم بالمقابلة.

هناك متغيرات من المحتمل تداخلها فى هذه العلاقة مثل التعليم والذى يتم ضبطه، وبذلك فالفروق الجماعية فى المعتقدات، الشخصية، خبرات الطفولة والأسلوب المعرفى قد تعكس الفروق التعليمية أو الفروق فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى بين الجماعات. شعر هايمان - شيتزلى بناء على ما لاحظاه من ضعف منهجى أن ما توصل إليه كتاب الشخصية التلسطية من استنتاجات لم تتوافر له البراهين الكافية ، فلقد فتح الفشل فى ضبط متغيرات التعليم والمستوى الاقتصادى الاجتماعى الباب لتفسيرات بديلة للنتائج، كان أكثرها بروزا هى أبنية مثل «معاييرالطبقة الدنيا» (براون ١٩٦٥)(٩٠)، سعة الأفق (كيلمان - باركلى ١٩٦٣)(٣٢٣) والثراء المعرفى. وهناك انتقاد هام يتعلق بالمفاهيم Conceptual Critism وهو أن الشخصية التسلطية مثلت التسلطية بالمفهوم اليمينى ولكنها لم تمثلها بالمفهوم اليسارى. فقدلاحظ شيلز (١٩٥٤)(٥٩٧) أنه فى حين تتفق الفاشية والشيوعية فى أنهما تسلطيتان، يبدو أن الشيوعيين يحصلون على درجات أقل فى مقياس (F)، وافترض بناء على ذلك أن مقياس F قد لا يقيس التسلطية فى حد ذاتها.

كان ذلك النقد فعالا فى توجيه وتطوير تصورات أخرى لقياس التسلطية فى صورتيها اليمينية واليسارية، كان أهم مثالين لهذا التطوير هما مفهوم الدوجماطية (روكيش وآخرون ١٩٦٠)(٥٤٧)، والعقلية المتصلبة Tough mindedness (ايزنك ١٩٥٤)(١٨٧). لكن هذا النقد فقد معناه بمرور الزمن (ستون ١٩٨٠)(٦٣٣)، ربما بسبب

أن التسلطية فى اليسار لم تتضح بجلاء بصورة علمية، والنتيجة أن مقياس (F) وغيره من مقاييس التسلطية فى اليمين فقط، لم تعد الآن تمثل مشكلة كبيرة مثلما كانت تفعل فى الخمسينيات إبان الحرب الباردة (التيمير ١٩٨١)(١٦).

كان النقد السيكومترى الرئيسى لمقياس F أن كل فقراته مصاغة بحيث أن الموافقة عليها تعنى التسلطية (باس ١٩٥٥(٣٥)، بروستر - سميث ١٩٦٥(٨٤)، كوش - كينستون ١٩٦٠)(١٣٦). أثار ذلك احتمال أن يكون التهيؤ للاستجابة Response Set خصوصا الميل للموافقة بصرف النظر عن مضمون الفقرات والتى أسماها باس (١٩٥٥)(٣٥) الإذعان Acquiescence يؤثر فى درجات المبحوثين على المقياس. وينطبق ذلك النقد أيضا على مقياس أدورنو للتمركز العنصرى (E) ومعاداة السامية (A-S).

أثار موضوع ما اذا كانت هذه المقاييس تقيس الإذعان Acquiesence أكثر مما تقيس مكونات مثل التسلطية، واذا كان الأمر كذلك فإلى أى مدى ؟

أثار هذا الموضوع جدلا حادا استمر قرابة عقد من الزمان. بينت بحوث كثيرة تأثير الخضوع على درجات مقياس (F).

أولا : تم بناء مقياس من مقلوب فقرات F (أى أن عدم الموافقة تعنى التسلطية)، واتضح أن هذه الفقرات المقلوبة لا ترتبط تقريبا بنفس الارتباط الذى يتحقق إذا طبقنا المقياس الأصلى (باس ١٩٥٥(٣٥)، كريستى - هافيل - سيدنبرج ١٩٥٨(١٢١)، جاكسون - ميسك ١٩٥٧)(٣٠٤). وفى نفس السياق وجد بيبودى (١٩٦١)(٤٨٩) نسبة كبيرة من ازدواجية الموافقة Double Agreement بين الفقرات الأصلية وبين الفقرات المفروض أنها على عكسها تماما.

ثانيا : المقاييس المستقلة للخضوع، خصوصا عدد استجابات "موافق" على الفترات التى غطت مدى واسعا من المحتوى، اتضح أنها ترتبط بمقياس F (باس ١٩٥٦(٣٥)، كوش - كينستون ١٩٦٠(١٣٦)، جيج - ليفت - ستون ١٩٥٧)(٢٢٢). غير أن ما ظهر من استنتاج أن الإذعان يؤثر فى درجات مقياس F كان موضع تشكك كبير فى دراستين ظهرتا خلال الستينيات. (روور ١٩٦٥(٥٤٩)، ساملسون - بيتس ١٩٦٧(٥٦٦)). حيث اتضح بدقة خصوصا فى دراسة (روور ١٩٦٥)(٥٤٩) أن الأنواع المذكورة من النتائج ترجع إلى المحتوى الفعلى للمقاييس أو الفقرات التى استخدمت، وأن النتائج لا ترجع بالضرورة إلى الإذعان.

فالاستنتاج العام فى أدبيات الدراسة عن الإذعان، ومقياس F كان فى هذه الفترة على النحو التالى: بينما لم يتضح بجلاء أن الاذعان يؤثر على درجات مقياس F فإن

استخدام استبيانات كل فقراتـه موجبة الاتجاه يبقى مـوضع تساؤل (براون ١٩٦٥[٩٠]، كيرشت - ديلاهاى ١٩٦٧[٣٣٦].

ساندت دراسات سيكولوجية عديدة الاستنتاج القائل أن الإذعان هو مشكلة تؤثر فى صدق مقياس .F (التيمير ١٩٨١[١٧]، دكت ١٩٨٥ب[١٦٨]، راى ١٩٨٣[٥٢٧]. أوضحت البحوث السيكلوجية أيضا أن ازدواجية الاتفاق بين الفقرات الأصلية ومعكوسها فى مقياس .F تزيد بقوة عند الأشخاص الأقل تعليما (كامبل وآخرون ١٩٦٠[١٠٩]، لاندسبرجر - سافدرا ١٩٦٧[٣٥٣]، لنسكى - ليجيت ١٩٦٠[٣٦٢]) وهى نتائج تؤكد على وجود الإذعان.

ظهرت مشكلة هامة فى موضوع الإذعان وهى أن الارتباط بين أى مقياسين يتكونان فقط من فقرات إيجابية الاتجاه يؤدى إلى زيادة مصطنعة فى ذلك الارتباط، افترض كيرشت - ديلاهاى (١٩٦٧) أنه فى هذه الحالات، تصبح الارتباطات "قريبة من ٤٠ر قد تنشأ على أساس التحيز فى الاستجابة وحده" (ص٢٨)، يعنى ذلك أن العلاقة بين التسلطية والتمركز العنصرى قد تكون موضع مبالغة كبيرة بسبب مجرد استخدام مقياس (أدورنو وآخرون ١٩٥٠[٧]. واستجابة لما سبق ظهرت محاولات لايجاد بدائل عن مقياس .F الأصلى تكون فيها الفقرات السلبية معادلة فى عددها للفقرات الإيجابية وذلك لاستبعاد التداخل مع الاذعان (التيمير ١٩٨١[١٦]، بيرن - باوندز ١٩٦٤[١٠٥]، كرستى وآخرون ١٩٥٨[١٢١]، كوهن ١٩٧٤[١٢٣]، راى ١٩٧٢[٥١٨]).

غير أن هذه المحاولات لم تكن ناجحة، وذلك بسبب تعقيد فقرات مقياس .F الأصلية، وكذلك بسبب عدم التأكد من تعريف معكوس التسلطية. اتضحت صعوبة خطيرة فى صياغة فقرات سلبية صحيحة، ونتيجة لذلك مالت معاملات الثبات والاتساق الداخلى لهذه الصورة المتوازنة لمقياس .F إلى الانخفاض (التيمير ١٩٨١)[١٦]، على ذلك لم تقف أى من هذه الصور المتوازنة كمنافس خطير للصورة الأصلية لمقياس .F.

يكشف النقد الموجه إلى "الشخصية التلسطية" عن أوجه ضعف خطيرة فى البحث وفى الاستنتاج، ونتيجة لذلك فحتى لو سلم المتقدون بأهمية نظرية الشخصية التسلطية ومفهومها (هايمان - شيتزلى ١٩٥٤)[٢٩١] تظل افتراضاتها تفتقر إلى البرهان الأكيد. هذا بالإضافة إلى ما ظهر من تساؤلات مهمة عن مفهوم التسلطية، ومدى كفاية مقاييس .F. نتيجة لذلك ظهرت أبحاث عديدة لحسم هذه القضايا خلال أربعة عقود تالية على ظهور هذا الكتاب.

من وجهة نظر فهم سيكولوجية التعصب يبدو أن هناك موضوعين على درجة من الأهمية:

الأول : قضية صدق نظرية(أدورنو وآخرون) فى بناء وديناميات، والأساس الطفلى للشخصية التسلطية.

الثانى : قضية صدق تكوين التسلطية حسب التعريف الإجرائى لها فى مقياس .F.

فالسؤال هنا هل يعكس هذا التكوين نمط التلازم Covariation مع المفاهيم المرتبطة به كالتعصب والتمركز العرقى والمحافظة السياسية والتسلطية الفاشية والاتجاهات الاجتماعية والسلوك، وهى متضمنة جميعا فى التصور المذكور فى كتابه. ونناقش فيما يلى الأبحاث التى تعرضت لكلتا القضيتين:

صدق النظرية: Validity of the theory

عند تقييم صدق نظرية أدورنو وآخرون، يمكن تحديد أربعة قضايا ترتبط بأربعة مستويات فى هذه النظرية كما عرضناها فى الجدول ٨-٢.

الأولى : هل هناك خبرات طفلية محددة وأنماط تنشئة معينة تتسبب فى التسلطية.

الثانية : هل الصراع الداخلى بين السلطة وضعف الأنا يشكلان سمات الشخص التسلطى.

الثالثة : هل يمثل نموذج السمات التسعة المتلازمة، التسلطية على سطح الشخصية.

الرابعة: هل أمكن قياس هذا النموذج للسمات التسعة المتلازمة بصورة دقيقة بمقياس .F.

يوصف نوع التنشئة المبكرة المفترض أن يؤدى إلى التسلطية والتمركز العنصرى فى الكبر باعتباره «نمطا خشنا ومهددا من النظام الأسرى والذى يدركه الطفل باعتباره تحكميا Arbitrary ، ويرتبط به ميل . .إلى تأسيس علاقات متبادلة بين أفراد الأسرة على أساس أدوار محددة من السيادة والخضوع وذلك على وجه النقيض من سياسة المساواة فى الأسرة» (أدورنو وآخرون ١٩٥٠[٧] ص٣٨٥).

والاختبار الكافى لماذا كانت مثل هذه التنشئة الطفلية تؤدى إلى التسلطية فى الكبر يحتاج إلى تصميم منهجى تتبعى طموح ومكلف. لم تجر أى دراسة من هذا النوع، أما البحوث العديدة التى قامت على فحص هذا الافتراض فلم تفعل ذلك بصورة

مباشرة. مثال ذلك عدد من الدراسات التى أشارت إلى أن الأشخاص الأكثر تسلطية أو تمركزا عرقيا يفضلون أساليب التنشئة المتشددة الخشنة (بلوك ١٩٥٥[٦٢]، باش - جلاهر - وينر ١٩٨٢[١٠]، هارت ١٩٥٧[٢٦٢]، ليفنسون - هوفمان ١٩٥٥[٣٧٤]، توماس ١٩٨٧[٦٥٧]، زوكرمان - باريت - ريباك - موناشكين - نورتون ١٩٥٨[٧٢٨]).

هذا بالإضافة إلى أن تسلطية الأفراد وآبائهم لا تظهر بصورة قوية (التيمير ١٩٨١[١٦]، بيرن ١٩٧٥[١٠٢]، ويليامز - ويليامز ١٩٦٣[٧٠٩]). غير أن هذه النتائج لا تبرهن على أن أساليب المعاملة المتشددة هى التى جعلت من الأطفال تسلطيين فى الكبر. قدمت دراسات أخرى اختبارا أفضل لذلك، حين فحصت العلاقة بين اتجاهات الآباء فى تنشئة الأبناء والتسلطية أو التمركز العرقى لأبنائهم.

أشار بعض من هذه الدراسات إلى علاقة موجبة دالة بين النظام الوالدى الصارم المتشدد وبين زيادة التعصب (باجلى وآخرون ١٩٧٩)[٣٢] ديكنز - هوبارت. (١٩٥٩))[١٥٣]، كيتس - دياب(١٩٥٥)[٣١٣]، أو التسلطية (ليل - ليفيت (١٩٥٥)[٣٨٨]، غير أن أغلب هذه الدراسات لم تجد ميلا محددا لارتباط المعاملة الوالدية العقابية المتشددة بزيادة التعصب (ايبشتين - كوموريتا ١٩٦٥[١٨٣]، ١٩٦٦[١٨٤]، هاريس - جوف - مارتن ١٩٥٠[٢٦١]، ماكورد - ماكورد - هوارد ١٩٦٠[٤١٨]، موشر - سكودل ١٩٦٠)[٤٥٠] أو التسلطية (التيمير ١٩٨١[١٦]، ريتشرت ١٩٦٣[٥٣٩]).

لسوء الحظ تميزت هذه الدراسات بضعف منهجى ملحوظ وخطير (التيمير ١٩٨٨١)[١٦] يشمل ذلك استخدام عينات صغيرة غير ممثلة، استخدام مقاييس غير معروفة الصدق أو منخفضة الثبات، الفشل فى ضبط العوامل المتداخلة مثل التعليم والمكانة الاجتماعية الاقتصادية والتقارير الرجعية التى يدلى بها المبحوثين عن معاملة والديهم منذ سنوات طويلة Retrospective Reports of Parental Behavior، وذلك من الوالدين أنفسهم أو من ذريتهم.

يتمثل الصدق المشكوك فيه بالنسبة للتقارير الرجعية Retrospective Reports فى دراسة أجراها التيمير (١٩٨١)[١٦] ووجد ارتباطا ضعيفا جدا بين تقرير الآباء عن درجة الشدة إلى عاملوا بها أطفالهم، بالمقارنة بتقرير أبنائهم عن نفس المعاملة. ،كانت أفضل الدراسات التى ربطت بين تشدد الآباء وبين التسلط أو التعصب لدى الأبناء هى دراسة التيمير (١٩٨١)[١٦] والذى استخدم عينات كبيرة ومقاييس دقيقة، كذلك دراسة ماكورد وآخرون (١٩٦٠)[٤١٨] والذى استخدم تصميما للدراسة التتبعية الطولية

Longitadinal وتقديرات لملاحظين مستقلين للسلوك الوالدى. لم تجد كلتا الدراستين أية علاقة بين عقاب الوالدين وتسلطية أو تعصب الأبناء.

ربما عكست نتائج الدراسات المحدودة التى وجدت ارتباطا بين المعاملة العقابية للوالدين وتسلط أبنائهم، الاتجاهات التعصبية والتسلطية للأباء، حيث يتعلم أبناؤهم هذه الاتجاهات مباشرة منهم، وذلك كان تفسيرا أكثر اختصارا بالمقارنة بالتفسيرات القائمة على أن معاملة الطفل تتسبب فى التعصب والتسلط (التيمير ١٩٨١[١٦]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩)[٢٥٩]. وقد يبدو أن البحوث لم تؤيد الافتراض القائل أن خبرات طفلية معينة فى التنشئة الاجتماعية تسبب قبول المعتقدات التعصبية التسلطية (التيمير ١٩٨١[١٦]، آشمور - ديلبوكا ١٠٧٦[٢٧]، هاردنج وآخرون ١٩٦٩[٢٥٩]، كاتز ١٩٧٦[٣١٧]، بروشانسكى ١٩٦٦[٥٠٧]).

الافتراض الثانى: وهو أن الصراع الداخلى تجاه السلطة الوالدية، والسلطة عموما فيما بعد، مع أنا ضعيفة، وأنا أعلى غير متكامل يركز على التأنيب والعقاب، هذه سمات للشخص التسلطى، ذلك الافتراض لم يكن موضع اهتمام إلا عند قليل من البحوث، وقد يرجع ذلك إلى صعوبة وجود تصور إجرائى واضح، وكذلك إلى الاهتمام القليل نسبيا من جانب علماء النفس الاجتماعى بمفاهيم التحليل النفسى وطرقها فى البحث. يمكن التوصل إلى نتيجة من هذه الافتراضات وهى أن التسلطين أكثر قلقا، وأقل تكيفا من الناحية السيكلوجية بالمقارنة بغير التسلطين. ورغم أن (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)[٧] لم يكن هو الذى توصل إلى ذلك الاستنتاج، فقد توصل آخرون إلى أنه يبدو استنتاجا منطقيا ينبنى على أن الشخص التسلطى ذو "أنا ضعيفة". (بيرن ١٩٦٦[١٠٣]، ماسلنج ١٩٥٤)[٤٠٣].

وجدت بعض الدراسات أن الأشخاص المرتفعين فى درجة التسلطية كانوا أكثر قلقا أو أقل تكيفا بالمقارنة بالأشخاص الأقل تسلطية (فريدمان - دبستر - سانفورد ١٩٥٦[٢١٥]، لارسون - شويندىمان ١٩٦٩)[٧٥٣].

غير أن دراسات أخرى لم تجد فروقا فى هذا الموضوع (كرابى ١٩٧٤[١٣٩]، دكت ١٩٨٣ب[١٦٥]، هيفن - كونرز - تريفتان ١٩٨٧[٢٧٣]، راى ١٩٨١أ[٢٥]). غطت هذه الدراسات مجتمعات متنوعة وشملت عينات قومية واسعة النطاق (مثل دراستى دكت ١٩٨٣ب[١٦٥]، مايكوفيتش ١٩٧٥)[٤٠٧] وافترضت عموما أن الشخص المتسلط ليس قلقا بالضرورة وليس لديه أى نوع من سوء التوافق، وإلى الحد الذى يمكن اعتباره

متلازما مع "ضعف الأنا" لم تتوصل الدراسات التى أجريت إلى صحة افتراضات أدورنو وآخرون فيما يخص الديناميات النفسية للشخصية التسلطية.

على المستوى النظرى الثانى يفترض أنه يتم التعبير عن هذه الديناميات السيكولوجية على مستوى سطح الشخصية فى زملة أعراض من تسع سمات متلازمة. نظرا لأن فقرات مقياس .F وضعت لتمثل كل مجموعة منها واحدة من السمات التسعة، فمن طرق فحص صدق هذا النموذج هو التأكد الأمبيريقى من أن الفقرات التى ترتبط بكل من هذه السمات النظرية التسعة تأخذ شكل التجمعات Clusters. هذه التجمعات للفقرات والفقرات بطبيعة الحال يجب أن تتلازم مع بعضها لتشير إلى عامل عام.

أجرى عدد من دراسات التحليل العاملى Factor Analysis - أو تحليل التجمعات Clusters على مقياس .F مثل دراسات (التيمير ١٩٨١(١٦)، أوماك ١٩٥٥(٢٩)، كاميلرى ١٩٥٩(١٠٧)، كرستى - جراتسيا ١٩٥١(١٢٠)، كيرلنجر - روكيسن ١٩٦٦، ليفر - سليمر - واجنر ١٩٦٧(٣٧٠)). فى أغلب هذه الدراسات اتضح أن مقياس .F متعدد الأبعاد Multidimentional لكن الأبعاد أو تجمعات الفقرات التى نتجت لم تكن ثابتة فى جميع الدراسات، بل اختلفت بصورة واضحة فيما بينها، كما لم تكن مرتبطة بالسمات التى افترضها أدورنو وآخرون (التيمير ١٩٨١(٣٦)، كرستى ١٩٥٤(١١٩)، ناب ١٩٧٦(٣٣٩)). فشل البحث - على هذا النحو - فى إثبات النموذج البنائى للشخصية التسلطية، كما فشل فى البرهنة على مكونات السمات المختلفة التى يضمها المقياس. وتتفق هذه الاستنتاجات مع تلك التى ظهرت فى الأبحاث على النشأة الطفلية وعلى الديناميات النفسية للشخصية التسلطية، بمعنى أن نظرية أدورنو وآخرون ذات التوجه التحليلى النفسى فى الشخصية التسلطية لم تجد سندا فى البحوث الأمبيريقية على أى مستوى من مستوياتها الأربعة (انظر جدول ٨-٢).

غير أن النتائج التى تشير إلى أن هذه النظرية ليست صادقة لا تعنى بالضرورة عدم صدق البناء التسلطى - كما وصفه رايخ، وفروم، وماسلو بصفة عامة وحدده اجرائيا أدورنو وزملاؤه فى مقياس .F.

فالحقيقة أن أغلب الأدبيات حول الشخصية التسلطية فيما بعد أدورنو وآخرين لم تعتمد إطلاقا على نموذجهم التحليلى النفسى، بل تم تعديل مقياس .F "باعتباره تعريفا إجرائيا للتسلطية" (كرشت ـ ديلاهاى، ١٩٦٧(٣٣٦) ص٦). والسؤال العام هنا هو هل يبنى هذا المفهوم كما هو معرف إجرائيا فى مقياس .F النمط المتوقع للتلازم مع

مفاهيم كالتعصب، القومية، التمركز العرقى، المحافظة السياسية، الفاشية التسلط، وغيرها من ألوان السلوك والاتجاهات الاجتماعية؟؟

صدق البناء Validity of the Construct :

يعتبر التلازم بين التسلطية والتعصب من الموضوعات الهامة، والتى كانت موضع تركيز عدد كبير من الأبحاث، ورغم أن أغلب الأبحاث توصلت إلى علاقة موجبة، فلم تكن النتائج متسقة تماما. فالارتباطات الناتجة كانت متباينة تماما وتتراوح بين ضعيف جدا وغير دالة إحصائيا فى بعض الحالات، إلى ارتباطات قوية مماثلة لما توصل إليه أدورنو وآخرون (١٩٥٠)[٧].

هناك عوامل عديدة قد تفسر هذا التناقض، فهل نستخدم مقياس .F أم مقياس E، واستخدام مقاييس غير متوازنة تكون عرضة لظهور تأثير الإذعان، كذلك فهل ضبطنا متغيرات التعليم أو المكانة الاقتصادية، درجة خضوع السلوك التعصبى لمعايير الجماعة. توصلت الدراسات التى استخدمت المقياس الأصلى لأدورنو وآخرين (١٩٥٠)[٧] .F، E عموما إلى ارتباطات قوية جدا (كامبل - ماكاندليس ١٩٥١[١١١]، كرستى - جراتسيا ١٩٥١[١٢٠]، جاير - باس ١٩٥٩[٢٢٣]، هوجفلد ١٩٦٩[٢٨٦]، كيتس - دياب ١٩٥٥[٣١٣]، كوفمان ١٩٥٧[٣١٩]، ماكديل ١٩٦١[٤١٩]، ميلوين وآخرون ١٩٨٨[٤٢٥]، روبرتس - روكيش ١٩٥٦[٥٤٠]).

لكن قد ترجع زيادة الارتباط إلى تأثير الإذعان، وإلى التداخل بين محتوى فقرات المقياس ووجود ارتباطات مقصودة بين هذين المقياسين. فليس من المدهش أن تتوصل الدراسات التى استخدمت مقاييس مستقلة للتعصب حيث لا يتداخل مع الإذعان، ليس بغريب أن تتوصل إلى ارتباطات أقل رغم أنها مازالت دالة إحصائيا. (كامبل - ماكندليس ١٩٥١[١١١]، مارتن - وستى ١٩٥٩[٤٠١]، ترياندیس - ديفيز - تاكيزاوا ١٩٦٥[٦٦٦]). فقد وجد كامبل - ماكندليس (١٩٥١)[١١١] ارتباطا يبلغ ٧٣,٠ بين المقياسين الأصليين .F، E، وارتباطات تتراوح بين ٤٢, و ٥٧, بين مقياس .F ومقاييس طوراها بشكل مستقل ومتوازن للخوف من الأجانب Xenophobia. وأشارت الدراسات التى تم فيها استبعاد أثر الإذعان إلى ارتباطات منخفضة تقع فى مدى« ٤٠,، ٥٠,٠» (كوهن ١٩٧٤، لى - وار ١٩٦٩[٣٥٩]، راى ١٩٨٠[٥٢٣]، ١٩٨٤[٥٢٨]).

القضية الثانية: التى مازالت مطروحة حول «الشخصية التسلطية» هى أن العلاقة بين التسلطية والتمركز العنصرى قد تعكس تأثير التعليم أو المستوى الاجتماعى -

الاقتصادى. وجدت الدراسات التى أجريت على عينات من الأشخاص فى نفس المستوى التعليمى مثل طلاب الجامعة، ارتباطا بين مقياس F. والتعصب أقل مما أشار إليه أدورنو وآخرون لكنها ليست أقل كثيرا (كرستى - جراتسيا ١٩٥١[١٢٠]، جاير - باس ١٩٥٩[٢٢٣]، كيتس - دياب ١٩٥٥[٣١٣]). وجدت دراسات أخرى تستخدم عينات طلابية وقامت بضبط متغير التعليم والمكانة الاجتماعية - الاقتصادية وغيرها من المتغيرات، أيضا إن هذه العلاقة انخفضت عن العينات الطلابية لكنها ظلت عالية ودالة وواضحة (كوفمان ١٩٥٧[٣١٩]، مكديل ١٩٦١[٤١٩]، ميدلتون ١٩٧٦[٤٣٠]، بيتى جرو ١٩٥٩[٤٩٣]، روبرتس - روكيش ١٩٥٦[٤٠٥]).

أخيرا، توصلت بعض الدراسات التى أجريت فى جنوب أفريقيا إلى نتائج مختلفة تماما عما ظهرت فى مكان آخر، حيث وجدت ارتباطات غير دالة بين مقياس F. والتعصب ضد السود (هيفن ١٩٧٩[٢٨٦]، أوربن ١٩٧١أ[٤٧٢]، أوربن - تسابوجاز ١٩٧٢[٤٨١]). وجدت دراسات أخرى فى جنوب أفريقيا ارتباطات ضعيفة ولكنها دالة بين التسلطية والتعصب حيث لم تزد على ٣٠, ٠ (كولمان - لامبلى ١٩٧٠[١٢٤]، هيفن - رجب ١٩٨٠[٢٧٤]، لامبلى ١٩٧٣[٣٤٩]، لامبلى - جيلبرت ١٩٧٠[٣٥١]، أوربن ١٩٧٣أ[٤٧٢]، ١٩٧٣ب[٤٧٣]، سبانبرج - نيل ١٩٨٣[٦١٦]). والدراسة الوحيدة التى استخدمت عينة قومية واسعة من ١٨٨٤ شخصا من البيض الراشدين وجدت ١٧, ٠ (للمتحدثين بالأفريكانية) ٣٢ر (للمتحدثين بالإنجليزية) وبين الدرجة على مقياس F. والمسافة الاجتماعية مع الجماعات الخارجية (ليفر ١٩٧٨)[٣٦٨].

لوحظت ارتباطات عالية نوعا فى الدراسات على جنوب أفريقيا باستخدام مقاييس غير متوازنة للتسلطية والتعصب - أى المعرضة لتأثير الاذعان (نيودوت - نيل ١٩٧٥[٤٦٠]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢])، لكن حتى هذه الارتباطات كانت أقل من التى حصلنا عليها فى دراسات خارج جنوب أفريقيا حينما استخدمت مقاييس متشابهة فى عدم التوازن. ، لتفسير هذه النتائج، أثيرت قضية أن التعصب فى المجتمعات الزائدة التعصب مثل جنوب أفريقيا يتحدد أساسا بمعيار اجتماعى قوى جدا؛ ونظرا لأن التعصب معيارى، ولأنه ينتج عن الانصياع للضغوط الاجتماعية، فالعوامل النفسية مثل التسلطية سيكون تأثيرها أقل على التعصب. (ليفر ١٩٧٨[٣٦٨]، أوربن ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١]). وسوف نناقش هذا الموضوع بتفصيل أكبر مع بعض نتائجه فى الفصل التاسع.

يمكن إجمال نتائج العلاقة بين التسلطية والتعصب على النحو التالى: - بصرف النظر عن جنوب أفريقيا، يبدو من المؤكد وجود علاقة، أما غير الواضح فهو قوة هذه العلاقة ومدى شيوعها فى ظروف اجتماعية مختلفة، وليس هناك شك فى أن استخدام مقياسى F، E الأصليين يؤدى إلى تضخيم العلاقة الفعلية حيث توصلت الدراسات التى استخدمت مقاييس متوازنة لكل من التعصب والتسلطية إلى أن العلاقة متوسطة أكثر منها قوية. ،غير أن الخصائص السيكومترية الضعيفة وخصوصا الاتساق الداخلى الضعيف للمقاييس الفرعية لمقياس .F (التيمير ١٩٨١)[١٩] يجعل هذا الاستنتاج مبدئيا فقط.

أخيرا، قد ترتبط التسلطية بالتعصب فى ظروف مثل جنوب أفريقيا حيث يصبح التعصب معيارا اجتماعيا.

قضية ثانية تبدو هامة تتعلق بالصدق البنائى للتسلطية ولارتباطها مع المحافظة السياسية والتطرف اليمينى الفاشى، فقد لوحظ أن أدورنو وآخرون (١٩٥٠)[٧] لم يأتوا بأى دليل على أن التسلطية تشير إلى القابلية للفاشية، رغم تصميمهم لمقياس الفاشية .F، حاولت دراسات عديدة تالية أن تكرر ما توصل اليه أدورنو من نتائج عن الارتباط بين التعاطف والنشاط السياسى المحافظ مع التسلطية، وتوجد عدد من الدراسات الاستعراضية لهذه الدراسات (التيمير ١٩٨١[١٦]، كيرشت - ديلاهاى ١٩٦٧[٣٣٦]، ميلوين ١٩٨٣[٤٢٤]، ميلوين وآخرون ١٩٨٨[٤٢٥]). كان أكثر هذه الدراسات شمولا دراسة ميلوين (١٩٨٣)[٤٢٤]، والذى أجرى بحثا من نوع التحليل البعدى Meta Analysis لثلاثة عقود من البحث فى التسلطية شملت ٣٠,٠٠٠ مبحوثا أمريكيا، و ١٥,٠٠٠ مبحوثا غير أمريكى.

تم استخراج الدرجة الموزونة فى كل هذه الدراسات على مقياس من ١ - ٧ نقاط ونقطته المتوسطة ٤. وتم تصنيف المتوسطات التى تقابل ٤ر٥ نقطة على أنها مرتفعة والمتوسطات أقل من٣,٥ على أنها منخفضة. اتضح وجود ميل عام للجماعات المحافظة سياسيا للحصول على درجات أعلى من هذا المتوسط، وللأحرار أو الجماعات المتطرفة على درجات أدنى، استخدم اسلوب التحليل البعدى Meta analysis متوسط الدرجات لجماعات من المتطرفين اليمينيين والفاشيين، كانت تلك ذات أهمية خاصة فى تقدير قدرة مقياس .F على تحديد القابلية للاتجاه الفاشى.

ساندت النتائج تماما هذا الافتراض، حيث كانت المتوسطات الموزونة لهذه الجماعات عالية جدا: - الفاشيون فى بريطانيا ٥,٣٠، أعضاء سابقون فى الحزب النازى

الألمانى ٥,٢٣ ، الوطنيون المتطرفون أعضاء الجمعيات المحافظة جدا ٥,٠٨ ، المؤيدون للحزب اليمينى الألمانى المتطرف ٥,٠٠ .

تؤيد هذه النتائج عموما الارتباط بين التسلطية والمحافظة السياسية والقابلية للفاشية.

غير أنه عند استعراضه للدراسات يثير التيمير (١٩٨١)[١٦] ملاحظة تحذيرية، فرغم النمط التأكيدى للنتائج، توجد نتائج غير متسقة وغامضة (مثل ميتشل - سكوبلر ١٩٥٩[٤٤٠]، شويندمان - لارسون - كوب ١٩٧٠[٥٧٧]، رايتزمان - رادولف - هدرتون - ميشركوف ١٩٦١[٧٢١]، زيبل - نورمان ١٩٦٦[٧٢٦])، لاحظ التيمير أيضا أن العلاقة عموما ليست قوية ولا واضحة كما يصورها مفهوم التسلطية، أو كما يفترضه البحث الأصلى لأدورنو وآخرون.

يشير بحث العلاقة بين التسلطية والقومية إلى افتراض ظروف متشابهة ومرة أخرى يمكن الإشارة إلى دراسات عديدة توضح أن التسلطية كما تقاس بمقياس .F الأصلى أو بالمقياس .F المتوازن، ترتبط بالقومية أو الوطنية (فارس ١٩٦٠[١٨٩]، فنسترفالد ١٩٥٨[١٩٥]، هيفن - ستون - بستر ١٩٨٦[٢٧٥]، هيوز ١٩٧٥[٢٩٠]، ليفنسون ١٩٥٧[٣٧٣]، ماكينون - سنترز ١٩٥٧[٣٩٢]، مارتن ١٩٦٤[٤٠٠]، ماركس ١٩٦٧[٤٠٢]، راى - فورنهام ١٩٨٤[٥٣٠]، سميث - روزن ١٩٥٨[٦١١])، كما ظهر هذا الارتباط فى تكوينات متقاربة كالدوجماطية والمحافظة (شسلر - شومك ١٩٦٤[١١٦]، هيفن ١٩٨١[٢٧٠]، ماكلوسكى ١٩٦٧[٤١٢]، راى - فورنهام ١٩٨٤[٥٣٠]، ترهيون ١٩٨٤[٦٥٤])، غير أن النتائج لم تكن متسقة تماما، فالعديد من الدراسات أشارت إلى ارتباط قليل أو عدم ارتباط بين مقياس .F ومؤشرات العاطفة القومية (فوربز ١٩٨٥)[٢٠٥].

هذا بالإضافة إلى أن الارتباط فى الدراسات التى بينت نتائج مؤيدة اختلف بشدة بين هذه الدراسات وكان أحيانا منخفضا جدا (راى ١٩٨١ب)[٥٢٦]. كما كانت أغلب هذه الدراسات ضعيفة منهجيا واستخدمت عينات صغيرة ومن الطلاب. (سميث - روزن ١٩٥٨)[٦١١]. تستخدم هذه الدراسات أيضا مؤشرات غامضة أو غير صادقة للقومية (ماكينون - سنترز ١٩٥٧)[٣٩٢] أو تفشل فى ضبط متغيرى التعليم أو المكانة الاقتصادية الاجتماعية عند حساب معامل الارتباط بين القومية ومقياس .F (كيرشت - ديلاهاى ١٩٦٧ ص٦٦ - ٦٧)[٣٣٦].

يظل تقـييم النتائج مـشكلة أيضا بسـبب قضايا المـفاهيم التى لم تجـد حلا، كان أهمها هل توجد أنواع من القومية والوطنية؟، لقد افترض (أدورنو وآخرون ١٩٥٠)(٧) على سبيل المثال أنه يـوجد الحب الصحيح وغير المتمركز عنصـريا للشخص نحو بلده؛ ويجب التمييز بيـنه وبين الأنواع المتمركزة حول العنصر أو الشوفينـية من القومية. صاغ (فوربز ١٩٨٥)(٢٠٥) حديثـا هذا التمييـز بالقول أن القوميـة فى نظر جماعـات الأقلية المقهورة هى من النوع الأول (النوع الصحى غير المتمركز عنصريا من الوطنية) بذلك فلن تميل للارتباط بالتـسلطية، وقد قام دوب (١٩٦٤)(١٦٠) بتحديد ما يـبدو أنه ليس شكلا متمركزا عنصريا من الوطنية والتى ترتبط بالتسلطية .

رغم هذه الصعوبات فـالاستنتاج العام من هذا البحث يبدو فى أسـاسه مشابه لما توصلنا إليه من استنتاجات حول الارتباط النـظرى بين التسلطية والتعصب والمحافظة. فى كل هذه الأحوال يبدو الارتباط ضروريا جدا لصدق البناء ولكن الارتباط الفعلى لا يظهر كما هو متوقع نظريا سواء من حيث القوة أو الاتساق.

هناك عدد من الأبنية المعرفية والسلوكية رغم عـدم أهميتها فى موضوع التسلطية، إلا أنها يجب أن تتلازم معها، تشمل الانصـياع، العداء، العدوان، الجمود، عدم تحمل الغموض، والسلوك فى إطار الجماعة. كـان البحث فى ارتباط تلك الأبنية بدرجات .F موضع استعراض لألتيمير (١٩٨١)(١٦) ولم تكن استنتاجاته مخـتلفة عما سبق التوصل إليه، من حيث عدم اتساق النتائج، هذا بـالإضافة إلى ميل النتائج المؤيدة إلى أن تكون أقل فى المقدار عما كان متوقعا نظريا.

توصلنا هذه النتائج عموما إلى أن مفهوم التسلطية صادق حسب تعريفه الإجرائى فى مقياس .F لكن الدراسات التى أشرنـا إليها ليست شاملة ولا قاطعة. ويـرى التيمير (١٩٨١)(١٦) أن ذلك قد يرجع إلى عيوب سيكومترية فى مقياس .F وغيره من مقاييس التسلطية، هذه العيوب التى تجعل منها مـؤشـرات غير كاملة للتسلطية مما يؤدى إلى نمط من النتائج الضعيفة وغير المتـسقة والـتى هى السمة المميزة للبحوث فى هذا الميدان. لقد أدى هذا الانتـقاد بالتيـمير إلى وضع مـقياس جديـد هام للتسلـطية وإلى مراجـعة هذا المفهوم.

اتجـاه التيمير Altermeyers Approach :

ركز النقد التقليدى لمقياس .F على الصياغة الإيجابية لجـميع فقراته، وما يترتب على ذلك من احتمـال تأثير الميل إلى الإذعان Acquiesce على درجة المقياس، غير أن

التيمير (١٩٨١)[١٦] افترض أن مشكلة انخفاض الاتساق الداخلى للمقياس هى مشكلة أكثر أهمية، فمتوسط الارتباط بين فقرات المقياس كانت ١٣ر فقط، وهذا من المفترض أنه مبالغ فيه بسبب تأثير الاذعان. وذلك يعنى أن الاتساق الداخلى للصورة المتوازنة من المقياس ستكون أقل من ذلك، كذلك كشفت دراسات التحليل العاملى أيضا أنه بالإضافة إلى عدم ثبات الأبعاد الفرعية للمقياس، فلم تتوصل إلى عامل عام قوى يربط بين درجات F.

استنتج التيمير أن فقرات مقياس .F (وفقرات السمات التسعة التى تعبر عنها) لا تتضمن بعدا موحدا أو متماسكا فيما بينها، وقد يفسر ذلك لماذا تظهر النتائج متناقضة، ضعيفة، غير متسقة فى أدبيات البحث فى صدق مقياس .F. لاحظ التيمير أن مجموعة صغيرة من فقرات مقياس F تلازمت بصورة كافية لافتراض أنها تقيس بناء مشتركا. يبدو أن جوهر هذه الفقرات يلمس ثلاثة فقط من المكونات التسعة التى أشار إليها أدورنو وآخرون (١٩٥٠)[٧]. وهى التقليدية، الخضوع التسلطى، العدوان التسلطى.

أكد على هذا الاستنتاج سلسلة من الدراسات التى استخدمت الفقرة كمقياس فى ذاتها Item - Testing باستخدام عدد كبير من الفقرات المستخدمة من مقياس .F وغيره من المقاييس التقليدية للتسلطية، بالإضافة إلى فقرات جديدة وضعت خصيصا لهذا الغرض. تم تعديل مفهوم التسلطية ليصبح "التلازم "Covariation بين هذه التجمعات الاتجاهية الثلاثة Attitudinal Clusters. (التيمير ١٩٨١ ص١٤٧-١٤٨)[١٦]، ووضع مقياس التسلطية اليمينية لقياسها .Right - Wing athoritarisnism RWA

كشفت سلسلة من الدراسات التأكيدية أن مقياس RWA ذو خصائص سيكومترية ممتازة، ورغم أنه متوازن من ناحية الإذعان، فقد بين درجة عالية من الاتساق الداخلى Internal Consistency، وكان فى أساسه أحادى البعد Uni dimentional، أكثر من ذلك فقد أدى دورا بديلا لعدد من المقاييس التقليدية للتسلطية فى التنبؤ بأنواع من محكات الصدق وبدرجة عالية من الاتساق. إلى الآن تعتبر الدراسات التى استخدمت هذا المقياس قليلة نسبيا، لكن العديد من الافتراضات عن التسلطية قد تأكد.

من النتائج الهامة ذات العلاقة بفهم التعصب كان ما أظهره مقياس RWA من ارتباط موجب ومتسق بمقاييس التعصب ضد الجماعات الخارجية والأقليات عموما - على الأقل فى العينات الأمريكية التى درست. (التيمير ١٩٨١[١٦]، ١٩٨٨أ)[١٧]. أوضحت النتائج أن العلاقة بين التعصب والتسلطية متوسطة القوة (يبلغ الارتباط ٤٠, ٠) هذا بالمقارنة مما أظهره مقياس أدورنو الأصلى من علاقة قوية جدا، كما اتضح من النتائج أيضا وجود علاقة متسقة مع التوجه والنشاط السياسى.

يميل المرتفعون على مقياس RWA إلى قبول الأفعال الظالمة للسلطات الحكومية. وأن يروا فى القانون أساسا للأخلاق، وأن يتشددوا فى عقاب غير الخاضعين للتقاليد. وكان من النتائج المدهشة ظهور الميل العقابى والعدوانى لأصحاب الدرجات العالية على مقياس RWA ضد الخارجين على السلطة التقليدية.، وفى تلخيصه لمجموعة الدراسات التى طلب فيها من المبحوثين الاستجابة إلى مواقف تعاقب الحكومة فيها جماعات أو تنظيمات افتراضية، لاحظ التيمير (١٩٨٨ب)(١٨) ما يلى:

«كان مرتفعو الدرجة أكثر استعدادا من غيرهم ليس فقط لاصطياد الشيوعيين وقتلهم، بل للمعاونة فى قتل الآخرين أيضا». وقد يتوقع الشخص أن ذوى الدرجات المنخفضة هم أكثر عدوانية ضد جماعات كوكلوكس كلان، لكن عندما خرجت هذه الجماعة على القانون بشكل افتراضى، استمر ذوو الدرجات المرتفعة فى مقاومتهم حتى يقبلوا ما وضعته الحكومة من قوانين.

اتضح نفس النمط حينما حظر نشاط الحزب التقدمى المحافظ الكندى، وهو حزب يميل إليه أصحاب الدرجة العالية على المقياس - ورغم معارضة الاضطهاد الواقع على هذا الحزب المحترم، كان أصحاب الدرجة العالية على مقياس RWA مرة أخرى أكثر ميلا من الآخرين إلى قبول "ضرورة تدمير هذا الحزب. باختصار فأصحاب الدرجة العالية هم أول من يهاجم أى هدف يمينى أو يسارى محترم أو محتقر مادام سلوك هذا الهدف موضع التحريم أو العقاب من جانب السلطة القائمة". (ص٣٣-٣٤).

حاولت سلسلة من الدراسات تفسير الأساس السيكولوجى للعدوان التسلطى وتوصلت إلى نتائج جديدة هامة (التيمير ١٩٨٨أ(١٧)، ١٩٨٨ب)(١٨). فقد ظهر دليل يؤيد النتائج التى سبق أن توصلت إليها الدراسات التى استخدمت مقياس .F مما قدم سندا جديدا لنظرية أدورنو وزملائه التحليلية النفسية. هكذا فالارتباط بين الصرامة والعقاب الوالدى فى الطفولة ودرجات RWA للأبناء لم تكن دالة، هذا بالإضافة إلى أن علامات العدوان المكبوت فى أخيلتهم وأحلامهم لم تمكن شائعة بين مرتفعى الدرجة بالمقارنة بمن دونهم فى الدرجة على RWA. ،غير أن هناك افتراضين ظهرا من نظرية التعلم الاجتماعى كانا موضع تأكيد قوى من النتائج:

أ) الخوف الناتج من إدراك العالم كمكان خطر.

ب) الشعور بأنه الوحيد الذى على صواب Self Righteousness والنظر إلى النفس باعتبارها الأعلى أخلاقيا، هذا الشعور الذى يبدو أنه يفسر أغلب أنواع التلازم بين التسلطية والعدوان ضد أهداف متنوعة.

أشار التيمير (١٩٨٨ب)[١٨] إلى أن هذين العاملين كانا متكاملين مع "الخوف من العالم الخطير والذى يؤدى وظيفة التحريض والتى تثير العدوان التسلطى، والشعور بالصواب، والذى يؤدى وظيفة منع الكف والذى يطلقها. (ص٣٧)

تعديلات التيمير لمفهوم التسلطية وتصميمه لمقياس WRA كمقياس صادق وثابت لبناء جعلتنا نتمكن فى النهاية من دراسة التسلطية، وأن نتجاوز التناقضات المنهجية المستحيلة Unresolved والنتائج الغامضة التى تتسبب فى عرقلة هذه الحلول. ورغم أن البحث فى مقياس RWA مازال فى مرحلة مبكرة لكنه استطاع أن يتوصل إلى نمط متناسق من الارتباطات التى يؤكد صدق وارتباط مفهوم التسلطية بفهمنا لظواهر هامة للحياة الاجتماعية الإنسانية وللسلوك بين الأشخاص.

بالإضافة إلى ما يبدو أنه أوصلنا إلى تصورات جديدة عن نشأة وأسباب السلوك التسلطى. غير أن أعمال التيمير لم تجب عن كل التساؤلات عن التسلطية، إذ يمكن الجدل على سبيل المثال فى أن القضية النظرية الحرجة التى ظلت بغير حل، وهى قضية ماهية الفروق الفردية التى يقيسها مقياس RWA. نناقش الإجابات المحتملة على هذا السؤال فى الجزء التالى:

إعادة صياغة مفهوم التسلطية:

لاحظنا فيما سبق أن التيمير ١٩٨١[١٦]، ١٩٨٨أ[١٧]، عرف التسلطية على أساس نتائج دراساته الأمبيريقية باعتبارها تلازما بين ثلاثة أبنية اتجاهية: - التقليدية، الخضوع التسلطى والعدوان التسلطى، غير أن الافتراض الذى ظهر هو أن هذا التعريف ما هو إلا مصادرة على المطلوب (دكت ١٩٨٩)[١٧٠]. فالقضية الأساسية فى المفهوم هنا هى ما مكونات هذا التلازم، بمعنى آخر ما هو التنظيم الكامن الذى يربط بين هذه الثلاثة فى بعد فريد متماسك.

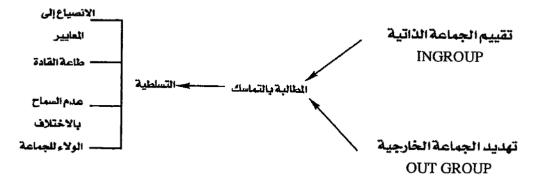
سبق لى أن اقترحت فى مكان آخر أن هناك موضوعا يربط بين هذه المكونات الثلاث (دكت ١٩٨٩[١٧٠]، ١٩٩٠أ)[١٧١] فكل منها هو تعبير عن توحد Identifica-tion شديد (وغير آمن Insecure) بواحد أو أكثر من الجماعات الاجتماعية (قومية، أو عنصرية، أو قبلية أو اجتماعية). وتركيز على/ والحاجة إلى تماسك الجماعة. يمكن تعريف التسلطية بناء على ذلك باعتبارها مجموعة من المعتقدات المنظمة حول توقعات معيارية عن الحاجات الشخصية النقية، والنزعات وقيمة أعضاء الجماعة التى يجب التعبير عنها بأكبر قدر من الكمال من أجل تماسك الجماعة وما يتطلبه هذا التماسك.

تعكس التـقليدية تركيزا عـلى الانصياع السلوكى والاتجـاهى مع معايير الجـماعة وقواعد السلوك، ويعكس الخضوع التسلطى تـركيزا على الاحترام والطاعة غير المحدود لقادة الجماعة الداخلية وسلطاتها، أما العـدوان التسلطى فيعكس عدم تحمل والرغبة فى عـقاب الأشـخاص غير المنصاعين لمعـايير الجــماعة وقواعدها. هذا المفهوم عن التسلطية لا يفترض فقط مكونات التـيمير الثلاثة ولكن يتنبأ بمتغيـر رابع وهو التركيز على الولا Loyality غير المحدود للجماعة الداخلية.

التسلطيـة عموما هى مجـموعة من المعتقـدات المعيارية التى يحمـلها الأفراد (أو الجماعـات الاجتماعـية) عن العلاقـة المفروض أن تكون بين الجـماعات الداخلـية وبين أعضائـها. وكلما يزيـد توحد الأفراد بجمـاعاتهم يزيد الـتهديد وعدم الأمـان ضد هذا التوحـد، يزيد تركيزهم علـى أهمية تماسك الجـماعة ويزيد اقتـناعهم بأهميـة الخضوع لمتطلبات الجماعة الداخلية.

ونلخص هذا التصور فى شكل ٨-١ :

تصور جديد للتسلطية



لهذا التصور عدد من النتائج على فهمنا للتسلطية (دكت ١٩٨٩[١٧٠]، ١٩٩٠أ)، نلخص ثلاثة منها باخـتصار لإيضاح كيف يساعدنا هذا التوجه فـى إيضاح قضايا نظرية هامة أو نتـائج من أدبيات علم الـنفس عن التسلطـية. يتعلق ذلك بـالعلاقة التسـلطية بالفـاشية كأيـديولوجية، وبـنتائج بحـوث التسلطيـة فى جنوب أفريـقيا، والعـلاقة بين التسلطية والتعصب.

أولا : يؤدى مفهوم التسلطية على أساس التوحد الشديد الذى يخلق الحاجة لخضوع الأفراد من أجل تحقيق تماسك الجماعة، إلى توضيح لماذا تعتبر الفاشية تعبيرا نقيا عن التسلطية. يتضح ذلك من خلال رمز حزمة القوة Fasces والذى ظهر على أساسه مفهوم الفاشية Fascism، والفأس هو رمز رومانى قديم للسلطة يتكون من حزمة عصىّ مربوطة سويا، كل عصا منها يمكن كسرها بسهولة، ولكن ربطها فى حزمة يجعلها لا تنكسر. وتتطلب الأيديولوجية الفاشية الترابط سويا بين جميع الطبقات والمستويات وعناصر الأمة لتكوين جسد واحد وارادة واحدة.

ثانيا: توصل البحث فى جنوب أفريقيا إلى وجود فروق واضحة فى متوسط درجات F بين البيض المتحدثين بالإنجليزية والأفريكانية (مثال دكت ١٩٨٣أ[١٦٤]، مينهاردت ١٩٨٠أ[٤٥٦]). ورغم أن كلتا الجماعتين تتشاركان فى السيادة السياسية والمميزات الاقتصادية الاجتماعية أكثر من الأغلبية السوداء، لايحصل المتحدثون بالإنجليزية على درجات مرتفعة فى مقياس F فى حين يحصل عليها الأفريكان، وتوصلت مناقشة هذه النتائج إلى أنها تعكس أنماط التكيف السيكولوجى وخبرات التنشئة الصارمة للأفريكان. (مثال: لامبلى ١٩٨٠أ[٣٥٠]، مينهاردت ١٩٨٠أ[٤٥٦]، فان درنبوى - شيملى ١٩٧٨أ[٦٨٣]).

لا تبدو هذه التفسيرات ممكنة على أساس فشل الأبحاث فى العثور على أى علاقة واضحة بين ضعف الأنا، ومشكلات التكيف، أو التنشئة العقابية مع التسلطية. (التيمير ١٩٨١أ[١٦]، ١٩٨٨أ[١٧]، دكت ١٩٩٠ب ص١٧٥-١٧٩أ[١٧٢]).

من جهة أخرى يمكن تفسير المستويات العالية من التسلطية عند الأفريكان إذا كانت التسلطية تعبيرا عن توحد قوى بالجماعة الاجتماعية التى ترتبط هويتها بالمميزات الاجتماعية والاقتصادية التى تترتب على سيادتها السياسية. ويؤدى الطابع غير الآمن والمهدد إلى تركيز شديد على تماسك الجماعة مع الحاجة المصاحبة إلى الانصياع لمعايير الجماعة، للولاء لها، للخضوع غير المشروط للقادة، لرفض غير المنصاعين. وهذا هو واقع الأيديولوجية الأفريكانية (انظر فوستر ١٩٩١أ ص٣٦٦ - ٣٦٩)أ[٢٠٧]. أخيرا فالمشكلة فى التوجيهات التقليدية نحو التسلطية كانت: إنه رغم أن مقاييس التسلطية ترتبط باتساق مع التعصب فليس ثمة آلية مقبولة أمكن افتراضها لتفسير هذه العلاقة.

يساعد تصور التسلطية كتعبير عن نوع معين من التوحد الاجتماعى فى حل هذا الموضوع، فتقدم نظرية الهوية الاجتماعية آلية - ميكانيزما - (هو الحاجة للمحافظة على

هوية اجتماعية ايجابية) من خلالها يؤدى التوحد بجماعة اجتماعية معينة إلى التمييز والتحيز ضد الجماعات الأخرى. وكلما تزيد قوة هذا التوحد، ويزيد التهديد وعدم الأمن ضدها، تزيد حدة التحيز والتمييز. (بروير ١٩٧٩أ[٧٧]، هوج - ابرامز ١٩٨٨[٢٨٥]، تاجفيل - تيرنر ١٩٧٩[٦٥٠]). بمعنى ما يمكن اعتبار هذه النظرة إلى التسلطية توسيعا لنظرية الهوية الاجتماعية لتشمل مشكلة تفسير الفروق الفردية فى القابلية للتعصب.

رغم الشواهد العديدة التى تتسق مع هذا التصور (انظر دكت ١٩٨٩)[١٩٠] فما أجرى من بحث أمبيريقى لاختباره مباشرة كان قليلا جدا. غير أن أحد النتائج الحديثة ساندت الافتراض الأساسى فى هذا التوجيه، فأحد أهم الجماعات الاجتماعية الهامة لأغلب الأفراد هو الجماعة القومية أو الاجتماعية وتؤدى طبيعة توحدهم بهذه الجماعة فى العادة إلى إسهام كبير فى تحديد مستوى التسلطية لديهم.

لاختبار ذلك على عينة كبيرة من الكنديين تم تطوير مقياس متوازن من عشرين فقرة تقيس الحاجة إلى التماسك الجماعى فى المجتمع الكندى. مثال «**من الحيوى جدا أن الكندى الحقيقى ينسى الفوارق بينه وبين الآخرين ليشكل معهم أمة موحدة متماسكة**». و «**اختلاف أو حتى صراع الآراء والأيديولوجيات مهم جدا لبقاء المجتمع الكندى الديمقراطى**»).

كان هذا المقياس ثابتا بدرجة كافية بمعامل ثبات ألفا ٠,٨٢ والأهم من ذلك كان معامل ارتباطه بمقياس التيمير RWA موجبا قويا (ر = ٠,٤٩) (يعتمد ذلك على رسالة شخصية أرسلها إلى التيمير فى ١١ نوفمبر ١٩٩٠). ارتبط هذا المقياس «الحاجة إلى تماسك الجماعة» أيضا وبصورة دالة إحصائيا بمؤشرات عديدة للتعصب والاتجاه نحو الأقليات. وللدهشة كانت هذه المعاملات أعلى فى عمومها من ارتباط مقياس RWA بنفس المؤشرات. ويتسق ذلك مع افتراض أن التسلطية ترتبط بالتعصب لأنه يعكس نوعا معينا من التوحد بالجماعة (التوحد الشديد المهدد)، وما يرتبط به من الحاجة إلى التماسك.

الفروق الفردية والتعصب: خلاصة:

نستخلص من هذا الفصل أن العلاقة بين العوامل السيكولوجية والتعصب تتم من خلال عوامل بيئية أو موقفية، أهمها قوة الضغوط الاجتماعية نحو التعصب بذلك فكلما

زادت قوة الضغوط الاجتماعية يقل تأثير العوامل النفسية. (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، أورين ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١]).

افترض ميتشل (١٩٧٧)[٤٣٩] أيضا أن "المواقف القوية" والتى يعنى بها المواقف التى يكون التأثير الكبير منها للمعايير السلوكية - ستميل إلى تقليل الفروق الفردية. تم تطبيق هذا النوع من الآراء على التعصب بين البيض فى جنوب أفريقيا، واتضح أن الضغوط المعيارية الهادفة إلى تمسك الأفراد باتجاهات عنصرية ستؤدى إلى تقليل أهمية العوامل النفسية كمجردات للتعصب العنصرى (أورين ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١]). هذه القضية تتعلق أساسا بطبيعة التفاعل بين العوامل النفسية والضغوط الاجتماعية فى تحديد التعصب، ستكون موضوع المناقشة فى الفصل القادم.

***

الفصل التاسع

المحددات الاجتماعية أم النفسية للتعصب

دراسة حالة العنصرية فى جنوب أفريقيا

افترض الإطار الذى حدد فى الفصل الرابع وتم تطويره ومعالجته فى الفصول من الخامس وحتى الثامن، أربع عمليات أساسية هى سبب فى التعصب، وهى ضرورية بالتالى فى تفسيره.

أولا : أن هناك عمليات سيكولوجية معينة كامنة فى القابلية الإنسانية للتعصب.

ثانيا : تصف الديناميات الاجتماعية والجماعية ظروف وشروط الاتصال والتفاعل بين الجماعات والتى شكلت هذه الإمكانية فى صورة أنماط مشتركة اجتماعيا للتعصب داخل هذه الجماعات.

ثالثا : تفسر آليات الانتقال كيف تنتقل هذه الديناميات الجماعية والأنماط المشتركة للتعصب، إلى أفراد هذه الجماعات.

رابعا : تحدد أبعاد الفروق الفردية قابلية الأفراد للتعصب وبالتالى فهى تشكل وسيطا لنقل تأثير هذه الضغوط الاجتماعية إلى الأفراد.

تعتبر هذه العمليات السببية الأربعة متكاملة، إذ تصف كل منها جانبا مختلفا نوعيا من أسباب التعصب، وهى بذلك تسهم فى تفسيره، وهناك عمليتان منهما ضروريتان فى تفسير تكوين الاتجاهات التعصبية لدى الأفراد وهى انفعال التعصب والفروق الفردية فى القابلية للتعصب. ترتبط هاتان العمليتان بشكل واسع بالتمييز الذى ظهر فى أدبيات علم النفس بين المحددات الاجتماعية للتعصب من جهة، وبين المحددات النفسية أو الشخصية من جهة أخرى.

حاز موضوع كيف تترابط مجموعتان من الأسباب فى تحديد الاتجاهات التعصبية لدى الأفراد على اهتمام كبير للسيكولوجيين، وكانت النتيجة العامة هى أن العلاقة المتبادلة متفاعلة بطبيعتها وحينما تكون العوامل الاجتماعية هامة، تكون العوامل النفسية أقل أهمية، وبالعكس حينما تكون العوامل الاجتماعية أقل أهمية، تصبح العوامل النفسية أكثر أهمية بالتبعية. وكما سيتضح فى موضع آخر من هذا الفصل، أصبح هذا

الاستنتاج واسع الانتشار فى أدبيات علم النفس بخصوص التعصب، ويعتبر موضوعا متفقا عليه غالبا. (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، كولمان - لامبلى ١٩٧٠[١٢٤]، كينلوخ ١٩٧٤[٣٣٣]، ليفر ١٩٧٨[٣٦٨]، أوربن ١٩٧١أ[٤٧٥]، سيجال - ديزن، بيرى بورتنما ١٩٩٩٠[٥٨٧] ،وتيرمز - جيليس ١٩٨١[٦٧٤]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١]، ينجر ١٩٨٣[٧٢٤]).

لكن من الواضح أن هذا الاستنتاج لا يتفق تماما مع الإطار الذى يقدمه الكتاب، هذا الإطار الذى يدور حول أن العوامل الاجتماعية والنفسية متكاملة أكثر مما هى متفاعلة، وهناك اختلاف بين التكامل والتفاعل حتى لو كانا يسهمان بنفس الدرجة فى تحديد الاتجاهات التعصبية. لهذه الأسباب سنستعرض الموضوع مرة أخرى بصورة ناقدة فى هذا الفصل، وسيتضح أن الدليل ليس كاملا ولا يبرر بالتأكيد الرأى القائل أن ذلك موضوع محسوم.

أخيرا، سيتضح من عرضنا لهذا الفصل أن الأبحاث الجديدة فى الموضوع قد غيرت وزن الدليل بحيث صار ضد فرض التفاعل، لكننا أولا يجب أن نصف التفاعل وأصل نشأته فى أعمال (بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]) الكلاسيكية بجنوب أفريقيا، وسوف نلاحظ أن الدليل باختصار فى نهاية هذا الفصل، حيث يشار إلى أنه يستخدم غالبا فى تفسير لماذا لا يظهر الارتباط بين التسلطية والتعصب فى بعض أنواع الاتجاهات التعصبية، رغم أن علاقتهما قوية ومستمرة دائما.

التعصب المعيارى وافتراض التفاعل:

يتكرر اللجوء إلى افتراض التفاعل كلما كان أمامنا جماعات أو مجتمعات متعصبة جدا، مثال ذلك التعصب ضد السود فى الجنوب الأمريكى والجنوب الأفريقى. فى مثل هذه الجماعات يصبح التعصب معيارا اجتماعيا ويواجه الأفراد ضغوطا قوية للانصياع لهذه التعصبات المعيارية. ويستمر الجدل، فالاتجاهات التعصبية لدى أفراد هذه المجتمعات تتحدد أساسا من خلال الانصياع للضغوط الاجتماعية، وفى مثل هذه الظروف ستكون العوامل السيكولوجية كالتسلطية فى درجة أقل من الأهمية كسبب للتعصب (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، أوربن ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٩[٤٩٣]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١]).

ولا يعنى ذلك أن الانصياع ليس له علاقة سوى بخلق التعصب فى المجتمعات عالية التعصب، فقد ناقشنا دور الضغوط من أجل الانصياع فى إيجاد التعصب فى

الفصل السابع، ولاحظنا آنذاك أن الانصياع للضغوط المعيارية مع التعلم الاجتماعي يعتبران آلية متميزة يكتسب الأفراد عن طريقها المعتقدات والتعصبات من جماعاتهم ويحافظون عليها. يمكن النظر إلى الانصياع باعتباره عملية عامة تحدد الاتجاهات التعصبية، لكن نوقش أيضا أنه كلما كانت الاتجاهات التعصبية معيارية الطابع فى جماعة أو مجتمع، تزيد الضغوط على الأفراد كى ينصاعوا إلى هذا المعتقد فى الجماعة.

ينظر إلى الضغوط المعيارية بهذا المعنى على أنها عوامل هامة جدا فى المجتمعات المتعصبة كجنوب أفريقيا أو الجنوب الأمريكى. تبدو هذه المجتمعات عالية التعصب ظروفا ملائمة لدراسة كل من دور ضغوط الانصياع الاجتماعى فى التعصب، وكذلك تفاعلهم مع الفروق الفردية السيكولوجية. وليس من المستغرب أن تجرى دراسات مبكرة وهامة جدا فى مثل هذه الظروف الاجتماعية، فقد أجرى (بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]) دراسة لماذا كانت الدرجات المتطرفة للتعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا والجنوب الأمريكى يمكن ردها إلى العوامل السيكولوجية. وجد الباحث رغم أن البيض فى جنوب أفريقيا والجنوب الأمريكى كانوا أكثر فى درجة التعصب العنصرى بالمقارنة بجماعات مشابهة لهم، فلم يكونوا أعلى فى درجة التسلطية، وليسوا قادرين على تفسير زيادة مستوى التعصب العنصرى لديهم.

توصلت دراسات حديثة إلى نفس النتائج مثل دراسة (ميدلتون ١٩٧٦)[٤٣٠] والذى قارن بين شمال وجنوب الولايات المتحدة، كينلوخ (١٩٧٤)[٣٣٣] والذى قارن بين الطلاب البيض فى جنوب أفريقيا وهاواى.

لاحظت نتائج بيتى جرو بإشارات متعددة إليها فى دراسات تالية، ووصلت دراساته إلى مكانة الدراسات الكلاسيكية. قد يرجع ذلك لأن هذه الدراسات أجريت فى وقت قامت التفسيرات السيكولوجية للتعصب فيه على أساس عوامل كالتسلطية والتى سيطرت على البحث العلمى الاجتماعى فى هذا المجال.

لكن نتائج (بيتى جرو) أشارت إلى أن المستويات العالية من التعصب فى مجتمعات كجنوب أفريقيا وجنوب أمريكا لا يمكن تفسيرها على أساس هذه العوامل. يفترض ذلك أن العوامل الاجتماعية عموما، والانصياع للمعيار خصوصا هى المسئولة عن زيادة التعصب فى تلك المجتمعات، فكما يشير (بيتى جرو ١٩٦١)[٤٩٥]، «يعتبر الانصياع للمعايير العنصرية الصارمة للثقافة الجنوبية حاسما بصورة غير عادية فى زيادة عداء الجنوبيين ضد الزنوج» (ص١٠٩).

لاقى هذا الاستنتاج قبولا واسعا وساعد فى تغيير اهتمامات علماء النفس الاجتماعى بعيدا عن التفسير السيكولوجى للتعصب باعتباره يعود إلى عوامل اجتماعية ومعيارية. مثال ذلك يقول (تيرنر - جيليس ١٩٨٠)[٦٧٤] «فيما بعد دراسات (شريف وشريف، .... بيتى جرو) والدراسات النفسية الاجتماعية للجماعات المعيارية وللانصياع الاجتماعى، أصبح من المقبول أن يتأتى فهم التعصب باعتباره معيارا اجتماعيا أو ثقافيا، وحينما لا يكون الأمر كذلك فمن غير المحتمل أن يكون له معنى اجتماعى، بذلك فالمشكلة فى نظريات الشخصية هى أنه يمكن الاستفادة بها فى التنبؤ بالسلوك فى حالة ما إذا كانت العوامل الاجتماعية تقلل من التعصب».

ويمكن تلخيص هذا المنظور المعيارى للتعصب على النحو التالى: حينما تنتشر معتقدات تعصبية متشددة فى جماعة اجتماعية أو فى مجتمع، يعتبر أفراده متعصبون بناء على معيار اجتماعى، وبقدر انتشار هذه المعتقدات بقدر ما تتحدد الاتجاهات التعصبية على ضوء الضغوط المعيارية للانصياع أكثر منها نتيجة عوامل سيكولوجية، وهناك ثلاث مجموعات من الشواهد التى تساند هذا المنظور :

أولا: أشارت الدلائل إلى أنه فى المجتمعات عالية التعصب نجد أن سمة الانصياع وسيلة هامة للتنبؤ بالتعصب (نيودوت - نيل ١٩٧٥[٤٦٠]، أوربن ١٩٧١ج[٤٧٩]، ١٩٧٥[٤٧٥]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]).

ثانيا: يعتبر اختلاف الضغوط المعيارية بين الجماعات عالية التعصب محددا هاما لتعصبها. وتشير الدلائل إلى أن المتغيرات الاجتماعية التى تحدد عضوية الأفراد فى الجماعة الاجتماعية، وتكاملها ووضعها تتنبأ بالتعصب بصورة أقوى حينما تكون هذه الجماعة أو المجتمع متعصبا بصورة معيارية (أوربن ١٩٧٥[٤٦٠]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]).

ثالثا: تشير الدلائل إلى أن العوامل النفسية مثل التسلطية قد تكون أقل تأثيرا فى التعصب فى المجتمعات المتعصبة معياريا (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، أوربن ١٩٧١ ب[٤٧٣]، ١٩٧١ج[٤٧٤]).

سنناقش كلا من هذه المجموعات الثلاثة من الدلائل فى الأجزاء التالية من هذا الفصل وسنلاحظ أنه رغم القبول الواسع لها، فهو لا يتسم بالشمولية، بذلك سنجد أن أطروحة الانصياع عموما وفرض التفاعل خصوصا لم يتعرضا للفحص الدقيق. أخيرا فسوف نصف دليلا يضم اختبارا منهجيا مباشرا بين المواطنين البيض فى جنوب أفريقيا والذى يبدو أنه ينتقد الافتراض الذى نشير إليه.

التعصب والانصياع Conformity:

كلما كان التعصب معياريا فى ظروف معينة، يزيد توقعنا أن تكون سمة الانصياع هى المحدد للتعصب. (كينلوخ ١٩٧٤[٣٣٣]، نيودوت - نيل ١٩٧٥[٤٦٠] أوربن ١٩٧١ج[٤٧٤]، ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]). على سبيل المثال يفترض (بيتى جرو ١٩٥٨)[٤٩٢] فى مناقشته للتعصب فى جنوب أفريقيا وجنوب أمريكا، أن «القابلية للانصياع قد تصبح مكونا نفسيا هاما جدا للتعصب فى مناطق تعاقب المعايير الثقافية كل من يخالفها بحزم» (ص ٤٠). هناك عدد من المحاولات لاختبار ذلك الافتراض، حاول أوربن (١٩٧١ب[٤٧٣]، ١٩٧١ج[٤٧٤]، ١٩٧٥[٤٧٥]) ذلك بإيضاح أن الأشخاص الذين ينصاعون أكثر من غيرهم للمعايير والقيم الجنوب أفريقية يصبحون متعصبين عنصريا. بناء على ذلك قام بتطوير «مقياس الانتماء لجنوب أفريقيا South Africanism» يتكون من عبارات يحدد المستجيبون عليها مدى تعبيرها عن القيم التقليدية فى جنوب أفريقيا. اتضحت ارتباطات موجبة ودالة بين هذا المقياس وبين مقاييس للتعصب ضد الزنوج فى عينات من جامعات جنوب أفريقيا أغلبها من البيض المتحدثين بالإنجليزية. (الارتباطات كانت ٥٠, ، ٥٣,) ، وعينات من طلاب المدارس الثانوية (الارتباط = ٤٣,)، على ذلك استنتج أوربن أن التعصب العنصرى بين هؤلاء المبحوثين كان نوعا من الانصياع للمعيار الاجتماعى.

فى حين يبدو هذا المنطق مقبولا، نجد فى الوقت ذاته تفسيرات لا تقل عنها قبولا، فمقياس الانتماء الجنوبى الأفريقى قد يقيس المحافظة Conservatism الاجتماعية، فى هذه الحالة قد يرجع الارتباط بين المقياسين إلى أن الأشخاص المحافظين هم الأكثر تعصبا، ولا يعنى ذلك بالضرورة تأثير الانصياع. غير أن الاتجاه الأفضل هو المقياس المباشر للعلاقة بين الميل إلى الانصياع والتعصب العنصرى.

اعتمدت دراسات عديدة على هذا التوجه باستخدام مقياس من إعداد (بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٦٠[٤٩٤]) لقياس الانصياع الاجتماعى يتكون المقياس من ١٦ عبارة على نمط ليكرت يعبر مضمونها عن تفضيل وأهمية الانصياع الاجتماعى، مثال ذلك «أفضل أن أتصرف مثلما يفعل الأغلبية على أن أكون شهيدMartyr التجديد أو المبادأة». مثال آخر «إن التمسك بالتقاليد يجعلنا أفضل المواطنين». طبق (بيتى جرو ١٩٥٨)[٤٩٢] هذا المقياس أولا على عينة من الطلاب البيض بجنوب أفريقيا (أغلبهم المتحدثين بالإنجليزية). ووجد أنه يرتبط بالتعصب ضد السود (تراوحت معاملات الارتباط بين ٤٢, إلى ٤٦, مع الأمريكان، والإنجليز على التوالى). وتوصلت

أربع دراسات تالية إلى نفس النتائج (هيفن وآخرون ١٩٨٦[٢٧٥]، كينلوخ ١٩٧٤[٣٣٣]، نيودوت - نيل ١٩٧٥[٤٦٠]، أورين ١٩٧١ج[٤٧٤]).

رغم أن هذه النتائج حازت قبولا غير ناقد باعتبارها تبين أن الانصياع محدد هام للتعصب فى جنوب أفريقيا (مثال آشمور - ديلبوكا ١٩٧٦[٢٧]. بانتون ١٩٦٧[٣٣]، ليفر ١٩٧٨[٣٦٨]، تيرنر - جيليس ١٩٨١[٦٧٤]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١])، لكن ظهر نقد شديد لها، فنظرا لاستخدام مقياس واحد للانصياع الاجتماعى وهو مقياس بيتى جرو، فقد اعتمدت النتيجة بشكل حاسم على درجة صدقه من حيث السلوك الانصياعى، يبدو ذلك مهما وخصوصا أن فقرات المقياس تميل لأن تكون فقرات للاتجاهات، بالتالى تعكس معتقدات الشخص واتجاهاته نحو السلوك الانصياعى والسلوك التقليدى أكثر من درجة قيام الأفراد بهذا السلوك فعليا. وقد سبق أن اتضح لنا أن الاتجاهات والسلوك ليسا مترابطين بقوة (ويكر ١٩٦٩)[٧٠٦]. فالمقياس قد يقيس فى بساطة مظهرا للمحافظة الاجتماعية أكثر مما يقيس الميل للسلوك الانصياعى الفعلى.

كشف البحث الاستعراضى للتراث أنه إلى الآن ليس ثمة دليل يساند صدق مقياس بيتى جرو كمقياس للسلوك الاجتماعى والدراسة الوحيدة التى يمكن تصنيفها فى هذه الفئة لم تكن نتائجها مؤيدة لصدق المقياس. استخدم فورنهام (١٩٧٤)[٢١٧] عينات من السود والبيض من الطلاب فى جنوب أفريقيا، ووجد ارتباطا قليلا بين هذا المقياس وبين الانصياع فى مواقف آش التجريبية، حيث ينصاع المبحوثون إلى أحكام واضحة الخطأ تصورها جماعة من مساعدى المجرب. إجمالا لم يظهر أى دليل على أن مقياس (بيتى جرو) ويقيس السلوك الانصياعى، بل ربما يقيس المعتقدات الاجتماعية المحافظة والتى قد تفسر ارتباطها بالتعصب.

لهذا السبب يجب أن تكون الدراسات التى قامت على هذا المقياس وتوصلت إلى أن الانصياع محدد هام للتعصب فى جنوب أفريقيا، يجب أن تكون موضع تساؤلات حادة. وحتى لو كان الانصياع محددا فعليا للتعصب فى جنوب أفريقيا، فإنه يحتاج لاستخدام مقاييس صادقة سلوكيا للانصياع، والصورة النموذجية لها هى بحث السلوك التعصبى فى ظروف متنوعة مضبوطة منهجيا للضغوط المعيارية.

التعرض للضغوط المعيارية Normative Exposure والتعصب :

فى ظروف اجتماعية يكون التعصب فيها معياريا يجب أن تؤثر درجة تعرض الأفراد للضغوط المعيارية فى تمسكهم بهذه المعايير التعصبية (كينلوخ ١٩٧٤)[٣٣٣]،

أوربن ١٩٧١ج[٤٧٤]، ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتي جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]). هكذا فالمتغيرات الاجتماعية الثقافية التى تحدد درجة تعرض الأفراد للمعايير فى جماعتهم سوف تتنبأ بالتعصب فى هذه الظروف. وبالعكس ستكون هذه المتغيرات أضعف تنبؤا فى ظروف تكون معايير التعصب فيها غائبة أو ضعيفة.

يفترض بيتى جرو (١٩٥٩)[٤٩٣] عند مقارنته بين الأفراد شديدى التعصب فى الجنوب الأمريكى بقليلى التعصب فى الشمال الأمريكى، أن «عقدة معاداة الزنوج فى الجنوب ترتبط بعوامل التوافق الاجتماعى والعوامل الثقافية الاجتماعية، وترتبط بدرجة أقل بإظهار العوامل الشخصية بالمقارنة بالشمال» (ص٢٨). على نفس الأساس يرى أوربن (١٩٧٥)[٤٧٩] أننا «قد نتوقع علاقة قوية بين السمات الاقتصادية - الاجتماعية وبين التعصب فى جنوب أفريقيا، وعلاقة ضعيفة جدا بين هذين المتغيرين فى الولايات المتحدة (باستثناء الجنوب حيث تصاغ الاتجاهات العصبية فى شكل قانونى واضح» ص١٠٣.

استخدم بيتى جرو فى بحثه الأصلى لاختبار هذا الفرض (١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]) عددا من المتغيرات الثقافية الاجتماعية التى شعر أنها تحدد الفروق فى التعرض للضغوط المعيارية بجنوب أمريكا وجنوب أفريقيا. كانت أكثر اختباراته للفرض من حيث الوضوح بمقارنة الدرجة التى تنجح فيها المتغيرات الستة فى التنبؤ بالتعصب وذلك على عينات مأخوذة من شمال وجنوب الولايات المتحدة.

كانت المتغيرات هى : الجنس، الحراك الاجتماعى، المشاركة فى أنشطة الكنيسة، التعليم والخدمة العسكرية. تصور الباحث أن المرأة باعتبارها «حاملة للحضارة» ستواجه ضغوطا أكبر للانصياع إلى المعايير الاجتماعية بالمقارنة بالرجال. بالمثل نجد الحراك إلى أعلى (بالمقارنة بالحراك إلى أسفل)، المشاركة الزائدة فى الكنيسة (بالمقارنة بالمشاركة الضعيفة) والتوحد بالأحزاب التقليدية (بالمقارنة بالمستقلين). كل ذلك سوف يعكس أخلاقيات ثقافتهم بصورة أقوى، من جهة أخرى فالمحاربون القدامى، والأشخاص ذوى التعليم العالى سيكون لديهم إمكانية أكبر فى الانحراف عن الثقافة الجنوبية، وذلك لأن خبراتهم الخاصة ودراستهم وضعتهم فى موضع الاتصال بنواحى جديدة فى حياتهم. (بيتى جرو ١٩٥٨ ص٣٩)[٤٩٢].

أكدت النتائج فروض بيتى جرو حيث اتضح أن المتغيرات الثقافية الاجتماعية الستة تنبأت بالتعصب فى الجنوب حيث كان الأكثر تعرضا لضغوط معايير الجنوب هم الأكثر تعصبا، من جهة أخرى لم يكن ذلك هو الحال فى شمال أمريكا، حيث كانت

هذه المتغيرات الستة إما غير مرتبطة بالتعصب أو ترتبط به بصورة مختلفة تماما (مثلا: كان المشاركون فى الكنيسة وذوى الحراك الاجتماعى إلى أعلى أكثر تعصبا فى الجنوب، كان غير المشاركين فى الكنيسة وذوى الحراك الاجتماعى إلى أسفل أكثر تعصبا فى الشمال). استنتج (بيتى جرو ١٩٥٨)(٤٩٢) «أن الجنوبيين بحكم أدوارهم فى البناء الاجتماعى يتوقع منهم الانصياع لما تمليه عليهم ثقافتهم، فهم يثبتون أنهم أكثر تعصبا ضد الزنوج» وأن «الانصياع إلى المعايير فى الشمال - بعكس الانصياع إلى معايير الجنوب الأمريكى أو معايير جنوب أفريقيا - لا ترتبط بالعداء ضد السود» (ص٣٨).

تبدو هذه النتائج قاطعة فى وضوحها، لكن السؤال المهم هو إلى أى مدى أمكن التوصل إلى نفس النتائج عند إعادة الدراسات بنفس الإجراءات. لسوء الحظ لم تكن الإجابة على هذا السؤال سهلة، فيجب لإعادة دراسة بيتى جرو بصورة واضحة مقارنة أهمية المتغيرات «ذات العلاقة بالمعايير» من الجماعات التى تختلف بصورة واضحة فى درجة التعصب المعيارى. لكن إلى أى مدى تتكافأ هذه المتغيرات بصورة معقولة، حاولت دراسات قليلة الاقتراب من هذا المحك، ومنها دراسات نادرة ركزت على متغيرات أكثر عددا فى التعرض للمعايير الثقافية التى افترضها بيتى جرو، بالإضافة إلى أن هذه النتائج فشلت غالبا فى تكرار النتائج التى سبق لبيتى جرو التوصل إليها «مثال ذلك مقارنة كينلوخ (١٩٧٤)(٣٣٣) بين طلاب هاواى وبين البيض فى جنوب أفريقيا». وكانت أفضل دراسة فى الموضوع لـ ميدلتون (١٩٧٦)(٤٣٠) والذى استخدم بيانات قومية فى الولايات المتحدة لمقارنة الدرجة التى تتنبأ بها متغيرات بيتى جرو بالتعصب فى الجنوب والشمال. وعلى غير اتفاق مع بيتى جرو، وجد ميدلتون أن هذه المتغيرات ترتبط جميعها بالتعصب وبنفس الطريقة فى كلتا المنطقتين.

هناك اعتراض ممكن على الحكم بفشل نتائج ميدلتون فى الاتفاق مع نتائج بيتى جرو، إذ تم جمع بيانات دراسة ميدلتون بعد عشرة أعوام على الأقل من دراسة بيتى جرو، وفى هذه الفترة كانت الاتجاهات التعصبية ضد الزنوج فى الجنوب قد بدأت فى الانخفاض بصورة دالة وإلى تقليل الفروق بين الجنوب والشمال فى هذا الصدد (كوندران ١٩٧٩(١٢٨)، شومان وآخرون ١٩٨٥(٥٧٣))، وربما كان التغير أكثر تسارعا بين الجنوبيين فى نوع الاتجاهات العنصرية التى يتصورون أنها معيارية، حيث بدأت فى التحول إلى ما يشبه تصورات الشماليين. قد تفسر هذه التغيرات التاريخية فشل ميدلتون فى تكرار نتائج بيتى جرو وتلفت النظر إلى أن المقارنة بين مناطق الشمال والجنوب لم تعد تصلح لاختبار فروض من هذا النوع.

إجمالا، تساند النتائج الأصلية لبيتى جرو افتراضه القائل أن المتغيرات الاجتماعية والثقافية التى تعكس معايير الجماعة هى مصدر أقوى للتنبؤ بالتعصب فى الجماعات التى يكون التعصب بين أفرادها معياريا بالطبع. لكن هذه النتائج لم يمكن تأكيدها فى دراسات تالية، حيث استخدم عدد قليل منها نفس تصميم بيتى جرو وهو شرط لازم قبل المقارنه بين نتائجهما، ولم تساند نتائج هذه الدراسات ما سبق لبيتى جرو التوصل إليها.

من الممكن أن يرجع ذلك الفشل إلى التغير فى الاتجاهات التعصبية للجنوب الأمريكى وكذلك إلى نوع الاتجاهات التى يتصور أنها معيارية، كل تلك العوامل قد تكون مسئولة عن فشل أهم دراسة فيها وهى دراسة ميدلتون فى تكرار ما توصل إليه بيتى جرو من نتائج.

التسلطية والتعصب المعيارى:

Authoritarianism & Normative Prejudice

كثيرا ما أكدت صياغات مختلفة على أن المحددات السيكولوجية تصبح أقل أهمية فى الظروف عالية التعصب حين يصبح معيارى الطابع (باجلى وآخرون ١٩٧٩[٣٢]، كولمان - لامبلى ١٩٧٠[١٢٤]، كينلوخ ١٩٧٤[٣٣٣]، ليفر ١٩٧٨[٣٦٨]، أورين ١٩٧١[٤٧٢]، ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٦٠[٤٩٤]، بروترو ١٩٥٢، تيرنر - جيليس ١٩٨١ [٦٧٤]، فان دن برج ١٩٦٧[٦٨١]، ينجر ١٩٨٣[٧٢٤]). كان بيتى جرو (١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]) أول من اختبر هذا الفرض بطريقة منهجية فى كل من جنوب أفريقيا وبمقارنتهم بالولايات الشمالية والجنوبية الأمريكية. كانت نقطة انطلاقه فى الظرف الأخير هى « إن عقدة معاداة الزنوج فى الجنوب ترتبط بعوامل اجتماعية - ثقافية، وبعوامل التوافق الاجتماعى وترتبط بدرجة أقل بالعوامل الشخصية أكثر من الشماليين» (١٩٥٩ [٤٩٣]ص٢٨). غير أن نتائجه لم تساند الجزء الثانى من فروضه، حيث لم يكن الارتباط بين التسلطية والتعصب أكبر بصورة دالة عما هو الحال فى الجنوب، وقد استنتج بيتى جرو أن «ظهور درجات العوامل التى يقيسها مقياس F كان بنفس درجة الأهمية بالنسبة للاتجاهات المضادة للزنوج فى كل من المشماليين والجنوبيين فى الولايات المتحدة» (١٩٥٩[٤٩٣] ص٣٥)، كما فسر الفروق فى التعصب بين المنطقتين على أنها «عوامل ثقافية اجتماعية وعوامل التوافق الاجتماعى» ص٣٥. وقد دعمت صحة هذا الاستنتاج دراستا بيتى جرو (١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٦٠[٤٩٤]) فى جنوب أفريقيا.

كان الارتباط بين درجات مقياس F والتعصب ضد السود فى هذه الدراسة ٥٦, لمتحدثى الإنجليزية، و ٤٦, لمتحدثى الأفريكانية على التوالى، ويبدو أن ذلك يشير إلى أن التسلطية كانت مصدرا هاما للتنبؤ فى جنوب أفريقيا حيث أظهرت ارتباطات لا تقل كثيرا عما حصل عليه نفس الباحث فى الولايات المتحدة. فيما بعد تعرض كولمان - لامبلى (١٩٧٠)[١٢٤] إلى هذا الاستنتاج بالنقد، حيث أشار إلى أن نتائج بيتى جرو جاءت على هذا النحو لأنه استخدم فقرات مأخوذة مباشرة من مقياس أدورنو الأصلى F. ونظرا لأن جميع فقراته كانت أحادية الاتجاه، حيث كانت الموافقة على الفقرات تعنى التسلطية دائما، فقد تكون درجات مقياس F متأثرة باستجابات الإذعان Acquiescent. ذلك فى رأيهما مشكلة خطيرة فى مجتمع يكون التعصب فيه معياريا اجتماعيا، وبالتالى يتأثر بالانصياع: «المشكلة هى أنه فى مجتمع عالى التعصب يوجد شىء يشبه الإذعان Acquiescence هو الذى يفسر الاتجاهات التعصبية للعديد من أعضائه غير التسلطيين» ص١٦٢.

يعنى ذلك أن الارتباط بين مقاييس F أحادية الاتجاه وبين التعصب قد تتضخم إلى حد كبير جدا فى المجتمعات عالية التعصب بالمقارنة بمثيلاتها منخفضة التعصب؛ لتصحيح ذلك طبق كولمان - لامبلى مقياس F متوازنا وقاما بقياس التعصب العنصرى فى عينة من البيض أغلبهم من الطلاب المتحدثين بالانجليزية. وصل الباحثان إلى ارتباطات بمقياسين للتعصب كانا «أقل بكثير من أى ارتباطات ظهرت فى مكان آخر» (كانت الارتباطات ٢٣, و٣٣,)وكان المعامل الأخير فقط الذى وصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية. استنتج الباحثان أنه فى جنوب أفريقيا خصوصا لا يمكن تفسير إلا القليل من التباين فى الاتجاهات العنصرية على أساس التسلطية (ص١٦٣).

قام آخرون بتأكيد هذه الحجج كان أوربن (١٩٧٥)[٤٧٩] وزملاؤه أكثرهم بروزا، وكانوا بذلك الحافزون لسلسلة من الدراسات التى تفحص الارتباط بين المقاييس - الدرجات - المختلفة من التعصب العنصرى باستخدام مقياس F بها فقرات متوازنة أو اختيار إجبارى حتى يضبط متغير الإذعان Acquiescence.

استخدمت أغلب هذه الدراسات طلابا جامعيين من المتحدثين بالإنجليزية كمبحوثين، هذا رغم أن العينة ضمت طلابا من الثانوي العام والثانوى المهنى، ويلخص الجدول ٩-١ هذه الدراسات التى استخدمت صورة متوازنة من مقياس F فى جنوب أفريقيا.

جدول ٩ - ١

الارتباط بين التعصب العنصرى ومقياس F المتوازن في عينات بجنوب أفريقيا

الدراسة	العينة	مقياس التعصب	الارتباط
كولمان. لامبلى ١٩٧٠(١٢٤)	٦٠ طالبا إنجليزيا	مقياس معاداة الأفريقين ١ مقياس معاداة الأفريقين ٢ مقياس التباعد الاجتماعى	,٢٣ ,٢٣ ,٢٧
هيفن ١٩٨٣(٢٧١)	١٠٦ نزلاء فى مؤسسة بلومونتنى	مقياس معاداة السود	,٣٩
هيفن. رجب ١٩٨٠(٢٧٤)	٩١ نزيلا فى مؤسسة بلومفونتيني	مقياس معاداة السود	,١٨
لامبلى ١٩٧٣(٣٤٩)	١٩٠ طالبا إنجليزيا	مقياس التمركز العنصرى مقياس التباعد الاجتماعى	,٣٨ ,٤١
لامبلى. جليرت ١٩٧٠(٣٩)	١٠٦ طالب إنجليزى	مقياس معاداة الأفريقيين مقياس التباعد الاجتماعى	,٣٢، ,٤٣ ,٤١، ,٤٧
اورين ١٩٧١ أ	٨٨ طالبا إنجليزيا	مقياس معاداة الأفريقيين مقياس التباعد الاجتماعى	,٢ ,١٩
اورين ١٩٧٣ أ(٤٧٢)	٩٠ طالبا إنجليزيا	مقياس التباعد الاجتماعى	,٢٩ ,٢٢
اورين ١٩٧٣ (ب)(٤٧٨)	٨١ طالبا روديسيا	مقياس معاداة الأفريقيين ٤ مقاييس للتباعد الاجتماعى	,١٩، ,٢٦، ,١١، ,٢٤
أورين تسابوجاس ١٩٧٢(٤٨١)	١٣١ دارسا إنجليزيا	مقياس معاداة الأفريقيين ١ مقياس معاداة الأفريقيين ٢ مقياس التباعد الاجتماعى	,١٥ ,١١ ,٠٥
أورين. فان دو شيف ١٩٧٢(٤٨٢)	٨٥ مهنيا ٩٨ طالبا	مقياس معاداة الأفريقيين مقياس معاداة الأفريقيين	,٣٣ ,٢
راى ١٩٨٠(٥٢٣)	١٠٠ نزيلا فى چوها نسبرج	مقياس معاداة السود	,٥٩

Duckitt, j. (1991),(١٧٣) Prejudice and Racism., in: D. Foster.
i . Louw - Potgieter (Eds), 1991 , socil psychology in south Africa . south Africa : Lex icon.

كان استنتاج أوربن من هذه الدراسات أنه مع ضبط متغير الإذعان، يبدو مقياس F أساسا ضعيفا جدا للتنبؤ بالتعصب فى جنوب أفريقيا. ويساند ذلك افتراض أن «التعصب لا يرتبط بشدة بأساسيات الشخصية حيث يكون التعصب معيارا معترفا به» (١٩٧١ب ص٧٨)(٤٧٣). توصلت الدراسات التالية التى استخدمت مقاييس F متوازنة الفقرات (جدول ٩-١) توصلت إلى نتائج قريبة لما توصل إليه أوربن وزملاؤه. ولقد توصلت دراسة واحدة فقط إلى ارتباط معقول مع التعصب (راى ١٩٨٠ب)(٥٢٣) وكان متوسط معاملات الارتباط فى جميع هذه الدراسات ٢٨,.

كان الارتباط بين الدرجات المرتبطة بها من حيث المفهوم مثل الدوجماطية والانفتاح على العالم قد توصل إلى ارتباطات مشابهة (أوربن ١٩٧١ب(٤٧٣)، أوربن - روكلدج ١٩٧٢(٤٨٠)). حتى المقاييس F أحادية الاتجاه والتى أدت إلى تضخيم الارتباط نتيجة لأثر الإذعان Acquiescence تبين أحيانا أنها ضعيفة ومهمله وذلك فى ارتباطها بالتعصب فى جنوب أفريقيا (مثال ذلك هيفن ١٩٧٩(٢٦٨)، كينلوخ ١٩٧٧(٣٣٣)، ليفر ١٩٧٨(٣٦٨)).

ساعدت هذه النتائج فى إيجاد القبول الواسع لاستنتاج أن التسلطية لها ارتباط قليل بالتعصب فى المجتمعات العالية التعصب (باجلى وآخرون ١٩٧٩، ليفر ١٩٧٨(٣٦٨)، تيرنر - جيليس ١٩٨١(٦٧٤)، فنان دن برج ١٩٦٧(٦٨١)، ينجر ١٩٨٣(٧٢٤)). ففى استعراض ليفر ١٩٧٨(٣٦٨) على سبيل المثال للدراسات الجنوب أفريقية من هذا النوع استنتج أن هذه الارتباطات المنخفضة «تجعل من الضرورى التساؤل عن أثر متغيرات الشخصية على الاتجاهات العنصرية، وبخاصة فى وجود دلائل عديدة تؤدى بنا إلى افتراض أنه فى ظروف جنوب أفريقيا. . . . . . . تصبح المعايير الجماعية والانصياع لهذه المعايير بالغة الأهمية فى فهمنا للاتجاهات العنصرية أكثر من الحاجات العميقة للشخصية» (١٢٧).

غير أن هناك عددا من الأسباب لضرورة عدم التسليم بقبول هذه النتيجة أحد هذه الأسباب يرجع إلى أن العينات المستخدمة (انظر جدول ٩-١) كانت فى الغالب صغيرة وغير ممثلة لمجتمع جنوب أفريقيا الأبيض، وفى الحقيقة أن أغلبها كان يستخدم طلاب الجامعة البيض المتحدثين بالإنجليزية، وهم يميلون فى العادة إلى الانخفاض فى درجة التعصب بالمقارنة بغيرهم من مواطنى جنوب أفريقيا (ميندهاردت ١٩٨٠)(٤٥٦). هناك اعتبار آخر وهو أنه لا توجد دراسة واحدة منها اهتمت بالمقارنة بين النتائج على عينات متباينة، والنتيجة أنه بينما تبدو الارتباطات التى ظهرت فى جدول ٩-١ منخفضة، فمن المؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنها أقل مما ستتوصل إليه من ارتباطات فى عينات من أماكن أخرى لو استخدمنا نفس المقاييس. أحد الاعتبارات الأخرى أن عددا قليلا من

الدراسات خارج جنوب أفريقيا هى التى استخدمت صورا متوازنة من مقياس F، مشكلة أخرى هى أن مقياس F المتوازن تكون الارتباطات بين الفقرات السلبية والإيجابية الاتجاه التى يتكون منها منخفضة وثابته ضعيف جدا.

يمكن للثبات لو كان منخفضا أن يؤدى إلى ضعف الارتباط مع المتغيرات الأخرى. ومن الصعب تقدير مدى خطورة هذه المشكلة، وذلك للأن أغلب الدراسات التى يعددها جدول ٩-١ لم تتوصل إلى معاملات ثبات من نوع الاتساق الداخلى Internal Consistency، غير أن أورين فى دراسته للدكتوراه (١٩٧٠ب)[٤٧١] توصل إلى أن متوسط الارتباط بين الفقرات Interitem كان ٥,٠ فقط فى مقياسه F المتوازن، مما ينتج عنه انخفاض ضعيف جدا ويؤدى إلى ارتباط ضعيف بين مثل هذا المقياس المتوازن وبين التعصب. عموما لا تسمح هذه النتائج بالوصول إلى استنتاج محدد عن العلاقة بين التسلطية والتعصب فى ظروف اجتماعية تتميز بتعصب عال، ويحتاج ذلك إلى دراسات مقارنة باستخدام نفس المقاييس (ولكن بالطبع ذات ثبات أعلى من المقاييس الحالية) وفى عينات متكافئة تختلف فقط فى مستويات التعصب المعيارى.

هناك عدد قليل من الدراسات التى قدمت بيانات مقارنة بين شمال وجنوب الولايات المتحدة (ميدلتون ١٩٧٦)[٤٣٠] وبين المتحدثين بالانجليزية والأفريكانية فى جنوب أفريقيا (ليفر ١٩٧٨[٣٦٨]، مينهاردت ١٩٨٠[٤٥٦]، نيودوت - نيل ١٩٧٥)[٤٦٠]. لكن الجماعات التى تمت مقارنتها لم تكن متكافئة بصورة كافية (دكت ١٩٩٠ب، ص٢٢٧-٢٣٠)[١٧٢]. هذا بالإضافة إلى أنه كما فى دراسة بيتى جرو الأصلية (١٩٥٩)[٤٩٣] استخدمت جميع هذه الدراسات مقاييس F الأحادية الاتجاه، وهذه المقاييس كما أوضحها كولمان - لامبلى (١٩٧٠)[١٢٤] تتسبب فى تضخيم معاملات الارتباط بسبب الإذعان وخصوصا فى الجماعات المتعصبة.

نتائج الدراسات الحديثة فى جنوب أفريقيا:

لابد لأى دراسة تقارن بين دورى الانصياع الاجتماعى، والمحددات السيكولوجية للتعصب، أن تستخدم مجموعتين مختلفتين بصورة واضحة فى مستويات التعصب مع ضبط باقى المتغيرات. استخدم (بيتى جرو ١٩٥٩)[٤٩٣] فى بحثه الأصلى المقارنة بين عينتين من شمال وجنوب الولايات المتحدة على سبيل المثال، وبالمثل ستكون المقارنة بين البيض من متحدثى اللغة الإنجليزية ومتحدثي الأفريكانية على نفس المنوال. فهاتان الجماعتان متشابهتان فى نواحى كثيرة رغم اختلافهما فى اللغة التى يتحدثون بها، فهم يتشاركون فى التراث الأوروبى الغربى وهم يعيشون نفس الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. رغم هذه التشابهات الهامة، تشير الدراسات الأمبيريقية باستمرار إلى أن متحدثى الإنجليزية أقل فى درجة التعصب بصورة ملحوظة (هامبل -

كروب ١٩٧٧[٢٥٥]، كينلوخ ١٩٨٥[٣٣٣]، مينهاردت ١٩٨٠[٤٥٦]، نيـودت - نيل ١٩٧٥[٤٦٠]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، راى ١٩٨٠ب[٥٢٣]).

فى حين كان المتـحدثون بالأفريكانية مـرتفعين فى درجة التعصـب العنصرى فى علاقتهم بالمجتمعات الأخرى (كينلوخ ١٩٨٥[٣٣٣]، مينهاردت ١٩٨٠[٤٥٦]) فلم ينطبق ذلك الحكم عـلى المتحـدثين بالإنجليـزية، فمثـلا توصل راى (١٩٨٠ب)[٥٢٣] إلـىَ أن متوسط درجة التعصب فى عينة من المتحدثين بـالإنجليزية المقيمين فى جوهانسبرج قريبة من متوسط درجة التعصب عند الاستراليين البيض.

استخدم هامبل - كروب (١٩٧٧)[٢٥٥] عينة قومية ضخمة، ووجد أن المتحدثين بالإنجليزية فى جنـوب أفريقيا لهم اتجاهات تعصـبية قريبة من نظيراتهـا لدى البريطانيين البيض منها إلى البيض المتحدثين بالإنجليزية فى جنوب أفريقيا. أخيرا استخدم منهاردت ١٩٨٠ مقيـاس أدورنو وآخرين (١٩٥٠)[٧] الأصلى للتـمركز العنصرى للمـقارنة بين الطلاب فى جامعتين إحداهما للمتحدثين بالإنجليـزية والثانية للمتحدثين بالأفريكانية فى جوهانسبرج وعلى مسافة لا تزيد على بضعة كيلومترات. وتوصلت مقارنة بين متوسطى الدرجة على مقـياس أدورنو الأصلى بما سبق أن توصل اليه أدورنـو من نتائج على ٢٦ جمـاعة متنوعـة إلى ما يلى: « يمكـن أن توصف الجماعـة المتحدثة بـالأفريكانية بـأنها متعصبة جدا (م = ٤,٨٤ لكل فقرة). وبالمـقارنة بالجماعات التى درسها أدورنو نجد أن واحدة فقـط من بين ٢٦ جماعة فـى بحث أدورنو الأصلى كانـت اتجاهاتها سلبـية من اتجاهات الطلاب المتـحدثين بالأفريكانيـة، وذلك على العكس من متوسـط الدرجة التى حصل عليهـا الطلاب المتحدثون بالإنجليـزية (٣,٠٥ لكل فقرة) والتى كانت منـخفضة نسبيا. . . إذ لم تحصل سوى جماعتين فـقط من جماعات أدورنو على متوسط أقل من متوسط هذه الجماعة (ص١٤-١٥).

يعكس انخفاض درجات التعصب العنصرى للطلاب المتحدثين بالإنجليزية فى هذه الدراسة بغـير شك، انتشار المشاعـر والسلوكيات المضـادة للتمييز العـنصرى بين طلاب الجامعات المـتحدثين بالإنجليزية فى هذا الـوقت. قد ينتج عن ذلك الاختيـار عدم تمثيل هذه العينة للمجتمع العام للمتحدثين باللغة الإنجليزية، إلا أن النتائج تساعدنا فى إيضاح الفرق الملمـوس عموما فى مسـتوى بحوث التعصـب العنصرى فى جنوب أفريقـيا عند مقارنتها بين هذه الجماعات.

لكن هناك مشكلة هامة عند المقارنة البسـيطة بين الارتباط بين التسلطية والانصياع بالتعصب فى هاتـين الجماعتين الثقافتين الاجتـماعيتين الكبيرتين مثلـما فعلت الأبحاث السابقة لبـيتى جرو (١٩٥٩)[٤٩٣]. رغم الفـروق الواضحة الملمـوسة فقـد تكون هذه الجماعات متباينة فى التعصب، فحتى فى الجماعات عالية التعصب مثل الأفريكان توجد

داخلها فروق مهمة فى التعصب، مثل ما بين الريفيين والحضريين، وبين مرتفعى التعليم ومنخفضيه، وفيما بين المراكز المهنية المختلفة.

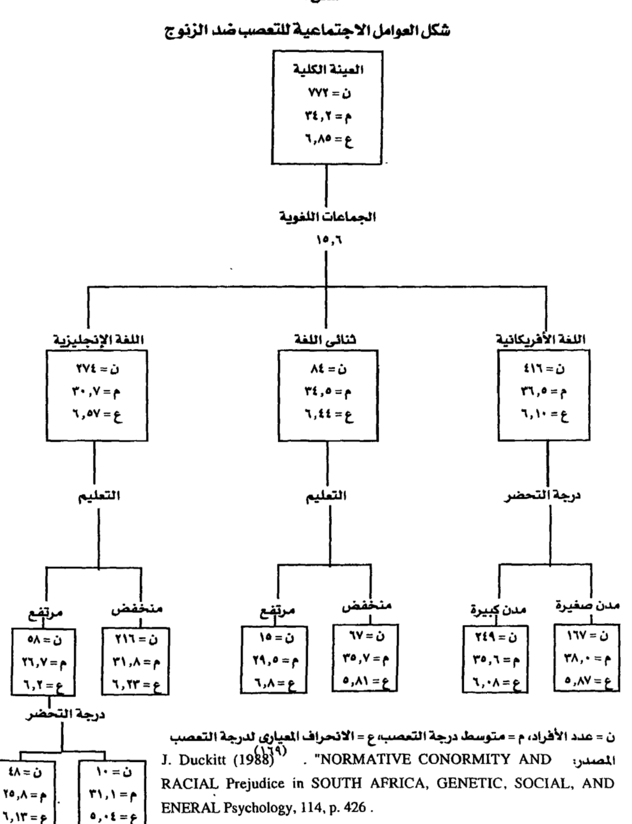
اتضحت مثل هذه الفروق فى دراسة أجراها مايكوفيتش (١٩٧٥)(٤٠٧) والذى استخدم مجموعات قومية أمريكية، واستخدم أسلوبا إحصائيا يسمى بالكشاف التفاعلى الاوتوماتيكى Automatic Interaction Detector (سونكويست ١٩٧٠)(٦١٥). ويتم خلال هذا الأسلوب تجزئة العينة إلى جماعات فرعية حسب العوامل الاجتماعية الديموجرافية، بحيث تكون متجانسة جدا على أساس من اتجاهاتهم التعصبية. كشفت النتائج أن الثقافة الفرعية الإقليمية عالية التعصب فى الجنوب تنقسم بشكل طبيعى إلى عدد من الجماعات الواضحة من حيث خصائصها الديموجرافية الاجتماعية، والمتجانسة داخليا فى درجة التعصب، والتى تختلف فى الغالب بصورة كبيرة عن الجماعات الأخرى فى المستويات العامة للتعصب.

يعنى ذلك أننا إذا أردنا اختبار افتراض العلاقة بين الانصياع والتسلطية وبين التعصب فى جماعات تختلف فى درجة الضغوط المعيارية للتعصب فيجب أن نميز بين هذه الجماعات، وذلك لم يحدث فى الأبحاث السابقة. على سبيل المثال أوجد بيتى جرو (١٩٥٩)(٤٩٣) وميدلتون (١٩٧٦)(٤٣٠) الارتباط ببساطة بين التسلطية والتعصب فى عينات مأخوذة من الجنوب والشمال الأمريكى حتى لو كانت كلتا الجماعتين غير متجانستين داخليا فى التعصب، فقد يكون الشخص الأصغر سنا والأكثر تعليما والذى يقطن المدن فى الجنوب على سبيل المثال أقل تعصبا من الشخص الأكبر سنا والأقل تعليما والذى يقطن المناطق الريفية فى الشمال (انظر ميكوفيتش ١٩٧٥)(٤٠٧).

الصورة النموذجية لبحث كهذا هى تحديد الجماعات الفرعية، واستخراج الارتباط بين التسلطية والتعصب فى كل منها. سارت دراسة حديثة لـلتعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا حسب هذا التوجه (دكت ١٩٨٨)(١٦٩) وذلك على عينة أكثر تمثيلا للبيض فى جنوب أفريقيا (ن = ٧٩٢). وتظهر الجماعات الفرعية التى انقسمت اليها العينة فى الشكل ٩-١ وذلك نتيجة للبرنامج الإحصائى XAID للتحليل (الكشاف الأوتوماتيكى الموسع للتفاعل) Extended Automatic Interaction Detector والـ XAID هو نسخة معدلة من أسلوب (AID) الأصلى لكونكويست. (انظر هادكنز - كاس ١٩٨٢)(٢٦٧). يشمل هذا البرنامج تطبيقا يتدرج الخطوات Step wise لتحليل التباين أحادى الاتجاه. فى كل خطوة يقوم تحليل التباين باختيار أكثر التصنيفات فعالية على أساس واحد من بين مجموعة من المتغيرات الديموجرافية الاجتماعية، وذلك ليتم تقسيم العينة إلى جماعات فرعية بأكبر قدر من التجانس فى الاتجاهات العنصرية. ويتم تقسيم الجماعات الفرعية بدورها وبنفس الطريقة حتى نصل إلى الدرجة التى لا تكون فيها أى تقسيمات جديدة دالة إحصائيا.

شكل ٩ - ١

شكل العوامل الاجتماعية للتعصب ضد الزنوج



ن = عدد الأفراد، م = متوسط درجة التعصب، ع = الانحراف المعيارى لدرجة التعصب

المصدر: J. Duckitt (1988)(١٦٩) . "NORMATIVE CONORMITY AND RACIAL Prejudice in SOUTH AFRICA, GENETIC, SOCIAL, AND ENERAL Psychology, 114, p. 426 .

كان أهم متغير ظهر من خلال هذا التحليل هو جماعات اللغة والتى تفسر ١٥,٦٪ من التباين فى التعصب، والتى على أساسه انقسمت العينة إلى ثلاث جماعات فرعية: المتحدثون بالإنجليزية كانوا الأقل تعصبا، المتحدثون بالأفريكانية كانوا الأكثر تعصبا، فى حين يشكل المتحدثون بكلتا اللغتين Bilingual والمتحدثون بلغات أخرى جماعات متوسطة فى درجة التعصب. داخل كل من الجماعة المتحدثة بالإنجليزية والجماعة الثنائية اللغة أو المتحدثة بلغة أخرى، كان المتغير المحدد للتعصب هو التعليم، حيث كانت درجة التعصب عند الذين أكملوا ثلاث سنوات أو أكثر بعد التعليم الثانوى أقل بصورة دالة عمن دونهم فى درجة التعليم فى كلتا الجماعتين. بالعكس كان المتغير الحاسم لدى الجماعة المتحدثة بالأفريكانية هو التحضر، فالمقيمون بمناطق العاصمة (نطلق عليها مدنا فى شكل ٩-١) أو فى المدن الكبرى هى أقل تعصبا من المقيمين فى المدن الصغرى. أخيرا فبين المتحدثين بالإنجليزية والمرتفعى التعليم، كان المقيمون فى العاصمة أقل تعصبا من نظرائهم المقيمين خارج العاصمة.

توصلنا من خلال برنامج تحليل XAID إلى سبع جماعات واضحة المعالم على أساس اجتماعى ديموجرافى وعلى درجة عالية من التجانس فى درجات التعصب داخل كل جماعة، وقد اختلفت الجماعات فيما بينها فى متوسط مستويات التعصب. الطبع ليست تلك جماعات فعلية، ولكن لغرض تحليل التسلطية والقابلية للانصياع كان من الضرورى تحقيق التجانس الداخلى على أساس التعصب ضد الزنوج، وكذلك تحديد الاختلافات بين الجماعات.

إذا كان التعصب فى جنوب أفريقيا ينتج أساسا عن ضغوط معيارية فسوف تختلف هذه الجماعات وفقا لدرجة الضغوط السائدة فى كل منها. فمن المدهش أن الجماعات التى ظهرت فى هذا التحليل تضم أهم الجماعات الاجتماعية السياسية فى جنوب أفريقيا، ومن بين هذه الجماعات السبعة التى توصل إليها البرنامج الإحصائى نجد أن المتحدثين بالإنجليزية، ذوى التعليم العالى، والقاطنون فى العاصمة ومناطقها يميلون إلى مساندة الحزب الليبرالى الديمقراطى.

يفترض حصول الجماعتين المتحدثتين بالإنجليزية على متوسط متقارب جدا فى درجة التعصب أن تكونا ممثلتين للاتجاه الأكثر محافظة بين المتحدثين بالانجليزية فى جنوب أفريقيا وهو الاتجاه الذى شكل عصب الحزب الموحد المعارض قديم التكوين. أما الجماعتان الأكثر عددا من المتحدثين بالأفريكانية فكانتا تمثلان مجتمع المتحدثين بالأفريكانية والذى يعيش فى العاصمة والمدن الكبرى، هذا المجتمع الذى شكل أساس

الحزب الوطنى الحاكم، فى حين شكل الذين يعيشون فى المدن الصغيرة أساس الاتجاه الريفى اليمينى المعارض فى جنوب أفريقيا وهو ما ليس بالحزب المحافظ. من الواضح أن هذه الجماعات التى قسمت على أساس أمبيريقى تتمتع بدرجة من الصدق الواقعى، ويعكس ذلك دليلا قاطعا على أن الاتجاهات التعصبية والسياسة العنصرية هى القضية الأساسية التى تدور حولها سياسة جنوب أفريقيا البيضاء. (هانف - ويلاند - فايرداج ١٩٨١)[٢٥٧].

إذا كان التعصب فى الجماعات عالية التعصب يتحدد بالضغوط المعيارية للانصياع، فيجب أن يكون الانصياع أكثر أهمية والتسلط أقل منها فى ارتباطهما بالاتجاهات التعصبية فى الجماعات عالية التعصب. غير أن نتائج هذه الدراسة كما بينها جدول ٩-٢ لا تساند ذلك الاستنتاج على الإطلاق، فلم توضح مقاييس الانصياع التى سبق أن أثبتت صدقا عاليا فى مقياس الميل إلى الانصياع للضغوط الاجتماعية (مقياس مارلو - كراون م-س للدافعية نحو الموافقة) مارلو - كراون ١٩٦١[٣٩٩]، ستريكلاند ١٩٧٠[٦٣٥]، ستريكلاند - كراون ١٩٦٢[٦٣٦]). لم توضح هذه الدرجة علاقة ذات قيمة بالتعصب العنصرى سواء فى العينة الكلية أو فى عينات متحدثى الانجليزية - الأفريكانية مستقلتين أو فى أى واحدة من الجماعات الفرعية التى توصلنا اليها من تحليل XAID.

من ناحية أخرى كانت التسلطية كما يقيسها مقياس راى (١٩٧٩ب)[٥٢٢] المتوازن للفاشية F مصدرا هاما للتنبؤ بالتعصب حيث كان الارتباط بين العنصرية والتسلطية فى العينة جميعها ٥٠,، وارتبطت التسلطية بصورة موجبة مع التعصب بدرجات عالية من الدلالة الإحصائية فى كل الجماعات الفرعية. لكن كانت هناك جماعة فرعية واحدة فقط وهى رقم ٣ كان الارتباط فيها رغم دلالته الاحصائية منخفضا (٢٣,). لكن كان فى جماعة منخفضة التعصب، كذلك كانت هناك عوامل خارجية عديدة متدخلة عملت على تحقيق هذا الارتباط:

أولا : أن التباين فى درجات التسلطية كان محددا جدا فى هذه المجموعة.

ثانيا : أن ثبات مقياس التسلطية فى هذه المجموعة كان منخفضا جدا.

ومن الواضح أنه فى الارتباطات التى يعرضها جدول ٩-٢ لا يوجد ميل نحو انخفاض أهمية التسلطية فى التنبؤ بالتعصب، وكذلك لا يوجد ميل نحو دافعية الموافقة لأن تصبح أكثر أهمية فى التنبؤ بالتعصب لدى الجماعات عالية التعصب.

جدول ٩ - ٢

الارتباط بين مقياس ف المتوازن والدافع للموافقة وبين التعصب العنصر في جماعات اجتماعية مختلفة

الجماعات الاجتماعية	مقياس ف المتوازن	الدافع للموافقة	عدد الأفراد
انجليزى، تعليم عالى، العاصمة	٤٩ر ●●	٠,٠٩	٤٦
إنجليزى، تعليم عالى، مدينة صغيرة	٦٢ر ●	- ٠,٠٧	١٠
إنجليزى، تعليم منخفض	●● ٠,٢٣	● ٠,١٤	٢١٤
ثنائى اللغة، تعليم عالى	●● ٠,٦٧	٠,٠٤	١٥
ثنائى اللغة، تعليم منخفض	●● ٠,٤٢	٠,٢٤	٦٨
أفريكان، مدن صغيرة	●● ٠,٣٨	٠,١١	١٦٦
جميع من يتحدث بالإنجليزية	●● ٠,٣٦	٠,١٢	٢٦٣
جميع من يتحدث بالأفريكانية	●● ٠,٤٣	٠,٠٣	٤١١
● دالة غير مستوى ٥ ٪ ●● دالة غير مستوى ١ ٪			

كان للإحباط والتوافق النفسى أيضا ارتباط بالتعصب (انظر الفصل ٨) ولكن لم يظهر فى أى من الحالات التى يعرضها الجدول ارتباط دال مع التعصب فى المبحوثين البيض بجنوب أفريقيا. فاذا كان ذلك يعود إلى أن الطابع المعيارى للتعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا يقلل من أهمية ارتباطه بالجانب النفسى، يترتب على ذلك ميل لمثل هذه الارتباطات إلى أن تكون أقوى لدى الجماعات الأقل تعصبا. فحص هذا الافتراض على ضوء عدد من مؤشرات التوافق النفسى (القلق - الاكتئاب - الاضطراب المعرفى - القابلية للتوتر)، والإحباط (الغضب، الحرمان النسبى، الضغوط الاقتصادية، ضغوط العمل، الضغوط الوالدية، الضغوط الزواجية). فى كل الحالات، كان الارتباط بالتعصب العنصرى غير دال، ولم يظهر الميل إطلاقا لأن تصبح هذه الارتباطات قوية فى

الجماعـات الأقل تعصبـا. (انظر دكت ١٩٨٨)[١٦٩]. أتاحت بـيانات هذه الـدراسة الفرصة لاختبار ما أكده بيتى جرو (١٩٥٩)[٤٩٣] أن المتغيرات الاجتماعية التى تشير إلى درجة تعـرض الأفراد للضغـوط المعيارية سـتصبح مـؤشرا تنبؤيا لـلاتجاه التعصـبى فى الجماعات الاجتماعية عالية التعصب بالمقـارنة بنظيراتها منخفضة التعصب. وكما سبق أن لاحظنا أن نتائج بيتى جرو الأصلية والتى قامت على مقارنة عينات بين الشمال والجنوب الأمريكى لم يمكن تكرارها مرة أخرى بصورة مرضية. . .

فى الدراسـة الحالية تم مـقارنة سبـعة متغـيرات اجتـماعيـة يبدو أنها مـؤشرات «للتعرض المعيارى» Normative Exposure من حيث مدى قدرتها التـنبؤية بالتعصب العنصرى فى العينة الكلية للمتحدثين بالإنجليزية مقابل المتحدثين بالأفريكانية، كانت هذه المتغيرات هى: الجنس، الذهاب للكنيسة، الـتعليم، الدخل والمهنة، المعيشة فى المدن - القرى - المدن الصغرى، الحالة الزواجية.

استـخدم بيتى جـرو المتغيـرات الثلاثة الأولى فى تحـليله الأول، وكمـا سبق أن لاحظنا تصـور بيتى جرو أن الـنساء وهن «ناقلات الثـقافة» يعـانون ضغوطا للانـصياع للمعايـير الاجتماعية أقـوى مما يعانيه الرجال (انـظر ارليخ أيضا ١٩٧٣)[١٧٩]. بنفس الطريقة نجد أن الدرجة العـالية مقابل المنخفضة فى التردد على الـكنيسة تعكس الأعراف الاجتماعية Mores بدرجة أقوى، فى حين كان مرتفعو التعليم أكثر قابلية للانحراف عن المعايير التقليدية الاجتماعية وذلك بسبب خبراتهم الخاصة ودراستهم.

استـمرارا لهذا الخط الـفكرى سنتوقع مـن الأشخاص ذوى المكانـة الاجتماعـية الاقتصاديـة العالية (الأعلى فى الدخل والمكانـة المهنية) والأشخاص الذين يعـيشون فى مناطق عاليـة التموين، سيكونـون أكثر قابلية للانـحراف عن المعايير التـقليدية (أورين ١٩٧٥[٤٧٩]، بيتى جرو ١٩٥٩[٤٩٣]). أخيرا فالأشخاص المطلقين والمنفصلين بسبب هامشيتـهم الاجتماعية فى مجـتمع تقليدى نوعا سيـميلون إلى مواجهة ضغوط ضـعيفة للانصياع بالمقارنة بالمتزوجين أو الأرامل.

لم تؤكد مقارنة قدرة هذه المتغيرات الاجتماعية على التنبؤ بالتعصب بين المتحدثين بالإنجليزية والأفريكانية - وتوقعات بيتى جرو (دكت ١٩٨٨ «جدول ١»)[١٦٩]، حيث لم يظهر ميـل لهذه المتغيرات إلى الارتباط القـوى بالاتجاهات التعصبيـة فى الجماعات عاليـة التعصب من المـتحدثين بالأفريـكانية، لم يوضح الجنـس، التردد على الكنـيسة والحالة الزواجية دلالة احصائية فى ارتباطهم بالتعصب فى جماعاتهم، كذلك لم يتضح للدخل ارتباط عـندما نقوم بضبط التعليـم بطريقة إحصائية. ارتبطت درجـة التمدين

Urbanicity والمهنة بالتعصب (الأشخاص المتمدينون Urban ذوى المكانة المهنية العالية أقل فى التعصب، وذلك بنفس المستوى فى كلتا الجماعتين). أخيرا، أظهرت الدراسة الحالية نتيجة عكس ما توصل إليه بيتى جرو وافترضت أن التعليم متنبىء قوى بالتعصب فى الجماعة الإنجليزية (ر = ٣٤, دالة احصائيا عن ١٠,) ولكن لم يكن ذلك الحال فى الجماعة الأفريكانية (ر= ١٠, غير دالة إحصائيا).

رغم الاختلاف الكبير عن افتراضات بيتى جرو فقد كان متغير التعليم واضحا فى الدراسات المبكرة كما اتضح فى الدراسة الحالية، فمثلا وجدت دراستان سابقتان استخدمتا عينات قومية أن للتعليم تأثيرا قويا ودالا على التعصب العنصرى بين المتحدثين بالإنجليزية عن المتحدثين بالأفريكانية (هامبل كروب ١٩٧٧[٢٥٥]، ليفر ١٩٨٠[٣٦٨]). تثير هذه النتائج عموما قضيتين تحتاجان إلى تفسير، الأولى لماذا يجب أن يرتبط التعليم بقوة أكبر بالتعصب عند الجماعة الإنجليزية الأقل تعصبا؟.

القضية الثانية كيف يمكن تفسير آثار هذه المتغيرات الاجتماعية كالتعليم - المهنة - التمدين؟.

سبق استعراض الحالة العامة للبحوث على العلاقة بين المتغيرات الاجتماعية - الديموجرافية وبين التعصب بالتفصيل فى الفصل الثانى، حينما طرحنا تفسيرين بديلين للآثار التى لوحظت. أول هذين التفسيرين هو الفكرة التى نناقشها فى هذا الفصل والتى افترضها بيتى جرو (١٩٥٩)[٤٩٣] وآخرون... وهى أن هذه المتغيرات ترتبط بالتعصب لأنها تعكس درجة تعرض الأفراد للضغوط نحو الانصياع لمعيار التعصب. يتوقع هذا الافتراض أن هذه المتغيرات سترتبط بقوة بالتعصب كلما كان المجتمع محكوما بالتعصب المعيارى، وذلك مما لم تسانده النتائج فى الدراسة الحالية. كان التفسير الآخر هو أن هذه المتغيرات تشير إلى الثراء المعرفى Conitive Sophistication (كرستى ١٩٥٤[١١٩]، جلوك وآخرون ١٩٧٥[٢٢٨]، كيلمان - باركلى ١٩٦٣[٣٢٣]، سلزنك - شتاينبرج ١٩٦٩[٥٨٨]). على هذا النحو فستشير هذه المتغيرات إلى استعداد معمم للتسامح Tolerance أو عدم التسامح والذى ينشأ عن اتساع وتنوع وشمولية خبرات الشخص الاجتماعية والبيئية، وهذا بالاضافة إلى الطاقة أو الوسع المعرفى Cognitive Capacity.

يتوقع هذا الافتراض أن هذه المتغيرات تظهر ارتباطات مشابهة للارتباطات التعصب مع جماعات اجتماعية ثقافية مختلفة، على ذلك فتأثير المهنة والتمدين على التعصب الذى توصلت إليه هذه الدراسة يمكن تفسيرها على أساس الثراء المعرفى. فقد

يفسر الثراء المعرفى لماذا يرتبط التعليم بالتعصب بدرجة ضعيفة عن متحدثى الأفريكانية بالمقارنة بمتحدثى الإنجليزية حيث توجد فروق هامة بين المؤسسات فى جنوب أفريقيا حسب لغة التعليم كالإنجليزية أو الأفريكانية (هوفماير ١٩٨٢)[٢٨٤]. تفرض المؤسسات التعليمية باللغة الأفريكانية منظورا تسلطيا فى التعليم (التعليم القومى المسيحى) بكل صرامة، مع تركيز قوى على تعليم وتدعيم القيم التقليدية الأفريكانية والتوحد بالجماعة. يميل التعليم لأن يصبح أقل تسلطية فى المدارس الإنجليزية العامة كما أنه ليبرالى - تحررى - الطابع فى كل من المدارس الخاصة والجامعات باللغة الإنجليزية. ويبدو من السهل القول أن زيادة التسلطية فى التعليم عند الأطفال الأفريكان يضيق نظرتهم التحررية والشاملة، هذه النظرة التى تعتبر مكونا حاسما فى الثراء Sophistication (كيلمان - باركلى ١٩٦٣[٣٢٣]، سلزنك - شتاينبرج ١٩٦٩)[٥٨٨]. مما يفسر التأثير الضعيف للتعليم على التعصب بين الأفريكان. وبينما كان استخدام راى لمقياس ف F المتوازن تطويرا لمقاييس للتسلطية سبق استخدامها فى جنوب أفريقيا، فقد كان ثباته هزيلا (١٩٧٢)[٥١٨] حيث كان معامل ألفا ٦٣, فقط، مما يزيد من احتمال أن يؤدى استخدام مقياس أفضل وأكثر ثباتا للتسلطية إلى ارتباطات أقوى بالتعصب عما سبق الحصول عليه باستخدام هذا المقياس.

لاحظنا فى الفصل السابق نجاح مقياس RWA لالتيمير (١٩٨١[١٦]، ١٩٨٨أ[١٧]) كأداة جديدة لقياس التسلطية فى بحوث أمريكا الشمالية، وقد استخدمت دراستان فى جنوب أفريقيا هذا المقياس، وأكدت كلاهما نتيجة أن التسلطية محدد هام للتعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا (دكت ١٩٩٠ب)[١٧٢]. استخدمت أولى هذه الدراسات عينة من ٢١٧طالبا فى جامعة ناتال، وتم اختبار ثبات وصدق المقياس واتضح أنهما مقبولان جدا. على سبيل المثال اتضح أن مقياس RWA له بعد عاملى واحد وأنه على درجة عالية من الثبات (كان معامل ألفا ٩٣,). ارتبطت الدرجة على المقياس بقوة وبدلالة عالية بمحكات صدق التسلطية مثل معارضة الرقابة على المطبوعات (ر = -٥٣,)، معارضة الاحتجاز بغير محاكمة (ر = ٥٦,) مساندة الحق فى الاحتجاج السلمى (ر = ٦٤,). تقدير الذات على أساس التحررية - المحافظة (ر = ٦٤,)، قبول وجهات نظر الدينية للوالدين (ر = ٦٤,)، تفضيل حزب سياسى معين (ايتا = ٦٣,). ويتضح الارتباط بين الدرجة على مقياس RWA وعدد من مؤشرات التعصب والتمييز من هذه العينة وعينة أخرى (باستخدام ٣٠٣ طالبا فى جامعة وتواترسراند) فى الجدول ٩-٣ والتى تؤكد نتائجه أن التسلطية محدد قوى للتعصب فى جنوب أفريقيا.

الحقيقـة أن المقياس كلما كان جيـدا وأكثر ثباتا، تزيد معامـلات ارتباطه، وعلى ذلك كان ارتباط مقياس أوربن المتوازن للفاشية F ضعيفا مع العنصرية. أما مقياس راى المتوازن للفاشية F والذى كان أفضل نوعا لكن ثباته لم يكن كافيا، فقد أنتج ارتباطات أقوى، واتضح أن مقياس RWA المرتفع الثبات والصادق فـى جنوب أفريقيا قد أدى إلى ارتباطات قوية جدا. هناك دراستان أحدث من ذلك استخـدمتا طرقا منهجية مختلفة جدا وأكدتا ما سبق استنتاجه من أن الانصيـاع لا يبدو محددا هاما للاتجاهات العنصرية فى جنوب أفريقيا.

وسعت هـاتان الدراستـان من نتائجـهما بدراسـة الانصياع لـيس على مسـتوى الجماعات الثانوية، بل على مستوى الجماعات الأولية، فقد أوضحت الدراسة التى سبق أن تعرضنا لها أن الاتجاهات الـعنصرية قد لا تحددها الضغوط الاجتماعـية المعيارية من الجماعـات الثقافية الاجتـماعية العريـضة، غير أن نتائج دراسـات أخرى أوضحت أن معايير الجماعات الاجتماعية الثانوية العريضة لها تأثير ضعيف بالمقارنة بمعايير الجماعات الأولية والأشـخاص ذوى الأهمـية Significant Others كالأسـرة والأصدقاء (هـير ١٩٧٦)(٢٦٠).

جدول ٩ - ٣

الارتباط بين مقياس RWA مع درجات التعصب والسلوك التمييزى فى عينتين بجنوب أفريقيا.

الدراسة الأولى ن = ٢١٧ طالبا		الدراسة الثانية ن = ٣٠٢ طالبا	
المقاييس	معامل الارتباط	المقاييس	معامل الارتباط
مقياس العنصرية الخفية	٠,٦٩	مقياس العنصرية الخفية	٠,٦٣
مقياس الاتجاه ضد السود	٠,٥٣	المقياس المعدل للمسافة الاجتماعية	٠,٦٥
مقياس المسافة الاجتماعية مع السود	٠,٥٦	مقياس السلوك بين العناصر	٠,٣٦
المقياس المعدل للمسافة الاجتماعية	٠,٦٣		

المصدر: J. Duckitt (1991),. "PREJUDICE AND RACISM" IN FOSTER, J. Louw - Potgieter (Eds). "Social psychology in south AFRICA" south AFRICA: Lexicon. ١٩٩١,

بذلك قد لا تكون آثار الانصياع واضحة على مستوى الجماعات الثانوية لكنها تظهر بوضوح على مستوى الجماعة الأولية، والحقيقة أن عددا من الدراسات السابقة خصوصا فى الولايات المتحدة وجدت أن مقاييس إدراك الضغوط الاجتماعية من الأشخاص ذوى الأهمية كالأصدقاء والأسرة ترتبط بالاتجاهات التعصبية بصورة دالة إحصائيا (مثال ايوين - إرليخ ١٩٧٢[١٨٦]، فندريك ١٩٦٧[١٩٤]، هامبلين ١٩٦٢، سيلفرمان - كوشران ١٩٧٢)[٦٠١]. تفسر هذه النتائج غالبا على أنها تشير إلى أن الضغوط الاجتماعية تسبب الاتجاهات التعصبية. غير أنه ظهرت تفسيرات بديلة وأكثر بساطة، فمثلا حالة الأسرة قد تعكس الارتباط ببساطة بين تعلم الاتجاهات التعصبية من الآباء وباقى أعضاء الأسرة خلال مرحلة الطفولة.

فى حالة الأصدقاء قد يعكس هذا الارتباط ميلا معروفا إلى تفضيل واختيار الأشخاص كأصدقاء على أساس تشابه الاتجاهات.

فى الدراسة الأولى تم توسيع التصميم المنهجى ثنائى العامل ليصبح تصميما تفاعليا من خلال دمج ثلاثة مقاييس مختلفة للقابلية للانصياع Conformity Prone-ness (دكت ١٩٩٠ب)[١٧٢]: مقياس الدافعية للموافقة Aprroval لمارلو - كراون والذى سبق استعراضه، مقياس التلقائية Autonomy ، مأخوذ من مقياس جاكسون (١٩٦٧)[٣٠٣] لبحوث الشخصية، ومقياس لور (١٩٨٢)[٣٨٥] للانصياع.

وقد تم التأكد من صدق المقياسين الأخيرين من خلال ما اتضح أنهما يرتبطان بقوة بتقديرات الأفراد لأنفسهم وتقدير أصدقائهم لهم على درجة السلوك الانصياعى لهم.

إذا كانت الرابطة بين ادراك الضغوط الاجتماعية من الأسرة والأصدقاء وبين الاتجاهات العنصرية ترجع إلى الانصياع، فهذه الرابطة يجب أن تكون أقوى لدى الأشخاص الأقوى انصياعا بالمقارنة بمن هم أقل انصياعا، لم تساند النتائج من عينة قوامها ٣٠٣ طالبا فى جنوب أفريقيا هذه التوقعات حيث لم تتأثر الرابطة بين إدراك الضغوط والتعصب العنصرى بدرجة انصياع المبحوثين، بذلك لم يكن هناك ميل على الإطلاق لظهور ارتباط بين إدراك الضغوط الاجتماعية من الآخرين ذوى الأهمية Sig-nificant عند المنصاعين أكثر من غير المنصاعين؛ وذلك فى أى من الدرجات الثلاثة للانصياع. يعنى ذلك أن هذا الارتباط لا يمكن تفسيره على أساس آليات الانصياع، وأن من المحتمل أن يعكس تأثير عمليات مثل التعليم المبكر والاختيار المتجانس. أكدت تحليلات متنوعة أخرى فى هذه الدراسة نتيجة أن الانصياع لمعايير الجماعة على مستوى الجماعة الأولية لا يبدو عاملا دالا فى تحديد الاتجاهات العنصرية للطلاب.

لم تظهر أى من مقاييس الانصياع الثلاثة ارتباطات ذات قيمة مع التعصب العنصرى، كذلك لم تظهر المقاييس الثلاثة للانصياع ارتباطات قوية بدرجة انحراف الطلاب عن المستويات المعيارية للتعصب فى الطبقة التى ينتمون إليها. كان أقوى هذه الارتباطات ١٩, مما يدل على ارتباط ضعيف بين الانصياع والتعصب العنصرى، وعموما فالانصياع لمعايير الجماعة الأولية وللضغوط الاجتماعية من الأسرة والأصدقاء يظهر أن لها تأثيرا ضعيفا على الاتجاهات التعصبية عند طلاب الجامعة بجنوب أفريقيا.

فحصت الدراسة الثانية التغير فى الاتجاهات التعصبية لدى المهاجرين البريطانيين إلى جنوب أفريقيا (تايسون - دكت ١٩٩٠)(٦٧٧) وذلك بمقارنة درجاتهم قبل الهجرة مباشرة، بدرجاتهم بعد الاستقرارا فى جنوب أفريقيا بثلاثة أشهر و ١٢ شهرا. غير أنه كما يتضح فى شكل ٩-٢ لم يكن التغير راجعا إلى الانصياع للضغوط الاجتماعية، فالاتجاهات العنصرية لم ترتبط بشكل دال بالاتجاهات المعيارية الجديدة السائدة التى واجهها هؤلاء المهاجرون. كذلك لم توضح هذه الدراسة تغيرا أكبر فى الاتجاهات عند الأشخاص الأكثر انصياعا بالمقارنة بالأقل انصياعا .

إذا تناولنا هذه الدراسات واحدة بعد أخرى، فلن نجد واحدة منها ذات دلالة، فقد استخدمت الدراسة على المهاجرين البريطانيين عينات صغيرة نسبيا على سبيل المثال، وكانت البيانات متاحة عن تسعة عشر مبحوثا بعد عام كامل من المتابعة، وعن أربعة وعشرين مبحوثا بعد ثلاثة شهور من الهجرة. لكن النتائج كانت متسقة جدا فى الدراسات الثلاثة، فالتسلطية ترتبط بالتعصب بدرجة قوية فى جنوب أفريقيا، ويحدث ذلك حتى فى الجماعات الفرعية عالية التعصب مثل الأفريكان غير الحضريين كما يوضح الشكل ٩-١ .أكثر من ذلك كلما يكون مقياس التسلط أفضل، تزيد العلاقة قوة، من جهة أخرى لا يرتبط الانصياع بالتعصب العنصرى بين البيض فى جنوب أفريقيا، وقد تأكدت النتائج باستخدام مقاييس جيدة الإعداد ومرتفعة الصدق للانصياع الاجتماعى كذلك تكررت نتائجها باستخدام تصميمات بحثية مختلفة.

تثير هذه النتائج بعض أسئلة منها كيف نفسر النتائج السابق ظهورها، كيف وصلت الدراسات الأولى إلى ارتباطات ضعيفة بين التسلطية والعنصرية ولكن ارتباطات قوية بين الانصياع والعنصرية، لهذا السؤال نتائج منهجية هامة غالبا كانت مهملة، منها مامدى صدق نتائج البحوث الاجتماعية التى تستخدم الاستبيانات أو المقاييس فى مقياس مكونات مثل التعصب، التسلطية، والانصياع، يعتمد ذلك بصورة حرجة على صدق المقاييس المستخدمة، لسوء الحظ امتلأ تراث البحث الاجتماعى بمقاييس غير جيدة أو غير صادقة، والنموذج على ذلك كان مقياس F الذى ابتكره أدورنو (١٩٥٠)، وفى

هذا الصدد تحفل دراسة الـتيمير (١٩٨١)[١٦] بتوثيق للدراسات غـير ذات الفائدة والتى تتبعتها فى عـدد من العقود. وبينما تركز الأبحاث الحديثة بجنوب أفـريقيا على استخدام المقاييـس الكافية من حـيث الصدق والثبات، فـلم يكن ذلك هو الحال فى الـبحوث السابقة بجنوب أفـريقيا، فقد استخدمت أبحـاث كثيرة بجنوب أفريقيا فـى فترة سابقة مقياس F لأدورنو، بما سبق أن لاحظناه من عيوب ومشكلات.

النتائج النظرية :

للنتـائج الجديدة التى ناقـشناها فى الجزء السـابق نتائج نظـرية هامة فى تفـسير الاتجاهات التعصـبية فى جنوب أفريقيا، وفـى فهمنا للتعصب عمـوما، ويبدو أن هناك ثلاث قضايا هامة فى هذا الصدد وسوف نناقشها ببعض التفصيل:

الأولـى: تشيـر هذه النتائـج إلى أن الضغوط المـعيارية لـلانصياع قـد تكون أقل أهمية فى تشكيل الاتجاهات التعصبية فى المجتمعات عالية التعصب عما يشيع عموما من افتراضات حول أهميتها.

يعنى ذلك أن من الضرورة بمكان أن نعيد تقييم اتجـاه مباشر أثر الانصياع للمعايير على التعصب.

الثانية: نظرا لما اتضح أن المستويات العالية من التـعصب العنصرى فى مجتمعات مثل مجتمع البيض فى جنوب أفريقيا لا يمكن أن تعود إلى العوامل النفسية (دكت ١٩٨٨[١٦٩]، كينلوخ ١٩٧٤[٣٣٣]، ميدلتون ١٩٧٦[٤٣٠]، بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٦٠[٤٩٤])، فقد تـكون هناك عوامل أخـرى مؤثرة بخلاف الانصـياع للمعـيار، ويشير ذلك إلى حاجة العلماء الاجتماعيية إلى الانتباه إلى هذه العوامل الأخرى التى قد تكون مسـئولة عن المستويات الـعالية من التعصب الـعنصرى فى مجتمـعات مثل جنوب أفريقيا.

الثالثة: وربما كانت أهم الـنقاط جميعـا وهى أن هذه النتائج تسـاع فى إيضاح طبيعة العلاقات المتبادلة بين العوامل الاجتماعية والعوامل النفسية فى التعصب.

إعادة تقييم اتجاه الانصياع للمعايير :

الواضح أن النتائج الجديدة فى جنوب أفريقـيا تتناقض مع أغلب ما توصل إليه (بيتى جرو من نتـائج كلاسيكية ١٩٨٥[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤])، فى أن الضغـوط المعيارية للانـصياع محدد هـام للاتجاهات التعـصبية فى المجـتمعات عـالية التعـصب. يعتبر هذا الاتجاه واسـع الانتشار وشـائع الـقبـول (مثال آشـمور - ديلبوكا ١٩٧٦[٢٧]، هـاردنج وآخـرون ١٩٦٩[٢٥٩]، أوربـن١٩٧٥[١٧٩]، بـيـتـى جـرو

١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]، سيجال وآخرون ١٩٩٠[٥٨٧]، تيرنر - جيليس ١٩٨١[٦٧٤]) وذلك لأن هناك أسباب منطقية وملموسة للمبالغة فى دور الضغوط المعيارية والانصياع فى تحديد التعصب. أحد الاعتبارات هى أن الضغوط المعيارية يمكن تجنبها بسهولة فى الاطار الاجتماعى الطبيعى، فالاتجاهات أقل وضوحا من الناحية الاجتماعية بالمقارنة بالسلوك، لذلك فهى أقل تعرضا للعقوبات والضبط من السلوك. وكما يوضح البحث فيما يسمى بالعنصرية الجديدة ليس من الصعب على المشاعر العنصرية أن تتخفى فى صورة قيم للمساواة أو فى صور قيمية مقبولة لدى العموم. (ماكوناهاى - هيوز ١٩٧٦)[٤١٧].

من المفترض أن عكس ذلك ممكن أيضا: فالأشخاص غير المتعصبين قد يحملون بعضا من المعتقدات التى تشيع فى وسط اجتماعى متعصب دون مشاركة منهم لهذا المجتمع فى الوجدان المصاحب للتعصب. هذا بالإضافة إلى أن الأفراد فى المجتمعات الصناعية الحديثة يتوفر لديهم مدى أوسع فى اختيار المواقف، المعلومات والأشخاص المرجعيين والتى تؤيد أو لا تتناقض على الأقل مع المستدمجة (بيرن ١٩٧١)[١٠٤].

قد يساعد ذلك على تفسير تلك النتائج واسعة الانتشار رغم أنها محيرة: فالأشخاص الذين لديهم مشاعر عنصرية والتى هى فى الواقع مختلفة تماما فى ظروفها الاجتماعية أو مجتمعاتها لكنهم يدركون غالبا قدرا كبيرا من المساندة الاجتماعية أو مساندة الأغلبية على ما يعبرون عنه من آراء . (أو جورمان ١٩٧٥[٤٦٧]، أو جرمان - جارى ١٩٧٦[٤٧٧]، سيلفر مان - كوشران ١٩٧٢[٦٠١]).

اعتبار ثان هو أن التفسير بالانصياع يميل إلى الافتراض المسبق لعدد من العلاقات البسيطة والأحادية الاتجاه بين الجماعة والفرد، ويعنى ذلك أن المعايير فى تصورهم هى قواعد تعسفية مفروضة من الخارج على الأفراد الذين يخضعون لها بصورة سلبية وآلية.

من المشكوك فيه ما إذا كانت هذه المعلومات صحيحة على إطلاقها خارج المواقف المعملية، أو خارج المواقف الاستثنائية الشاذة، ففى الجماعات والمواقف الاجتماعية الطبيعية تخرج المعايير وتتبلور من خلال معتقدات أفراد الجماعة عن أهدافهم واهتماماتهم (هير ١٩٧٦[٢٦٠] ص١٩-٢٠). يعنى ذلك أن السلوك والمعتقدات التى تتطابق مع معايير الجماعة لا تتضمن بالقطع الانصياع كعملية سيكولوجية، على الأقل بالنسبة لغالبية أعضاء الجماعة فى أغلب الأوقات. أوضحت الدراسات الأكثر حداثة على تأثير الأقليات أن الأغلبية لا تسود برأيها على رأى

الأقلية حتى فى مواقف الجماعات الصغيرة ، وأن الخضوع للضغوط الاجتماعية ليس الأساس الفعال لتقبل واستدماج المعتقدات. (هوفمان ١٩٧٧[٢٨٣]، ماس-كلارك ١٩٨٤[٣٨٩]).

ثار الجدل نتيجة لذلك فى أن اتجاه التفسير التقليدى بالانصياع بالغ فى تقدير تأثير الجماعة على أفرادها وتجاهل بشدة أثر الأفراد على الجماعة. (مورلاند - ليفين ١٩٨٢)[٤٤٦]، وذلك بناء على ما ظهر فى العقود الماضية من النتائج الأمبيريقية التى لا تتفق مع ما سبق من التأكيد على أهمية الانصياع المعيارى فى تشكيل الاتجاهات التعصبية. فمثلا اتضح أن الاتجاهات العنصرية تميل لأن تكون مشاعر سطحية نوعا، تتغير تبعا للمواقف والضغوط، ولقد اتضح ذلك من البحوث على مفهوم العنصرية الرمزية أو الحديثة، والتى تفترض أنه رغم التغير الكبير فى المعايير الاجتماعية، فالأساس الوجدانى الكامن للتعصب العنصرى يقاوم التغير بصورة ملحوظة. ويعبر التعصب العنصرى عن نفسه ببساطة خلال معتقدات مختلفة نوعا (كروسبى وآخرون ١٩٨٠[١٤٣]، ماكوناهاى - هيوز ١٩٧٦[٤١٧]، سيرز - كيندر ١٩٨٥[٥٨٠]).

تفترض تلك الأدبيات أن المشاعر التعصبية الأساسية تتكون من خلال التعليم المبكر والتنشئة الطفلية (ماكوناهاى - هيوز ١٩٧٦)[٤١٧]. هناك عدد آخر من النتائج يشير إلى أنه بمجرد استدماج الاتجاهات العنصرية، فمن الصعب أن تتغير، وتشير هذه النتائج إلى الطريقة التى يحدث بهى التغير التاريخى فى التعصب. اتضح على سبيل المثال أن أكثر التغيرات فى التعصب العنصرى ومعاداة السامية فى أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية ظهرت خلال مجموعات عمرية متتابعة اتضح أنها تميل إلى أن تكون أقل تعصبا كلما قل العمر. (فاير بوه - ديفيز ١٩٨٨[٢٠١]، مارتاير - كلارك ١٩٨٢[٤٠٢]، ويثنو ١٩٨٢[٧٢٢]). ومرة ثانية يفترض ذلك أن هذه الاتجاهات تكتسب خلال التعلم الاجتماعى فى الطفولة وأنه بمجرد استدماجها تميل إلى مقاومة التغير.

يوجد على وجه العموم عدد من الأسباب الأمبيريقية والمادية التى تدفعنا للتقليل من أهمية الانصياع للضغوط المعيارية كعامل عام فى تشكيل الاتجاهات التعصبية. لكن ذلك لا يعنى أن الانصياع ليس هاما، فقد تكون هناك ظروفا معينة أو تركيبة من الظروف التى لو توافرت فسيكون للانصياع للضغوط تأثيرا فى التعصّب. توصلت إلى هذه النتيجة دراسات تجريبية لخلق سلوك انصياعى Conformoing Behavior تحت ظروف تجريبية خاصة (آش ١٩٥٢[٢٥] - ميلجرام ١٩٧٤)[٤٣١]. ووجد باجلى - فرما (١٩٧٩)[٣١] بعض تأثيرات الانصياع إلى معايير الفصل الدراسى على تكوين

الاتجاهات التعصبية لدى طلاب المدارس الثانوية فى بريطانيا، وبدلا من اعتبار الانصياع إلى الضغوط المعيارية هو المحدد الرئيسى لمستوى التعصب الفردى، اتضح أن من الأنسب النظر إليه كعامل خاص جدا يؤثر فقط فى ظل مجموعة معينة من الظروف.

أشارت سنجر إلى بعض النقاط الهامة (١٩٨١)[٦٠٥] فى سياق انتقادها العام لفائدة التغيير على أساس الانصياع لمعايير الجماعة المرجعية Reference Group. افترضت سنجر أنه فى هذا النوع من المواقف تعتبر هذه المفاهيم ضمن مجموعة أكبر من (السمات) الملامح مثل : الفائدة - الانتشار، التدعيم. ويفيد استخدام مصطلح «جماعة مرجعية Reference Group فى إخفاء - بدلا من إيضاح - هذه الملامح (السمات) حيث يصادر على السؤال لماذا يظهر الانصياع؟ (ص٩١). ويترتب على ذلك أن يقدم تفسيرات وهمية بينما يزيح التفسيرات الحقيقية إلى الخلف. (ص ٧٢)، والمهمة الضرورية للنظرية والبحث هى تحديد الظروف الخاصة التى يظهر فيها تأثير الضغوط المعيارية على التعصب العنصرى.

الضغوط الاجتماعية الأخرى:

إذا لم تكن الضغوط من أجل الانصياع محددا هاما فى تكوين التعصب حتى فى الظروف عالية التعصب، يظهر سؤال واضح، هو كيف تتكون اتجاهات الأفراد التى يتشاركون بها مع باقى أفراد المجتمع؟. بعبارة أخرى كيف تفسر شدة الاتجاهات التعصبية المشتركة بين أغلب الأفراد فى الجماعات عالية التعصب مثل البيض فى جنوب أفريقيا؟.

أوضحت دراسات (بيتى جرو ١٩٥٨[٤٩٢]، ١٩٥٩[٤٩٣]، ١٩٦٠[٤٩٤]) منذ زمن طويل أنه لا يمكن تفسير ذلك على أساس عوامل نفسية كالتسلطية، ورغم أن التسلطية تزيد نوعا ما بين البيض فى جنوب أفريقيا، إلا أن هذا الفرق لا يفسر المستويات العالية من التعصب العنصرى الذى نلاحظه فى هؤلاء المبحوثين. وجدت الدراسة التى استعرضناها فى الجزء السابق أيضا أن الأفريكان أكثر تسلطية من المتحدثين بالإنجليزية، فإن ضبط هذا المتغير يفسر جزءا من الفروق فى الاتجاهات العنصرية بينهم (دكت ١٩٨٨)[١٦٩]. ومن الواضح أن التأثيرات الاجتماعية يجب أن تكون مسئولة عن المستويات العالية من التعصب بين أعضاء الجماعات عالية التعصب.

هناك عمليات اجتماعية بديلة قد تقدم تفسيرات لكيف يكتسب الأفراد اتجاهات تعصبية يشيع انتشارها بين الجماعات. نوقشت هذه العمليات بالتفصيل فى الفصل السابع، وباختصار شديد نذكر أن الاتجاهات المشتركة نحو جماعة خارجية:

أ) قد تنتج من إدراك أن أعضاء الجماعة الداخلية لديهم مصالح مشتركة فى مواجهة الجماعة الخارجية.

ب) قد تكتسب خلال التعليم الاجتماعى إبان التنشئة الطفلية. أو:

ج) الاجتماعية. قد تنشأ من خبرات مشتركة ومن إدراك مشترك لأعضاء الجماعة الخارجية عند المفاضلة مع أعضاء الجماعة الداخلية على أساس القيمة الاجتماعية.

بذلك فالتعصب العنصرى فى جنوب أفريقيا يمكن اعتباره تحقيقا لمصالح الجماعة البيضاء السائدة من خلال التبرير وإضفاء المنطق على ما يحصلون عليه من مكاسب وامتيازات. ويمكن اكتساب هذه الاتجاهات خلال عملية التعلم الاجتماعى والتنشئة فى الطفولة، وفيما بعد ذلك يتم تدعيم الاتجاهات من خلال فائدتها فى التبرير وفى جلب الامتيازات فى المواقف المختلفة. هذا بالإضافة إلى أن إدراك البيض لـ «حقيقة الاجتماعية» 'Social Reality' والتى تشير إلى السبب فى أن السود يشغلون الأدوار والمكانات المتدنية، ويعيشون ظروفا اجتماعية قاسية كل ذلك ينتج عما لدى السود من سمات هى المسئولة عن كونهم كذلك (مثال ذلك لوم الضحية).

لا يقتصر إهمال هذه العوامل على البحوث فى جنوب أفريقيا، فالقليل من البحوث هى التى درست دورها فى تشكيل الاتجاهات التعصبية، فمثلا بالرغم من توافر عدد كبير من الأبحاث التى استعرضت المظاهر النمائية للتعصب فى الطفولة (تم استعراضها فى الفصل السابع) كان من النادر أن يأخذ فى اعتباره مدى أهمية التنشئة الطفلية فى تشكيل التعصب فى الرشد.

كانت السيادة الكاملة لاتجاه الانصياع المعيارى هى العامل الأساسى فى هذا التجاهل، وكانت سيادته أكبر على البحوث فى جنوب أفريقيا. ونظرا لافتراض أن الاتجاهات العنصرية للبيض هى نتاج للانصياع للمعايير الاجتماعية، فقد استهلك البحث فى ذلك جهدا كبيرا فى مغامرات - مشاريع - غير مجدية فى محاولة إيضاح أن العوامل السيكولوجية ذات أهمية قليلة فى الاتجاهات العنصرية بين مواطنى جنوب أفريقيا البيض (كولمان - لامبلى ١٩٧٠[١٢٤]، ادواردز ١٩٨٥[١٧٧]، هيفن ١٩٨٠[٢٦٩]، ١٩٨١[٢٧٠]، ١٩٨٣أ[٢٧١]، لو - بوتجيتر ١٩٨٨[٣٨٦]، أوربن ١٩٧١أ[٤٧٢]، ١٩٧٣ب[٤٧٨]، ١٩٧٥[٤٧٩]، راى - هيفن ١٩٨٤[٥٣١]). الأولوية الهامة بناء على ذلك هى إعادة التوجه الأساسى للاهتمام والبحث والفحص لأنواع العمليات الاجتماعية الأخرى التى أشرنا إليها هنا.

التفاعل الاجتماعى والنفسى:

كانت فكرة أن العوامل الاجتماعية والنفسية تتفاعل فى تشكيل التعصب هى أساس انتقاد هام يوجه إلى النظريات النفسية أو القائمة على أساس الشخصية فى التعصب. فقد أشار تيرنر ـ جيليس (١٩٨١) إلى أن «المشكلة - فى نظريات الشخصية هى أنها تميل إلى التنبؤ بالتعصب فى ظروف تميل فيها العوامل الاجتماعية إلى تقليل التعصب». (ص١٢)هذه العوامل هى الظروف التى لا يكون للتعصب فيها أهمية اجتماعية كبيرة، على ذلك يؤكدون «يبدو الإجماع فى علم النفس الاجتماعى فى عدم الشك فى المحددات الشخصية للتعصب ولكن فى السؤال عن أهميتها» ص١٢.

لا تؤيد النتائج الجديدة التى نوقشت فى هذا الفصل ذلك التأكيد بدلا منه تفترض أن التسلطية تستمر عاملا هاما فى التعصب فى الظروف التعصبية الشديدة. أكثر من ذلك لا يوجد ميل نحو انخفاض هذه الأهمية فى جماعات متدرجة فى مستويات التعصب، ولهذا تطبيقات حرجة لفهم التعصب: فهى تفترض أن النظريات النفسية والاجتماعية فى التعصب لا تقدم تفسيرات متضاربة بقدر ما هى متكاملة، فكلاهما مهم، كما أن أهمية أحدهما لا تتأثر بأهمية الآخر، على وجه الدقة كيف يتكامل التفسيران - هذا ما سنناقشه فيما تبقى من هذا الفصل.

اقترح الإطار النظرى الشامل والذى افترضناه فى الفصل الرابع لتنظيم وتكامل النظريات المتنوعة التى حاولت تفسير التعصب، أربعة عمليات أساسية تتسبب فى التعصب، وهذه هى العمليات الضرورية لتفسيره، وهى:

١ - أن هناك عمليات سيكولوجية محددة تشكل إمكانية إنسانية للتعصب.

٢ - تحدد الديناميات الاجتماعية والجماعية ظروف التفاعل والاتصال بين الجماعات والتى تصيغ هذه الامكانية فى صورة أنماط للتعصب مشتركة اجتماعيا فى هذه الجماعات.

٣ - تشير ميكانزمات الانتقال Trnsmission كيف تنتقل ديناميات الجماعة والأنماط المشتركة للتعصب إلى أعضاء هذه الجماعة.

٤ - تشكل الفروق الفردية قابلية الفرد للتعصب، وتعمل كوسيط للتأثير بين ميكانزمات التأثير الاجتماعى وبين الأفراد

تعتبر هذه العمليات الأربعة متكاملة حيث تشمل كل منها مظهرا أساسيا رغم أنه مختلف نوعيا لأسباب التعصب، وهناك عمليتان منهما ضروريتان لتفسير تكوين

التعصب بين الأفراد، وهما النقل الاجتماعى للتعصب والفروق الفردية المحددة لقابلية الأفراد للتعصب. ترتبط هاتان العمليتان بالتمييز بين المحددات الاجتماعية والنفسية للتعصب والتى وردت فى التراث السيكولوجى.

نوقش افتراض أن الفروق الفردية والعوامل النفسية تلعب دورا وسيطا بين التأثير الاجتماعى نحو التعصب وبين الأفراد فى الفصل الثامن. ولاحظنا فى مقدمة هذا الفصل أن التعصب يميل إلى أن يكون اتجاها معمما، وأن هذه العمومية كما أشارت نتائج بروثرو (١٩٥٢)[٥٠٨] يجب تفسيرها على أساس نسبى أكثر مما يصلح تفسيرها على أساس مطلق، ورغم أن الأشخاص مرتفعى درجة التعصب لا يكرهون بالضرورة كل الجماعات الخارجية، فإنهم يميلون إلى عدم تفضيل الجماعة الخارجية بالمقارنة بمشاعرهم السائدة نحو خصائص الجماعة الخارجية فى مجالهم الاجتماعى.

سبقت الإشارة فى الفصول الأولى من الكتاب إلى نتيجة هامة لذلك وهى أن عمومية التعصب لا تنتج عن حاجة داخلية للعداء ضد الجماعة الخارجية، ولكنها تعكس قابلية عامة أو استعداد لاستقبال الأفكار التعصبية المنتشرة فى البيئة الاجتماعية. وينظر إلى الفروق الفردية هنا على أساس الفروق فى هذه القابلية، والتى تعكس فروقا فى التأثر بالوسط الاجتماعى باعتبار القابلية هى الوسيط بينهما.

يتضح مما سبق كيف أن هاتين العمليتين: التأثير الاجتماعى والفروق الفردية فى القابلية، متكاملتان ويرتبطان بنفس الدرجة كمحددات للتعصب لدى الأفراد. وتميل عوامل التأثير الاجتماعى لأن تكون ملامح عامة للموقف الاجتماعى وبالتالى تشكل المستوى العام لتعصب الفرد فى هذا الموقف. بمعنى أنه أيا من كان الشخص فى هذه البيئة فسيميل إلى اتخاذمستوى معين من التعصب عاليا أو منخفضا، وتفسر العوامل الاستعدادية أيضا بعضا من هذا التأثير حيث تظهر فى موقف اجتماعى معين، لكن ذلك لا يكون له أهمية كبيرة دائما، فالدور الأساسى للعوامل الاستعدادية سيكون فى مجال الفروق الفردية بين أفراد الجماعات المختلفة.

نظرا لأن العوامل الاستعدادية كالتسلطية تتوسط تأثير الضغوط الاجتماعية على الأفراد، فإنها تفسر الكثير من التباين بين الأفراد فى التعصب إذا ما كانوا فى نفس الموقف الاجتماعى. لا تشكل العوامل الاستعدادية كل الفروق الفردية، حيث إن بعضها قد يرجع إلى تباين الأفراد فى التعرض لعوامل التأثير الاجتماعى. لكن درجة الاختلاف فى التعرض لهذه الضغوط الاجتماعية لا تختلف بالضرورة بين المواقف الاجتماعية المتباينة، فليس ثمة سبب يفسر اختلاف تأثير الضغوط الاجتماعية فى موقف معين

لصالح الأفراد ذوى الدرجة العالية فى التعصب بالمقارنة بتأثير نفس هذه الضغوط على الأفراد ذوى الدرجة المنخفضة فى التعصب.

يعنى ذلك أن العوامل الاستعدادية هى التى تفسر الكثير من الفروق الفردية فى التعصب داخل نفس الموقف الاجتماعى، وأن تأثيرها لا يتغير من موقف لآخر، وبصرف النظر عما إذا كانت الضغوط الاجتماعية فى هذه المواقف لصالح ذوى الدرجة العالية أو المنخفضة فى التعصب. ويمكن النظر إلى السؤال عن العلاقة المتبادلة بين الضغوط الاجتماعية والاستعدادية الفردية، فى الأساس باعتباره يماثل مباشرة قضية الفرد مقابل الموقف، هذا الجدل الذى تم حسمه بالتوصل إلى أن كلا من عوامل الفرد والموقف ضروريان ومتكاملان فى تفسير السلوك (كيندريك - فيندار ١٩٨٨)[٣٢٥].

فى المواقف الاجتماعية مثل جنوب أفريقيا تؤدى الضغوط الاجتماعية إلى مستوى متوسط من التعصب العنصرى، أعلى من ظروف اجتماعية كالتى فى بريطانيا. بذلك فالتعلم الاجتماعى للتعصب خلال الطفولة أكثر تكثيفا فى جنوب أفريقيا بسبب المناداة بالمساواة مع السود فى جنوب أفريقيا سيكون هناك إدراك أقوى لتهديد المصالح البيضاء، كذلك تثير الفروق بين العناصر وعدم المساواة فى الأدوار الاجتماعية والمكانات والظروف، وعمليات إدراكية وإسنادية تؤدى إلى التعصب وإلى القوالب الجامدة المتشددة. نتيجة لذلك سيكون أبناء جنوب أفريقيا من البيض مرتفعين فى درجة التعصب العنصرى بالمقارنة بالبيض فى إنجلترا (هامبل - كروب ١٩٧٧)[٢٥٥].

لكن الفروق الفردية كالتسلطية والتى تحدد استعداد الفرد لتبنى اتجاهات تعصبية ستكون بنفس درجة الأهمية فى تفسير تباين الأفراد حول المستوى المتوسط فى التعصب بكل موقف اجتماعى.

الشرط الوحيد هنا كما لاحظ توماس (١٩٧٤)[٦٥٦] هو أن التباين العام فى التعصب بكل موقف لن يقل بشكل ملحوظ إذا قورن بأى موقف آخر. فى هذه الحالة سيكون مقدار التباين الذى يفسر الفروق الفردية بطبيعته منخفضا.

لا يعنى ذلك أن أيا من متغيرات الفروق الفردية سيكون له نفس التأثير فى التعصب مهما اختلفت المواقف، فعلى سبيل المثال قد ترتبط التسلطية بقوة كبيرة بالتعصب فى مجتمع تسود جماعاته مشاعر التهديد والصراع، وذلك نتيجة ارتباط التسلطية بزيادة الحساسية للتهديد بين أفراده (التيمير ١٩٨٨[١٧]) وانظر المناقشة الواردة

فى الفصل الثانى). وبناء على ذلك وجدنا أن معامل الارتباط بين مقياس RWA لألتيمير وبين التعصب العنصرى بين الطلاب البيض فى جنوب أفريقيا أقوى من نظيره الذى حصل عليه التيمير (١٩٨١[١٦]، ١٩٨٨أ[١٧]) فى عينة من الطلاب فى كندا.

إذا توصلنا من خلال الدراسات المقارنة إلى مثل هذه النتيجة، فلن يعنى ذلك أن متغيرات الفروق الفردية أو المتغيرات "السيكولوجية" أقل أهمية فى كندا بالمقارنة بجنوب أفريقيا، لكنها قد تعنى ببساطة أن أحد متغيرات الفروق الفردية مسئول عن قلة التباين فى درجات التعصب هناك، نتيجة لذلك الموقف فقد تزيد أهمية متغير آخر أو أكثر من متغيرات الفروق الفردية فى تحديد درجة التباين فى التعصب. فإذا أوضحت البحوث المقارنة صحة ذلك الافتراض، فلن يعنى ذلك أن الفروق الفردية أو المتغيرات "السيكولوجية" أقل أهمية فى كندا.

إن أهم ما نستنتجه هو أن قضية الأهمية بالنسبة لأى من العوامل الاجتماعية أو النفسية فى تشكيل التعصب تبدو مشكلة زائفة؛ ذلك لأن عوامل التأثير الاجتماعى والاستعداد الفردى لها دور مختلف ومتكامل فى تشكيل التعصب عند الأفراد. وفى الممارسة الفعلية نجد أن العامل الأول يميل إلى تحديد المستوى العام أو متوسط درجة التعصب فى أى موقف اجتماعى معين، فى حين أن العامل الثانى يفسر درجة التباين أو الانتشار حول المتوسط السابق ذكره. فأى محاولة لتقديم تفسير كافى للاتجاهات التعصبية عند الأفراد فى أى موقف اجتماعى يجب أن تشمل كلا العاملين.

***

الفصل العاشر

مستقبـــل التعصـــب

شهدت الدراسات تنوعا فى الاهتمام بالتعصب وبالظواهر ذات العلاقة به فيما بين السيكولـوجيين خلال العقـد والنصف الأخير. والحقـيقة أن الكتب التـى ظهرت فى الموضوع تـبدو أنها تـتزايد بمتـواليه هندسـية Exponential (أبـود ١٩٨٨[٢]، بارتال وآخرون ١٩٨٩[٣٤]، هيوسـتون - براون ١٩٨٦[٢٧٧]، هوج - ابرامـز ١٩٨٨[٢٨٥]، كـاتز - تـايلـور ١٩٨٨[٣١٨]، سـترويب -كـروجلانـسكى - بـايرتال - هيـوسـتـون ١٩٨٨[٣٦٨]، فان أودنهوفن - ويلمسن ١٩٨٩[٢٨٧]).

تعكس هذه الكتب وغيرها من الأبحاث المنشورة تأثـير التوجه السائد حاليا القائم على الأساس المعرفى. فى الكتاب الحالى ناقشت هـذا التوجه مثل غيره من التوجهات التى كانت سائدة فـيما مضى، وذكرت أنه توجه جزئى، حيث يـسلط الضوء على جزء فقط من أسباب التعصب ويغفل عن باقى الأسباب. ومثل التوجهات السابقة عليه يحاول هذا الاتجاه أن يجيب على سـؤال معين عن طبيعة وأسباب التـعصب، وما هى الظروف التى ساعدت على جعل التعصب هو الموضوع الأهم فى نظر العلماء الاجتماعيين خلال هذه الحقبة التاريخية.

افتـرض التحليـل التاريخى فـى الفصل الرابع أن الـتغيـرات فى تصور العـلماء للتعصب تضمنت أربعـة أسئلة مختلفة وان كانت جميعها صـحيحة، وذلك عن أسباب التعصب. وثارت المناقشة حول أن هذه الأسئلة الأربعة تـبدو مرتبطة بأربع عمليات سببية مختلفة فى تحديد التعصب،

الأولى: هى أن هناك عـمليات سيكولوجـية عامة بين الـبشر تشكل أساسـا ذاتيا للتعصب.

الثانية: يحوّل التفاعل بين الجـماعات، يحـول هذه الإمكانية للتعصب إلى أنمـاط اجتماعية للتعصب فى هذه الجماعات.

الثالثة : أن آليات الـتأثير الاجـتماعى هى المـسئولة عن تـناقل هذه الديناميـات الجماعية وعن الأنمـاط المشتركة للتعصب إلى الأفراد فـى هذه الجماعات فى صورة اتجاهات تعصبية.

الرابعة: هناك أبعاد معينة للفروق الفردية تحـدد درجة استعداد الشخص للتعصب وتقوم بمهمتها وهى نقل التأثير الاجتماعى إلى الأفراد.

وقد كان الجـدل حول أن هذا المنـظور يـقدم اطارا تكامليا لـلعمل يتضـمن أربعة عمليات أساسية تقدم تفسيرا شاملا ومنطقيا للتعصب باعتباره ظاهرة جماعية وفردية فى نفس الوقت، إن جميع النظريات والمنطلقات النظريـة وكذلك النتائج الأمبيـريقية حول تفسـير التعـصب تعتمـد على واحد أو أكثـر من العوامل الأربـعة التى قدمنـاها. وقد استعرضنا النظرية وعملياتها السببية في الفصول ٥-٨.

يشـير الاستـعراض المذكـور إلى تقدم مـعقول فـي معارفـنا منذ أن قام ألـبورت باستعراضه الشامل عام ١٩٥٤. بمعنى أوسع اكتسبنا قدرا كبيرا من الأفكار عن العمليات المعرفية والدافعية العالمية Universal والتى تلعـب دورا فى الميل الانسانى للتـعصب، كذلك بنوع الـديناميات الجماعـية والاجتماعـية التى تحوّل هذه الاستـعدادات إلى أنماط مشتركة اجتماعيا للتعصب فى الجماعات والمجتمعات. كذلك بالتأثيرات الاجتماعية التى تؤدى إلى الاتجاهـات التـعصبية بين أفراد الجـماعات والمجتمعات، كـذلك بنوع الفروق الفردية التى تجعل الفرد أكثر تهيؤا لتقبل هذه التأثيرات الاجتماعية.

من جهة أخرى من الواضح أن الكثير من الـعمل مازال مطلوبا، حيث إن القليل جدا من الاسـتنتاجات هى التـى حازت على اتفاق أو أغـلبية، ولا يوجد لـدينا سوى خطوط عامة للاتفاق بين المهتمين دون الخوض فى التفاصيل. ورغم حالة القصور الخطيرة التى تعانى منها معلومـاتنا، فإن علينا مواجهة قضايا عملية هامة، فـالاتجاهات التعصبية والعدائية بين الجماعات يزداد تأثيرها السلبى علـى حياة الجماعات والمجتمعات، صحيح أنه فى أحقاب أخـرى كان للتعصب تأثـيره الإيجابى فى توافق الجمـاعات والأفراد فى ظروف الـصراع من أجـل الحيـاة فى حالـة نقص الموارد عـن الوفاء بـاحتـياجـات كل الجماعـات. فى هذه الحقبـة كان للكراهية وعـدم الثقة والشـك فى الجماعات الخـارجية دورها الإيجابى فى دعـم الانتماء للجماعة والمـعاونة على الاستعداد للدفـاع عنها فى حين الموت فى سبيل مصالح الجماعة.

أما الآن وبعد تطور المجتمعات إلى الحداثة والتـكنولوجيا، فقد تغير الموقف من مرحلة الاتجاهات التعصبية وما يترتب عـليها كل فترة من ظهور الصراع بين الجماعات، أصبحت تلك الحالة الآن تهديدا خطيرا لاستمرار الحياة للحضارة الانسانية.

تخفيض التعصـب:منطلق متعدد المستويات:

هل يمكن للمـعرفة العلمية التى تجـمعت عن التعصب أن تسـاعد فى تجنب هذا التهديد؟.

ليس من المحتمل أن تتغير العمليات النفسية العامة التى تثبت أنها تؤدى إلى ميل الشخص للتعصب، ولكن يمكن أن تتغير درجة التعبير عنها. يحتاج ذلك إلى حركة على ثلاث مستويات، ترتبط بالعمليات السببية الثلاثة التى استعرضناها فى الفصول ٦ - ٧ - ٨ من هذا الكتاب، بذلك فالتغيير المطلوب هو **أولا:** على مستوى البناء الاجتماعى والعلاقات بين الجماعات، **ثانيا:** على مستوى التأثير الاجتماعى الذى يتأثر به الأفراد، **وثالثا:** على مستوى تهيؤ الشخص. و نظرا لأن العمليات البيئية التى تنشئ التعصب وتحافظ عليه تعمل على هذه المستويات الثلاثة، فتغيير الاتجاهات التعصبية المتأصلة فى الأفراد يحتاج إلى منطلق متعدد المستويات. تلك أهم نتيجة نصل إليها من هذا الكتاب بما استخدمه من إطار سببى متعدد المستويات فى تفسير التعصب.

فالتدخل المنفرد الذى يفضله السيكولوجيون فى محاولة تغيير اتجاهات الأفراد لا يبدو أنه فعال على المدى البعيد إذا تركوا الظروف والضغوط الاجتماعية على الأفراد بغير تغيير والحقيقة أنه لو لم يكن لتلك التدخلات بعض التأثير على التهيؤ الأساسى للتعصب لدى الأفراد، فلن يمكن تعميمها فيما هو أبعد من الاتجاه الفردى إلى الجماعة والتى هى هدف محدود للتغيير.

نتيجة أخرى هى أنه كلما زاد مستوى التدخل، تزيد إمكانية تأثيره، فالتغيرات على المستوى الأكبر فى البناء الاجتماعى أو فى طبيعة العلاقات بين الجماعات سيكون لها عموما آثار أكثر جذرية ونتائج أكثر اتساعا مما يترتب على التدخلات التى تدور حول الفرد بالذات، بصرف النظر عن عدد الأفراد الذين سيشملهم التغيير فى الحالة الأخيرة.

لسوء الحظ: إن هذه التغيرات فى الغالب صعبة جدا وقد تكون أكبر من قدرة وكفاءة علماء النفس الاجتماعى، لكن الأمر ليس كذلك دائما فالعلماء الاجتماعيون لعبوا دورا هاما فى قرارات تشريعية تؤدى إلى إزالة التمييز فى المدارس الأمريكية (كوك ١٩٧٩)[١٣٢]. بدأ العلماء الاجتماعيون أيضا فى لعب دور فى تخطيط النظم السياسية والدساتير من أجل تخفيض أو تعديل الصراعات بين الأجناس (هورويتز ١٩٨٥)[٢٨٧].

والحقيقة أن الإسهام الممكن للعلماء الاجتماعيين هو تخفيض أو ضبط التعصب على جميع المستويات، بدأ يتضح بالتدريج، ومن المدهش أن القليل من الاهتمام المنظم وجه إلى ذلك فى الأدبيات العلمية والتى ركزت بشدة على محاولة فهم التعصب أكثر

من تغييره، مما أدى إلى تجمع قدر أكبر من المعارف ذات العلاقة بالموضوع، مما يعاون فى تخفيض التعصب على كل واحدة من مستويات السببية التى حددناها هنا.

أشرنا أيضا إلى أنه نتيجة لعمومية وتأصل العمليات المعرفية والدافعية المؤدية إلى الاستعداد للتعصب، فمن الصعب تعديلها. ولكن مايزال من المهم فهم كيف تعمل العمليات الأساسية كالتصنيف المعرفى والميل إلى تفضيل الجماعة الداخلية فى التخطيط للتدخل الفعال لتخفيض التعصب. وكلما يزيد التدخل المخطط الذى يتكامل مع هذه العمليات بأكثر مما يتناقض معها، تزيد فعالية هذا التدخل.

يجب ألا تركز التدخلات على التمييز بين الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية ويجب تقليل الإيحاء بأن الفروق بين الجماعتين عامة فى كل المواقف. ويجب ألا نجعل الجماعة الخارجية أكثر تجانسا أو أكثر اختلافا عن الجماعات الداخلية، فالانخفاض أو الارتفاع غير المشروع فى أحد الأبعاد ذات القيمة الاجتماعية يعتبر مؤشرا للثروة، وبالتالى مؤديا إلى مواقف ومشاعر التهديد والمنافسة والإحباط بين أعضاء الجماعة الداخلية.

يمكن إيضاح أمثلة من خلال عدد من التدخلات أو الأنشطة التى يعتقد أنها ستؤدى إلى تخفيض التعصب وتزيد من العلاقات المتجانسة بين الجماعات، غير أنها فى التطبيق الواقعى أدت إلى نتيجة عكس ذلك. من هذه البرامج، برنامج التبادل الطلابى الدولى (ستروب - ليتركرت - جونز ١٩٨٨)[٦٣٩]، المباريات التنافسية الرياضية بين الجماعات (شريف - شريف ١٩٥٣)[٥٩٤]، السياحة الدولية (بن آرى - أمير ١٩٨٨)[٤٢]، المعونة أو الرعاية الدولية (ستوب ١٩٨٩)[٦٢١]، ومجرد دفع أعضاء الجماعات المتصارعة أو الجماعات من مكانات متباينة للاتصال مع بعضهما البعض. (البورت١٩٥٤[١٢]، شريف - شريف ١٩٥٣[٥٩٤]).

فى هذه الحالات جميعا يؤدى التمييز بين الجماعات الداخلية والخارجية بطريقة أو أخرى، إلى التعميم أو التهديد، مما يؤدى إليأن تصبح الاتجاهات بين الجماعات أقل إيجابية أو أقل تفضيلا. بالعكس إذا أدت التدخلات إلى النجاح فى تحسين الاتجاهات بين الجماعات فسوف يؤدى ذلك إلى أن تقل أهمية وعمومية الفروق بين الجماعة الداخلية - الخارجية.

يجب تصوير الجماعة الخارجية على صورة أكثر تمايزا من الجماعة الداخلية، أقل تشابها، أقل تهديدا، متعاونة وليست متنافسة لتحقيق أهداف مشتركة، تحقق

مصلحة الجماعة الداخلية أكثر مما تتسبب في إحباط أهدافها، ليست أقل فى المكانة أو القيمة من الجماعة الداخلية، أما إذا كانت الأعلى فى المكانة فيجب أن يكون ذلك مستندا على أساس قانونى مشروع.

نجح استخدام عدد من التدخلات المفروض أن تقلل من التعصب فى ظروف ملائمة. شملت هذه التدخلات نشاطا على ثلاثة مستويات يمكن تحديدها:- هى البناء الاجتماعى، العلاقات الجماعية، والتأثير(الضغوط) الاجتماعى، والاتجاهات الفردية أو الاستعداد. وسنناقش نوع التدخل فى كل من هذه المستويات فى الأجزاء الثلاثة القادمة.

البناء الاجتماعى والعلاقات بين الجماعات :

فى أى مجتمع له تاريخ تعصبى وبه تمييز ضد جماعات الأقلية على مستوى البناء الاجتماعى والعلاقات بين الجماعات، يجب ان يشمل التدخل استبعادا كاملا لكل أنواع الدعم القانونى والمؤسسى لهذا التمييز، أو لأى تعبير صريح عن التعصب. يحتاج ذلك إلى تفكيك التمييز العنصرى الرسمى ووضع الخطوات اللازمة لإزالة الحواجز الرسمية وغير الرسمية أمام تقدم الأقليات. و ورغم أن إزالة التمييز للجماعات التى شهدت من قبل هذا التمييز لن يقلل فى حد ذاته من التعصب أو يحسن من ظروف الأقلية، إلا أن المهم عموما خلق الظروف التى يمكن خلالها اجراء عملية التطوير. فكما تشير خبرة التطوير فى الولايات المتحدة، يحتاج منع التميز العنصرى إلىأن يصاحبه عدد من الخطوات المصاحبة، تشمل تشجيع وتأييد القوانين والإجراءات المضادة للتمييز العنصرى ، هذه الخطوة تزيد من أعباء السلوك التمييزى فضلا عن دعمها الاجتماعى والمؤسسى لقيم جديدة فى التسامح وعدم التمييز.

من الخطوات الأخرى أيضا وضع برامج لكسر الدوائر المترابطة من استبعاد للأقليات والتى تؤدى غالبا إلى عدم المساواة الناتجة عن تاريخ الظلم والتميز، ولتخفيض أو إلغاء مثل هذه المظالم تأثير هام مثل المعاونة على إضعاف الحدود بين الجماعات وتقليل حدة الأفكار النمطية والميل إلى لوم الضحية.

هناك قضايا ترتبط بذلك السيناريو تتعلق بالقوة السياسية والإرادة السياسية، فحتى فى المجتمعات الديمقراطية قد تكون دوافع جماعة الأغلبية السياسية لمحاولة تخفيض التعصب والتمييز ضد الأقليات ضعيفة خصوصا إذا ترتب على ذلك مخاطرة بخسارة الحزب الحاكم لأصوات الأغلبية فى أقرب انتخابات. قد تؤدى بعض

الاعتبارات أو الضغوط الدولية إلى أن يصبح التمييز العنصرى مكلفا جدا لجماعة الأغلبية، ويبدو من المحتمل جدا أن الاعتبارات الجيوبوليتيكية (سياسية - جغرافية) قد تساعد فى تقوية سياسة عدم الفصل العنصرى فى الولايات المتحدة. أما عن الضغوط الدولية على جنوب أفريقيا البيضاء فرغم أنها كانت من نوع مختلف، لكنها كانت عاملا قويا فى حث البيض للابتعاد عن سياسة الفصل العنصرى.

عامل آخر مهم جدا هو التنظيم السياسى والضغوط للتغيير والتى قد تقوم بها الأقلية ذاتها، وتتوافر أدبيات سسيولوجية كثيرة فى الموضوع تفصل نوع الظروف والاستراتيجيات التى يبدو أنها تؤدى إلى نجاح أو فشل حركات الأقليات الساعية إلى الحصول على مطالبها بالمساواة والعدالة بشكل مشروع. (التيمير ١٩٨٨(١٧)، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥(٦٠٣)).

يرتبط مع كل ما سبق بحوث علم النفس الاجتماعى على كيف يمكن للأقلية أن تؤثر فى الأغلبية فى البحوث التجريبية المعملية على جماعات صغيرة (مسكوفيتشى ١٩٧٦)(٤٤٨)، وحتى لو اختلفت الظروف بشدة، فمن المهم غالبا بالنسبة لجماعات الأقلية والذين هم أيضا أقلية عددية فى المجتمعات الديمقراطية تجميع مؤيدين لهم من جماعات الأغلبية، ذلك ممكن بالدعوة إلى القيم الجماعية للأغلبية، مثل المساواة والديمقراطية، وكذلك ببلورة مطالب الأقلية ضمن حملة أوسع ضد الظلم الاجتماعى عموما (دويتش ١٩٧١)(١٥٠).

والعوامل السياسية هامة دائما فى تلطيف أو تخفيف العداء بين الجماعات، فبالنسبة لجماعة مسيطرة عرقية أو ثقافية من المفروض أن تكون ذات أهمية سياسية، فان مجرد مواجهتها للتهديد، الصراع أو المنافسة على القوة، فسرعان ما تتدهور الاتجاهات والعلاقات بين الجماعات بصورة ملحوظة. يمكن تجنب هذه المواقف أو تقليل حدتها بتخطيط نظم سياسية ودستورية لتوجيه العمليات السياسية والتوترات بعيدا عن الانشقاق العرقى للأمة.

أوضح هوروتيز ١٩٨٥ أن ذلك مؤثرا جدا فى عدد من المجتمعات المنقسمة على نفسها بشدة. المثال الممتاز على ذلك يتضح فى دستورين فيدراليين فى نيجيريا يفصل بينهما ١٣ عاما من الحكم العسكرى، الدستور الفيدرالى الأول (١٩٦٠-١٩٦٦) يحدد الحواجز عموما بناء على حواجز الجماعات العنصرية، ويمنع الكفاح من أجل الوصول إلى مراكز القوة والذى تسبب فى عداوات عنصرية وتبلور فى حرب أهلية مدمرة. الدستور الثانى (١٩٧٩-١٩٨٣) والذى وضع بناء على استشارة خبراء

الدستور، خفف عموما من الصراع بين الأجناس باعادة بناء دولة فيدرالية لتوجه التوترات السياسية بما يحقق أقل تهديد للوحدة الوطنية.

يمكن إذن تخطيط المجتمعات لتسهيل التسامح أو التعصب، والمجتمعات المتسامحة عموما تتشكل بحيث لا تنسجم التمايزات العرقية، الثقافية، المهنية، الاقتصادية الاجتماعية وغيرها من التمايزات الجماعية، بل تتقاطع مع بعضها البعض بما يحقق تنوعا للهوية السائدة عبر الأماكن والأزمان. فكل من هذه الجماعات يجب أن تتشارك على الأقل أحيانا فى هويات سائدة أو مسيطرة. والجماعات يجب أن تكون متساوية فى المكانة، الثروة أو القوة، وإذا وجدت فروق فيجب أن تعتبر قانونية ولا أن ترجع إلى عدم العدالة أو نقص الثروة. يجب إزالة الحواجز أو السلوكيات المميزة، وإذا كان ضروريا فيجب النص عليها فى القوانين أو الدساتير.

كما يجب على النظام السياسى أن يشجع الأحزاب لكسب التأييد الواسع من الجماعات على أوسع نطاق وذلك لتحقيق التنافس فى المجال السياسى، ويجب بالعكس معاقبة الأحزاب التى تقتصر على جماعات محدودة وسياسية تمييزية.

عملية التأثير الاجتماعى:

ينتقل تأثير البناء الاجتماعى على الاتجاهات الجماعية التيبحملها الأفراد بطرق عديدة، نوقشت فى الفصل السابع. تميل هذه التأثيرات الاجتماعية إلى نقل البناء الاجتماعى بصورة مباشرة لكنها تحتاج ليس لأن تعكس البناء ببساطة، حيث إن خصائصها الذاتية قد تؤثر فى الاتجاهات، وربما تؤثر فى إضعاف السلبية للبناء الاجتماعى العنصرى، أو المواجهة الجزئية للآثار الايجابية للبناء الاجتماعى المتسامح. على هذا المستوى توجد ثلاثة أنواع للتدخل من أجل تحسين الاتجاهات بين الجماعات، تشمل وسائل الاعلام، النظام التعليمى وطريقة الاتصال بين الأشخاص من جماعات مختلفة فى ظروف هامة مثل تنظيم العمل.

فى المجتمعات الصناعية الحديثة أصبح الإعلام يلعب دورا يتزايد فى الأهمية فى تحديد صورة الأفراد فى مجتمعاتهم. وتؤثر الطريقة التى يقوم بها الإعلام ورسم الواقع الاجتماعى والجماعى، فى الإدراك الشائع بـ:

أ - التمايز فى الأدوار وعدم العدالة بين الجماعات.

ب - الصور الجامدة السلبية.

ج - القبول الاجتماعى للتعصب.

د - المعايير التى تحكم السلوك بين الجماعات.

ولقد بذلت جهود كثيرة لتحديد الصور المتميزة والسلبية للأقليات، والتى تدعم التعصب ضدهم (ميلنر ١٩٨٣)(٤٣٧). ولاستبعاد أو تقليل هذا النوع من الإعلام خصوصا فى حالة التعصب بالولايات المتحدة (جرينبرج - مازينجو ١٩٧٦)(٢٣٩). لكن القليل من الجهد قد بذل من أجل تحديد الخطوط المنهجية والواضحة لصورة الأقليات الواجب إظهارها من أجل تنمية اتجاهات متسامحة وإيجابية نحوهم. فى هذا الصدد اقترح (ستيفان ١٩٨٧)(٦٢٨) أنه كلما قدمت الأقليات بصورة متكررة، إيجابية، ومتفردة فسيؤدى ذلك إلى تكوين اتجاهات أكثر إيجابية نحوهم. وفاعلية ما يصوره الإعلام عن الأقليات ليست دائما واضحة، وهكذا لاحظ ليفن - ليفن (١٩٨٢)(٣٧١) بعض الدلائل على أن البرامج الإعلامية والحملات المضادة للتعصب والتى يتم فيها التركيز على سقوط الضحايا من الأقليات تدعم التعصب ضدهم أكثر مما تخفف من حدته. وقد افترض ليفن - ليفن أن البرامج التى توضح أعباء التعصب والتمييز على جماعة الأغلبية قد تكون أكثر فعالية فى تحسين الاتجاهات بين الجماعات.

بذلت جهود كبيرة للاهتمام بدور التعليم والنظام التعليمى فى تخفيض التعصب، والتعليم الرسمى ليس فقط وسيلة أساسية للتنشئة بل إنه ايضا واحد من أهم وسائل الاتصال الشخصى المباشر بين الأفراد من جماعات مختلفة، لقد اتضح أن التعليم فى ذاته يقلل من التعصب، لكن كما أشار الفصل السابع لا ينطبق ذلك الحكم على كل أنواع التعليم.

لا يبدو أن الاتجاهات التسلطية فى التعليم القومى المسيحى فى جنوب أفريقيا ، والاتجاه الذى أسماه أنبار -ريس-أولر (١٩٨٤)(٢٩٥) بالتعليم المحافظ المركز حول التحصيل فى إسرائيل - لا يبدو أن مثل هذه الاتجاهات تؤدى إلى تخفيض التعصب، فى حين تؤدى الاتجاهات الليبرالية التقدمية إلى هذا التأثير. وقد حاز تكوين المناهج ومضمون ما يقدم فى التعليم على اهتمام متزايد، فقد ركز ستوب (١٩٨٩)(٦٢١) على أهمية تدريس التعصب والعداء بين الجماعات وكيف نتغلب على ذلك. واقترح جلوك وآخرون (١٩٧٥)(٢٢٨) أن التعليم يمكن أن يواجه القوالب النمطية والتعصب من خلال التركيز على أن الفروق بين الجماعات ترجع إلى ظروف اجتماعية وتاريخية، كل ذلك من أجل تخفيض الميل إلى إسناد هذه الفروق إلى طبيعة الجماعات موضع الاهتمام.

ركزت الاتجاهات الأكثر شمولية على أن الاتجاه الواضح والمتعدد الثقافات فى التعليم يجب أن يغطى كل جوانب المدرسة مثل سياسة الإدارة، التدريس، العلاقة بالأباء تطوير المعلمين، السياسة الدينية واللغوية، وما إلى ذلك (ليستر ١٩٨٩)(٣٦٠)،

ويجب أن يشمل ذلك على برامج مثل التوعية بهدف التغيير المباشر لاتجاهات الطلاب والمعلمين سويا. و يؤثر بناء الاتصال بين الجماعات فى الفصل الدراسى ومواقف التعلم على الاتجاهات بين هذه الجماعات، ولا تميل التوجهات التقليدية فى التعليم الشامل للفصل والذى يعمل فيه الطلبة بطريقة فردية للتنافس على الدرجات إلى تطوير الاتجاهات بين الجماعات فى الفصول المشتركة، خصوصا عندما تختلف الأقلية عن الأغلبية فى المكانة الاجتماعية ومستوى التحصيل (شاران - ريش ١٩٨٤)(٥٩٢). فى مثل هذا الموقف، سوف تزداد خطورة التعليم حدّة إذا أدخل نظام المسارات الأكاديمية فى التعليم.

من جهة أخرى أوضح البحث فى التعليم التعاونى أنه حينما يتم بناء مواقف التعليم والتعلم بحيث يتعاون الطفل مع الآخر فى جماعات مختلطة العناصر، يحدث تقدم ملحوظ ليس فقط بالنسبة لأداء جماعة الأقلية، ولكن أيضا فى التقبل المتبادل بين الجماعات. وقد تم تطوير عدد من إستراتيجيات التعليم التعاونى، واتضح أن لها نتائج إيجابية ومتسقة (جونسون - جونسون ١٩٨٩(٣٠٨)، شاران ١٩٩٠(٥٩١)).

عموما فيجب على نوع النظام التعليمى الذى يؤدى إلى تخفيض التعصب وتنمية التسامح أن يركز فى صورة عامة على الاتجاه الليبرالى - التقدمى فى التعليم، وأن يلزم نفسه بوضوح بالسياسات والمناهج المتعددة الثقافات، وسوف يلتزم باستخدام التعليم التعاونى وأساليب التعلم فى وجود جماعات من عناصر مختلفة.

جو العمل هو المجال الذى يلي التعليم فى الأهمية، حيث يكون الاتصال بين الأفراد من جماعات مختلفة شائعا. ويمكن لتنظيم العمل ترتيب هذا الاتصال أو توجيهه وذلك لتسهيل ظهور الاتجاهات الايجابية بين الجماعات من خلال عدة طرق ، فى جنوب أفريقيا على سبيل المثال كانت الأحقاد العنصرية مسئولة عن الاضطرابات المهدرة للوقت والجهد والمال، ويمكن لجو التبادل العنصرى أن يتحكم فى فاعلية منظمات العمل، ويحتاج هذا الموقف إلى التزام واضح وبعيد تماما عن اللبس من جانب منظمات العمل بتحقيق فرصة متساوية تشمل قواعد تظهر بصورة نشطة رفض العنصرية أو التفرقة فى أى صورة، كما تشمل محو التفرقة فى كافة أشكال الأنشطة والخدمات، وبرامج التدريب على تغيير الاتجاهات التعصبية. و يجب أن يرتبط ذلك بتأكيد على تدريب الزنوج على مستويات الإدارة والإشراف وذلك لإزالة الحواجز العنصرية بين الإدارة والعمال.

يجب التركيز على الأهداف العليا للمنظمة من خلال غرس الالتزام المؤسسى، استبعاد مواقف التنافس القائم على العنصرية، إعادة تشكيل أنشطة العمل لزيادة النشاط التعاونى فى الجماعات المختلطة العناصر. هناك مشكلة فى جنوب أفريقيا وهى العلاقة بين المشرف الأبيض والعامل الأسود. وقد أدى تغير الموقف السياسى إلى زيادة التوتر فى هذه العلاقة بشكل ملحوظ. فيوجد باستمرار قدر كبير من الغموض حول الدور والمكانة والسلطة التى يستأثر بها المشرف.

لهذا الغموض فائدة للمنظمة، والتى يؤدى التحديد الجامد لأدوارها إلى الأضرار بالمرونة المطلوبة، وبالتالى لتقليل كفاءتها. لكن حينما يظهر التوتر الجماعى بين المشرفين والعمال، يصبح الغموض فى المواقف خطرا جدا، حيث يؤدى إلى عدم التمييز الكافى بين الجوانب القانونية لسلطة المشرف وبين الجوانب الأخرى من سلوك المشرفين والتى تعكس السيادة العنصرية، وعلى ذلك فهو سلوك غير قانونى.

من جانب المشرفين قد يجدو من الصعب أن يميزوا بين مطالبة العمال بحقهم فى المعاملة باحترام، وبين التحدى المباشر لمكانتهم وسلطتهم. فى هذه الظروف يصبح من المهم تحديد سلطات المشرفين بصورة أكثر وضوحا عما كان شائعا، وكذلك تحديد الحقوق الأساسية للعمال ويتم تدعيمها من جانب المؤسسة بصورة قاطعة.

تعتبر الصورة مختلفة فى الولايات المتحدة ، فقد سقطت حواجز التمييز العنصرى الرسمى، وأزيل التعصب الصريح بصورة واسعة النطاق فى منظمات العمل. وهنا ظهرت مشكلة لاحظها بيتى جرو - مارتن (١٩٨٩)[٥٠١] وهى أن السود يعانون من أفكار نمطية جامدة غير صريحة وتعصب غير مباشر يتم تبريرها بالحديث عن حالات فردية لزنوج يحتلون مراكز هامة. ويشمل العلاج عقوبات تطبقها السلطات فى المنظمة، برامج التدريب على تخفيض التعصب، تنظيم أنشطة مشتركة للعمل بين العناصر السكانية المختلفة، وذلك بصورة تعاونية، كذلك إقامة نظام لمكافأة المشرفين الذين يحقق الزنوج تحت إشرافهم تقدما ملحوظا. هذا بالإضافة إلى اقتراح بوجوب تجنب التعامل الفردى مع الزنوج بترقية شخص واحد من بينهم، قدر الامكان وذلك بحث الزنوج على التجمع والتكاتف للحصول على نسبة ٢٠ ٪ من كافة مستويات الوظائف فى المنظمة، ويتحقق ذلك بتمويل برنامج معين للتدريب والتعليم.

الاتجاهات الفردية والتهيؤ:

تنقسم تدخلات تغيير الأفراد إلى نوعين: فقد تهدف إلى تغيير **أولا** : قابلية الفرد العامة للتعصب.

وثانيا : تغيير اتجاهات محددة نحو بعض الجماعات. يشمل تغيير قابلية الفرد المعممة للتعصب، محاولة تغيير سمات أو قيم أو ملامح متأصلة ومستقرة، وقد يؤدى هذا التوجه إلى توليد مقاومة قوية، لها أسباب وجيهه مما يجعلها صعبةالمواجهة.

تستخدم أكثر التوجهات شيوعا لتغيير القابلية للتعصب أساليب علاجية أساسا، فقد وصف باجلى وآخرون (١٩٧٩)[٣٢] جلسة إرشاد جماعى فى مدرسة بريطانية متعددة الأجناس، وأدى ذلك الأسلوب إلى تخفيض التعصب العنصرى وذلك بزيادة تقدير الذات لدى الأطفال المشاركين. وصف التيمير (١٩٨٨أ)[١٧] أيضا عددا من الأساليب غير العلاجية التى وجد أنها فعالة فى تخفيض الاتجاهات التسلطية بين طلاب الجامعة.

لمحاولة تغيير الاتجاهات الجماعية عيب خطير، فتغيير الاتجاه نحو جماعة خارجية معينة فى الاتجاه الإيجابى لا يعنى بالضرورة أن الاتجاه نحو باقى الجماعات الخارجية سوف يتغير إلى الناحية الايجابية. غير أن تغيير اتجاه معين فى العادة أسهل من تغيير سمة أكثر عمقا. نتيجة لذلك يستخدم هذا التوجه أكثر من غيره. تنوعت برامج التغيير بصورة كبيرة، يمكن تصنيف بعضها باعتباره معرفيا، يركز على المعلومات، المعرفة، الوعى، والفهم. يركز البعض اللآخر على تغيير المشاعر نحو الجماعات الخارجية، وذلك عن طريق الخبرات المشتركة معهم فى ظروف عمل مشتركة.

يمكن تقديم البرامج ذات الطابع المعرفى فى شكل مواعظ تلقين صريح وذلك بالمحاضرة، الفيلم، المناقشة، والقراءات الحرة، ويركز فى الغالب على الأقليات أو تاريخ الجماعة الخارجية وإنجازاتها - هذا مع إمكانية شمول ذلك لمناقشة مشكلات وعلاقات الجماعة الداخلية أيضا. اتضح أن هذه المحاولات تؤدى إلى نتائج إيجابية دائما، خصوصا فيما يتعلق بالبرامج التى تشمل أكثر من اسلوب للتغيير، كذلك بالنسبة للبرامج التى تركز على أوجه التشابه بين الجماعات أكثر من أوجه الاختلاف، والبرامج التى تتطلب مشاركة فعالة من الطرفين (فيشر ١٩٩٠[٢٠٣]، ستيفان - ستيفان ١٩٨٤[٦٣٢]).

للتدريب على زيادة الوعى العنصرى (كاتز ١٩٧٨)[٣١٦] أهمية أخرى، فالتركيز هنا يكون على توعية المشاركين بأشكال ومظاهر العنصرية فى المجتمع، خصوصا أشكال التغيير الصريح وغير المباشر عنها، ولا يؤدى ذلك إلى تغيير الاتجاهات العنصرية، ولكنه يغرس الاستعداد عند الشخص لمقاومة العنصرية فى البيئة المحيطة به (ليستر ١٩٨٩)[٣٦٠]. أخيرا، يستخدم توجه مختلف نوعا فى التدريب عن طريق المحاضرة،

يـكون تركيزة على الفروق الثقافية، ويهدف إلى تنمية فهم تعاطفى empathic under-standing لـثقافـة أعضاء الجماعة الخارجيـة. يستخدم اسلوب الاسـتيـعـاب الثقافى cultural assimilation فى تعليم المبحوثين إدراك وتفسير الأحداث المؤدية إلى سوء فهم لثقـافة الآخرين أو إلى الأفـكار الجـامدة مـن وجـهة نـظر الجـماعـات الخـارجية، كذلك أوضـحت تأثيـرا إيجـابـيا على الاتجاهـات بين الجماعات (فـان دن هيوفل - ميرتنز ١٩٨٩)[٦٨٢].

هناك اتجاه لاستخدام ورش العمل workshops التى تجمع أفرادا من جماعات مخـتلفة، ويـتم تدريبـهم على تكويـن العلاقـات الانسانيـة أو التدريب عـلى زيادة الحساسية sensitivity trining وذلك فى جـماعات تفاعـل صغيرة (دوب - فـولتز ١٩٧٣)[١٦١]. تقوم هـذه الجماعات عـموما بمناقـشة وتشخـيص القضايـا والمشكلات الشائعة بين الجماعات فى مواجهات شبـه علاجية وذلك لاكتساب الوعى والاستبصار بالذات بهدف تغيير الاتجاهات. تهدف ورش العمل التى تركز على حل المشكلات، أو تسـوية الصراع إلـى تحقيق هـدف مختـلف، فيـجمتـع المشاركون مـن جماعـتين «متـصارعتـين» بهدف محـدد وهو تحقـيق تسوية أو حـل للعلاقـات الغير بـناءة بين الجماعـات. تشمل هذه التسـوية خطوات مثل تشخـيص وتعريف المشاكل واسـتعراض أدبياتها، طرح البدائل، تقيـم الحلول وبناء خطة العمل (بليك -موتون ١٩٨٤)[٥٩]. وقد تـشمل ورشـة العمل من هـذا النوع عددا مـن التدريبـات مثل التـبادل الثـنائى الطرفين، مـناقشة صـورة الجماعة عن نـفسها وعـن الجماعات الأخـرى. وتؤدى هذه العمليـات والتفاعل بين الجماعـات إلى تخفيض الاتجاهات السـلبية القديمة واستـبدالها باتجاهات أكثر إيجابية (فيشر ١٩٩٠)[٢٠٣].

فى الممارسة العملـية تستخدم برامج التدخل وورش العمل لتـغيير الاتجاهات التعصبـية خليطا من المناهج والتـدريبات، استخدمت مثل هـذه البرامج فى المجالات العسكرية (لانديز - هوب-دى ١٩٨٤) [٣٥٢] والمجالات التربوية (إيجاز ١٩٨٢)[٢٩٤] والتنظيمية. أكدت التقييمات الأميريقية فاعلية هذه البرامج عموما (فيشر ١٩٩٠[٢٠٣]، ستيفان - ستيفان ١٩٨٤)[٦٣٢] ولكن لم يتضح مدى استمرار هذه الفعالية خصوصا إذا لم يكن يصاحبها تغير فى البناء الاجتماعى والفعالية الاجتماعية التى لها تأثير على الأفراد المـتعرضين هـذه البرامج. هذا بـالإضافة إلـى أن تغير الاتجـاهات يحدث فـقط للأشخاص الذين تـعرضوا لبرامج التغيـير رغم محاولات توسيع هذا التـأثير من خلال

التعامل مع قادة الرأى أو الأشخاص المؤثرين (دوب- فولتز ١٩٧٣)[١٦١] ويبدو من المحتمل أن التأثير الأكبر لهذه البرامج سيتحقق إذا تكاملت هذه البرامج مع المناهج الدراسية.

تطوير سياسات التدخل:

استعرضت الأجزاء الثلاثة السابقة مواصفات مختلفة يمكن استخدامها فى تخفيض التعصب، وهناك موضوعان إضافيان لهما علاقة بالموضوع هنا :- يختص الأول بتكامل المواصفات بمستوياتها المختلفة فى سياسات أوسع وأكثر تكاملا، ويهتم الثانى بالمكان والزمان الملائمان لاستخدام كل من هذه المواصفات بأكبر قدر من الفعالية.

فيما يتعلق بالموضوع الأول يمكن التمييز بين التوجهين الأساسيين أو السياستين العموميتين فى الاستيعاب والتعدد الثقافى. يمكن النظر إلى هذين التوجهين باعتبارهما طرفين متقابلين على متصل يعكس درجة استعداد المجتمعات المتعددة العناصر لتحمل وقبول الهوية الخاصة بالجماعات الفرعية. وتستهدف سياسة الاستيعاب إذابة هذه الهويات فى هوية واحدة أوسع وأشمل - وهى أيديولوجية بوتقة الصهر melting pot. من ناحية أخرى فالتوجه المتعدد الثقافات يرى فى الاختلاف الثقافى قيمة كبيرة لصالحه، حيث إن من أهدافه التقبل والاعتراف والمحافظة على هوية الجماعات الفرعية.

بقدر ما تستطيع سياسة الاستيعاب إذابة الفوارق بين العناصر، بقدرما تصبح الاتصالات بين أعضاء الجماعات المختلفة على أساس فردى وتستبعد أى أساس للتعصب العنصرى. بعبارة أخرى سيؤدى ذلك إلى إيجاد مجتمع مصاب فى الحقيقة بعمى الألوان. وقد اعترض بروير- ميلر (١٩٨٤)[٨٢] على أن ذلك التوجه لتحويل هذه التفاعلات إلى النوع الفردى الشخصى سيكون أكثر الطرق فعالية فى تخفيض التعصب بين الجماعات. ساندت الأبحاث التجريبية الحديثة ذلك بإيضاح أن التحيز والتمييز بين الجماعات يقل جدا كلما انصهرت الهويات الجماعية المتفرقة فى هوية جديدة متعالية (جايرتنر - مان - دوفيدو - موريل - بومير ١٩٩٠[٢٢٠]، جايرتنر وآخرون ١٩٨٩[٢١٩]).

غير أن التوجه الاستيعابى تعرض لبعض الانتقادات، فمثلا اتضح أنه فى مواقف الأغلبية - الأقلية قد يصبح كل من اتجاهى العمى اللونى، والاتجاه

الاستيعابى ضارين جدا بالأقلية، لسبب أنه قد يكشف عن قدر كبير من التعصب والتمييز الخفى ضدهم ويدعم الاتجاه غير المتسامح تجاه الفوارق الثقافية. (ساهارسو ١٩٨٩[٥٦٤]، شوفيلد ١٩٨٦[٥٦٩]، هاوستون - براون ١٩٨٦ب[٢٧٨]).

لوحظ أيضا أن هدف تحقيق المجتمع المتجانس بغير فروق بين جماعاته قد يكون صعب المنال، إن لم يكن مستحيلا؛ ذلك لأن هذه الهويات الجماعية والمشاعر الإيجابية بالتميز عن الجماعات الأخرى ستكون ذات قيمة كبيرة غالبا، يرى الباحثان أن هذه الحالات لا تؤدى بالضرورة إلى التعصب. فقد يشمل التعصب الاتصال بين الجماعات فى مثل هذه المواقف ما يمكن تسميته التمايز الجماعى المتبادل. فكل جماعة سترى نفسها متميزة عن الأخرى على أساس القيم والخصائص المهمة بالنسبة لها، وتنسب التدنى فى هذه القيم والخصائص المهمة إلى الجماعة الخارجية.

لكن قد يبدو ذلك موقفا مثاليا،فقد سبقت الإشارة إلى أنه حينما تتباين الجماعات فى المكانة أو القوة، فسيكون هناك ميل قوى لسمات الجماعة ذات المكانة العالية للتحول إلى أن تكون سمات أكثر قبولا بينما تقل قيمة خصائص الجماعة متدنية المكانة (موندى- سيمون ١٩٨٩)[٤٥٤]. وليس من الممكن فى مثل هذه المواقف ببساطة أن يحدث التمايز الجماعى المتبادل بصورة لا تؤثر سلبا على احترام الذات فى جماعات الأقليات أو الجماعات الخارجية منخفضة المكانة.

رغم أن الاستيعاب يعتبر الإستراتيجية المفصلة فى المجتمعات متعددة العناصر، فان تفضيل بديل التعدد الحضارى يبدو أنه يتزايد يوما بعد يوم (بيرى ١٩٨٤[٤٨]، فان أودنهوفن- ويلسن ١٩٨٩ب[٦٨٨])، لكن هذين الاتجاهين قد لا يكونا متناقضين كما يبدو للوهلة الأولى، ذلك حيث أشير :

أولا: إلى أن الهوية العامة لا تتناقض مع الهويات الجماعية الفرعية، وليس من الغريب بالنسبة لهذه الهوية العامة أن ترتبط بجماعة فرعية خاصة حين تنشأ بصورة طبيعية فى مجتمعات متباينة ثقافيا (فان أودهوفن - ويلسون - ١٩٨٩ب، ص٢٤٨).

ثانيا: أن أغلب التدخلات لتخفيض التعصب كانت تتفق منطقيا مع كلا التوجهين.

ثالثا: أن التوجه المتوازن والذى يتقبل الاختلاف ويتسامح فيه، ولكن فى الوقت نفسه يسعى لجعل الفروق الجماعية أقل عمومية وسيادة، خصوصا حينما ترتبط هذه

الفروق بالاتجاهات التعصبية وباحتمال الصراع، هذا التوجه ليس سهلا على الإطلاق، ولكنه فى الحقيقة أفضل لسياسات ملائمة فى أغلب المواقف.

تتصور النقطة الأخيرة أن حوار الاستيعاب مقابل التنوع الثقافى يجب أن ينظر إليه على أنه اختيار بين إحدى السياستين، ولكن بالسعى لاقامة التوازن بين الاثنين -- هذا التوازن هو الأكثر ملائمة فى مثل هذه الظروف. فى المجتمعات المستقرة والتى لها هوية شاملة مستقرة ومتأصلة، من الأفضل أن يكون التركيز على الحاجة إلى تقبل وتحمل الاختلاف. من جهة أخرى ففى المجتمعات الناشئة حديثا والتى تمزقها الفروق العرقية أو القبلية مع احتمال قوى لحدوث الصراع الطائفى، يصبح الأفضل فى هذه الحالة التركيز على مؤشرات اضعاف وتشتيت الحدود الفاصلة، ولبناء هوية عامة قوية.

يثير ذلك قضية ثانية، لاحظناها فى أول هذا الفصل، وهى قضية اختيار المؤشرات والسياسات الملائمة لكل موقف معين، وتملى طبيعة الموقف الجماعى أى السياسات والمؤشرات الملائمة والفعالة لتحقيق أهداف تحسين الاتجاهات والعلاقات الجماعية.

يجب أن يسبق أى محاولة لوضع أهداف أو تطوير سياسات، تحليل تاريخى دقيق للعلاقات بين الجماعات، كذلك تحليل للموقف الحالى لهذه العلاقات. ورغم أن ذلك الموضوع قد حظى ببعض الاهتمام فى أدبيات الموضوع (أمير - بن آرى ١٩٨٩[٢٠]، سيمبسون - ينجر ١٩٨٥[٦٠٤])، فقد أجريت أبحاث قليلة إلى الآن على وضع خطوط إرشادية شاملة ومنهجية لتنمية الأبعاد الموقفية والجماعية التى تحدد مدى ملاءمة إستراتيجيات التدخل المختلفة. لكن أمير - بن آرى (١٩٨٩)[٢٠] وضعا اقتراحات مهمة، فقد لاحظا ثلاثة مواقف جماعية فى إسرائيل بين اليهود الغربيين والشرقيين، بين العرب واليهود، وبين العلمانيين والدينيين اليهود. وافترضا أن العلاقات الجماعية المختلفة فى كل من هذه الحالات تعنى أن لكل واحدة منها سياسة وأهداف تلائمها أكثر من غيرها على وجه الخصوص. حينما تستنكر الجماعات شرعية وجود الجماعات الأخرى ولا يبدو أنها توافق على مبدأ التعايش المشترك، مثلما هو الحال فى حالة اليهود الدينيين والعلمانيين، يجب أن يتحول التركيز إلى التغيير فى المستوى الاجتماعى الشامل (أمير-بن آرى ١٩٨٩)[٢٠]. ويبدو أن حل مثل هذه المواقف غالبا كما هو الحال فى أيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتوستانت، والصراع فى نيجيريا والتى نتج عن ظهور أول جمهورية فيدرالية، يحتاج إلى حل للصراع السياسى وإلى تخطيط نظم دستورية وسياسية لتشتيت الصراع الجماعى قبل إمكان اتخاذ أية إجراءات تالية.

الموقف الجماعى الثانى هو الذى توافق الجماعات فيه على التعاون، لكن لا ترغب فى الاتصال عن قرب أو فى التكامل المعيشى. يفترض أمير-بن آرى أن هذا الموقف ينطبق على علاقات العرب باليهود، ورغم أن السنوات القليلة الماضية من الانتفاضة توصلنا إلى أن ذلك يتضمن تفاؤلا مبالغا فيه. غير أنه على مستوى هذه المرحلة المتقدمة نوعا من العلاقات الجماعية، يفترض ذلك أن الاتجاه المعلوماتى هو الأكثر مناسبة. يتضمن ذلك الاتجاه المعلوماتى استخدام وسائل الإعلام والنظام التعليمى لتحسين الفهم والوعى المتبادل بين الثقافات الفرعية، ولتخفيض الاتجاهات والصور النمطية السلبية.

أخيرا، كان أكثر المواقف الجماعية تقدما هو الذيين اليهود الشرقيين والغربيين، حيث توافق الجماعات على مبدأ التعايش سويا، وعلى الاتصال القريب وعلى الأهداف المشتركة، فى هذه الحالة سوف تنجح سياسات إزالة التمييز وإقامة مكانات مشتركة واتصال جماعى قريب.

هل يوجد عالم بغير تعصب؟ A World Without Prejudice

أخيرا وعلى ضوء ما سبق تقديمه، فالسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو هل يمكن أن يوجد عالم بغير تعصب. توجد بعض العوامل الإيجابية تتناقض مع الاستنتاجات الشائعة حاليا فى أن الأنماط الجامدة وحتى التعصب هو شىء محتوم ونتيجة شائعة لعمليات معرفية إنسانية لا يمكن تغييرها. وقد كان رأيى هو أن التعصب ينشأ فقط عن إمكانية فردية إنسانية، هذه الإمكانية تتحقق فقط فى ظروف اجتماعية محددة. وبصرف النظر عن مدى شيوع هذه الظروف حاليا، فإن ذلك يخلق إمكانية تشكيل المجتمعات والظروف على التسامح بدلا من التعصب.

أشار (بيتى جرو ١٩٨٦)[٥٠٠] إلى أن مواقف الانسجام العقلانى ليست نادرة، كما أشار ويلمسن-أودنهوفن (١٩٨٩)[٧٠٨] إلى أن «العلاقات بين جماعات الأغلبية والأقلية لا تمثل مشكلة بالضرورة»، ففى سويسرا على سبيل المثال، نجد أن العلاقات بين الأغلبية المتخصصة بالألمانية، والأقليات المتحدثة بالفرنسية - الإيطالية والريترومانية متجانسة جدا. ليس من المحتمل أن نستبعد الأشكال التافهة من التعصب أو بعض الأفكار الجامدة السلبية، حتى فى أكثر المجتمعات نموذجية. فكلما يوجد التمييز بين الجماعات سيوجد شكل من أشكال التعصب والأفكار النمطية حتى ولو بشكل بسيط.

وليس من الصعب العثور على أمثلة لمجتمعات أو ظروف اجتماعية لا يشكل التعصب بين الجماعات العرقية أهمية أو اشكالية. والأكثر من ذلك فإن نوع المؤشرات التى استعرضناها باختصار فى هذا الفصل والتى تميل إلى تخفيض التعصب والعداء بين الجماعات، يتفق مع العدالة الاجتماعية والديمقراطية.

فالحقيقة، أن أغلب هذه المؤشرات تساعد على تكوين مجتمعات أكثر عدالة وتنظيما. وإلى الحد الذى يمكن لنا خلق هذه المجتمعات، من المحتمل أن نحقق الظروف التى يمكن خلالها للناس أن يعيشوا سويا فى انسجام نسبى.



مراجع

الباب الثاني

BIBLIOGRAPHY

1 - Abelson, R. P., Kinder, D. R., Peters, M. D., & Fiske, S. T. (1982). Affective and semantic components in political person perception. *Journal of Personality and Social Psychology, 42*, 619–630.

2 - Aboud, F. E. (1988). *Children and prejudice*. Oxford: Blackwell.

3 - Aboud, F. E., & Skerry, S. A. (1984). The development of ethnic attitudes: A critical review. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 15*, 3–34.

4 - Abrams, D., & Hogg, M. A. (1988). Comments on the motivational status of self-esteem in social identity and intergroup discrimination. *European Journal of Social Psychology, 18*, 317–334.

5 - Ackerman, N., & Jahoda, M. (1950). *Anti-Semitism and emotional disorders: A psycho-analytic interpretation*. New York: Harper.

6 - Adams, F., & Osgood, C. (1973). A cross-cultural study of the affective meanings of color. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 4*, 135–156.

7 - Adorno, T., Frenkel-Brunswick, E., Levinson, D., & Sanford, R. (1950). *The authoritarian personality*. New York: Harper.

8 - Ajzen, I., & Fishbein, M. (1977). Attitude-behavior relations: A theoretical analysis and a review of empirical research. *Psychological Bulletin, 84*, 888–918.

9 - Ajzen, I., & Fishbein, M. (1980). *Understanding attitudes and predicting social behavior*. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.

10 - Allen, R. O., & Spilka, B. (1967). Committed and consensual religion: A specification of religion-prejudice relationships. *Journal for the Scientific Study of Religion, 6*, 191–206.

Allen, V , & Wilder, D. (1975). Categorization, belief similarity, and intergroup discrimination. *Journal of Personality and Social Psychology, 32*, 971–977.

12 - Allport, G. W. (1954). *The nature of prejudice*. Reading, Massachusetts: Addison-Wesley.

13 - Allport, G. W. (1966). Religious context of prejudice. *Journal for the Scientific Study of Religion, 5*, 447–457.

14 - Allport, G. W., & Kramer, B. M. (1946). Some roots of prejudice. *Journal of Psychology, 22*, 9–39.

15 - Allport, G. W., & Ross, J. M. (1967). Personal religious orientation and prejudice. *Journal of Personality and Social Psychology, 5*, 432–443.
16 - Altemeyer, B. (1981). *Right-wing authoritarianism* Winnipeg: University of Manitoba Press.
17 - Altemeyer, B. (1988a). *Enemies of freedom· Understanding right-wing authoritarianism*. San Francisco: Jossey-Bass
18 - Altemeyer, B. (1988b, March/April). Marching in step: A psychological explanation of state terror. *The Sciences*, pp. 30–38.
19 - Amir, Y. (1976). The role of intergroup contact in change in prejudice and ethnic relations. In P. A. Katz (Ed.), *Towards the elimination of racism* (pp. 245–308). New York: Pergamon.
20 - Amir, Y., & Ben-Arie, R. (1989). Enhancing intergroup relations in Israel: A differential approach. In D. Bar-Tal, C. F. Graumann, A. W. Kruglanski, & W. Stroebe (Eds.), *Stereotyping and prejudice: Changing conceptions* (pp. 243–257). Berlin: Springer.
21 - Apostle, R., Glock, C., Piazza, T., & Suelze, M. (1983). *The anatomy of racial attitudes*. Berkeley: University of California Press.
22 - Appelgryn, A.E.M., & Nieuwoudt, J. M. (1988). Relative deprivation and the ethnic attitudes of blacks and Afrikaans speaking whites in South Africa. *Journal of Social Psychology, 128*, 311–324.
23 - Applezweig, D. G. (1954). Some determinants of behavioral rigidity. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 49*, 224–228.
24 - Argyle, M., & Beit-Hallahmi, B. (1975). *The social psychology of religion*. London: Routledge & Kegan Paul.
25 - Asch, S. E. (1952). *Social psychology*. New York: Prentice-Hall.
26 - Ashmore, R. (1970). The problem of intergroup prejudice. In B. E. Collins (Ed.), *Social Psychology* (pp. 245–296). Reading, Massachusetts: Addison-Wesley.
27 - Ashmore, R., & DelBoca, F. (1976). Psychological approaches to understanding intergroup conflict. In P. Katz (Ed.), *Towards the elimination of racism* (pp. 73–123). New York: Pergamon.
28 - Ashmore, R., & DelBoca, F. (1981). Conceptual approaches to stereotypes and stereotyping. In D. Hamilton (Ed.), *Cognitive processes in stereotyping and intergroup behavior* (pp. 1–36). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.
29 - Aumack, L. (1955). The effects of imprisonment on authoritarian attitudes. *American Psychologist, 10*, 342.
30 - Babad, E. Y., Birnbaum, M., & Benne, K. D. (1983). *The social self: Group influences on personal identity*. Beverly Hills: Sage.
31 - Bagley, C., & Verma, G. (1979). *Racial prejudice, the individual and society*. Westmead, England: Saxon House.
32 - Bagley, C., Verma, G., Mallick, K., & Young, L. (1979) *Personality, self-esteem and prejudice*. Westmead, England: Saxon House
33 - Banton, M. (1967). *Race relations*. London: Tavistock.
34 - Bar-Tal, D., Graumann, C. F., Kruglanski, A. W., & Stroebe, W. (Eds.). (1989). *Stereotyping and prejudice: Changing conceptions*. Berlin: Springer.
35 - Bass, B. M. (1955). Authoritarianism or acquiescence? *Journal of Abnormal and Social Psychology, 51*, 616–623.
36 - Bass, B. M. (1956). Development and evaluation of a scale for measuring social acquiescence. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 53*, 296–299.

37 - Batson, C. D., Flink, C. H., Schoenrade, P. A., Fultz, J., & Pych, V (1986) Religious orientation and overt versus covert racial prejudice. *Journal of Personality and Social Psychology, 50,* 175–181.

38 - Batson, C. D., Naifeh, S. J., & Pate, S. (1978). Social desirability, religious orientation, and racial prejudice. *Journal for the Scientific Study of Religion, 17,* 31–41.

39 - Beloff, H., & Coupar, S. (1969). Some transactional perceptions of African faces *British Journal of Social and Clinical Psychology, 7,* 169–175.

40 - Bem, D. (1970). *Beliefs, attitudes and human affairs.* Belmont, California: Brooks/Cole.

41 - Bem, D. (1972). Self-perception theory. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology, Vol. 6* (pp. 1–62). New York: Academic.

42 - Ben-Arie, R., & Amir, Y. (1988). Intergroup contact, cultural information and change in ethnic attitudes. In W. Stroebe, A. Kruglanski, D. Bar-Tal, & M. Hewstone (Eds.), *The social psychology of intergroup conflict* (pp. 151–166). Berlin: Springer.

43 - Bentler, P. M., & Speckart, G. (1981). Attitudes "cause" behavior: A structural equation analysis. *Journal of Personality and Social Psychology, 40,* 226–238.

44 - Berg, K. (1966). Ethnic attitudes and agreement with a Negro person. *Journal of Personality and Social Psychology, 4,* 215–220.

45 - Berkowitz, L. (1959). Anti-Semitism and the displacement of aggression. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 59,* 182–187.

46 - Berkowitz, L. (1962). *Aggression: A social psychological analysis.* New York: McGraw-Hill.

47 - Berkowitz, L., & Green, J. A. (1962). The stimulus qualities of the scapegoat. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 64,* 293–301.

48 - Berry, J. W. (1984). Cultural relations in plural societies: Alternatives to segregation and their sociopsychological implications. In N. Miller & M. Brewer (Eds.), *Groups in contact: The psychology of desegregation* (pp. 11–27). San Diego: Academic.

49 - Best, D., Naylor, C., & Williams, J. (1975). Extension of color bias research to young French and Italian children. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 6,* 390–405.

50 - Beswick, D. G., & Hills, M. D. (1972). A survey of ethnocentrism in Australia. *Australian Journal of Psychology. 24,* 153–163.

51 - Bettelheim, B., & Janowitz, M. (1964). *Social change and prejudice.* London: Collier-MacMillan.

52 - Bielby, W. T. (1987). Modern prejudice and institutional barriers to equal employment opportunity for minorities. *Journal of Social Issues, 43,* 79–84.

53 - Bierly, M. M. (1985). Prejudice toward contemporary outgroups as a generalized attitude. *Journal of Applied Social Psychology, 15,* 189–199.

54 - Billig, M. (1976). *Social psychology and intergroup relations.* London: Academic.

55 - Billig, M. (1978). *Fascists: A social psychological view of the National Front.* London: Academic.

65 - Bird, C., Monachesi, E. D., & Burdick, H. (1952). Infiltration and the attitudes of white and Negro parents and children. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 47,* 688–699.

57 - Blackwell, J. (1982). Persistence and change in intergroup relations: The crisis upon us. *Social Problems, 29*, 325–346.
58 - Blake, R. R., & Mouton, J. S. (1979). Intergroup problem solving in organizations: From theory to practice. In W. G. Austin and S. Worchel (Eds.), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 19–32). Monterey, California: Brooks/Cole.
59 - Blake, R. R., & Mouton, J. S. (1984). *Solving costly organizational conflicts*. San Francisco: Jossey-Bass.
60 - Blalock, H. (1967). *Towards a theory of minority-group relations*. New York: Wiley.
61 - Blauner, R. (1972). *Racial oppression in America*. New York: Harper & Row.
62 - Block, J. (1955). Personality characteristics associated with fathers' attitudes towards child-rearing. *Child Development, 26*, 41–48.
63 - Block, J., & Block, J. (1951). An investigation of the relationship between intolerance of ambiguity and ethnocentrism. *Journal of Personality, 19*, 303–311.
64 - Bobo, L. (1983). Whites' opposition to busing: Symbolic racism or realistic group conflict? *Journal of Personality and Social Psychology, 45*, 1196–1210.
65 - Bobo, L. (1988). Attitudes toward the black political movement: Trends, meaning, and effects on racial policy preferences. *Social Psychology Quarterly, 51*, 287–302.
66 - Bogardus, E. (1925). Measuring social distance. *Journal of Applied Sociology, 9*, 299–308.
67 - Bogardus, E. (1928). *Immigration and race attitudes*. Boston: Heath.
68 - Bonacich, E. (1972). A theory of ethnic antagonism: The split labor market. *American Sociological Review, 37*, 447–559.
69 - Boswell, D., & Williams, J. (1975). Correlates of race and color bias among preschool children. *Psychological Reports, 36*, 147–154.
70 - Bourhis, R., & Hill, P. (1982). Intergroup perceptions in British higher education: A field study. In H. Tajfel (Ed.), *Social identity and intergroup relations*. Cambridge: Cambridge University Press.
71 - Bowser, B. P. (1985). Race relations in the 1980s: The case of the United States. *Journal of Black Studies, 15*, 307–324.
72 - Boyanowsky, E., & Allen, V. (1973). Ingroup norms and self-identity as determinants of discriminatory behavior. *Journal of Personality and Social Psychology, 25*, 408–418.
73 - Branch, C. W., & Newcombe, N. (1986). Racial attitude development among young black children as a function of parental attitudes: A longitudinal and cross-sectional study. *Child Development, 57*, 712–721.
74 - Branthwaite, A., Doyle, S., & Lightbown, N. (1979). The balance between fairness and discrimination. *European Journal of Social Psychology, 9*, 149–163.
75 - Bray, D. W. (1950). The prediction of behavior from two attitude scales. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 45*, 64–84.
76 - Brewer, M. B. (1968). Determinants of social distance among East African tribal groups. *Journal of Personality and Social Psychology, 10*, 279–289.
77 - Brewer, M. B. (1979). In-group bias in the minimal intergroup situation: A cognitive-motivational analysis. *Psychological Bulletin, 86*, 307–324.
78 - Brewer, M. B. (1981). Ethnocentrism and its role in interpersonal trust. In M. B. Brewer & B. Collins (Eds.), *Scientific inquiry in the social sciences* (pp. 345–360). San Francisco: Jossey-Bass.

79 - Brewer, M. B., & Campbell, D. T. (1976). *Ethnocentrism and intergroup attitudes: East African evidence*. New York: Sage.
80 - Brewer, M. B., Campbell, D. T., & LeVine, R. (1971). Cross-cultural test of the relationship between affect and evaluation. *Proceedings of the 79th Annual Convention of the American Psychological Association, 6*, 213–214.
81 - Brewer, M. B., & Kramer, R. (1985). The psychology of intergroup attitudes and behavior. *Annual Review of Psychology, 36*, 219–243.
82 - Brewer, M. B., & Miller, N. (1984). Beyond the contact hypothesis: Theoretical perspectives on desegregation. In N. Miller & M. B. Brewer (Eds.), *Groups in contact: The psychology of desegregation* (pp. 281–302). San Diego: Academic.
83 - Brewer, M. B., & Silver, M. (1978). Ingroup bias as a function of task characteristics. *European Journal of Social Psychology, 8*, 393–400.
84 - Brewster-Smith, M. (1965). An analysis of two measures of authoritarianism in Peace Corps teachers. *Journal of Personality, 33*, 513–535.
85 - Brigham, J. C. (1971a). Ethnic stereotypes. *Psychological Bulletin, 76*, 15–38.
86 - Brigham, J. C. (1971b). Racial stereotypes, attitudes, and evaluations of and behavioral intentions toward Negroes and whites. *Sociometry, 34*, 360–380.
87 - Brigham, J. C. (1972). Racial stereotypes: Measurement variables and the stereotype-attitude relationship. *Journal of Applied Psychology, 2*, 63–76.
88 - Brigham, J. C., Woodmansee J., & Cook, S. (1976). Dimensions of verbal racial attitudes: Interracial marriage and approaches to racial equality. *Journal of Social Issues, 32*, 9–21.
89 - Brown, C. E. (1981). Shared space invasion and race. *Personality and Social Psychology Bulletin, 7*, 103–108.
90 - Brown, R. (1965). *Social psychology*. New York: Free Press.
91 - Brown, R. J. (1978). Divided we fall: An analysis of relations between sections of a factory workforce. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation between social groups: Studies in the social psychology of intergroup relations* (pp. 395–430). London: Academic.
92 - Brown, R. J. (1984a). The effects of intergroup similarity and cooperative vs. competitive orientation on intergroup discrimination. *British Journal of Social Psychology, 23*, 21–33.
93 - Brown, R. J. (1984b). The role of similarity in intergroup relations. In H. Tajfel (Ed.), *The social dimension, Vol. 2* (pp. 603–623). Cambridge, England: Cambridge University Press.
94 - Brown, R. J., & Abrams, D. (1986). The effects of intergroup similarity and goal interdependence on intergroup attitudes and task performance. *Journal of Experimental Social Psychology, 22*, 78–92.
95 - Brown, R. J., Condor, S., Matthews, A., Wade, G., & Williams, J. (1986). Explaining intergroup differentiation in an industrial organization. *Journal of Occupational Psychology, 59*, 273–286.
96 - Brown, R. J., & Turner, J. C. (1979). The criss-cross categorization effect in intergroup discrimination. *British Journal of Social and Clinical Psychology, 18*, 371–383.
97 - Brown, R. J., & Turner, J.C. (1981). Interpersonal and intergroup behaviour. In

J. Turner & H Giles (Eds.), *Intergroup behaviour* (pp. 33–65). Oxford: Blackwell.

98 - Brown, R. J., & Williams, J. A. (1984). Intergroup identification: The same thing to all people? *Human Relations, 37*, 547–564.

99 - Brown, R. W. (1953). A determinant of the relationship between rigidity and authoritarianism. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 48*, 469–476.

100 - Bush, D. F., Gallagher, B. J., & Weiner, W. (1982). Patterns of authoritarianism between generations. *Journal of Social Psychology, 116*, 91–97.

101 - Buss, A. H. (1961). *The psychology of aggression*. New York: Wiley.

102 - Byrne, D. (1965). Parental antecedents of authoritarianism. *Journal of Personality and Social Psychology, 1*, 369–373.

103 - Byrne, D. (1966). *An introduction to personality*. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.

104 - Byrne, D. (1971). *The attraction paradigm*. New York: Academic.

105 - Byrne, D., & Bounds, C. (1964). The reversal of F scale items. *Psychological Reports, 14*, 216.

106 - Byrne, D., & Wong, T. J. (1962). Racial prejudice, interpersonal attraction, and assumed dissimilarity of attitudes. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 65*, 246–253.

107 - Camilleri, S. F. (1959). A factor analysis of the F scale. *Social Forces, 37*, 316–323.

108 - Campbell, A. (1971). *White attitudes toward black people*. Ann Arbor: University of Michigan Institute for Social Research.

109 - Campbell, A., Converse, W., Miller, W., & Stokes, D. (1960). *The American voter*. New York: Wiley.

110 - Campbell, A. A. (1947). Factors associated with attitudes toward Jews. In T. M. Newcomb & E. L. Hartley (Eds.), *Readings in social psychology*, New York: Holt, Rinehart & Winston.

111 - Campbell, D. T., & McCandless, B. R. (1951). Ethnocentrism, xenophobia, and personality. *Human Relations, 4*, 186–192.

112 - Carlson, J. M., & Iovini, J. (1985). The transmission of racial attitudes from fathers to sons: A study of blacks and whites. *Adolescence, 20*, 233–237.

113 - Carmichael, S., & Hamilton, C. (1967). *Black power*. New York: Random House.

114 - Cattell, R. B., Eber, H. W., & Tatsuoka, M. M. (1970). *Handbook for the sixteen personality factor questionnaire (16PF)*. Champaign, Illinois: Institute for Personality and Ability Testing.

115 - Cheek, J. M. (1982). Aggregation, moderator variables, and the validity of personality tests: A peer rating study. *Journal of Personality and Social Psychology, 43*, 1254–1269.

116 - Chesler, M., & Schmuck, R. (1964). Student reactions to the Cuban crisis and public dissent. *Public Opinion Quarterly, 28*, 467–482.

117 - Chesler, M. A. (1976). Contemporary sociological theories of racism. In P. Katz (Ed.), *Towards the elimination of racism* (pp. 21–71). New York: Pergamon.

118 - Cheson, B. D., Stricker, G., & Fry, C. L. (1970). The repression-sensitization scale and measures of prejudice. *Journal of Social Psychology, 80*, 197–200.

119 - Christie, R. (1954). Authoritarianism reexamined. In R. Christie & M. Jahoda (Eds.), *Studies in the scope and method of "the authoritarian personality"* (pp. 123–196). Glencoe, Illinois: Free Press.

120 - Christie, R., & Garcia, J. (1951). Subcultural variation of the authoritarian personality. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 46*, 457–469.
121 - Christie, R., Havel, J., & Seidenberg, B. (1958). Is the F scale irreversible? *Journal of Abnormal and Social Psychology, 56*, 143–159.
122 - Clark, K. B., & Clark, M. P. (1947). Racial identification and preference in Negro children. In T. M. Newcomb & E. L. Hartley (Eds.), *Readings in social psychology* (pp. 169–178). New York: Holt.
123 - Cohen, J. M. (1977). Sources of peer group homogeneity. *Sociology of Education, 50*, 227–241.
124 - Colman, A., & Lambley, P. (1970). Authoritarianism and race attitudes in South Africa. *Journal of Social Psychology, 82*, 161–164.
125 - Commins, B., & Lockwood, J. (1979). The effects of status differences, favoured treatment and equity on intergroup comparisons. *European Journal of Social Psychology, 9*, 281–289.
126 - Comrey, A. L., & Newmeyer, J. A. (1965). Measurement of radicalism-conservatism. *Journal of Social Psychology, 67*, 357–369.
127 - Condor, S., & Brown, R. (1988). Psychological processes in intergroup conflict. In W. Stroebe, A. Kruglanski, D. Bar-Tal, & M. Hewstone (Eds.), *The social psychology of intergroup conflict* (pp. 3–26). Berlin: Springer.
128 - Condran, J. G. (1979). Changes in white attitudes toward blacks: 1963–1979. *Public Opinion Quarterly, 43*, 463–476.
129 - Converse, P. E. (1964). The nature of belief systems in mass publics. In D. E. Apter (Ed.), *Ideology and discontent* (pp. 206–261). Glencoe, Illinois: Free Press.
130 - Cook, S. W. (1972). Motives in a conceptual analysis of attitude-related behavior. In J. Brigham & T. Weissbach (Eds.), *Racial attitudes in America: Analyses and findings of social psychology*. New York: Harper & Row.
131 - Cook, S. W. (1978). Interpersonal and attitudinal outcomes in cooperating interracial groups. *Journal of Research in Developmental Education, 12*, 97–113.
132 - Cook, S. W. (1979). Social science and school desegregation: Did we mislead the court? *Personality and Social Psychology Bulletin, 5*, 420–437.
133 - Cooper, J., & Fazio, R. (1979). The formation and persistence of attitudes that support intergroup conflict. In W. Austin & S. Worchel (Eds.), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 149–159). Monterey, California: Brooks/Cole.
134 - Cooper, J., & McGaugh, J. (1963). *Integrative principles of social psychology*. Cambridge, Massachusetts: Schenkman.
135 - Coser, L. A. (1956). *The functions of social conflict*. London: Routledge & Kegan Paul.
136 - Couch, A., & Keniston, K. (1960). Yeasayers and naysayers: Agreeing response set as a personality variable. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 60*, 151–171.
137 - Cowen, E., Landes, J., & Schaet, D. (1959). The effects of mild frustration on the expression of prejudiced attitudes. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 58*, 33–38.
138 - Cox, O. (1948). *Caste, class and race: A study in social dynamics*. New York: Doubleday.

139 - Crabbe, B. D. (1974). Are authoritarians sick? In J. J Rav (Ed.), *Conservatism as heresy*. Sydney: A.N.Z. Book Co
140 - Crocker, J., & Luhtanen, R. (1990). Collective self-esteem and ingroup bias *Journal of Personality and Social Psychology, 58*, 60–67.
141 - Crocker, J., & Schwartz, I. (1985). Prejudice and ingroup favoritism in a minimal intergroup situation: Effects of self-esteem. *Personality and Social Psychology Bulletin, 11*, 379–386.
142 - Crocker, J., Thompson, L. L., McGraw, K. M., & Ingerman, C. (1987). Downward comparison, prejudice, and evaluations of others: Effects of self-esteem and threat. *Journal of Personality and Social Psychology, 52*, 907–916.
143 - Crosby, F., Bromley, S., & Saxe, L. (1980). Recent unobtrusive studies of black and white discrimination and prejudice: A literature review. *Psychological Bulletin, 87*, 546–563.
144 - Darley, J. M., & Darley, S. A. (1976). Conformity and deviation. In J. W. Thibault, J. T. Spence, R. C. Carson et al. (Eds.), *Contemporary topics in social psychology*. Morristown, New Jersey: General Learning Press.
145 - Davey, A. (1983). *Learning to be prejudiced: Growing up in multi-ethnic Britain*. London: Edward Arnold.
146 - DeFleur, M., & Westie, F. (1958). Verbal attitudes and overt acts: An experiment on the salience of attitudes. *American Sociological Review, 23*, 667–673.
147 - DeFriese, G., & Ford, W. S. (1969). Verbal attitudes, overt acts, and the influence of social constraint in interracial behavior. *Social Problems, 16*, 493–504.
148 - de Kiewiet, C. .W. (1957). *A history of South Africa: Social and economic*. London: Oxford University Press.
149 - Deschamps, J-C., & Doise, W. (1978). Crossed category memberships in intergroup relations. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation in social groups: Studies in the social psychology of intergroup relations* (pp. 141–158). London: Academic.
150 - Deutsch, M. (1971). Strategies for powerless groups. In G. T. Marx (Ed.), *Racial conflict* (pp. 223–228). Boston: Little, Brown.
151 - Deutsch, M., & Gerard, H. B. (1955). A study of normative and informational social influence upon individual judgment. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 51*, 629–636.
152 - Deutscher, I. (1973). *What we say? What we do?* Glenview, Illinois: Scott, Foresman.
153 - Dickens, L., & Hobart, C. (1959). Parental dominance and offspring ethnocentrism. *Journal of Social Psychology, 49*, 297–303.
154 - Diehl, M. (1988). Social identity and minimal groups: The effects of interpersonal and intergroup attitudinal similarity on intergroup discrimination. *British Journal of Social Psychology, 27*, 289–300.
155 - Dion, K. L. (1979). Intergroup conflict and intragroup cohesiveness. In W. G. Austin & S. Worchel (Eds.), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 211–224). Monterey, California: Brooks/Cole.
156 - Doise, W., & Sinclair, A. (1973). The categorization process in intergroup relations. *European Journal of Social Psychology, 3*, 145–157.
157 - Dollard, J., Doob, L., Miller, N. E., Mowrer, O., & Sears, R. (1939). *Frustration and aggression*. New Haven: Yale University Press.

158 - Donahue, M. J. (1985). Intrinsic and extrinsic religiousness: Review and meta-analysis. *Journal of Personality and Social Psychology, 48*, 400–419
159 - Donnerstein, E., Donnerstein, M., Simon, S., & Ditrichs, R. (1972). Variables in interracial aggression: Anonymity, expected retaliation and a riot. *Journal of Personality and Social Psychology, 22*, 236–245.
160 - Doob, L. W. (1964). *Patriotism and nationalism: Their psychological foundations* New Haven: Yale University Press.
161 - Doob, L. W., & Foltz, W. J. (1973). The Belfast Workshop: An application of group techniques to a destructive conflict. *Journal of Conflict Resolution, 17*, 489–512.
162 - Dovidio, J. F., & Gaertner, S. L. (Eds). (1986). *Prejudice, discrimination, and racism.* Orlando, Florida: Academic.
163 - Duckitt, J. (1982). Directiveness and authoritarianism: Some research findings and a critical reappraisal. *South African Journal of Psychology, 13*, 10–12.
164 - Duckitt, J. (1983a). Culture, class, personality and authoritarianism among white South Africans. *Journal of Social Psychology, 121*, 191–199.
165 - Duckitt, J. (1983b). Authoritarianism and adjustment in an authoritarian culture. *Journal of Social Psychology, 121*, 211–212.
166 - Duckitt, J. (1984). Reply to Ray's directiveness and authoritarianism: A rejoinder to Duckitt. *South African Journal of Psychology, 14*, 65–66.
167 - Duckitt, J. (1985a). Prejudice and neurotic symptomatology among white South Africans. *Journal of Psychology, 119*, 15–20.
168 - Duckitt, J. (1985b). Social class and F scale authoritarianism: A reconsideration. *The High School Journal, 68*, 279–286.
169 - Duckitt, J. (1988). Normative conformity and racial prejudice in South Africa. *Genetic, Social, and General Psychology Monographs, 114*, 413–437.
170 - Duckitt, J. (1989). Authoritarianism and group identification: A new view of an old construct. *Political Psychology, 10*, 63–84.
171 - Duckitt, J. (1990a). Response to Ray. *Political Psychology, 11*, 633–635.
172 - Duckitt, J. (1990b). *A social psychological investigation of racial prejudice in South Africa*. Unpublished doctoral dissertation, University of the Witwatersrand, Johannesburg, South Africa.
173 - Duckitt, J. (1991). Prejudice and racism. In D. Foster & J. Louw-Potgieter (Eds.), *Social psychology in South Africa* (pp. 171–203). Isando, South Africa: Lexicon.
174 - du Preez, J. M. (1983) *Africana Afrikaner: Master symbols in South African school textbooks*. Alberton, South Africa: Librarius.
175 - du Preez, P. D. (1977). Explanations of racial antagonism. *Social Dynamics, 3*, 17–25.
176 - Eagly, A. H., & Steffin, V. J. (1984). Gender stereotypes stem from the distribution of women and men into social roles. *Journal of Personality and Social Psychology, 46*, 735–754.
177 - Edwards, D. (1985). Authoritarianism in South Africa: A conceptual challenge to social science. *The High School Journal, 68*, 261–268.
178 - Edwards, O. L. (1972). Intergenerational variation in racial attitudes. *Sociology and Social Research, 57(1)*, 22–31.
179 - Ehrlich, H. J. (1973). *The social psychology of prejudice*. New York: Wiley.
180 - Ellemers, N., van Knippenberg, A., de Vries, N., & Wilkie, H. (1988). Social

identification and permeability of group boundaries. *European Journal of Social Psychology, 18*, 479–513.
181 - Ellemers, N., van Knippenberg, A., & Wilkie, H. (1990). The influence of the permeability of group boundaries and stability of group status on strategies of individual mobility and social change. *British Journal of Social Psychology, 29*, 233–246.
182 - Elliot, G., & Tyson, G. (1983). The effects of modifying color-meaning concepts on the racial attitudes of black and white South African preschool children. *Journal of Social Psychology, 121*, 181–190.
183 - Epstein R., & Komorita, S. S. (1965). Parental discipline, stimulus characteristics of outgroups, and social distance in children. *Journal of Personality and Social Psychology, 2*, 416–420.
184 - Epstein, R., & Komorita, S. S. (1966). Prejudice among Negro children as related to parental ethnocentrism and punitiveness. *Journal of Personality and Social Psychology, 4*, 643–647.
185 - Epstein, S. (1983). Aggregation and beyond: Some basic issues in the prediction of behavior. *Journal of Personality, 51*, 360–392.
186 - Ewens, W. L., & Ehrlich, H. J. (1972). Reference-other support and ethnic attitudes as predictors of intergroup behavior. *The Sociological Quarterly, 13*, 348–360.
187 - Eysenck, H. J. (1954). *The psychology of politics*. London: Routledge & Kegan Paul.
188 - Fairchild, H., & Gurin, P. (1978). Traditions in the social psychological analysis of race relations. *American Behavioral Scientist, 21*, 757–778.
189 - Farris, C. D. (1960). Selected attitudes on foreign affairs as correlates of authoritarianism and anomie. *Journal of Politics, 22*, 50–67.
190 - Feagin, J. R. (1964). Prejudice and religious types: A focused study of southern fundamentalists. *Journal for the Scientific Study of Religion, 4*, 3–13.
191 - Feagin, J. R. (1970). Home defense and the police: Black and white perspectives. *American Behavioral Scientist, 13*, 717–726.
192 - Feagin, J. R., & Eckberg, D. R. (1980). Discrimination: Motivation, action, effects, and context. *Annual Review of Sociology, 6*, 1–20.
193 - Feldman, R. S., & Donohoe, L. F. (1978). Nonverbal communication of affect in interracial dyads. *Journal of Educational Psychology, 70*, 979–987.
194 - Fendrich, J. M. (1967). Perceived reference group support: Racial attitudes and overt behavior. *American Sociological Review, 32*, 960–969.
195 - Fensterwald, B. (1958). The anatomy of American isolationism and expansionism, II. *Journal of Conflict Resolution, 2*, 280–309.
196 - Feshbach, S., & Singer, R. (1957). The effects of personal and shared threats on social prejudice. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 54*, 411–416.
197 - Festinger, L. (1957). *A theory of cognitive dissonance*. Stanford, California: Stanford University Press.
198 - Finchilescu, G. (1986). Effect of incompatibility between internal and external group membership criteria on intergroup behaviour. *European Journal of Social Psychology, 16*, 83–87.
199 - Finchilescu, G. (1988). Interracial contact in South Africa within the nursing context. *Journal of Applied Psychology, 18*, 1207–1221.
200 - Fink, H. C. (1971). Fictitious groups and the generality of prejudice: An artifact of scales without neutral categories. *Psychological Reports, 29*, 359–365.

201 - Firebaugh, G., & Davis, K. E. (1988). Trends in anti-black prejudice, 1972–1984: region and cohort effects. *American Journal of Sociology, 94*, 251–272.
202 - Fishbein, M., & Ajzen, I. (1975). *Belief, attitude, intention and behavior: An introduction to theory and research*. Reading, Massachusetts: Addison-Wesley.
203 - Fisher, R. J. (1990). *The social psychology of intergroup and international conflict resolution*. Berlin: Springer.
204 - Foley, L. A. (1976). Personality and situational influences on changes in prejudice: A replication of Cook's railroad game in a prison setting. *Journal of Personality and Social Psychology, 34*, 846–856.
205 - Forbes, H. D. (1985). *Nationalism, ethnocentrism, and personality*, Chicago: University of Chicago Press.
206 - Foster, D. (1986). The development of racial orientation in children: A review of South African research. In S. Burman & P. Reynolds (Eds.), *Growing up in a divided society: The contexts of childhood in South Africa*. Johannesburg: Ravan Press.
207 - Foster, D. (1991). Social influence I: Ideology. In D. Foster & J. Louw-Potgieter (Eds.), *Social Psychology in South Africa* (pp. 345–394). Johannesburg: Lexicon.
208 - Foster, D., & Finchilescu, G. (1986). Contact in a non-contact society: The case of South Africa. In M. Hewstone & R. Brown (Eds.), *Contact and conflict in intergroup encounters* (pp. 119–136). Oxford: Blackwell.
209 - Foster-Carter, O. (1984). Racial bias in children's literature: A review of the research on Africa. *Sage Race Relations Abstracts, 9(4)*, 1–11.
210 - Fredricks, A. J., & Dossett, D. L. (1983). Attitude-behavior relations: A comparison of the Fishbein-Ajzen and the Bentler-Speckart models. *Journal of Personality and Social Psychology, 45*, 501–512.
211 - Frenkel-Brunswick, E. (1949). Intolerance of ambiguity as an emotional and perceptual variable. *Journal of Personality, 18*, 108–143.
212 - Frenkel-Brunswick, E., & Havel, J. (1953). Prejudice in the interviews of children: Attitudes toward minority groups. *Journal of Genetic Psychology, 82*, 91–136.
213 - Freud, A. (1946). *The ego and the mechanisms of defense*. London: Hogarth.
214 - Frey, D., & Gaertner, S. (1986). Helping and the avoidance of inappropriate interracial behavior: A strategy that perpetuates a nonprejudiced self-image. *Journal of Personality and Social Psychology, 50*, 1083–1090.
215 - Friedman, M., Webster, H., & Sanford, N. (1956). A study of authoritarianism and psychopathology. *Journal of Psychology, 41*, 315–322.
216 - Fromm, E. (1941). *Escape from freedom*. New York: Rinehart.
217 - Furnham, A. (1974). *The conforming behaviour of black and white South Africans*. Unpublished master's thesis, University of Natal, Pietermaritzburg, South Africa.
218 - Furnham, A. (1985). Just world beliefs in an unjust society: A cross cultural comparison. *European Journal of Social Psychology, 15*, 363–366.
219 - Gaertner, S. L. (1973). Helping behavior and racial discrimination among liberals and conservatives. *Journal of Personality and Social Psychology, 25*, 335–341.
220 - Gaertner, S. L., Mann, J., Dovidio, J. F., Murrell, A., & Pomare, M. (1990). How does cooperation reduce intergroup bias? *Journal of Personality and Social Psychology, 59*, 692–704.

221 - Gaertner, S. L., Mann, J., Murrell, A., & Dovidio, J. F. (1989). Reducing intergroup bias: The benefits of recategorization. *Journal of Personality and Social Psychology, 57*, 239–249.
222 - Gage, N. L., Leavitt, G. S., & Stone, G. G. (1957). The psychological meaning of acquiescence set for authoritarianism. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 55*, 98–103.
223 - Gaier, E. L., & Bass, B. L. (1959). Regional differences in interrelations among authoritarianism, acquiescence, and ethnocentrism. *Journal of Social Psychology, 49*, 47–51.
224 - Gardiner, G. (1972). Complexity training and prejudice reduction. *Journal of Applied Social Psychology, 2*, 326–342.
225 - Gardner, R. C. (1973). Ethnic stereotypes: The traditional approach, a new look. *Canadian Psychologist, 14*, 133–148.
226 - Genthner, R., & Taylor, S. (1973). Physical aggression as a function of racial prejudice and the race of the target. *Journal of Personality and Social Psychology, 27*, 207–210.
227 - Gergen, K. J., & Gergen, M. M. (1981). *Social psychology*. New York: Harcourt Brace Jovanovich.
228 - Glock, C., Wuthnow, R., Piliavin, J., & Spencer, M. (1975). *Adolescent prejudice*. New York: Harper & Row.
229 - Goertzel, T. D. (1987). Authoritarianism of personality and political attitudes. *Journal of Social Psychology, 127*, 7–18.
230 - Goldstein, M., & Davis, E. E. (1972). Race and belief: A further analysis of the social determinants of behavioral intentions. *Journal of Personality and Social Psychology, 22*, 346–355.
231 - Goodman, M. E. (1952). *Race awareness in young children*. Reading, Massachusetts: Addison-Wesley.
232 - Gordon, A. I. (1943). Frustration and aggression among Jewish university students. *Jewish Sociological Studies, 5*, 27–42.
233 - Gorsuch, R. L., & Aleshire, D. (1974). Christian faith and ethnic prejudice: A review and interpretation of research. *Journal for the Scientific Study of Religion, 13*, 281–307.
234 - Gorsuch, R. L., & Ortberg, J. (1983). Moral obligation and attitudes: Their relation to behavioral intentions. *Journal of Personality and Social Psychology, 44*, 1025–1028.
235 - Gough, H. G. (1957). *California Psychological Inventory Manual*. Palo Alto, California: Consulting Psychologists Press.
236 - Gough, H. G., Harris, D. B., Martin, W. E., & Edwards, M. (1950). Children's ethnic attitudes: I. Relationship to certain personality factors. *Child Development, 21*, 89–91.
237 - Gray, D. B., & Revelle, W. (1972). A cluster analytic critique of the Multifactor Racial Attitude Inventory. *Psychological Record, 22*, 103–112.
238 - Green, J. A. (1972). Attitudinal and situational determinants of intended behavior toward blacks. *Journal of Personality and Social Psychology, 22*, 13–17.
239 - Greenberg, B. S., & Mazingo, S. L. (1976). Racial issues in mass media institutions. In P. A. Katz (Ed.), *Towards the elimination of racism* (pp. 309–340). New York: Pergamon.

240 - Greenberg, J., & Rosenfield, J. (1979). Whites' ethnocentrism and their attributions for the behavior of blacks. A motivational bias. *Journal of Personality, 47*, 644–657.
241 - Greenwald, A. (1968). On defining attitude and attitude theory. In A Greenwald, T. Brock, & T. Ostrom (Eds.), *Psychological foundations of attitudes* (pp. 361–388). New York: Academic.
242 - Guilford, J. P. (1931). Racial preferences of a thousand American university students. *Journal of Social Psychology, 2*, 199–208.
243 - Guimond, S., Begin, G., & Palmer, D. (1989). Education and causal attributions: The development of "person-blame" and "system-blame" ideology. *Social Psychology Quarterly, 52*, 126–140.
244 - Guimond, S., Dube-Simard, L. (1983). Relative deprivation theory and the Quebec nationalist movement: The cognition-emotion distinction and the personal-group deprivation issue. *Journal of Personality and Social Psychology, 44*, 526–535.
245 - Gurr, T. R. (1970). *Why men rebel*. Princeton: Princeton University Press.
246 - Guttman, L. L. (1944). A basis for scaling qualitative data. *American Sociological Review, 9*, 139–150.
247 - Haller, J. (1971). *Outcasts from evolution: Scientific attitudes of racial inferiority: 1859–1900*. Urbana: University of Illinois Press.
248 - Hamblin, R. L. (1962, Fall). The dynamics of racial discrimination. *Social Problems, 7*, 102–121.
249 - Hamilton, D. (Ed.) (1981a). *Cognitive processes in stereotyping and intergroup behavior*. Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.
250 - Hamilton, D. (1981b). Illusory correlation as a basis for stereotyping. In D. Hamilton (Ed.), *Cognitive processes in stereotyping and intergroup behavior* (pp. 117–144). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.
251 - Hamilton, D. (1981c). Stereotyping and intergroup behavior: Some thoughts on the cognitive approach. In D. Hamilton (Ed.), *Cognitive processes in stereotyping and intergroup behavior* (pp. 333–353). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.
252 - Hamilton, D. L., & Sherman, S. J. (1989). Illusory correlations: Implications for stereotype theory and research. In D. Bar-Tal, C. F. Graumann, A W. Kruglanski, & W. Stroebe (Eds.), *Stereotyping and prejudice: Changing conceptions* (pp. 59–82). Berlin: Springer.
253 - Hamilton, D. L., & Trolier, T. K. (1986). Stereotypes and stereotyping: An overview of the cognitive approach. In J. F. Dovidio & S. L. Gaertner (Eds.), *Prejudice, discrimination, and racism* (pp. 127–164). Orlando, Florida: Academic.
254 - Hamilton, R. (1972). *Class and politics in the United States*. New York: Wiley.
255 - Hampel, R., & Krupp, B. (1977). The cultural and political framework of prejudice in South Africa and Great Britain. *Journal of Social Psychology, 103*, 193–202.
256 - Haney, C., & Zimbardo, P. G. (1976). Social roles and role playing: Observations from the Stanford prison study. In E. P. Hollander & R. C. Hunt (Eds.), *Current perspectives in social psychology* (pp. 266–274). New York: Oxford University Press.

257 - Hanf, T., Weiland, H., & Vierdag, G. (1981) *South Africa The prospects of peaceful change*. London: Rex Collings.
258 - Hanson, D. J. (1983). Authoritarianism and dogmatism: Political orientations. In V. K. Kool & J. J. Ray (Eds.), *Authoritarianism across cultures* (pp. 122–141). Bombay: Himalaya Publishing House.
259 - Harding, J., Proshansky, H., Kutner, B., & Chein, I. (1969). Prejudice and ethnic relations. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *The handbook of social psychology, Vol. 5* (pp. 1–76). Reading, Massachusetts: Addison-Wesley.
260 - Hare, A. P. (1976). *Handbook of small group research*. New York: Free Press.
261 - Harris, D. B., Gough H. G., & Martin, W. E. (1950). Children's ethnic attitudes: II. Relationship to parental belief concerning child training. *Child Development, 21*, 169–181.
262 - Hart, I. (1957). Maternal child-rearing practices and authoritarian ideology. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 55*, 232–237.
263 - Hartley, E. L. (1946). *Problems in prejudice*. New York: King's Crown Press.
264 - Hassan, M. K. (1975). Religious prejudice among college students: A socio-psychological investigation. *Journal of Social and Economic Studies, 3*, 101–107.
265 - Hassan, M. K. (1976). Self-image, social prejudice and child-rearing practices. *Asian Journal of Psychology and Education, 1*, 30–37.
266 - Hassan, M. K. (1978). A study of ethnocentrism, prejudice and related personality factors in Hindu and Muslim college students. *Psychologia, 21*, 150–154.
267 - Hawkins, D., & Kass, G. (1982). Automatic interaction detection. In D. Hawkins (Ed.), *Topics in applied multivariate analysis* (pp. 267–299). Cambridge: Cambridge University Press.
268 - Heaven, P.C.L. (1979). *A cross-cultural study of conservatism in South Africa and its relation to ethnic attitudes*. Unpublished doctoral dissertation, University of South Africa, Pretoria, South Africa.
269 - Heaven, P.C.L. (1980). Authoritarianism, prejudice, and alienation among Afrikaners. *Journal of Social Psychology, 110*, 39–42.
270 - Heaven, P.C.L. (1981). Correlates of authoritarian personality. *South African Journal of Psychology, 11*, 85–86.
271 - Heaven, P.C.L. (1983a). Individual vs intergroup explanations of prejudice among Afrikaners. *Journal of Social Psychology, 121*, 201–210.
272 - Heaven, P.C.L. (1983b). Self-esteem and associated variables among white South Africans. *Journal of Social Psychology, 119*, 283–284.
273 - Heaven, P.C.L., Conners, J., & Trevethan, R. (1987). Authoritarianism and the EPQ. *Personality and Individual Differences, 8*, 677–680.
274 - Heaven, P.C.L., & Rajab, D. (1980). Authoritarianism and patriotism: A study among Afrikaners and Indians in South Africa. In P.C.L. Heaven (Ed.), *Authoritarianism: South African Studies* (pp. 9–15). Bloemfontein, South Africa: P. J. de Villiers Publishers.
275 - Heaven, P.C.L., Stones, C., & Bester, C. (1986). Attitudes to a South African liberation movement. *Journal of Conflict Resolution, 30*, 487–496.
276 - Hewstone, M. (1988). Attributional bases of intergroup conflict. In W. Stroebe, A. Kruglanski, D. Bar-Tal, & M. Hewstone (Eds.), *The social psychology of intergroup conflict* (pp. 47–72). Berlin: Springer.

277 - Hewstone, M., & Brown, R. (Eds.) (1986a). *Contact and conflict in intergroup encounters*. Oxford: Blackwell.
278 - Hewstone, M., & Brown, R. (1986b). Contact is not enough: An intergroup perspective on the "Contact Hypothesis." In M. Hewstone & R Brown (Eds.), *Contact and conflict in intergroup encounters* (pp. 1-44). Oxford: Blackwell.
279 - Hewstone, M., & Ward, C. (1985). Ethnocentrism and causal attribution in Southeast Asia. *Journal of Personality and Social Psychology, 48*, 614-623.
280 - Hills, M. (1976, July). A measure of attitudes toward cultural pluralism in New Zealand. Paper presented at the Annual Conference of the International Association of Cross-Cultural Psychology, Tilburg, The Netherlands.
281 - Hinkle, S., & Schopler, J. (1979). Ethnocentrism in the evaluation of group products. In W. G. Austin & S. Worchel (Eds.), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 160-173). Monterey, California: Brooks/Cole.
282 - Hinkle, S., Taylor, L. A., & Fox-Cardamone, D. L. (1989). Intragroup identification and intergroup differentiation: A multicomponent approach. *British Journal of Social Psychology, 28*, 305-317.
283 - Hodge, R. W., & Treiman, D. J. (1966). Occupational mobility and attitudes toward Negroes. *American Sociological Review, 31*, 93-102.
284 - Hoffman, M. L. (1977). Moral internalization: Current theory and research. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology, Vol. 10* (pp. 86-135). New York: Academic.
285 - Hofmeyer, J. M. (1982). *An examination of the influence of Christian National Education on the principles underlying white and black education in South Africa 1948-1982*. Unpublished master's thesis, University of the Witwatersrand, Johannesburg, South Africa.
286 - Hogg, M. A., & Abrams, D. (1988). *Social identifications*. London: Routledge.
287 - Hoogvelt, A.M.M. (1969). Ethnocentrism, authoritarianism, and Powellism. *Race, 11*, 1-12.
288 - Horowitz, D. (1985). *Ethnic groups in conflict*. Berkeley: University of California Press.
289 - Horowitz, E. L., & Horowitz, R. E. (1938). Development of social attitudes in children. *Sociometry, 1*, 307-338.
290 - Hovland, C., & Sears, R. (1940). Minor studies of aggression V1. Correlation of lynchings with economic indices. *Journal of Psychology, 9*, 301-310.
291 - Hughes, A. (1975). *Psychology and the political experience*. London: Cambridge University Press.
292 - Hyman, H. H., & Sheatsley, P. B. (1954). The authoritarian personality—A methodological critique. In R. Christie & M. Jahoda (Eds.), *Studies in the scope and method of "the authoritarian personality"* (pp. 50-122). Glencoe, Illinois: Free Press.
293 - Hyman, H. H., & Sheatsley, P. B. (1964). Attitudes toward desegregation. *Scientific American, 211 (July)*, 16-23.
294 - Hyman, H. H., & Wright, C. R. (1979). *Education's lasting influence on values*. Chicago: University of Chicago Press.
295 - Ijaz, M. A. (1982). "We can change our childrens' racial attitudes." *Multiculturalism, 5*, 11-17.
Inbar, D., Resh, N., & Adler, C. (1984). Integration and school variables. In Y.

Amir, S Sharan, & R. Ben-Arie (Eds.), *School desegregation: Cross-cultural perspectives* (pp. 119–132). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum

296 - Insko, C A., Nacoste, R. W., & Moe, J. L. (1983). Belief congruence and racial discrimination: Review of the evidence and critical evaluation. *European Journal of Social Psychology, 13,* 153–174.

297 - Isaacs, H. R. (1975). *Idols of the tribe: Group identity and political change.* New York. Harper & Row.

298 - Iverson, M., & Schwab, H. (1967). Ethnocentric dogmatism and binocular fusion of racially discrepant stimuli. *Journal of Personality and Social Psychology, 7,* 73–81.

299 - Iwawaki, S., Sonoo, K., Williams, J., & Best, D. (1978). Color bias among young Japanese children. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 9,* 61–73.

300 - Jackman, M. R. (1977). Prejudice, tolerance, and attitudes towards ethnic groups. *Social Science Research, 6,* 145–169.

301 - Jackman, M. R. (1978). General and applied tolerance: Does education increase commitment to racial integration? *American Journal of Political Science, 22,* 302–324.

302 - Jackman, M. R., & Muha, M. J. (1984). Education and intergroup attitudes: Moral enlightenment, superficial democratic commitment, or ideological refinement? *American Sociological Review, 49,* 751–769.

303 - Jackson, D. N. (1967). *Personality research form manual.* Goshen, New York: Research Psychologists Press.

304 - Jackson, D. N., & Messick, S. J. (1957). A note on ethnocentrism and acquiescent response sets. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 54,* 132–134.

305 - Jacobson, C. (1985). Resistance to affirmative action: Self-interest or racism? *Journal of Conflict Resolution, 29,* 306–329.

306 - Jahoda, M. (1960). *Race relations and mental health.* Paris: UNESCO.

307 - Jaspers, I. (1978). The nature and measurement of attitudes. In H. Tajfel & C. Fraser (Eds.), *Introducing social psychology* (pp. 256–276). Middlesex, England: Penguin.

308 - Johnson, D. W., & Johnson, R. T. (1989). *Cooperation and competition: Theory and research.* Edina, Minnesota: Interaction Book Company.

309 - Jones, J. M. (1972). *Prejudice and racism.* Reading, Massachusetts: Addison-Wesley.

310 - Jones, R. A. (1982). Perceiving other people: Stereotyping as a process of social cognition. In A. G. Miller (Ed.), *In the eye of the beholder: Contemporary issues in stereotyping* (pp. 41–91). New York: Praeger.

311 - Judd, C. M., & Park, B. (1988). Out-group homogeneity: Judgments of variability at the individual and group levels. *Journal of Personality and Social Psychology, 54,* 778–788.

312 - Kalin, R., & Berry, J. W. (1980). Geographic mobility and ethnic tolerance. *Journal of Social Psychology, 112,* 129–134.

313 - Kates, S., & Diab, N. (1955). Authoritarian ideology and attitudes on parent-child relationships. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 51,* 13–16.

314 - Katz, D., & Braly, K. (1933). Racial stereotypes in one hundred college students. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 28,* 280–290.

315 - Katz, D., & Stotland, E. (1959). A preliminary statement of a theory of attitude

structure and change. In S. Koch (Ed.), *Psychology. A study of a science. Vol. 3* (pp. 423–475). New York: McGraw-Hill

316 - Katz, I. (1978). *White awareness: A handbook for anti-racism training*. Norman, Oklahoma: University of Oklahoma Press

317 - Katz, P. A. (1976). The acquisition of racial attitudes in children. In P. A. Katz (Ed.), *Towards the elimination of racism* (pp. 125–154). New York: Pergamon

318 - Katz, P. A., & Taylor, D. A. (1988). *Eliminating racism. Profiles in controversy*. New York: Plenum.

319 - Kaufman, W. C. (1957). Status, authoritarianism, and anti-Semitism. *American Journal of Sociology, 62*, 379–382.

320 - Kelley, J., Ferson, J., & Holtzman, W. (1958). The measurement of attitudes towards the Negro in the South. *Journal of Social Psychology, 48*, 305–317

321 - Kelly, C. (1988). Intergroup differentiation in a political context. *British Journal of Social Psychology, 27*, 319–332.

322 - Kelman, H. (1961). Processes of opinion change. *Public Opinion Quarterly, 25*, 57–78.

323 - Kelman, H., & Barclay, J. (1963). The F scale as a measure of breadth of perspective. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 67*, 608–615.

324 - Kelman, H., & Pettigrew, T. (1959). How to understand prejudice. *Commentary, 28*, 436–441.

325 - Kendrick, D. T., & Fundar, D. C. (1988). Profiting from controversy: Lessons from the person-situation debate. *American Psychologist, 43*, 23–34

326 - Kerlinger, F. (1984). *Liberalism and conservatism: The nature and structure of social attitudes*. Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.

327 - Kerlinger, F., & Rokeach, M. (1966). The factorial nature of the F and D scales. *Journal of Personality and Social Psychology, 4*, 391–399.

328 - Kidder, L., & Stewart, V. (1975). *The psychology of intergroup relations: Conflict and consciousness*. New York: McGraw-Hill.

329 - Kiesler, C. A. (1969). Group pressure and conformity. In J. Mills (Ed.), *Experimental social psychology* (pp. 235–278). London: Macmillan.

330 - Kinder, D. R. (1986). The continuing American dilemma: White resistance to racial change 40 years after Myrdal. *Journal of Social Issues, 42*, 151–171.

331 - Kinder, D. R., & Rhodebeck, L. A. (1982). Continuities in support for racial equality. *Public Opinion Quarterly, 46*, 195–215.

332 - Kinder, D. R., & Sears, D. O. (1981). Prejudice and politics: Symbolic racism versus racial threats to the good life. *Journal of Personality and Social Psychology, 40*, 414–431.

333 - Kinloch, G. (1974). Racial prejudice in highly and less racist societies: Social distance preferences among white college students in South Africa and Hawaii. *Sociology and Social Research, 59*, 1–13.

334 - Kinloch, G. (1977). Intergroup stereotypes and social distance among white college students in Durban, South Africa. *Journal of Psychology, 95*, 17–23.

335 - Kinloch, G. (1985). Racial attitudes in South Africa: A review. *Genetic, Social and General Psychology Monographs, 111*, 261–281.

336 - Kirscht, J. P., & Dillehay, R. C. (1967). *Dimensions of authoritarianism*. Lexington: University of Kentucky Press.

337 - Kleugel, J., & Smith, E. (1983). Affirmative action attitudes: Effects of self-

interest, racial affect, and stratification beliefs on whites' views. *Social Forces 61, 797–824.*

338 - Klineberg, O. (1968). Prejudice: The concept. In D. Sills (Ed.), *Encyclopedia of the social sciences, Vol. 12* (pp. 439–448). New York: Macmillan.

339 - Knapp, R. J. (1976). Authoritarianism, alienation, and related variables: A correlational and factor-analytic study. *Psychological Bulletin, 83,* 194–212.

340 - Kohn, P. M. (1974). The authoritarianism-rebellion scale: A balanced F scale with left wing reversals. *Sociometry, 35,* 176–189.

341 - Konecni, V. J. (1979). The role of aversive events in the development of intergroup conflict. In W. Austin & S. Worchel (Eds.), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 85–102). Monterey, California: Brooks/Cole.

342 - Kovel, J. (1970). *White racism: A psychological history.* New York: Pantheon.

343 - Krech, D., & Crutchfield, R. (1948). *Theory and problems of social psychology.* New York: McGraw-Hill.

344 - Krech, D., Crutchfield, R., & Ballachey, E. (1962). *Individual in society.* New York: McGraw-Hill.

345 - Kuhn, T. S. (1962). *The structure of scientific revolutions.* Chicago: University of Chicago Press.

346 - Kutner, B., Wilkins, C., & Yarrow, P. (1952). Verbal attitudes and overt behavior involving racial prejudice. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 47,* 649–652.

347 - Lalonde, R. N., Moghaddam, F. M., & Taylor, D. M. (1987). The process of group differentiation in a dynamic intergroup setting. *Journal of Social Psychology, 127,* 273–287.

348 - Lambert, W. W., & Lambert, W. E. (1964). *Social psychology.* Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.

349 - Lambley, P. (1973). Authoritarianism and prejudice in South African student samples. *Journal of Social Psychology, 91,* 341–342.

350 - Lambley, P. (1980): *The psychology of apartheid.* London: Secker & Warburg.

351 - Lambley, P., & Gilbert, L. (1970). Forced choice and counterbalanced versions of the F scale. *Psychological Reports, 27,* 547–550.

352 - Landis, D., Hope, R. O., & Day, H. R. (1984). Training for desegregation in the military. In N. Miller & M. Brewer (Eds.), *Groups in contact: The psychology of desegregation* (pp. 256–278). San Diego: Academic.

353 - Landsberger, H., & Saavedra, A. (1967). Response set in developing countries. *Public Opinion Quarterly, 31,* 214–229.

354 - Lanternari, V. (1980). Ethnocentrism and ideology. *Ethnic and Racial Studies, 3,* 52–67.

355 - LaPiere, R. T. (1934). Attitudes vs actions. *Social Forces, 13,* 230–237.

356 - Larsen, K., Colen, L., von Flue, D., & Zimmerman, P. (1974). Situational pressure, attitudes toward blacks, and laboratory aggression. *Social Behavior and Personality, 2,* 219–221.

357 - Larson, K., & Schwendiman, G. (1969). Authoritarianism, self-esteem, and insecurity. *Psychological Reports, 25,* 229–230.

358 - Lauderdale, P., Smith-Cunnien, P., Parker J., and Inverarity J. (1984). External threat and the definition of deviance. *Journal of Personality and Social Psychology, 46,* 1058–1068.

359 - Lee, R. E., & Warr, P. B. (1969). The development and standardization of a balanced F-scale. *Journal of General Psychology, 81*, 109–129.
360 - Leicester, M. (1989). *Multicultural education. From theory to practice*. Windsor, England: NFER-Nelson.
361 - Lemyre, L., & Smith, P. M. (1985). Intergroup discrimination and self-esteem in the minimal group paradigm. *Journal of Personality and Social Psychology, 49*, 660–670.
362 - Lenski, C., & Leggett, J. (1960). Caste, class, and deference in the research interview. *American Journal of Sociology, 65*, 463–467.
363 - Leonard, K. E., & Taylor, S. P. (1981). Effects of racial prejudice and race of target on aggression. *Aggressive Behavior, 7*, 205–214.
364 - Lerner, M. J. (1980). *The belief in a just world: A fundamental delusion*. New York: Plenum.
365 - Lerner, M. J., & Miller, D. T. (1978). Just world research and the attribution process. *Psychological Bulletin, 85*, 1030–1051.
366 - Le Roux, P. (1986). Growing up an Afrikaner. In S. Burman & P. Reynolds (Eds.), *Growing up in a divided society* (pp. 184–207). Johannesburg: Ravan Press.
367 - Lever, H. (1976). Frustration and prejudice in South Africa. *Journal of Social Psychology, 100*, 21–33.
368 - Lever, H. (1978). *South African society*. Johannesburg: Jonathan Ball Publishers.
369 - Lever, H. (1980). Education and ethnic attitudes in South Africa. *Sociology and Social Research, 64*, 53–69.
370 - Lever, H., Schlemmer, L., & Wagner, O. (1967). A factor analysis of authoritarianism. *Journal of Social Research, 16*, 41–48.
371 - Levin, J., & Levin, W. C. (1982). *The functions of prejudice and discrimination*. New York: Harper & Row.
372 - LeVine, R. A., & Campbell, D. T. (1972). *Ethnocentrism: Theories of conflict, ethnic attitudes and group behavior*. New York: Wiley.
373 - Levinson, D. J. (1957). Authoritarian personality and foreign policy. *Journal of Conflict Resolution, 1*, 37–47.
374 - Levinson, D. J., & Huffman, P. E. (1955). Traditional family ideology and its relation to personality. *Journal of Personality, 23*, 251–273.
375 - Lewin, K. (1948). *Resolving social conflicts*. New York: Harper.
376 - Likert, R. (1931). *A technique for the measurement of attitudes*. New York: Columbia University Press.
377 - Lilli, W., & Rehm, J. (1988). Judgmental processes as bases of intergroup conflict. In W. Stroebe, A. W. Kruglanski, D. Bar-Tal, & M. Hewstone (Eds.), *The social psychology of intergroup conflict* (pp. 29–46). Berlin: Springer.
378 - Lindzey, G. (1950). An experimental examination of the scapegoat theory of prejudice. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 45*, 297–309.
379 - Linn, L. (1965). Verbal attitudes and overt behavior: A study of racial discrimination. *Social Forces, 43*, 353–364.
380 - Lippman, W. (1922). *Public opinion*. New York: Harcourt Brace Jovanovich.
381 - Lipset, S. M. (1963). *Political man*. New York: Doubleday.
382 - Locksley, A., Ortiz, V., & Hepburn, C. (1980). Social categorization and discriminatory behavior: Extinguishing the minimal intergroup discriminatory effect. *Journal of Personality and Social Psychology, 39*, 773–783.

383 - Longshore, D., & Prager, J. (1985). The impact of school desegregation A situational analysis. *Annual Review of Sociology, 11*, 75–91.
384 - Lord, C., Lepper, M., & Mackie, D. (1984). Attitude prototypes as determinants of attitude-behavior consistency. *Journal of Personality and Social Psychology, 46*, 1254–1266.
385 - Lorr, M. (1982). *Interpersonal style inventory manual*. Unpublished test manual, Catholic University of America, Washington, D.C.
386 - Louw-Potgieter, J. (1988). The authoritarian personality: An inadequate explanation for intergroup conflict in South Africa. *Journal of Social Psychology, 128*, 75–87.
387 - Lutterman, K. G., & Middleton, R. (1970). Authoritarianism, anomia and prejudice. *Social Forces, 48*, 485–492.
388 - Lyle, W. H., & Levitt, E. E. (1955). Punitiveness, authoritarianism, and parental discipline of grade school children. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 51*, 42–46.
389 - Maass, A., & Clark, R. D. (1984). Hidden impact of minorities: Fifteen years of minority influence research. *Psychological Bulletin, 95*, 428–450.
390 - Mabe, P., & Williams, J. (1975). Relation of racial attitudes to sociometric choices among second grade children. *Psychological Reports, 37*, 547–554.
391 - MacCrone, I. D. (1937). *Race attitudes in South Africa: Historical, experimental and psychological studies*. London: Oxford University Press.
392 - MacKinnon, W. J., & Centers, R. (1957). Authoritarianism and internationalism. *Public Opinion Quarterly, 20*, 621–630.
393 - MacNeil, L. W. (1974). Cognitive complexity: A brief synthesis of theoretical approaches and a concept attainment task analogue to cognitive structure. *Psychological Reports, 34*, 3–11.
394 - Malof, M., & Lott, A. J. (1962). Ethnocentrism and the acceptance of Negro support in a group pressure situation. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 65*, 254–258.
395 - Mann, J. (1959). The relationship between cognitive, affective, and behavioral aspects of racial prejudice. *Journal of Social Psychology, 49*, 223–228.
396 - Mann, M. (1970). The social cohesion of liberal democracy. *American Sociological Review, 35*, 423–439.
397 - Manstead, A.S.R., Proffit, C., & Smart, J. L. (1983). Predicting and understanding mothers' infant-feeding intentions and behavior: Testing the theory of reasoned action. *Journal of Personality and Social Psychology, 44*, 657–671.
398 - Marden, C., & Meyer, G. (1962). *Minorities in American society*. New York: American Book Company.
399 - Marlowe, D., & Crowne, D. (1961). Social desirability and response to perceived situational demands. *Journal of Consulting Psychology, 25*, 109–115.
400 - Martin, J. G. (1964). *The tolerant personality*. Detroit: Wayne State University Press.
401 - Martin, J. G., & Westie, F. R. (1959). The tolerant personality. *American Sociological Review, 24*, 521–528.
402 - Marx, G. T. (1967). *Protest and prejudice*. New York: Harper & Row.

403 - Masling, M. (1954). How neurotic is the authoritarian? *Journal of Abnormal and Social Psychology, 49*, 316–318.
404 - Maslow, A. H. (1943). The authoritarian character structure. *Journal of Social Psychology, 18*, 401–411.
405 - May, J., & May, G. (1979). Color preference for black and white by infants and young children. *Perceptual and Motor Skills, 49*, 143–148
406 - May, J., & May G. (1981). Effects of age on color preference for black and white by infants and young children. *Perceptual and Motor Skills, 52*, 255–261
407 - Maykovich, M. (1975). Correlates of racial prejudice. *Journal of Personality and Social Psychology, 32*, 1014–1020.
408 - McCauley, C., Stitt, C. L., & Segal, M. (1980). Stereotyping: From prejudice to prediction. *Psychological Bulletin, 87*, 195–208.
409 - McClean, H. V. (1946). Psychodynamic factors in racial relations. *Annals of the American Academy of Political and Social Science, 244*, 159–166.
410 - McClendon, M. J. (1985). Racism, rational choice, and white opposition to racial change: A case study of busing. *Public Opinion Quarterly, 49*, 214–233.
411 - McClosky, H. (1958). Conservatism and personality. *American Political Science Review, 52*, 27–45.
412 - McClosky, H. (1967). Personality and attitude correlates of foreign policy orientations. In J. N. Rosenau (Ed.), *Domestic sources of foreign policy*. New York: Free Press.
413 - McConahay, J. (1982). Self-interest versus racial attitudes as correlates of anti-busing attitudes in Louisville: Is it the buses or the blacks? *Journal of Politics, 44*, 692–720.
414 - McConahay, J. (1983). Modern racism and modern discrimination: The effects of race, racial attitudes, and context on simulated hiring decisions. *Personality and Social Psychology Bulletin, 9*, 551–558.
415 - McConahay, J. (1986). Modern racism, ambivalence, and the modern racism scale. In J. Dovidio & S. L. Gaertner (Eds.), *Prejudice, discrimination, and racism: Theory and research* New York: Academic.
416 - McConahay, J., Hardee, B. B., & Batts, V. (1981). Has racism declined in America? *Journal of Conflict Resolution, 25*, 563–579.
417 - McConahay, J., & Hough, J. C. (1976). Symbolic racism. *Journal of Social Issues, 32*, 23–45.
418 - McCord, W, McCord, J., & Howard, A. (1960). Early familial experiences and bigotry. *American Sociological Review, 25*, 717–722.
419 - McDill, E. L. (1961). Anomie, authoritarianism, prejudice, and socio-economic status: An attempt at clarification. *Social Forces, 39*, 239–245.
420 - McGuire, W. J. (1966). Attitudes and opinions. *Annual Review of Psychology, 17*, 475–514.
421 - Mehryar, A. (1970). Authoritarianism, rigidity, and Eysenck's E and N dimensions in an authoritarian culture. *Psychological Reports, 27*, 326.
422 - Meindl, J. R., & Lerner, M. J. (1984). Exacerbation of extreme responses to an out-group. *Journal of Personality and Social Psychology, 47*, 71–84.
423 - Melamed, L. (1970). The relationship between actions and attitudes in a South African setting. *South African Journal of Psychology, 1*, 19–23.
424 - Meloen, J. D. (1983). *De autoritaire reaktie in tijden van welvaart en krisis* [The

authoritarian response in times of prosperity and crisis] Unpublished doctoral dissertation, University of Amsterdam, Holland.

425 - Meloen, J. D , Hagendoorn, L., Raaijmakers, Q., & Visser, L. (1988). Authoritarianism and the revival of political racism: Reassessments in the Netherlands of the reliability and validity of the concept of authoritarianism by Adorno et al. *Political Psychology, 9*, 413–429.

426 - Merton, R. K. (1970). Discrimination and the American creed. In P. I. Rose (Ed), *The study of society* (pp. 449–457). New York: Random House.

427 - Messick, D. M., & Mackie, D. M. (1989). Intergroup relations. *Annual Review of Psychology, 40*, 45–81.

428 - Mezei, L. (1971). Perceived social pressure as an explanation of shifts in the relative influence of race and belief on prejudice across social situations. *Journal of Personality and Social Psychology, 19*, 69–81.

429 - Michael, S. (1967). Authoritarianism, anomie and the disordered mind. *Acta Psychiatrica Scandinavica, 43*, 286–299.

430 - Middleton, R. (1976). Regional differences in prejudice. *American Sociological Review, 41*, 94–117.

431 - Milgram, S. (1963). Behavioral study of obedience. *Journal of Personality and Social Psychology, 63*, 371–378.

432 - Milgram, S. (1974). *Obedience to authority: An experimental view.* New York: Harper & Row.

433 - Miller, A. G. (1982). Stereotyping: Further perspectives and conclusions. In A. G. Miller (Ed.), *In the eye of the beholder: Contemporary issues in stereotyping* (pp. 466–505). New York: Praeger.

434 - Miller, N. E., & Bugelski, R. (1948). Minor studies of aggression: II. The influence of frustration imposed by the in-group on attitudes expressed toward out-groups. *Journal of Psychology, 25*, 437–442.

435 - Milner, D. (1975). *Children and race.* Harmondsworth, England: Penguin.

436 - Milner, D. (1981). Racial prejudice. In J. Turner & H. Giles (Eds.), *Intergroup behaviour* (pp. 102–143). Oxford: Blackwell.

437 - Milner, D. (1983). *Children and race: Ten years on.* London: Ward Lock Educational.

438 - Minard, R. (1952). Race relationships in the Pocahontas coal field. *Journal of Social Issues, 8*, 29–44.

439 - Mischel, W. (1977). On the future of personality measurement. *American Psychologist, 32*, 246–254.

440 - Mischel, W., & Schopler, J. (1959). Authoritarianism and reactions to "Sputniks." *Journal of Abnormal and Social Psychology, 59*, 142–145.

441 - Moe, J. L., Nacoste, R. W., & Insko, C. A. (1981). Belief versus race as determinants of discrimination: A study of Southern adolescents in 1966 and 1979. *Journal of Personality and Social Psychology, 41*, 1031–1050.

442 - Moghaddam, F. M., & Stringer, P. (1986). Trivial and important criteria for social categorization in the minimal group paradigm. *Journal of Social Psychology, 126*, 345–354.

443 - Moghaddam, F. M., & Stringer, P. (1988). Outgroup similarity and intergroup bias. *Journal of Social Psychology, 128*, 105–115.

444 - Montgomery, R. L., & Enzie, F. E. (1973). Predicting behavior in a social influence-situation from attitude-scale measures of prejudice. *Psychological Reports, 32*, 235–240.

445 - Moore, J. W., Hauk, W. E., & Denne, T. C. (1984). Racial prejudice, interracial contact, and personality variables. *Journal of Experimental Education, 52*, 168–173.
446 - Moreland, R. L., & Levine, J. M. (1982). Socialization in small groups: Temporal changes in individual-group relations. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology, Vol. 2* (pp. 137–192). New York: Academic.
447 - Morse, C., & Allport, F. (1952). The causation of anti-Semitism: An investigation of seven hypotheses. *Journal of Psychology, 34*, 197–233.
448 - Moscovici, S. (1976). *Social influence and social change*. London: Academic.
449 - Moscovici, S., & Paicheler, G. (1978). Social comparison and social recognition: Two complementary processes of identification. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation in social groups: Studies in the social psychology of intergroup relations* (pp. 251–266). London: Academic.
450 - Mosher, D. L., & Scodel, A. (1960). A study of the relationship between ethnocentrism in children and the ethnocentrism and authoritarian rearing practices of their mothers. *Child Development, 31*, 369–376.
451 - Mowrer, O. H. (1960). *Learning theory and behavior*. New York: Wiley.
452 - Mulford, C. L. (1968). Ethnocentrism and attitudes toward the mentally ill. *Sociological Quarterly, 9*, 107–111.
453 - Mullen, B. (1983). Operationalizing the effect of the group on the individual: A self-attention perspective. *Journal of Experimental Social Psychology, 19*, 295–322.
454 - Mummendey, A., & Simon, B. (1989). Better or different? III: The impact of importance of comparison dimension and relative in-group size upon intergroup discrimination. *British Journal of Social Psychology, 28*, 1–16.
455 - Murphey, G., & Likert, R. (1938). *Public opinion and the individual*. New York: Harper.
456 - Mynhardt, J. (1980). Prejudice among Afrikaans- and English-speaking South African students. *Journal of Social Psychology, 110*, 9–17.
457 - Newcomb, T. (1943). *Personality and social change: Attitude formation in a student community*. New York: Holt, Rinehart & Winston.
458 - Newcomb, T. (1961). *The acquaintance process*. New York: Holt, Rinehart & Winston.
459 - Newcomb, T., Turner, R., & Converse, E. (1965). *Social Psychology*. New York: Holt, Rinehart & Winston.
460 - Nieuwoudt, J. M., & Nel, E. (1975). The relationship between ethnic prejudice, authoritarianism and conformity among South African students. In S. Morse & C. Orpen (Eds.), *Contemporary South Africa: Social psychological perspectives* (pp. 99–102). Johannesburg: Juta and Co.
461 - Nieuwoudt, J. M., & Plug, C. (1983). South African ethnic attitudes: 1973–1978. *Journal of Social Psychology, 121*, 163–171.
462 - Nieuwoudt, J. M., Plug, C., & Mynhardt, J. (1977). White ethnic attitudes after Soweto: A field experiment. *South African Journal of Sociology, 16*, 1–12.
463 - Ng, S. H. (1982). Power and intergroup discrimination. In H. Tajfel (Ed.), *Social identity and intergroup relations* (pp. 179–206). Cambridge: Cambridge University Press.
464 - Ng, S. H. (1985). Biases in reward allocation resulting from personal status,

group status, and allocation procedure. *Australian Journal of Psychology, 37,* 297–307
465 - Oaker, G., & Brown, R. J. (1986). Intergroup relations in a hospital setting: A further test of social identity theory. *Human Relations,* 39, 767–778.
466 - Oakes, P., & Turner, J. (1980). Social categorization and intergroup behaviour: Does minimal intergroup discrimination make social identity more positive? *European Journal of Social Psychology, 10,* 295–301.
467 - O'Gorman, H. J. (1975). Pluralistic ignorance and white estimates of support for racial segregation. *Public Opinion Quarterly, 39,* 313–330.
468 - O'Gorman, H. J., & Garry, S. L. (1976). Pluralistic ignorance—a replication and extension. *Public Opinion Quarterly, 40,* 449–458.
469 - Olson, J. M., & Zanna, M. P. (1983). Attitudes and beliefs. In D. Perlman & P. C. Cozby (Eds.), *Social Psychology* (pp. 75–96). New York: Holt, Rinehart & Winston.
470 - Orpen, C. (1970a). Authoritarianism in an "authoritarian" culture: The case of Afrikaans-speaking South Africa. *Journal of Social Psychology, 81,* 119–120.
471 - Orpen, C. (1970b). *Authoritarianism within an "authoritarian" culture: A critical reexamination of the "theory" of the authoritarian personality.* Unpublished doctoral dissertation, University of Cape Town, Cape Town, South Africa.
472 - Orpen, C. (1971a). Authoritarianism and racial attitudes among English-speaking South Africans. *Journal of Social Psychology, 84,* 301–302.
473 - Orpen, C. (1971b). The effect of cultural factors on the relationship between prejudice and personality. *Journal of Psychology, 78,* 73–79.
474 - Orpen, C. (1971c). Prejudice and adjustment to cultural norms among English-speaking South Africans. *Journal of Psychology, 77,* 217–218.
475 - Orpen, C. (1972a). A cross-cultural investigation of the relationship between conservatism and personality. *Journal of Psychology, 81,* 297–300.
476 - Orpen, C. (1972b). The cross-cultural validity of the Eysenck Personality Inventory: A test in Afrikaans-speaking South Africa. *British Journal of Social and Clinical Psychology, 11,* 244–247.
477 - Orpen, C. (1973a). Sociocultural and personality factors in prejudice: The case of white South Africa. *South African Journal of Psychology, 3,* 91–96.
478 - Orpen, C. (1973b). The reference group basis of racial attitudes: An empirical study with white and black Rhodesians. *South African Journal of Sociology, 6,* 67–73.
479 - Orpen, C. (1975). Authoritarianism revisited: A critical examination of "expressive" theories of prejudice. In S. Morse & C. Orpen (Eds.), *Contemporary South Africa: Social psychological perspectives* (pp. 103–111). Johannesburg: Juta and Co.
480 - Orpen, C., & Rookledge, Q. (1972). Dogmatism and prejudice in white South Africa. *Journal of Social Psychology, 86,* 151–153.
481 - Orpen, C., & Tsapogas, G. (1972). Racial prejudice and authoritarianism: A test in white South Africa. *Psychological Reports, 30,* 441–442.
482 - Orpen, C., & van der Schyff, L. (1972). Prejudice and personality in white South Africa: A "differential learning" alternative to the authoritarian personality. *Journal of Social Psychology, 87,* 313–314.
483 - Owen, C. A., Eisner, H. C., & McFaul, T. R. (1981). A half-century of social

distance research: National replication of the Bogardus studies *Sociology and Social Research, 66,* 80–98.

484 - Pagel, M. D., & Davidson, A. R. (1984). A comparison of three social-psychological models of attitude and behavioral plan: Prediction of contraceptive behavior. *Journal of Personality and Social Psychology, 47,* 517–533.

485 - Park, R. E. (1924). The concept of social distance. *Journal of Applied Sociology, 8,* 339–344.

486 - Patchen, M. (1982). *Black-white contact in schools: Its social and academic effects.* West Lafayette, Indiana: Purdue University Press.

487 - Patchen, M. (1983). Students' own racial attitudes and those of peers of both races, as related to interracial behaviors. *Sociology and Social Research, 68,* 59–77.

488 - Patchen, M., Davidson, J., Hoffman, G., & Brown, W. (1977). Determinants of students' interracial behavior and opinion change. *Sociology of Education, 50,* 55–75.

489 - Peabody, D. (1961). Attitude content and agreement set in scales of authoritarianism, dogmatism, antisemitism and economic conservatism. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 63,* 1–11.

490 - Pearlin, L. (1954). Shifting group attachments and attitudes towards Negroes. *Social Forces, 33,* 47–50.

491 - Peterson, W. (1958). Prejudice in American society: A critique of some recent formulations. *Commentary, 26,* 342–348.

492 - Pettigrew, T. F. (1958). Personality and socio-cultural factors in intergroup attitudes: A cross-national comparison. *Journal of Conflict Resolution, 2,* 29–42.

493 - Pettigrew, T. F. (1959). Regional differences in anti-Negro prejudice. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 59,* 28–36.

494 - Pettigrew, T. F. (1960). Social distance attitudes of South African students. *Social Forces, 38,* 246–253.

495 - Pettigrew, T. F. (1961). Social psychology and desegregation research. *American Psychologist, 16,* 105–112.

496 - Pettigrew, T. F. (1971). *Racially separate or together?* New York: McGraw-Hill.

497 - Pettigrew, T. F. (1975). *Racial discrimination in the U.S.* New York: Harper & Row.

498 - Pettigrew, T. F. (1979). The ultimate attribution error: Extending Allport's cognitive analysis of prejudice. *Personality and Social Psychology Bulletin, 5,* 461–476.

499 - Pettigrew, T. F. (1981). Extending the stereotype concept. In D. Hamilton (Ed.), *Cognitive processes in stereotyping and intergroup relations* (pp. 303–331). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.

500 - Pettigrew, T. F. (1986). The intergroup contact hypothesis reconsidered. In M. Hewstone & R. Brown (Eds.), *Contact and conflict in intergroup encounters* (pp. 169–195). Oxford: Blackwell.

501 - Pettigrew, T. F., & Martin, J. (1987). Shaping the organizational context for black American inclusion. *Journal of Social Issues, 43,* 41–78.

502 - Pettigrew, T. F., & Martin, J. (1989). Organizational inclusion of minority groups: A social psychological analysis. In J. P. van Oudenhoven & T. M. Wil-

lemsen (Eds.), *Ethnic minorities: Social psychological perspectives* (pp. 169–200). Amsterdam: Swets & Zeitlinger.

503 - Porter, D. T. (1974). An experimental investigation of the effects of racial prejudice and racial perception upon communication effectiveness. *Speech Monographs, 41*, 179–184.

504 - Prentice, N. M. (1961). Ethnic attitudes, neuroticism, and culture. *Journal of Social Psychology, 54*, 75–82.

505 - Press, L., Burt, I., & Barling, J. (1979). Racial preferences among South African white and black preschool children. *Journal of Social Psychology, 107*, 125–126.

506 - Preston-Whyte, E. (1976). Race attitudes and behaviour: The case of domestic employment in white South African homes. *African Studies, 35*, 75–89.

507 - Proshansky, H. M. (1966). The development of intergroup attitudes. In L. W. Hoffman & M. L. Hoffman (Eds.), *Review of child development research* (pp. 311–371). New York: Russell Sage.

508 - Prothro, E. T. (1952). Ethnocentrism and anti-Negro attitudes in the deep South. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 47*, 105–108.

509 - Prothro, E. T., & Jensen, J. A. (1950). Interrelations of religious and ethnic attitudes in selected southern populations. *Journal of Social Psychology, 34*, 252–258.

510 - Prothro, E.T., & Miles, O.K. (1952). A comparison of ethnic attitudes of college students and middle class adults from the same state. *Journal of Social Psychology, 36*, 53–58.

511 - Purdue, C. W., Dovidio, J. F., Gurtman, M. B., & Taylor, R. B. (1990). Us and them: Social categorization and the process of intergroup bias. *Journal of Personality and Social Psychology, 59*, 475–486.

512 - Quinley, H. E., & Glock, C. Y. (1979). *Anti-Semitism in America*. New York: Free Press.

513 - Rabbie, J. M., & Horwitz, M. (1969). Arousal of ingroup-outgroup bias by a chance win or loss. *Journal of Personality and Social Psychology, 13*, 269–277.

514 - Rabbie, J. M., & Wilkens, C. (1971). Intergroup competition and its effect on intra- and intergroup relations. *European Journal of Social Psychology, 1*, 215–234.

515 - Rajecki, D. (1982). *Attitudes: Themes and advances*. Sunderland, Massachusetts: Sinauer Associates.

516 - Rand, T. M., & Wexley, K. M. (1975). Demonstration of the effect "similar to me" in simulated employment interviews. *Psychological Reports, 36*, 535–544.

517 - Raper, A. (1933). *The tragedy of lynching*. Chapel Hill: University of North Carolina Press.

518 - Ray, J. J. (1972). A new balanced F scale—and its relation to social class. *Australian Psychologist, 7*, 155–166.

519 - Ray, J. J. (1974). Introduction. In J. J. Ray (Ed.), *Conservatism as heresy*. Sydney: A.N.Z. Book Co.

520 - Ray, J. J. (1976). Do authoritarians hold authoritarian attitudes? *Human Relations, 29*, 307–325.

521 - Ray, J. J. (1979a). Is the dogmatism scale irreversible? *South African Journal of Psychology, 9*, 104–107.

522 - Ray, J. J. (1979b). A short balanced F scale. *Journal of Social Psychology, 109*, 309–310.

523 - Ray, J. J. (1980a). Authoritarianism in California thirty years later—with some cross-cultural comparisons. *Journal of Social Psychology, 111*, 9–17.

524 - Ray, J. J. (1980b). Racism and authoritarianism among white South Africans. *Journal of Social Psychology, 110*, 29–37.

525 - Ray, J. J. (1981a). Do authoritarian attitudes or authoritarian personalities reflect mental illness? *South African Journal of Psychology, 11*, 153–157.

526 - Ray, J. J. (1981b). The new Australian nationalism. *Quadrant, 25*, 1–2.

527 - Ray, J. J. (1983). Reviving the problem of acquiescent response set. *Journal of Social Psychology, 121*, 81–96.

528 - Ray, J. J. (1984). Authoritarianism and achievement motivation in contemporary West Germany. *Journal of Social Psychology, 122*, 3–19.

529 - Ray, J. J. (1988a). Cognitive style as a predictor of authoritarianism, conservatism, and racism: A fantasy in many movements. *Political Psychology, 9*, 303–308.

530 - Ray, J. J. (1988b). Racism and personal adjustment: Testing the Bagley hypothesis in Germany and South Africa. *Personality and Individual Differences, 9*, 685–686.

531 - Ray, J. J., & Furnham, A. (1984). Authoritarianism, conservatism, and racism. *Ethnic and Racial Studies, 7*, 406–412.

532 - Ray, J. J., & Heaven, P.C.L. (1984). Conservatism and authoritarianism among urban Afrikaners. *Journal of Social Psychology, 122*, 163–170.

533 - Ray, J. J., & Lovejoy, F. H. (1986). The generality of racial prejudice. *Journal of Social Psychology, 126*, 563–564.

534 - Rehm, J., Lilli, W., & Eimeren, B. (1988). Reduced intergroup differentiation as a result of self-categorization in overlapping categories. A quasi-experiment. *European Journal of Social Psychology, 18*, 375–379.

535 - Reich, M. (1972). The economics of racism. In R. C. Edwards, M. Reich, & T. E. Weisskopf (Eds.), *The capitalist system* (pp. 313–321). Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.

536 - Reich, W. (1975). *The mass psychology of fascism*. Harmondsworth, England: Penguin.

537 - Rex, J. (1970). *Race relations in sociological theory*. New York: Schocken.

538 - Rhyne, E. H. (1962). Racial prejudice and personality scales: An alternative approach. *Social Forces, 41*, 44–53.

539 - Richards, S. A., & Jaffee, C. L. (1972). Blacks supervising whites: A study of interracial difficulties in working together in a simulated organization. *Journal of Applied Psychology, 56*, 234–240.

540 - Richert, K. C. (1963). Explorations into the specific behavioral determinants of authoritarians. *Psychological Reports, 13*, 950.

541 - Roberts, A. H., & Rokeach, M. (1956). Anomie, authoritarianism, and prejudice: A replication. *American Journal of Sociology, 61*, 355–358.

542 - Rogers, R. W. (1983). Race variables in aggression. In R. G. Geen & E. I. Donnerstein (Eds.), *Aggression: Theoretical and empirical reviews, Vol. 2* (pp. 27–50). New York: Academic.

543 Rokeach, M. (1948). Generalized mental rigidity as a factor in ethnocentrism. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 43,* 259–278.
544 - Rokeach, M. (1954). The nature and meaning of dogmatism. *Psychological Review, 61,* 194–204.
545 - Rokeach, M., & Fruchter, B. (1956). A factorial study of dogmatism and related concepts. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 53,* 356–360.
546 - Rokeach, M., & Mezei, L. (1966). Race and shared belief as factors in social choice. *Science, 151,* 167–172.
547 - Rokeach, M., Smith, P., & Evans, R. (1960). Two kinds of prejudice or one? In M. Rokeach, *The open and the closed mind* (pp. 132–168). New York: Basic Books.
548 - Roof, W. C. (1978). *Community and commitment: Religious plausibility in a liberal Protestant church.* New York: Elsevier.
549 - Rorer, L. G. (1965). The great response style myth. *Psychological Bulletin, 63,* 129–156.
550 - Rorer, L. G., & Widger, T. A. (1983). Personality structure and assessment. *Annual Review of Psychology, 34,* 431–463.
551 - Rose, A. (1956). Intergroup relations vs prejudice. *Social Problems, 4,* 173–176.
552 - Rose, A. (1964). Race and minority group relations. In J. Gould & W. L. Kolb (Eds.), *A dictionary of the social sciences* (pp. 570–571). New York: Free Press.
553 - Rose, S. (1951). *The roots of prejudice.* Paris: UNESCO.
554 - Rosenblith, J. F. (1949). A replication of "some roots of prejudice." *Journal of Abnormal and Social Psychology, 44,* 470–489.
555 - Rosenfield, D., & Stephan, W. (1981). Intergroup relations among children. In S. Brehm, S. Kassim, & F. Gibbons (Eds.), *Developmental social psychology* (pp. 271–297). New York: Oxford University Press.
556 - Ross, L. (1977). The intuitive psychologist and his shortcomings: Distortions in the attribution process. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology Vol. 10* (pp. 174–220). New York: Academic.
557 - Rothbart, M. (1976). Achieving racial equality: An analysis of resistance to social reform. In P. Katz (Ed.), *Towards the elimination of racism* (pp. 341–376). New York: Pergamon.
558 - Rothbart, M., & John, O. P. (1985). Social categorization and behavioral episodes: A cognitive analysis of effects of intergroup contact. *Journal of Social Issues, 41,* 81–84.
559 - Rubin, I. M. (1967). Increased self-acceptance: A means of reducing prejudice. *Journal of Personality and Social Psychology, 5,* 233–238.
560 - Ryan, W. (1971). *Blaming the victim.* New York: Random House.
561 - Sachdev, I., & Bourhis, R. Y. (1984). Minimal majorities and minorities. *European Journal of Social Psychology, 14,* 35–52.
562 - Sachdev, I., & Bourhis, R. Y. (1987). Status differentials and intergroup behaviour. *British Journal of Social Psychology, 17,* 277–293.
563 - Saenger, G. H., & Gilbert, E. (1950). Customer reactions to the integration of Negro personnel. *International Journal of Opinion and Attitude Research, 4,* 57–76.
564 - Saharso, S. (1989). Ethnic identity and the paradox of equality. In J. P. van

Oudenhoven, & T. M. Willemsen (Eds.), *Ethnic minorities: Social psychological perspectives* (pp. 97–114). Amsterdam: Swets & Zeitlinger

565 - Samelson, F. (1978). From "race psychology" to "studies in prejudice". Some observations on the thematic reversal in social psychology. *Journal of the History of the Behavioral Sciences, 14*, 265-278.

566 - Samelson, F., & Yates, J. (1967). Acquiescence and the F scale: Old assumptions and new data. *Psychological Bulletin, 68*, 91-103.

567 - Sappington, A. (1974). Behavior of biased and non-biased whites towards blacks in a simulated interaction. *Psychological Reports, 35*, 487–493.

568 - Schermerhorn, R. (1970). *Comparative ethnic relations: A framework for theory and research*. New York: Random House.

569 - Schofield, J. W. (1986). Causes and consequences of the colorblind perspective. In J. F. Dovidio & S. L. Gaertner (Eds.), *Prejudice, discrimination, and racism* (pp. 231–254). Orlando, Florida: Academic.

570 - Schönbach, P., Gollwitzer, P. M. Stiepel, G., & Wagner, U. (1981). *Education and intergroup attitudes*. London: Academic.

571 - Schuman, H., & Bobo, L. (1988). Survey-based experiments on white racial attitudes toward residential integration. *American Journal of Sociology, 94*, 273–299.

572 - Schuman, H., & Harding, J. (1964). Prejudice and the norm of rationality. *Sociometry, 27*, 353–371.

573 - Schuman, H., Steeh, C., & Bobo, L. (1985). *Racial attitudes in America*. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

574 - Schwartz, S. H., & Tessler, R. C. (1972). A test of a model for reducing measured attitude-behavior discrepancies. *Journal of Personality and Social Psychology, 24*, 225–236.

575 - Schwarzwald, J. (1984). Integration as a situational contingent: Secular versus religious public education. In Y. Amir & S. Sharon (Eds.), *School desegregation: Cross-cultural perspectives* (pp. 99–117). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.

576 - Schwarzwald, J., & Yinon, Y. (1978). Physical aggression: Effects of ethnicity of target and directionality of aggression. *European Journal of Social Psychology, 8*, 367–376.

577 - Schwendiman, G., Larson, K. S., & Cope, S. C. (1970). Authoritarian traits as predictors of preference in 1968 United States presidential elections. *Psychological Reports, 27*, 629–630.

578 - Sears, D. O., & Allen, H. M. (1984). The trajectory of local desegregation controversies and whites' opposition to busing. In N. Miller & M. B.. Brewer (Eds.), *Groups in contact: The psychology of desegregation* (pp. 123–151). New York: Academic.

579 - Sears, D. O., Hensler, C., & Speer, L. (1979). Whites' opposition to busing: Self-interest or symbolic politics? *American Political Science Review, 73*, 369–384.

580 - Sears, D. O., & Kinder, D. R. (1971). Racial tensions and voting in Los Angeles. In W. Z. Hirsch (Ed.), *Los Angeles: Viability and prospects for metropolitan leadership*. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

581 - Sears, D. O., & Kinder, D. R. (1985). Whites' opposition to busing: On conceptualizing and operationalizing "group conflict." *Journal of Personality and Social Psychology, 48*, 1141–1147.

582 - Secord, P. E., & Backman, C. W. (1964). *Social psychology* New York: McGraw-Hill.

583 -Seeman, M. (1975). Alienation studies. *Annual Review of Sociology, 1,* 91–123.

584 - Seeman, M. (1977). Some real and imaginary consequences of social mobility. A French-American comparison. *American Journal of Sociology, 82,* 757–782.

585 - Seeman, M. (1981). Intergroup relations. In M. Rosenberg & R H. Turner (Eds.), *Social psychology: Sociological perspectives* (pp. 378–410). New York: Basic Books.

586 - Seeman, M., Rohan, D., & Argeriou, M. (1966). Social mobility and prejudice: A Swedish replication. *Social Problems, 14,* 187–197.

587 - Segall, M. H., Dasen, P. R., Berry, J. W., & Poortinga, Y. (1990). *Human behavior in global perspective.* New York: Pergamon.

588 - Selznick, G., & Steinberg, S. (1969). *The tenacity of prejudice: Anti-Semitism in contemporary America.* New York: Harper.

589 - Serum, C. S., & Myers, D. G. (1970). Note on prejudice and personality. *Psychological Reports, 26,* 65–66.

590 - Sharan, M. B., & Karan, L. W. (1974). Relationship between prejudice and adjustment. *Psychologia, 17,* 99–102.

591 - Sharan, S. (Ed.) (1990). *Cooperative learning: Theory and research.* New York: Praeger.

592 - Sharan, S., & Rich, Y. (1984). Field experiments on ethnic integration in Israeli schools. In Y. Amir, S. Sharan, & R. Ben-Arie (Eds.), *School desegregation: Cross-cultural perspectives* (pp. 189–218). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.

293 - Sherif, M. (1967). *Group conflict and cooperation.* London: Routledge & Kegan Paul.

594 - Sherif, M., & Sherif, C. W. (1953). *Groups in harmony and tension.* New York: Harper.

595 - Sherif, M., & Sherif, C. W. (1964). *Reference groups: Exploration into conformity and deviation of adolescents.* New York: Harper.

596 - Sherif, M., & Sherif, C. W. (1979). Reseach on intergroup relations. In W. G. Austin & S. Worchel (Eds.), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 7–18). Monterey, California: Brooks/Cole.

597 - Shills, E. A. (1954). Authoritarianism: Right and left. In R. Christie & M. Jahoda (Eds.), *Studies in the scope and method of "the authoritarian personality"* (pp. 24–49). Glencoe, Illinois: Free Press.

598 - Sidanius, J. (1985). Cognitive functioning and sociopolitical ideology revisited. *Political Psychoiogy, 6,* 637–662.

599 - Sidanius, J. (1988). Intolerance of ambiguity, conservatism, and racism—Whose fantasy, whose reality?: A reply to Ray. *Political Psychology, 9,* 309–316.

600 - Silverman, B. I. (1974). Consequences, racial discrimination, and the principle of belief congruence. *Journal of Personality and Social Psychology, 29,* 497–508.

601 Silverman, B. I., & Cochrane, R. (1972). Effect of the social context on the principle of belief congruence. *Journal of Personality and Social Psychology, 22,* 259–269.

602 - Silverman, I., & Kleinman, D. (1967). A response deviance interpretation of the effects of experimentally induced frustration on prejudice. *Journal of Experimental Research in Personality, 2,* 150–153.

603 - Simpson, G. E., & Yinger, J. M. (1972). *Racial and cultural minorities: An analysis of prejudice and discrimination* (4th ed.). New York: Harper & Row
604 - Simpson, G. E., & Yinger, J. M. (1985). *Racial and cultural minorities: An analysis of prejudice and discrimination* (5th ed.). New York: Plenum.
605 - Singer, E. (1981). Reference groups and social evaluations. In M Rosenberg & R. H. Turner (Eds.), *Social psychology: Sociological perspectives* (pp 66–93) New York: Basic Books.
606 - Sinha, A. K., and Upadhyaya, O. P. (1960). Change and persistence in the stereotypes of university students toward different ethnic groups during the Sino-Indian border dispute. *Journal of Social Psychology, 52,* 31–39.
607 - Sinha, R. P., & Hassan, M. K. (1975). Some personality correlates of social prejudice. *Journal of Social and Economic Studies, 3,* 225–231.
608 - Skevington, S. (1981). Intergroup relations and nursing. *European Journal of Social Psychology, 11,* 43–59.
609 - Smith, C. R., Williams, L., & Willis, R. (1967). Race, sex, and belief as determinants of friendship acceptance. *Journal of Personality and Social Psychology, 5,* 127–137.
610 - Smith, E.W.L., & Dixon, T. R. (1968). Verbal conditioning as a function of race of the experimenter and prejudice of the subject. *Journal of Experimental Social Psychology, 4,* 285–301.
611 - Smith, H. P., & Rosen, E. W. (1958). Some psychological correlates of worldmindedness and authoritarianism. *Journal of Personality, 26,* 170–183.
612 - Sniderman, P. M., & Tetlock, P. E. (1986a). Symbolic racism: Problems of motive attribution in political analysis. *Journal of Social Issues, 42,* 129–150.
613 - Sniderman, P. M., & Tetlock, P. E. (1986b). Reflections on American racism. *Journal of Social Issues, 42,* 173–187.
614 - Snyder, M. (1981). On the self-perpetuating nature of social stereotypes. In D Hamilton (Ed.), *Cognitive processes in stereotyping and intergroup behavior* (pp. 183–212). Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.
615 - Sonquist, J. (1970). *Multivariate model building: The validation of a search strategy.* Ann Arbor, Michigan: Braun & Brumfield.
616 - Spangenberg, J., & Nel, E. M. (1983). The effect of equal-status contact on ethnic attitudes. *Journal of Social Psychology, 121,* 173–180.
617 - Spencer, M. (1983). Children's cultural values and parental child rearing strategies. *Developmental Review 3,* 351–370.
618 - Spencer, M., & Horowitz, F. (1973). Effects of systematic social and token reinforcement on the modification of racial and color concept attitudes in black and white preschool children. *Developmental Psychology, 9,* 246–254.
619 - Srole, L. (1956). Social integration and certain corollaries: An exploratory study. *American Sociological Review, 21,* 709–716.
620 - Stagner, R., & Congdon, C. (1955). Another failure to demonstrate displacement of aggression. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 51,* 695–696.
621 - Staub, E. (1989). *The roots of evil: The origins of genocide and other group violence.* Cambridge: Cambridge University Press.
622 - Stein, D. D. (1966). The influence of belief systems on interpersonal preference: A validation study of Rokeach's theory of prejudice. *Psychological Monographs: General and Applied, No. 616.*

623 - Stein, D. D., Hardyck, J. A., & Smith, M. B. (1965). Race and belief: An open and shut case. *Journal of Personality and Social Psychology, 1*, 281–289.
624 - Steiner, I. D. (1974). Whatever happened to the group in social psychology? *Journal of Experimental Social Psychology, 10*, 94–108.
625 - Stember, C. H. (1961). *Education and attitude change*. New York: Institute of Human Relations Press.
626 - Stephan, W. G. (1983). Intergroup relations. In D. Perlman & P. Cozby (Eds.), *Social psychology* (pp. 414–441). New York: Holt, Rinehart & Winston.
627 - Stephan, W. G. (1985). Intergroup relations. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *The handbook of social psychology* (pp. 599–638). New York: Random House.
628 - Stephan, W. G. (1987). The contact hypothesis in intergroup relations. In C. Hendrick (Ed.), *Group processes and intergroup relations: Review of personality and social psychology, Vol. 9* (pp. 13–40). Newbury Park, California: Sage.
629 - Stephan, W. G. (1989). A cognitive approach to stereotyping. In D. Bar-Tal, C. F. Graumann, A. W. Kruglanski, & W. Stroebe (Eds.), *Stereotyping and prejudice: Changing conceptions* (pp. 37–58). Berlin: Springer.
630 - Stephan, W. G., & Rosenfield, D. (1978). Effects of desegregation on racial attitudes. *Journal of Personality and Social Psychology, 36*, 795–804.
631 - Stephan, W. G., & Rosenfield, D. (1982). Racial and ethnic stereotypes. In A. G. Miller (Ed.), *In the eye of the beholder* (pp. 93–135). New York: Praeger.
632 - Stephan, W. G., & Stephan, C. W. (1984). The role of ignorance in intergroup relations. In N. Miller & M. Brewer (Eds.), *Groups in contact: The psychology of desegregation* (pp. 229–255). New York: Academic.
633 - Stone, W. F. (1980). The myth of left-wing authoritarianism. *Political Psychology, 2*, 3–19.
634 - Stricker, G. (1963). Scapegoating: An experimental investigation. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 67*, 125–131.
635 - Strickland, B. (1970). Individual differences in verbal conditioning, extinction and awareness. *Journal of Personality, 38*, 364–378.
636 - Strickland, B., & Crowne, D. P. (1962). Conformity under conditions of simulated group pressure as a function of the need for social approval. *Journal of Social Psychology, 58*, 171–181.
637 - Stroebe, W., & Insko, C. A. (1989). Stereotype, prejudice, and discrimination: Changing conceptions in theory and research. In D. Bar-Tal, C. F. Graumann, A. W. Kruglanski, & W. Stroebe (Eds.), *Stereotyping and prejudice: Changing conceptions* (pp. 3–34). Berlin: Springer.
638 - Stroebe, W., Kruglanski, A. W., Bar-Tal, D., & Hewstone, M. (Eds.). (1988). *The social psychology of intergroup conflict*. Berlin: Springer.
639 - Stroebe, W., Lenkert, A., & Jonas, K. (1988). Familiarity may breed contempt: The impact of student exchange on national stereotypes and attitudes. In W. Stroebe, A. W. Kruglanski, D. Bar-Tal, & M. Hewstone (Eds.), *The social psychology of intergroup conflict* (pp. 167–187). Berlin: Springer.
640 - Sumner, W. G. (1906). *Folkways*. New York: Ginn.
641 - Surgeon, G., Mayo, J., & Bogue, D. (1976). *Race relations in Chicago. Second survey: 1975*. Chicago: University of Chicago.
642 - Tabachnick, B. R. (1962). Some correlates of prejudice towards Negroes in elementary age children. *Journal of Genetic Psychology, 100*, 193–203.

643 - Tajfel, H. (1969). Cognitive aspects of prejudice. *Journal of Social Issues*, *25*, 79-97.
644 - Tajfel, H. (1970). Experiments in intergroup discrimination. *Scientific American*, *223(2)*, 96-102.
645 - Tajfel, H. (1981). *Human groups and social categories*. Cambridge: Cambridge University Press.
646 - Tajfel, H. (1982a). Instrumentality, identity and social comparisons In H. Tajfel (Ed.), *Social identity and intergroup relations* (pp. 483-507). Cambridge. Cambridge University Press.
647 - Tajfel, H. (1982b). Social psychology of intergroup attitudes. *Annual Review of Psychology*, *33*, 1-39.
648 - Tajfel, H. (1984). Intergroup relations, social myths and social justice in social psychology. In H. Tajfel (Ed.), *The social dimension, Vol. 2* (pp. 695-715). Cambridge: Cambridge University Press.
649 - Tajfel, H., Flament, C., Billig, M., & Bundy, R. (1971). Social categorization and intergroup behaviour. *European Journal of Social Psychology*, *1*, 149-177.
650 - Tajfel, H., & Turner, J. (1979). An integrative theory of intergroup conflict. In W. Austin & S. Worchel (Eds.), *The social psychology of intergroup relations* (pp. 33-47). Monterey, California: Brooks/Cole.
651 - Tajfel, H., & Wilkes, A. (1963). Classification and quantitative judgment. *British Journal of Psychology*, *54*, 101-114.
652 - Taylor, D. M., & Moghaddam, F. M. (1987). *Theories of intergroup relations: International social psychological perspectives*. New York: Praeger.
653 - Taylor, M. L. (1980). Fraternal deprivation and competitive racism: A second look. *Sociology and Social Research*, *65*, 37-55.
654 - Terhune, K. W. (1984). Nationalism among foreign and American students: An exploratory study. *Journal of Conflict Resolution*, *8*, 256-270.
655 - Tetlock, P. E. (1983). Cognitive style and political ideology. *Journal of Personality and Social Psychology*, *45*, 118-126.
656 - Thomas, D. R. (1974). The relationship between ethnocentrism and conservatism in an "authoritarian" culture. *Journal of Psychology*, *94*, 179-186.
657 - Thomas, D. R. (1987). Authoritarianism and child-rearing practices. *Australian Psychologist*, *22*, 197-201.
658 - Thompson, L. L., & Crocker, J. (1990). Downward social comparison in the minimal intergroup situation: A test of a self-enhancement interpretation. *Journal of Applied Social Psychology*, *20*, 1166-1184.
659 - Thurow, L. (1969). *Poverty and discrimination*. Washington, D.C.: Brookings Institute.
660 - Thurstone, L., & Chave, E. (1929). *The measurement of attitudes*. Chicago: University of Chicago Press.
661 - Tomkins, S. S. (1963). Left and right: A basic dimension of ideology and personality. In R. W. White (Ed.), *The study of lives* (pp. 388-411). Chicago: Atherton.
662 - Traynham, R., & Witte, K. (1976). The effects of modifying color-meaning concept attitudes in five and eight year old children. *Journal of Experimental Child Psychology*, *21*, 165-174.
663 - Trent, R. D. (1957). The relation between expressed self-acceptance and ex-

pressed attitudes towards Negroes and whites among Negro children. *Journal of Genetic Psychology, 91*, 25–31
664 - Triandis, H. C. (1961). A note on Rokeach's theory of prejudice. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 62*, 184–186.
665 - Triandis, H.C. (1967). Towards an analysis of the components of interpersonal attitudes. In W.C. Sherif & M. Sherif (Eds.), *Attitude, ego involvement and change*. New York: Wiley.
666 - Triandis, H. C., & Davis, E. E. (1965). Race and belief as determinants of behavioral intention. *Journal of Personality and Social Psychology, 2*, 715–726.
667 - Triandis, H. C., Davis, E. E., & Takezawa, S. (1965). Some determinants of social distance among American, German, and Japanese students. *Journal of Personality and Social Psychology, 2*, 540–551.
668 - Triandis, H. C., & Triandis, L. M. (1960). Race, social class, religion, and nationality as determinants of social distance. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 61*, 110–118.
669 - Tripathi, R. C., & Srivastava, R. (1981). Relative deprivation and intergroup attitudes. *European Journal of Social Psychology, 11*, 313–318.
670 - Turner, J. C. (1975). Social comparison and social identity: Some prospects for intergroup behaviour. *European Journal of Social Psychology, 5*, 5–34.
671 - Turner, J. C. (1981). The experimental social psychology of intergroup behaviour. In J. Turner & H. Giles (Eds.), *Intergroup behaviour* (pp. 66–101). Oxford: Blackwell.
672 - Turner, J. C. (1985). Social categorization and the self concept: A social cognitive theory of group behavior. In E. J. Lawler (Ed.), *Advances in group process: Theory and research, Vol. 2* (pp. 77–121). Greenwich, Connecticut: JAI Press.
673 - Turner, J. C., & Brown, R. J. (1978). Social status, cognitive alternatives and intergroup relations. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation between social groups* (pp. 201–234). London: Academic.
674 - Turner, J. C., & Giles, H. (1981). Introduction. In J. C. Turner & H. Giles (Eds.), *Intergroup behaviour* (pp. 1–32). Oxford: Blackwell.
675 - Tygart, C. E. (1984). Political liberalism-conservatism among clergy: The question of dimensionality. *Human Relations, 37*, 853–861.
676 - Tyson, G. A. (1985). *Children's racial attitudes: A review.* Unpublished report submitted to the H.S.R.C. Investigation into Intergroup Relations. Pretoria, South Africa: Human Sciences Research Council.
677 - Tyson, G. A., & Duckitt, J. (1990). Racial attitudes of British immigrants to South Africa: A longitudinal study. In D. M. Keats, D. Munro, & L. Mann (Eds.), *Heterogeneity in cross-cultural psychology*. Amsterdam: Swets & Zeitlinger.
678 - Tyson, G. A., Schlachter, A., & Cooper, S. (1988). Game playing strategy as an indicator of racial prejudice among South African students. *Journal of Social Psychology, 128*, 473–486.
679 - Vanbeselaere, N. (1987). The effects of dichotomous and crossed social categorizations upon intergroup discrimination. *European Journal of Social Psychology, 17*, 143–156.
680 - van den Berghe, P. L. (1962). Race attitudes in Durban, South Africa. *Journal of Social Psychology, 57*, 55–72.
681 - van den Berghe, P. L. (1967). *Race and racism*. New York: Wiley.
682 - van den Heuvel, H., & Meertens, R. W. (1989). The culture assimilator: Is it

possible to improve interethnic relations by emphasizing ethnic differences? In J. P. van Oudenhoven & T M. Willemsen (Eds.), *Ethnic minorities: Social psychological perspectives* (pp. 221–236). Amsterdam: Swets & Zeitlinger.

683 - van der Spuy, H.I.J., & Shamley, D.A.F. (Eds.). (1978). *The psychology of apartheid. A psycho-social perspective on South Africa.* Washington, D.C.: University Press of America.

684 - van Knippenberg, A. (1978). Status differences, comparative relevance and intergroup differentiation. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation between social groups* (pp. 171–200). London: Academic.

685 - van Knippenberg, A. (1989). Strategies of identity management. In J. P. van Oudenhoven & T. M. Willemsen (Eds.), *Ethnic minorities: Social psychological perspectives* (pp. 59–76). Amsterdam: Swets & Zeitlinger.

686 - van Knippenberg, A., & van Oers, H. (1984). Social identity and equity concerns in intergroup perception. *British Journal of Social Psychology, 23*, 351–362.

687 - van Oudenhoven, J. P., & Willemsen, T. M. (Eds.). (1989a). *Ethnic minorities: Social psychological perspectives.* Amsterdam: Swets & Zeitlinger.

688 - van Oudenhoven, J. P., & Willemsen, T. M. (1989b). Towards a useful social psychology for ethnic minorities. In J. P. van Oudenhoven & T. M. Willemsen, (Eds.), *Ethnic minorities: Social psychological perspectives* (pp. 237–251). Amsterdam: Swets & Zeitlinger.

689 - Vanneman, R., & Pettigrew, T. (1972). Race and relative deprivation in the urban United States. *Race, 13*, 461–486.

690 - Vaughan, G. M. (1988). The psychology of intergroup discrimination. *New Zealand Journal of Psychology, 17*, 1–14.

691 - Wagner, U., Lampen, L., Syllwasschy, J. (1986). In-group inferiority, social identity and out-group devaluation in a modified minimal group study. *British Journal of Social Psychology. 25*, 15–23.

692 - Wagner, U., & Schönbach, P. (1984). Links between educational status and prejudice: Ethnic attitudes in West Germany. In N. Miller & M. B. Brewer (Eds.), *Groups in contact: The psychology of desegregation* (pp. 29–52). San Diego: Academic.

693 - Ward, D. (1985). Generations and the expression of symbolic racism. *Political Psychology, 6*, 1–18.

694 - Ward, D. (1988). A critic's defense of the criticized. *Political Psychology, 9*, 317–320.

695 - Warner, L., & DeFleur, M. L. (1969). Attitude as an interactional concept: Social constraint and social distance as intervening variables between attitudes and action. *American Sociological Review, 34*, 153–169.

696 - Warner, L., & Dennis, R. (1970). Prejudice versus discrimination: An empirical example and theoretical extension. *Social Forces, 38*, 473–478.

697 - Watson, J. (1950). Some social and psychological situations related to change in attitude. *Human Relations, 3*, 15–56.

698 - Weatherley, D. (1961). Anti-Semitism and the expression of fantasy aggression. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 62*, 454–457.

699 - Webster, A. C., & Stewart, R.A.C. (1973). Theological conservatism. In G. D. Wilson (Ed.), *The psychology of conservatism* (pp. 129–147). London: Academic.

700 Weigel, R. H., & Howes, P. W. (1985). Conceptions of racial prejudice: Symbolic racism reconsidered. *Journal of Social Issues, 41,* 117–138.
701 - Weigel, R H., & Newman, L S. (1976). Increasing attitude-behavior correspondence by broadening the scope of the behavioral measure *Journal of Personality and Social Psychology, 33,* 793–802
702 - Weitz, S. (1972). Attitude, voice and behavior: A repressed affect model of interracial interaction. *Journal of Personality and Social Psychology, 24,* 14-21.
703 - Westie, F. R. (1964). Race and ethnic relations. In R.E.L. Faris (Ed.), *Handbook of modern sociology* (pp. 576–618). Chicago: Rand McNally.
704 - Wexley, K. N., & Nemeroff, W. F. (1974). The effects of racial prejudice, race of applicant and biographical similarity on interviewer evaluations of job applicants. *Journal of Social and Behavioral Sciences, 20,* 66–78.
705 - Whitehead, G. I., Smith, S. H., & Eichhorn, J. A. (1982). The effect of subject's race and other's race on judgments of causality for success and failure. *Journal of Personality, 50,* 194–202.
706 - Wicker, A. (1969). Attitudes vs actions: The relationship of verbal and overt behavioral responses to attitude objects. *Journal of Social Issues, 25,* 41–78.
707 - Wilder, D. A. (1986). Social categorization: Implications for creation and reduction of intergroup bias. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology, Vol. 19* (pp. 291–355). New York: Academic.
708 - Willemsen, T. M., & van Oudenhoven, J. P. (1989). Social psychological perspectives on ethnic minorities: An introduction. In J. P. van Oudenhoven & T. M. Willemsen (Eds.), *Ethnic minorities: Social psychological perspectives* (pp. 11–21). Amsterdam: Swets & Zeitlinger.
709 - Williams E. I., & Williams, C. D. (1963). Relationships between authoritarian attitudes of college students, estimation of parents' attitudes, and actual parental attitudes. *Journal of Social Psychology, 61,* 43–48.
710 - Williams, J. (1964). Connotations of color names among Negroes and Caucasians. *Perceptual and Motor Skills, 18,* 721–731.
711 - Williams, J. (1969). Individual differences in color-name connotations as related to measures of racial attitude. *Perceptual and Motor Skills, 29,* 383–386.
712 - Williams, J., Boswell, D., & Best, D. (1975). Evaluative responses of preschool children to the colors white and black. *Child Development, 46,* 501–508.
713 - Williams, J., & Morland, J. (1976). *Race, color and the young child.* Chapel Hill: University of North Carolina Press.
714 - Wills, T. A. (1981). Downward comparison principles in social psychology. *Psychological Bulletin, 90,* 245–271.
715 - Wilson, G. D. (Ed.). (1973). *The psychology of conservatism.* New York: Academic
716 - Wilson, G. D., & Shutte, P. (1973). The structure of social attitudes in South Africa. *Journal of Social Psychology, 90,* 323–324.
717 - Wilson, T. C. (1986). The asymmetry of racial distance between white and black. *Sociology and Social Research, 70,* 161–163.
718 - Wilson, W. (1973). *Power, racism, and privilege: Race relations in theoretical and sociohistorical perspective.* New York: Macmillan.
719 - Woodmansee, J., & Cook, S. (1967). Dimensions of verbal racial attitudes: Their identification and measurement. *Journal of Personality and Social Psychology, 7,* 240–250.

720 - Worchel, S., & Cooper, J. (1976). *Understanding social psychology* Homewood Illinois: Dorsey Press.

721 - Wrightsman, L. S., Radloff, R. W., Horton, D. L., & Mecherikoff, M (1961) Authoritarian attitudes and presidential voting preferences. *Psychological Reports, 8*, 43–46.

722 - Wuthnow, R. (1982). Anti-Semitism and stereotyping. In A. Miller (Ed), *In the eye of the beholder* (pp. 137–187). New York: Praeger.

723 - Wylie, R. C. (1979). *The self-concept: Vol. 2. Theory and research on selected topics* (2nd ed.). Lincoln: University of Nebraska Press.

724 - Yinger, J. M. (1983). Ethnicity and social change: The interaction of structural, cultural, and personality factors. *Ethnic and Racial Studies, 6*, 395–409.

725 - Zawadzki, B. (1948). Limitations of the scapegoat theory of prejudice. *Journal of Abnormal and Social Psychology, 43*, 127–141.

726 - Zippel, B., & Norman, R. (1966). Party switching, authoritarianism, and dogmatism in the 1974 elections. *Psychological Reports, 19*, 667–670.

727 - Zuckerman, D. M., Singer, D. G., & Singer, J. L. (1980). Children's television viewing, racial and sex-role attitudes. *Journal of Applied Social Psychology, 10*, 281–294.

728 - Zuckerman, M., Barrett-Ribback, B., Monashkin, I., & Norton, J. (1958) Normative data and factor analysis on the Parental Attitude Research Instrument. *Journal of Consulting Psychology, 22*, 165–171.

729 - Zuckerman, M., & Reis, H. T. (1978). Comparison of three models for predicting altruistic behavior. *Journal of Personality and Social Psychology, 36*, 498–510.



رقم الإيداع	٩٩ /١١٢٦١
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 - 1280 - 0.

الدكتورعبد الحميد صفوت إبراهيم

مواليد القاهرة عام ١٩٤٩ تخرج من كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٧١.

- حصل على الماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس فى ديناميات الجماعة ١٩٧٧.
- حصل على الدكتوراه من كلية الآداب جامعة عين شمس فى ظاهرة اللاتزامن . التنافر فى مكونات الشخصية بين شباب الجامعة ١٩٨٣.
- رئيس قسم العلوم النفسية والتربوية - كلية التربية النوعية جامعة قناة السويس.
- وكيل كلية التربية النوعية جامعة قناة السويس للدراسات العليا والبحوث - عميد الكلية السابق.
- أشرف على عدد من الرسائل بالكلية وخارجها فى علم النفس الاجتماعى.

ترجم كتاب (علم النفس الاجتماعى التجريبى ونشرته جامعة الملك سعود ١٩٩٤).

- له العديد من الأبحاث فى مجالات: . المخاطرة والصحة، والمخاطرة والحوادث، والقدرة على تحمل الفشل وعلاقتها بالتفوق الدراسى. مشكلات الدروس الخصوصية وأخلاقيات التدريس، دراسات المدرسة كمؤسسة عمل (الإيثار والتعاون والانتماء وتقدير الذات) بين المعلمين.
- يعمل حاليا أستاذا لعلم النفس بكلية التربية النوعية جامعة قناة السويس.
- نائب رئيس تحرير مجلة «دراسات نفسية» التى تصدر عن رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية بالقاهرة.

هذا الكتاب

هو ترجمة لكتاب التعصب: تأليف جون دكت أستاذ علم النفس الاجتماعى بجامعات الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا.

يستعرض الكتاب موضوع التعصب كظاهرة نفسية اجتماعية تملأ أسماعنا وابصارنا كلما تابعنا نشرات الأخبار بشكل شبه يومى، فكل المذابح وأشكال المعاناة الإنسانية التى نراها حولنا لا تفسير لها إلا بأنها تعصب، بسبب الديانة فى فلسطين وكوسوفا والبوسنة والشيشان، أو بسبب القومية فى العراق وليبيا والشعب الكردى، أو بسبب اللون فى الولايات المتحدة، أو بسبب العقيدة فى ايرلندا الشمالية وكمبوديا والهند وسيلان، أو بسبب ضعف حيلة الدول النامية تجاه الدول المتقدمة وكما يظهر فى وحشية اتفاقيات الجات واتفاقيات حظر التجارب النووية وأساليبها فى الكيل بمكيالين بين هذه الدول.

كما أن هناك ألوانا من التعصب المتبادل مثل صراع الهند وباكستان وصراع أثيوبيا وأريتريا، وصراع اليمن . أريتريا، والعراق . الكويت وهكذا.

وبعد كل حادث نتساءل جميعا لماذا ينتشر هذا التعصب واللامنطقية وما هى العوامل المؤثرة فى انتشاره بهذه الصورة البشعة، هل هى التنشئة الأسرية، أم القيم الاجتماعية، أم جماعة الأقران، أم المدرسة، أم وسائل الإعلام، أم قادة الرأى، أم التحديات الخارجية، كل تلك الأسئلة يجيب عليها هذا الكتاب بالتفصيل وبالاعتماد على الدراسات المنهجية فى جميع أنحاء العالم وليس فى الولايات المتحدة وحدها وإلى جانب الترجمة الكاملة للكتاب فقد اضاف الدكتور عبد الحميد صفوت عدة فصول من تأليفه لتأصيل مفاهيم علم النفس الاجتماعى وعرض الأسس النظرية التى اعتمد عليها الكتاب فى تفسير ظاهرة التعصب.